الذراع الإعلامي للسياسة الخارجية

الدكتور/ صالح بن محمد النملة

الذراع الإعلامي للسياسة الخارجية

د. صالح بن محمد النملة

ⓒ صالح محمد النمله ١٤٢٤هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النمله، صالح محمد
الذراع الإعلامي للسياسة الخارجية / صالح محمد النمله
الرياض، ١٤٢٤هـ
٤١٦ ص ، ٢٤x١٧ سم
ردمك: ٥-٥٥٥-١٠-٩٩٦٠

١- المقالات العربية أ. العنوان
ديوي ٠٨١,٥٣١ ١٤٢٤/٣٧٩١

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٣٧٩١
ردمك: ٥-٥٥٥-١٠-٩٩٦٠

مقدمة

جاء كتاب الذراع الاعلامي للسياسة الخارجية محصلة مقالات ذات طابع جدي ومتحررة من البعد الزمني الا ما كان ذا ضرورة من اجل توثيق الحدث وتحليله ونشرت هذه المقالات تباعاً حيث كان الطابع التحليلي هو الجانب الطاغي عليها .

في هذا العصر اصبح الكتاب الذي يتفرد لموضوع واحد ويناقش فرضية واحدة اخذ يبتعد عن الساحة الاعلامية والسياسية وفي ذات الوقت فإن المقال العابر الوقتي المرتبط بحدث بعينه أخذت الوسائل الاعلامية تقتله وتنهيه بعد دقائق من نشره واصبح مادة إعلامية لحضية جداً بحيث اصبحت وسائل الاعلام اليومية مادة للعلم وليس للفهم . ولذلك جاءت فكرة هذا الكتاب وكاتب هذه السطور هو من المتخصصين بالعلوم السياسية وباحث في شؤن السياسة الخارجية ومختصاً في شؤن السياسة الخارجية الامريكية والصينية ومن جل اهتمامه كان البعد الاعلامي والاستخدام الاعلامي للسياسة الخارجية بمعنى آخر استخدام الاعلامي ليكون اداة من ادوات تنفيذ السياسة الخارجية وبالتالي فإن تزاوج البعد السياسي والاستراتيجي والاعلامي اصبح مادة حقيقية لهذا الكتاب ومجموعة المقالات التي يتضمنها هذا الكتاب .

اصبح في حكم المعروف اليوم ان هناك فجوة في الاعلام العربي والاعلاميين العرب بين البعد السياسي الرزين اي المعرفة السياسية العميقة والبعد الاعلامي السريع بحيث اصبح العالم العربي يعيش اليوم هذه الفجوة وهذا الانفصام واصبح المفكر والعالم السياسي والمهتم بالقضايا الاستراتيجية ليس له إهتمام او متابعة القضايا الاعلامية ومن جانب آخر اصبح الاعلامي يلهث وراء الخبر اليومي الوقتي دون إهتمام للبعد والعمق السياسي قصير وطويل المدى .

ولهذ الاسباب فإن هذا الكتاب جاء ليُجسِّر هذه الفجوة بحيث يبسط العديد من القضايا السياسية والاستراتيجية الشائكة بشكل ممكن للإعلامي العادي ان يفهما ويستوعبها ويوضفها للصالح السياسي والاعلامي خصوصاً وانهما وجهان لعمل واحدة .

إن من المهم القول أن اي حدث سياسي سواء يومي وقتي او كبير استراتيجي له عدة قرآءات تتوقف على طبيعة القاري وثقافته والمامه ، الا ان هذه القراءة تتوقف بشكل كبير على الزاوية التي يبصر منها القارئ او الباحث وهذه الزاوية وفي العديد من المجالات تتوقف على موقعه الجغرافي والفكري والفلسفي .

ولهذه الاسباب فإن مجموعة المقالات التي يتضمنها هذا الكتاب عبارة عن قرأة سياسية وإعلامية للأحداث العديدة من وجهة نظر باحث عربي سعودي يقيم في الرياض عمل استاذاً

للعلوم السياسية بقسم العلوم السياسة بجامعة الملك سعود بالرياض ولذلك فإن قراءة الاحداث جاءت من اجل فهم الموقف السعودي منها وتحليله لهذا فهذه المقالات تأخذ الطابع التحليلي للعديد من القضايا السياسية والاعلامية المعقدة التي مرت وتمر بالمنطقة العربية وبالمملكة العربية السعودية بشكل خاص .

كل الامل ان يكون بالكتاب الفائدة للقارئ العربي والاجنبي مما يجعله ينظر للأحداث الدولية والاعلامية من منظور تحليلي عربي من اجل ان تكتمل دائرة الفهم والاستيعاب لديه .

المؤلف

د/ صالح بن محمد النملة

١٤٢٤/٥/٣٠هـ

٢٠٠٣/٧/٣٠م

إسرائيل بلا حدود

عندما يقال أن الدولة العبرية دولة بلا حدود فإن الذهن ينصرف إلى الحدود التقليدية بالمعني المعتاد أو حول الجغرافيا السياسية والتى تعني الحدود الدولية وبالتالي ينصرف النظر والفكر إلى النزاع المسلح الذي تعيشة إسرائيل مع العرب منذ انشائها حتى اليوم، حول قضايا الحدود التى لم تنفك هذه القضية من أدخال المنطقة العربية في دوامة اللاسلم واللااستقرار. على الرغم أن الصراع بين العرب وإسرائيل هو ليس صراع حدود ومصالح بالمعني المتعارف عليه وأنما هو صراع يرقى ويذهب إلى كونه صراعاً حضارياً بين الطرفين. ومن وجهة النظر الإسرائيلية اليهودية فأنه صراع أنتفائياً أي بقاء طرف وأنتفاء الثاني بمعني آخر أن إسرائيل من وجهة نظرها لا يمكن لها البقاء والأستمرار طالما أن هناك عرب ودول عربية ذات قوة وأهمية لذلك قُسمت السياسة الإسرائيلية أهتمامها على الركيزة العسكرية والركيزة السياسية والركيزة الحضارية والركيزة الاقتصادية في الوقت الحاضر. وإذا أخذنا الركيزة العسكرية فإن إسرائيل ملتزمة بشكل قوى على جعل العالم العربي عالماً ضعيفاً على المستوى العسكري ولا يرقي إلى قوة إسرائيل بأي حال من الأحوال وأن التسلح النووي أو الكيمائي العربي يعتبر حياة أو موت، بقاء أو فناء بالنسبة للسياسة الإسرائيلية. لذلك تسعى إسرائيل وسوف تستمر في حرمان العالم العربي من أي قوة عسكرية غير تقليدية في المستقبل أو قوة عسكرية تقليدية يمكن أن تحصل عليها أية دولة عربية.

والركيزة السياسية فإنها تجمع معها البعد الحضاري أو الركيزة الحضارية بحيث دئبت إسرائيل على خلق أجواء سياسية عربية متوترة سواء داخل الدول أو بين الدول وبالتالي أصبح مهمة إسرائيل خلق توتر داخل وبين الدول العربية من جانب ومن جانب آخر أحداث عداء دولي للعالم العربي سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي وبقية دول العالم.

أما الركيزة الأقتصادية التى بدأت تأخذ بها إسرائيل وخصوصاً في حكومة نتنياهو المتعصبة فإن وجهة نظرها حول القضايا العالمية وقضية الصراع مع العرب تختلف من حيث التنفيذ مع حكومة العمل التى قادها أسحاق رابين حيث تتمثل وجهة نظر الليكود بقياداته العنصرية إلى أهمال وتجاهل العالم العربي برمته ومد جسور القوة اليهودية إلى جميع أطراف العالم من أجل جعل العالم العربي هو عبارة عن مستنقع من التخلف مستعينة وموظفة تعاطف الولايات المتحدة غير المحدود وتعاطف الدول الأوروبية إلى حد ما من أجل خلق هذه الإجواء. وتكتيك الحكومة الليكودية لا يعنى أن حكومة العمل سوف تنظر للعالم العربي بعين العطف ولكن تري حكومة العمل أن أضعاف والهيمنة على العالم العربي يجب أن تأتي من الداخل وليس من الخارج كما

تطرحها حكومة الليكود أي أن حكومة العمل تطرح مفهوم الشرق أوسطية من أجل جعل إسرائيل القوة المهيمنه على العالم العربي بينما تطرح حكومة الليكود أن العالم العربي لا يمكن العمل معه الآن أو في المستقبل وبالتالي يجب تجاوز العالم العربي إلى العالم أوسع من أجل تحقيق نفس الهدف وهو أخضاع العالم العربي.

ولكن شعار إسرائيل بدون حدود الذي نعنية بهذا المقال يطرح النظرة العالمية التى تقودها الدبلوماسية الإسرائيلية منذ نهاية الحرب الباردة وترمى هذه الدبلوماسية إلى خلق دولة عالمية الأيدي يكون القلب في أراضي فلسطين العربية بمعني أن إسرائيل التى لا تملك حدود جغرافية واضحة على أرض الواقع وهي الدولة الوحيدة في العالم التى ليس لها حدود واضحة المعالم تطرح في عقد التسعينيات وبداية القرن القادم هو خلق دولة بلا حدود ببعدها السياسي والاقتصادي أي أن إسرائيل الدولة المحدودة من الناحية الجغرافية تحضّر نفسها على أن تخلق من نفسها حكومة عالمية ودولة بلا حدود وهذا ما تفعله الدبلوماسية الإسرائيلية بكل جد ونشاط وخصوصاً في ثلاث مناطق حيوية وهامة أو بالاحرى ثلاث قارات حيوية وهامة، القارة الإفريقية، وأمريكا اللاتينية، والقارة الاسيوية بعد أن أستطاعت أثبات قوتها وحضورها إلى جانب قارة أمريكا الشمالية وأوربا وبدأت تركز قواتها وهيمنتها على روسيا بعد أنهيار الاتحاد السوفيتي.

الدبلوماسية الإسرائيلية تلعب دوراً مهماً في صراعات القارة السمراء ونجد أن هناك تعاون أمريكي إسرائيلي في هذه القارة وخصوصاً في الأحداث الأخيرة في دولة الكونغو (زائير سابقاً) حيث كشفت التقارير أن إسرائيل كانت من القوى التي لعبت في وصول السيد كبيلا إلى سدة الحكم في الكونغو وأن هذا البلد الغني بثرواته الطبيعية للشركات الإسرائيلية المباشرة من إسرائيل أو الشركات اليهودية في العالم الغربي بشكل عام والدبلوماسية الإسرائيلية لا تتوقف عند ذلك بل تذهب الى العديد من الدول في القارة الأفريقية فبعد جنوب أفريقيا في المرحلة العنصرية إلى جنوب السودان إلى أثيوبيا حتى أرتيريا منتهيه إلى تقديم المساعدات العسكرية للقوى المعارضة للحكومات في أفريقيا بما فيها الحكومات والدول العربيه وهذا يطرح مدى أختراق المخابرات الإسرائيلية للقوى والجماعات المعارضة للحكومات العربية في أفريقيا. الحضور الإسرائيلي في أفريقيا يعني أحكام القبضة على العالم العربي من الأطراف وتقليم أطرافة في أفريقيا وكسب أصوات ومؤيدين دوليين علي صعيد المنظمات الدولية أو الأقليمية لصالح إسرائيل على حساب العالم العربي ناهيك عن المكاسب الأقتصادية المرتقبة من هذه السياسة. كما أن هذه السياسة الإسرائيلية هي ليست جديدة فقد كانت ومازالت أحد ركائز النظرية الاستعمارية في محاصرة العالم العربي والإسلامى من الاطراف وإسرائيل هنا تلعب دوراً سوف ينكشف لنا في المستقبل من أدخال الدول العربية في أفريقيا في قضايا محلية

وأقليمية سوف تأخذ أنتباه هذه الدول حيث بدأت في السودان ومصر يمكن أن تكون الدولة الثانية بعد أن تدخلها في صراعات مع دول أفريقيه حول أهمية المياة ومنابع النيل مثلما حدث للعراق وسوريا في قضية تجفيف المياه لهاتين الدولتين، بإقامة السدود في تركيا حيث سوف تكتشف مصر أن صراعها الافريقي الافريقي سوف يطغى على أهتماماتها العربية في المستقبل من جراء النشاط الدبلوماسي الإسرائيلي المحموم فى القارة السمراء.

ونشاط إسرائيل في أمريكا اللاتينية فهو قوى وقديم حيث نجد أن أغلب مبيعات السلاح الرسرائيلي لدول أمريكا اللاتينية خصوصاً وأن هناك غياب عربي كبير لهذه القارة. فإن إسرائيل تسعي إلى كسب سوق للسلاح وأصوات في المنظمات الدولية في المستقبل.

ولعل أهم ما يقلق إسرائيل في المرحلة القادمة هو قدرتها علي كسب القارة الآسيوية خصوصاً وأن آسيا تضم قوى أقتصادية وعسكرية واعدة لا تشعر بالتعاطف مع إسرائيل كما هي الحال في أمريكا وأوروبا وفى نفس الوقت فإن آسيا تضم إلى قواها دول إسلامية مهمة مثل ماليزيا، أندونيسيا من حيث التطور في مجال التكنولوجيا والتنمية الأقتصادية ودولة مثل باكستان دفعها الصراع مع الهند إلى الأهتمام في قضايا التسلح. وإسرائيل هنا لا تخفي أهتمامها القديم بالتقارب مع الهند لضرب القوة العسكرية الباكتسانية كما لا يخفى إهتمامها للتقارب مع الدول الآسيوية من اليابان الى الصين إلي النمور الآسيويه الاخري من أيقاف مبيعات السلاح للعالم العربي بل تذهب الدبلوماسية الإسرائيلية الى محاولة تحذير الدول الآسيوية من التعامل القوى والمتين مع العالم العربي والإسلامي ولن يستغرب أن تسعى إسرائيل لمحاولة أفشال النهضة الأقتصادية في الدول الإسلامية الآسيوية بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً وأن الأخيرة تشعر بعدم الرضي تجاة دولة مثل ماليزيا عندما حاولت الاخيرة أخراج الولايات المتحدة من أي تجمع آسيوي محتمل كما أن إسرائيل سوف تحاول أقناع الولايات المتحدة الأمريكيه والدول الآسيويه بعدم التعاون الأقتصادي الوثيق مع الدول العربية بل محاولة جعل إسرائيل مركز نشاط هذه الدول في العالم العربي كما تستطيع إسرائيل تقديم وعود لهذه الدول الاسيويه بالضغط على الادارة الأمريكيه للحصول على تعاون أقتصادي وسياسي من قبل الولايات المتحدة الأمريكيه مقابل تخلي الدول الآسيويه أمداد العالم العربي بالاسلحة وهذا ما تسعي للحصول عليه إسرائيل من الضغط على الصين والهند من أجل الضغط على كوريا الشمالية من أجل قفل الباب أمام أي مشتريات تسليحيه يمكن أن تحصل عليها الدول العربية ولعل قضية مثل هذه المبيعات سوف تتكشف أكثر بعد هروب السفير الكوري الشمالي فى مصر ولجوئه الى الولايات المتحدة الأمريكيه والتى حملت لنا وسائل الإعلام أهمية المعلومات التى يحملها السفير عن مبيعات السلاح الكوري الشمالي لكل من سوريا وإيران.

إسرائيل هو الدولة الوحيدة فى العالم التى ليس لها حدود جغرافية مثل باقي دول العالم وهي في ذات الوقت تريد أن تكون دولة بدون حدود على المستوى السياسي والأقتصادي وهذا ما تسعي الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تحقيقة وترجع هذة السياسة إلى هدف رئيسي ومهم هو أضعاف والهيمنة على العالم العربي سواء من داخل العالم العربي أو من خارجة وبقاء العالم العربي ضعيف وغير مهم وغير فعال فإن ذلك مسألة حياة أو موت بقاء أو فناء بالنسبة لإسرائيل.

السلاح وتطور العلاقات الدولية

ان الدارس للعلاقات الدولية يدرك كيف أن مفهوم التواصل والتفاعل بين الدول بدأ بالمفهوم الحديث منذ مؤتمر وست فاليا ١٦٤٨م عندما أرسى مفهوم العلاقة بين الدول على أسس جديدة تخدم التوجه السياسي في القارة الأوروبية بحيث أنتقلت العلاقة من مفهوم الصراع الديني فقط والحرب على أسس بناء الامبراطوريات مستخدمين البعد الديني كقاعدة رئيسية لشرعية مثل هذه الحروب والصراعات. ومنذ مؤتمر وست فاليا والعالم الغربي بدأ يدخل أدوات صراع جديدة تمثلت بالمفهوم القومي والعلاقات الدبلوماسية بحيث يصبح مفهوم البعد القومي أداة من أدوات العلاقات الدولية بدل من البعد الديني فقط. وكانت وجهة نظر الساسه في ذلك الوقت ترى أن آدخال البعد القومي في أدارة العلاقة بين الدول سوف يخفف ويحد من الحروب الطاحنة الغير منتهية بين الدول الأوروبية على أسس دينية. بحيث تسعى فرنسا إلى توحيد فرنسا على أسس من القومية الفرنسية ويكون التوحيد والامتداد يقوم على أساس تواجد العناصر المنحدرة من أصول فرنسية وضم مناطق يكون اللسان واللغة الفرنسية هي السائدة ويتوقف هذا التوسع بانتهاء الحدود البشرية أي العنصر الفرنسي والحدود اللغوية أي اللغة الفرنسية بدلاً من أن يكون الأعتماد على مفهوم الحرب الدينية التى تطالب بتطبيق ونشر المذهب الكاثوليكي على جميع المجتمعات في حالة فرنسا مما يعني أن الحرب هي حالة مستمرة وليس لها حدود جغرافية أو بشرية. ومن هنا جاءت وجاهة الانتقال من الاعتماد على المنطلق الايديولوجي الديني الى المنطلق الايديولوجي القومي في التاريخ السياسي الأوروبي. ومثل ما يكون ذلك صحيحاً على فرنسا فانه يمكن تطبيق هذا المبدء وهذا المنطلق على دول أوروبية أخرى مثل المانيا، بولندا، المجر، روسيا، بريطانيا. وبالتالي يري الأوروبيون أن التحول الى عوامل سياسية في ادارة العلاقات الدولية سوف يخفف من الحروب المتواصلة بين دول القارة الأوروبية في ذلك الوقت.

إلا أن المشاهد والمتابع للتاريخ السياسي الأوروبي والعالمي بعد ذلك يستطيع مراقبة كيف أن التحول من عوامل سياسية إلى أخرى لا يكفي بشكل جذري وكافي سلامة التحول من حالة تفكيرة معينة (الاعتماد على البعد الايديولوجي الديني الى الاعتماد على البعد الايديولوجي القومي) على إحداث حالة من السلام والوأم الدولي كما كان الطموح الأوروبي في ذلك الوقت بل ان هناك عوامل متغيرة وعديدة استطاعت ان تعيد مفهوم العلاقات الدولية بشكل كبير بل وتغير مفهوم ونظرة الدول في التعاملات الدولية بشكل كبير ومن هذه العوامل العديدة هي مفهوم

التـواصلات الدوليـة والمواصـلات والاتصالات والاختـرعـات الجديدة الـتى حملت العـالم الى التقارب الغير مسبوق ولكن مايهمنا في هذا المقال هو تسليط الضوء على كيف لعب مفهوم تطور السلاح في تغيير مفهوم وتعاطي العلاقات الدولية.

تاريخياً على أقل تقدير كان الصراع البشري أو مـا يطلق عليه الحرب أو الحروب كانت تعتمد اعتماداً كلياً على القوة البدنية البشرية والعدد البشري ويرجع ذلك ان الحروب عبر التاريخ كانت عبارة عن اللتحـام بشري مباشر بين جيشين أو بين فـردين من كل جانب من كل جيش وكان هو السائد لذلك كانت الغلبة بشكل كبير تكـون للطرف المتفوق من حيث العدد وان كانت المعارك التى خاضـها المسلمون الاوائل ضد مشركي قريش تقول عكس ذلك فان ذلك ما أدخل مفهوم الحماس الديني والأيماني أو بلغة هذا العـصر كيف يلعب مفـهوم الحماس الايديولوجـي دوره في شحذ الهمم وقـوة العزيمة في أحـداث انتصـار من فئة قليلة ضـد فئـة كبيـرة وهذا ما أصـبح يعرف بالدراسـات الحديثة أثـر البعد الايـديولوجي أو الروح المعنوية على طريقـة وحماس المقـاتل في الحروب. إلا أن الحروب في مجملها كانت تعني العـدد وكثرة العدد حتى بدأت بعض الاختراعات الجديدة تصب في مـفهوم الحـرب وادارة الصراع بحيث طور مفـهوم السهم الذي كـان يصيب ويجرح عن قرب الى مفهوم السهم المرن أي السهم الذي اخترعة البريطانيون ذلك السلاح القوى الفتاك الذي احدث أول شـرخ في مفهوم الصراع والحرب بحـيث أصبحت قلة من الجنود لديهم القدرة على قـتل وهزيمة اعداد كبيرة من الطـرف الآخر على بعد ثلاثون إلى أربعون مـتراً وكان ذلك ما سجلته المعركة الشهيرة بين البـريطانيون والفرنسيون في القرن الخامس الميلادي عندما استخدم البريطانيون هذا النوع من السلاح الذي أنهى مـفهوم التلاحم المباشر بين الجيشين إلى الابد بل وأصبـحت بريطانيا بفضل مثـل هذا الاختراع واحدة من الدول التى تتـدخل في الشأن الأوروبي بشكل قوى ومـستمـر على الرغم من صغر مكانتـها في القارة الأوروبيـة بل وبعدها النسبي الجغرافي.

كان لهذا الاختراع أثره في دفع دول محدودة القوة والموارد أن تكون واحدة من الدول المؤثرة في العلاقات الدولية وسوف تسـتمر هذه القوة والهيمنة البريطانية حـتى أختراع البارود بحيث كان لهذا الاختـراع واحد من أهم الآثار على الحرب الأهلية الامريكية وخـصوصاً بعد تطوير هذا الاختراع ليكون سـلاح على شكل بندقية لديها القـدرة الكبيرة في الفتك ومن مسـافة ابعد تصل الى مائة متر. وكان هذا السلاح العامل الحاسم في انتـصار القوات الفدرالية القادمة من الشمال على سيوف ونبال والبنادق القديمة للقوات الكنفـدرالية القادمة من الجنوب وبفضل هذا السلاح استطاع الشمال توحيد الولايات المتحدة الأمريكية وضم الولايات الجنوبية والغربية تحت دولة واحدة وبشروط القوة الشـمالية. ثم سوف تتوالي هذه الاختراعـات والتجديدات في نوع وقوة فتك الاسلحة حتى اختراع مفهوم اللغم الارضي والبحري وبعد ذلك مفهوم الطائرة والصواريخ

التى سوف تدفع المانيا الدولة المهمة في هذه السلسلة الى شن حروب طاحنة وكبيرة فى الحرب العالمية الأولى والثانية معتمدة على قوتها واختراعاتها في مفهوم القتل والفتك والتدمير عن بعد في مفهوم الطائرة والصاروخ وهذا ما سوف يدفع كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق الى الانقضاض على المانيا تحدث تدمير القوة المدنية وتدمير المدن والمنشأت المدنية بعد الفشل في مقارعة القوة العسكرية وسوف تنجح هذه الاستراتيجية ولكن كان هدف الدول هو الوصول الى مراكز الابحاث والتطوير والى العلماء الذين ساهمو في تطوير الآلة العلمية لتغلق الحرب العالمية الثانية ابوابها على هذه الاختراعات التى سوف تنتقل الى كل من الاتحاد السوفيتي والالويات المتحدة الامريكية لتفرز هذه الاختراعات باختراع القوة النووية والقدرة الهائلة على التدمير الهائل والفتاك عن بعد بفضل استخدام القوة النووية أو استخدام القوة العسكرية الضاربة في تحطيم الخصم واكتشاف تجمعاته وتمركزة. وبفضل مثل هذه الاختراعات استطاعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية ان تكون الدولة الأعظم والاقوى اليوم وبفضل مثل هذا التفوق أصبحت أسرائيل الدولة الاقوى في الشرق الأوسط وبفضل هذه القوة أصبحت جنوب افريقيا الدولة الأهم في القارة الافريقية وان كان البعد في تطوير وامتلاك السلاح لا يعد العامل الوحيد في ادارة دفة العلاقة بين الدول فإنه بلا شك يعد واحد من أهم هذه العوامل التى تلعب دوراً في مفهوم تطور وديناميكية العلاقات الدولية.

العالم العربي بين الفضاء الأوروبي والأمريكي

يبدو من الوهلة الأولى أن العنوان متهافت من الأصل خصوصاً وأن العنوان يوحي بوجود تناقض وأختلاف بين أمريكا وأوروبا حيث يمكن الاثبات في مجالات عدة أمتداد طبيعي لأوروبا بل أن أمريكا تعد زعيمت العالم الغربي الذين يتمثل بالقارة الأوروبية وأن الزعيم يأتي من الذات فكيف يمكن الفصل بين الذات وزعيم الذات. ومن جهة أخري كذلك يمكن القول أن أمريكا تعد أحد القوي التى ورثة وتزعمت الحضارة الأوروبية وهي تقول علناً بأنها زعيمة العالم الحر والعالم الحر هنا ينصب على العالم الغربي بمفهومه اللبرالي الرأسمالي. والفاحص للحضارة الغربية يجد أن أمريكا لا تعد شيء مخالف للحضارة الأوروبية بل هي أمتدادها الطبيعي وتطورها المنطقي. حتى لدينا نحن فى التراث الإسلامي نطلق على الروم ذو الرؤوس المتعددة حيث بدأت من أوروبا الشرقية ثم تحولت إلى أوروبا الغربية ثم انتقلت إلى أمريكا الشمالية ومن يدري عندما يُدفع هذا المفهوم إلى منتهاه أن تكون أستراليا أو نيوزيلندا الوريث الطبيعي والامتداد المنطقي للحضارة الأوروبية في المستقبل.

إلا أن ما يهمنا في هذا المقال هو تمزق العالم العربي وهنا يمثل العالم العربي قلب العالم الإسلامي، أقول أن العالم العربي يعيش حالة من التمزق بين الفضاء والبعد الأمريكي والفضاء والبعد الأوروبي يدفع هذا التمزق هو المفهوم لدى العالم العربي أنه على الرغم أن الأولى أمتداد الثانية وأن الأولى ولدت من رحم الثانية إلا أن مصالح الجديد تختلف عن القديم وأن نظرة الجديد تحمل تغيير وتفسير مختلف عن القديم ولذلك أصبحنا نحمل مفهوم أن المصالح الأوروبية تختلف عن المصالح الأمريكية وهذا من الناحية السياسية منطقي إلى حد ما.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لدى العالم العربي هو التالي : هل العالم العربي فعلاً يبحث عن بديل للولايات المتحدة بالقوة الأوروبية؟ ثم هل لدى أوروبا الرغبة والقدرة على تلبية هذه الرغبوية العربية؟ ثم هل أوروبا لديها الفضاء الحقيقي الذي يمكن أن يستفيد منها العالم العربي؟ أم أن المسألة لا تعدو كونها مشاغبة سياسية أوروبية في وجه الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى مشاغبة سياسية منسقة مع الشقيقة الكبرى أمركيا؟ أم أن المسألة تتعدي كون العالم العربي يرى في أوروبا بديلاً يستخدمة أعلامياً أكثر منه حقيقة واقعة وفاعلة؟ ثم هل أوروبا من الناحية السياسية يمكن أن تقدم شيء وللعالم العربي غير الضجة الاعلامية والوعود السرابية؟ رغم تزاحم مثل هذه الأسئلة والتى آرى أغلبها أسئلة مشروعة إلا أنني سوف أركز

على نقطة واحدة يمكن أن تفهم على أنها بعيدة عن محور الاسئلة الأنفة الذكر إلا أنها تبدأ من صلبه وتنتهي في أصلة وهي التالي: ما مدى مفهوم التسامح الاجتماعي والديني لدى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم العربي والاسلامي؟ والسؤال يبعث على المقارنة بين الطرفين: ليس من شك أن أوروبا كانت تعد مهد الحركات اللبرالية الغربية إلا أن هذه اللبرالية كانت تنطلق وتصب في لبرالية مسيحية ذات خصوصية أوروبية ولذلك أنطلقت الحركة الاستعمارية واستخدم أسوء أنواع الاستعمار والاستيطان والعبودية باسم الحرية ولعل فلسطين والجزائر وجنوب أفريقيا أمثلة وليست حصر على هذا التاريخ.

إلا أن المراقب فقط لمفهوم التسامح الديني سوف يكشف عن أوجه البعد الحضاري والفضاء بين الطرفين مع الفهم والاستيعاب للبعد الدستوري الذي تختلف به الدول الأوروبية عن الولايات المتحدة الأمريكية مع التسليم أيضاً أن البعد الدستوري يمكن الالتفاف عليه بالبعد التفسيري للدستور أو تفسير القانون الدستوري.

على الرغم من التسامح الديني الواضح في دولة مثل بلجيكا في قلب القارة الأوروبية التي ذهبت في تسامحها الديني إلى دعم المدارس الدينية الإسلامية أسوة بالمدارس الدينية المسيحية وتوفير أدوات تدريسية ومدرسين على نفقة الحكومة البلجيكية إلا أن هذا التسامح لم يقابلة نفس الحماس في دول أوروبا الاخرى وخصوصاً في المانيا وبريطانيا بل أن أكثر الدول الأوروبية عنصرية وموقف متشدد ضد الاسلام هي دولة مثل فرنسا ومن السخرية أن فرنسا تطرح نفسها على أنها الدولة التى تعد قاعدة من قواعد الحريه بل وتذهب الى القول أن فرنسا تعد أحد أكبر وأهم الدول الأوروبية القريبة من العالم العربي ولكن عندما ننظر إلى الحقيقة نجد أن فرنسا تعد واحدة من أعتى الدول التى عملت وتعمل ضد العالم الاسلامي وضد الاسلام بشكل خاص حيث أن فرنسا الدولة الوحيدة التي فى أوروبا تمنع وجود مدارس دينية إسلامية رسمية بل ذهبت (دولة الحرية والمساواة) إلى منع أطفال المسلمين من البنات بلبس غطاء الرأس حيث يمثل لفرنسا (الدولة لعظيمة) تهديد لها بل أن طفلتين مغربيتين سوف تقودان بلبسهما الغطاء على الشعر إلى هدم فرنسا والفضاء عليها حسب التعبير الفرنسي، بل أن دولة الحرية والمساواة تقول على لسان مسؤول المخابرات الفرنسية السابق علناً وبدون خجل على الفرنسية أن الفرد الذي يصلى خمس مرات في اليوم والليلة لا يمكن أن يعيش في فرنسا، بمعنى أن الفرد مهما كانت ديانته يجب أن ينتقل للديانة المسيحية والثقافة المسيحية بخصوصيتها الغربية حتى يعيش في فرنسا.

والملفت للنظر أن المجتمع والساسة الفرنسيين يطالبون المسلمين بالتحول للثقافة الفرنسية والدين المسيحي في الوقت الذي يدافعون عن حقوق الاقليات المسيحية في العالم العربي مع أن الأقليات المسيحية في العالم العربي تعيش بوضع لا يقارن مع الأقليات المسلمه في فرنسا نفسها

بل أن بعض الأقليات المسيحية في العالم العربي هي التي على سدة الحكم والسلطة.

ومن جانب آخر يكتشف المهاجر المسلم والطالب المسلم على الطرف الآخر من المحيط حجم الحرية والتسامح الديني في الولايات المتحدة الأمريكية وهذا يمكن أن يكون بفعل أولاً: طبيعة النظام الدستوري الأمريكي الواضح والصريح في حرية الاديان وأن كان الهدف منه في البداية حرية الأديان داخل الدين المسيحي إلا أنه أخذ يشمل الأديان الاخري بما فيها الأسلام .

ثانياً : قد تعود حالة التسامح هذه إلى قوة الولايات المتحدة الأمريكية الحالية التى يجعلها في حالة من الحرية والخوف من تأثير الآخر كما هو الحال في فرنسا أو بعض الدول الأوروبية وقد كان واضحاً من الناحية التاريخية أن الدول القوية تكون أقل حساسية لثقافة الآخر عندما تكون في حالة قوة سواء في الدولة الاموية أو العباسية حتى أن الدولة العثمانية كانت حالة التسامح الديني فيها في بداية وقوة الامبراطورية أكبر منه في وقت ضعفها وبداية انحدارها.

ثالثاً : قد تكون حالة التسامح الامريكية هي محاولة أدخال هذه القوى في طبيعة النظام السياسي الامريكي اكثر من كونها تريد لها الاستقلالية الحقيقية بمعنى أستخدام سياسة طول النفس على غير عادة من الساسة الأمريكيين.

اذاً العالم العربي هو ممزق بين فضاء متسامح على الرغم من كل العيوب والهيمنة وبين فضاء متشنج ومتشدد أهو أقرب للعنصرية منه إلى التعامل السياسي وبالتالي فإن الذهاب من لهيب الأمريكيين يمكن أن يوقع العرب في جهنم الأوروبيين وبالتالي فإن التعامل السياسي والاعلامي مع أوروبا هو مطلب لكن لا تصل الى مرحلة تصديق الامنيات والتمني كما كان يحذر ميكافيللي حين يقول على الامير أن يتظاهر بالتدين حتي يستطيع قيادة الشعب ولكن عليه أن لا يصدق نفسه أنه متدين حقيقي وإلا خسر مفهوم اللعبة السياسية ونحن نقول أن على العالم العربي أن يستخدم أوروبا كورقة سياسية وأعلامية إلا أنه لا يصدق أن أوروبا يمكن أن تعمل شيء حقيقي لمصلحة العالم العربي حتى وأن رغب بعض الافراد في ذلك فإن أوروبا مشدودة بمفهومها العنصري والتاريخي تجاه العالم العربي والاسلامي بشكل أكثر من الشد بالعوامل السياسية الأخرى.

أدوات الضغط السياسي

تتعدد أدوات الضغط السياسي بشكل يصعب حصره فهي تبدأ من الحرب واستخدام القوة العسكرية وتمر بالابعاد الاقتصادية والانسانية والغذائية والمعلوماتيه والمخابراتيه والامنية ولا يمكن حصرها أو تحديد سقف محتمل لهذه الادوات السياسية التي يمكن استغلالها في حدث سياسي سواء في الماضي أو المستقبل. ولكن ما يحدث اليوم بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا اليوم يعيد الى الاذهان مراحل الضغط في السابق مع أن جزء كبير من اللعبة السياسية تجاوزها الزمن والحقائق الموضوعية خصوصاً على الجانب الروسي. وعلى الرغم أن الروس يعيدون ويكررون مقولة إعادة الحرب الباردة فأنهم يقصدون بها إعادة مفهوم التسلح وسباق التسح ومع عدم واقعية هذه المقولة على المستوى الواقعي حيث الفارق كبير بين قدرات الدولتين من حيث التسلح والامكانيات المعلوماتية والاقتصادية إلا أن الروس يخرجون من وقت الى آخر بهذه التصريحات وذلك لأهمية العامل العسكري في الذهنية الروسية اليوم وهي ذهنية مورثة من الاتحاد السوفيتي.

ومن الجانب الآخر فإن الامريكيين يعرفون ويعلمون علم راسخ أن هذه الدعوة تشبه أحلام اليقظة التى تراود الروس من وقت الى آخر ويرجع هذه الموقف الأمريكي إلى أمر واضح هو أن الاتحاد السوفيتي السابق لم يستطع مقاومة الولايات المتحدة الامريكية على المستوي الاقتصادي ولذلك دُفع الى الافلاس السياسي ثم شبه العسكري ولذلك تبدو أن الدعوات الروسية اليوم هي أقرب الى الضحك والخيال من الجانب الامريكي ومن هذه النظرة للطرفين فإنها أخذت تسيِّر طريقة أدارة دفة الصراع على النفوذ وليس حول العالم بل على روسيا نفسها هذه المرة تحت مطارق فلسفية يؤمن بها كل طرف ومنها:ـــ

أولاً : أيمان الولايات المتحدة الأمريكية بفاعلية البعد الاقتصادي والضعف الاقتصادي من أجل مزيد من أذلال وأضعاف روسيا كما حدث للاتحاد السوفيتي السابق فإن زعيم ضعيف وغير مركز تنخره الامراض كل فترة زمنية يظهر ويختفي من وقت الى آخر مثل السيد يلسن هو نموذج رائع للاستغلال بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى حيث يتم تزويد روسيا بالقروض الاقتصادية من أجل إطالة أمد رئيس هو أقرب الى تدمير روسيا من بنائها وأطالت حالة الضعف والتردي الروسي في المستقبل ومن هنا جاء مفهوم القروض الاقتصادية المقدمة من الغرب والبنك الدولي إلى روسيا مقابل أن تصرفها روسيا في قضايا غير منتجة على المستوي الوطني مثل رواتب الموظفين وتذهب في قضايا الفساد والمحسوبية مقابل إيحاد أدوات اقتصادية ضد روسيا تمتلكها الولايات المتحدة الامريكية.

بل تذهب الولايات المتحدة الامريكية في أستخدامها للبعد الاقتصادي في أضعاف روسيا إلى حرمانها من أي مداخيل مالية أو حتى سياسية وحرمانا من الخط النفطي القادم من آسيا الوسطي الى الغرب ولكن عبر تركيا وليس عبر روسيا أو إيران والذي يعد مرور الخط عبر اراضيها اكثر اقتصادية واكثر عقلانية من الناحية الاقتصادية. ولكن من أجل حرمان الدولتان من أي مكاسب أقتصادية أو سياسية تم تحويل الخط إلى الاراضي التركيه. وهذه الفلسفة تكمل الايمان الامريكي أن الأهمية الاقتصادية والضعف الاقتصادي عامل بالغ الأهمية من أجل أضعاف الدول الاخرى حيث بالضعف الاقتصادي فإن كثير من مناحي القوة الشاملة للدولة أي دولة سوف تصاب بالضعف والتوهن.

ثانياً : وعلى الجانب الآخر من هذه النظرة نجد أن روسيا قد ورثت وجود قوة عسكرية قوية وضاربة تُكسب روسيا مزيد من الاحترام العالمي وهذه حقيقية أثبتها الاتحاد السوفيتي وفرنسا والهند والصين إن تحقيق هذه القوة العسكرية من أجل كسب أحترام دولي بما فيها بعض دول الجوار في العالم العربي ومن هذا المنطلق فإن روسيا اليوم تحاول أيقاف التدخل الغربي والامريكي في الشؤون الروسيه وتقاوم محاولات الغرب من أجل أضعاف روسيا بأستخدام القوة العسكرية ليس فقط في الشيشان فهذا استخدام غير ذكي لهذه الاداة السياسية وأنما محاولتها أحياء مفهوم التعاون العسكري مع بعض الدول التى لا تتفق مع السياسة الامريكية فهذا وزير الخارجية الروسي يجوب بعض دول الجوار من أجل مزيد من بيع السلاح وبعض المنشأت النووية من أجل أستخدام هذه الاداة في عملية الصراع مع الغرب والولايات المتحدة الامريكية على وجه الخصوص.

ومن هنا فأن تحمس روسيا إلى تزويد بعض دول الجوار للعالم العربي بالامكانيات النووية خصوصاً في حقل المنشأت النووية من أجل مزيد من مداخيل المال من العملة الصعبة ومزيد من الحضور الاقليمي ومن أجل استخدام هذه الاداة للمساومة السياسية مع الولايات المتحدة الامريكية والغرب هذه المساومة يمكن أن تشمل غض الطرف عن ما تحدثه روسيا من مذابح في مناطق الشيشان ومن وحشية عسكرية والتى تعتقد وهي على حق أن الغرب والولايات المتحدة الأمريكية تستغل القضية الشيشيانية من أجل مزيد من أضعاف روسيا وتستغل روسيا مسألة بيع القدرة العسكرية من أجل قوة تفاوض مع صندوق النقد الدولي بل وحتى من مسألة أبعاد روسيا عن مناطق آسيا الوسطي ومستقبلها الاقتصادي النفطي.

يبدو أن لعبة أستخدام الادوات الاقتصادية والعسكرية بين الولايات المتحدة الامريكية الدولة القوية والهائلة وروسيا الدولة المتهالكة التى تسعي الى إيجاد الحد الأدنى من البقاء وعدم التدهور والتمزق مستفيدة من الترسانة العسكرية من أجل الحصول على اكبر قدر من المكاسب في نظام دولي تسيطر عليه دولة هائلة القوة وذات نظرة سياسية وأستراتيجية كونيه.

أستغلال الحدث السياسي

السياسة هي فن الممكن والسياسة هي التعامل مع الحدث الماضي أو الحادث الآن أو الذي من المتوقع حدوثه في المستقبل بشكل موضوعي وواقعي بعيداً عن التخيلات أو الرغبات الشخصية والفردية التى تصبغ من وقت الى آخر آراء الأفراد حول القضايا والمواضيع السياسية التى نراها ونشاهدها هي التى فرزت بشكل واضح بين السياسة الخارجية لبعض الدول الغربية والسياسة الخارجية لكثير من دول العالم الثالث هي هذه اللاواقعية التى تصبغ سلوك بعض دول العالم الثالث وربما يكون الشعوب العربيه بما فيها مثقفيها وخصوصاً الذين ينطلقون من منطلقات أيديولوجية مسبقه حيث كثيراً من تحدد مواقفهم السياسية والاجتماعية بشكل مسبق وتجعل قرائتهم للحدث السياسي أي حدث سياسي قرأة من زاوية ضيقة أو الزواية الأيديولوجية.

ولعل فن استغلال الحدث السياسي كان واحد من العوامل المهمة التى فرزت العديد من السياسيين عن غيرهم بل وفرزت مسألة استغلال الحدث السياسي العديد من المنظمات السياسية والاجتماعية والعديد من جماعات الضغط وجماعات المصالح حيث نجد من تاريخ الحرب الأهلية الأمريكية على سبيل المثال كيف تم استغلال مفهوم تحرير المرأة بشكل كبير حيث كانت مكانت المرأة في الجنوب الامريكي تأخذ حيزاً هامشياً في الحياة العامة فكيف اذا كان دور المرأة التى تقع تحت وطئ العبودية وخصوصاً النساء اللواتى ينحدرن من أصول أفريقية. وتحت مظلة الحفاظ على الوحدة الامريكية التى قادت الى الحرب الأهلية كان موضوع تحرير المرأة من العوامل التى ساعدت بعض البدايات البسيطة للمنظمات النسائية التى كانت عبارة عن نساء يتمتعن بأهمية أجتماعية هنا أو هناك في بعض الولايات الشمالية مما دفع بعض كتاباتهن الي الربط بين الوحدة الأمريكية وأهدافها السامية في ذلك الوقت وبين مفهوم تحرير السود وتحرير المرأة من الوضع المشين التي كانت تعيشة في ذلك الوقت والتاريخ من عمر الولايات المتحدة الامريكية وبالفعل فإن العديد من الكتابات التى أصدرتها بعض النساء سواء على شكل كتب أو مقالات أو على شكل رسائل كانت من العوامل الهامة التى أدرجت موضوع المرأة في سلم أولويات الحرب الأهلية الأمريكية وسلم أولويات العوامل التى أشغلت ولايات الشمال في تفكيك الجبهة الداخلية لولايات الجنوب. والحقيقة أن موضوع حقوق المرأة سواء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لا يزال من العوامل المهمة التى تلعب دوراً هاماً في تحديد العديد من الخيارات السياسية والاقتصادية بل والانتخابية خصوصاً ونحن نعرف مدى القوى التنظيمية التى تتمتع بها بعض التنظيمات النسائية من قوة وتأثير بشكل لم يسبق له مثيل. بل وأصبحت

هذه التنظيمات تطالب بالتدخل الامريكي في قضايا الشعوب والدول الأخرى تحت مسمي ومظلة قضية المرأة وهذا ما تمارسة الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل وتستخدمة كأداة ضغط من أدواتها في تنفيذ سياساتها الخارجية حول العالم.

ومن أمثلة استغلال الحدث السياسي هو ما يمارسة العسكريون من وقت وآخر خصوصاً في حالات الصراع المسلح من محاولة أثبات الذات في ساحة المعركة من أجل أن يتسني لهم دخول عالم السياسة تحت مظلة ووجاهه التضحية الوطنية أو العمل من أجل الوطن وكم من السياسيين الذين دخلو معترك السياسة بعد أن أمضو سنوات من أعمارهم يؤججون الحروب حول العالم والتاريخ الامريكي والغربي غني بمثل هذه الامثله واسرائيل واحدة من اكثر الدول وضوح في هذا الشأن وهذا المجال بل أن السيد باراك رئيس الوزراء الاسرائيلي يعد آخر هذه الامثلة.

ويأتي مفهوم استغلال الحدث السياسي بشكل وصولي وواضح في العديد من الممارسات التى تستغلها الدوائر السرية أو الاعلامية من حدث هنا أو حدث هناك ومحاولة استثمار مثل هذا الحدث إلى أبعد نقطة ممكنة ومن هنا كانت الوسائل الاعلامية الغربية قادرة على تشوية صورة العربي المسلم أو غيره من الشعوب من خلال استغلال حدث سياسي سواء تفجير أو أنقلاب أو حرب هنا أو هناك ومن هنا أصبح استغلال مثل هذه الاحداث واحد من أدوات الدهاء السياسي الذي تستخدمة العديد من الدول خصوصاً وأنها متحفزة لاستثمار مثل هذه الأحداث المتكررة بشكل يخدم مصالحها السياسية.

ومن الملفت للنظر أن الدول والشعوب التى تطالب بانصاف إعلامي أو سياسي تنسى أو تجهل أنها هي جزء من السبب الحقيقي لمثل هذه الصورة القائمة أو سبب قوي في هذه المشكلة.

وبالفعل يجب أدراك أن أي حدث سياسي مهما كانت محلياً أو صغيراً سوف يكون له أبعادة السيايسة الدولية التى سوف تعمل على محاولة استغلال مثل هذه الأحداث بكل الطرق والسبل الممكنة وبالتالي فإن أي أجراء رسمي أو شعبي لابد أن يكون بعد دراسة جيدة لابعاده وأحداثه الدولية سواء هذا القرار أو الاجراء أو السلوك يصدر من منظمات حكومية أو غير حكومية فإن مثل هذه الجهات على أمتداد العالم الاسلامي أن تعي أهمية سلوكها وتصرفاتها وأنها هي جزء من كل وليست هي الوحيدة التى تعيش على الساحة الدولية وأن أي سلوك سوف يحسب عليها على الآخرين من حولها.

إسرائيل وآسيا الوسطى

ركز المحللون السياسيون على البعد العربي الشرق أوسطي في التقارب الاسرائيلي التركي حيث لم يلاحظ هؤلاء المحللون من هذا التقارب سوى البوابة العربية وأثرها على البعد العربي فقط دون سواه وعندما كان القرار في السياسة الخارجية، أية سياسة خارجية لا يمكن أن يقوم على هدف واحد فقط وإلا أصبح أشبه بضربات القمار أو أشبة بالقرارات السياسية التى يتخذها السياسيون العرب والعسكر منهم على وجه التحديد التى كانت قراراتهم ليست مبينة على أوجة أحتمالية بل هي قائمة على نقطة واحدة أن تكون أو لا تكون. أما أن يتحقق الهدف بكاملة أو لا يتحقق وفي الغالب أن هذا الهدف لا يتحقق. أقول أن السياسة الخارجية لاي دولة تقوم على العقلانية السياسية وهي عقلانية قائمة بذاتها لها محدداتها وجدليتها الخارجة وهذه العقلانية تفترض وجود سلسلة من الاهداف لاي تحرك سياسي في مجال الشؤون الخارجية وهذه الاهداف يمكن ترتيبها حسب أولويتها وأهميتها ومن شروطها أن لا تكون قائمة بشكل جذري وصارخ على مفهوم الحظ والصدفة بل يجب أن تكون مبنية على جدلية متوالية قابلة للتطبيق والتطور بشكل متتابع ومنضبط على شكل منظومة متكاملة كل هدف يؤدي ويقرب الهدف الذي يلية.

وعندما سلط المحللون التركيز على البعد العربي والشرق أوسطي على الشراكة والتقارب التركي الاسرائيلي كانوا ينظرون ويحللون جزء يسير من هذه الشراكة والتعاون وإن كان الشرق الأوسط يعد منطقة ذات أهمية جوهرية لكل من تركيا وإسرائيل سواء من الناحية الأمنية والاقتصادية والاستراتيجية فإن الشرق الأوسط والعالم العربي يعد حلقة ضمن سلسلة من الحلقات في المنظور الاستراتيجي التركي والاسرائيلي فعلى الجانب التركي نرى أن الشرق الأوسط يشكل أحد قواعد البنية السياسية التركية والتى منها البعد الامريكي الحليف التاريخي القديم والبعد الأوروبي المجال الحيوي الاقتصادي والسياسي التى تسعى تركيا إلى تثبيت ذاتها فيه وترى فيه المستقبل والبعد الاسرائيلي والتى ترى فيه تركيا الدولة القوية والتى بحاجة إلى حلفاء في المنطقة وحول العالم ومنطقة آسيا الوسطي المنطقة الجديدة التى تعد بمزيد من المفاجأت السياسية والاقتصادية وهي مجال خصب للمغامرة والاكتشاف. كل هذه العوامل إلى جانب العامل السياسي الداخلي في تركيا التى تتجاذبة كل هذه القوى المذكورة سواء بجناحها العلماني أو بجناحها الديني أو حتى بجناحها المعتدل بين هذه التيارات، ثم يأتي دور القوى السياسية حيث نشاهد بوادر قوة اللوبي الصهيوني التركي الذي يسعي إلى تحقيق مكاسب مع تركيا على حساب المنطقة. كل هذه العوامل المهمة ولكن ويبقى أكثر العوامل تأثيراً على السياسة

التركية سواء داخلياً وخارجياً هو الخلاف مع اليونان والخلاف معه حول جزيرة قبرص التى هي من المناطق المرشحة للعب دوراً بارزاً في عملية السياسة التركية في المستقبل.

ومن جانب آخر كان عقل المحللون العرب كذلك مرتكز على البعد العربي عندما راقبوا التقارب التركي الاسرائيلي ولم يشاهدو إلا تأثيره على العالم العربي وإن كان ذلك طبيعي ومنطقي ومقبول إلى أن هؤلاء المحللون لم يلاحظو أن البوابة التركية كانت واحدة من اكثر البوابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية قدرة على الدخول والتغلغل في دهاليز آسيا الوسطى السياسية والاقتصادية حيث تثبت أن طموح الاستراتيجية الإسرائيلية كان أعلى بكثير من خيال المحلل العربي حيث نظر هذا الاخير أن إسرائيل دولة تريد الأعتراف والتعايش مع المحيط المجاور معها إلا أن ذلك كان أقل من الطموح الاسرائيلي الغير محدود حيث رأت الاستراتيجية الاسرائيلية أن البوابة التركية إلى آسيا الوسطى سوف تكون أحد منافذ السياسة الاسرائيلية الهامة لمرحلة ثلاث عقود قادمة أو تزيد حيث أن هذه المناطق الجديدة سوف تفك الحصار العربي والشرق أوسطي في مجال الطاقة والاستثمار وكذلك في مجال التصدير والاستيراد ناهيك أن إسرائيل سوف تكون واحده من قواعد الاستثمار الاجنبي بهذه المناطق سواء بشكل مباشر أو أن تكون محطة للاستثمارات الغربية هناك وهذا يعني كذلك مزيد من الاوراق السياسية بيد إسرائيل تلعبها ليس تجاه العالم العربي بل تجاه العالم بكاملة في المستقبل.

وكان بوادر التقارب الاسرائيلي ودول آسيا الوسطي بدأت بعدت لقاءات على مستوى رجال الأعمال أعقبها تدشين مثل هذه اللقاءات بزيارات سياسية كان آخرها زيارة رئيس أوزباكستان التى تضمنت هذه الزيارة العديد من الاتفاقيات السياسية والاقتصادية والتى سوف تجعل البلدين أكثر تقارب وتنسيق خصوصاً وأن دول آسيا الوسطي بحاجة للتكنولوجيا المتطورة من إسرائيل اكثر من أي شيء آخر حتى أن الصادرات الاسرائيلية من المايكروشب الاسرائيلي بلغت عام ١٩٩٦ حوالي ٥,٥ بليون دولار وهذا اكثر من أي صادرات إلى أي دولة عربية غير نفطية في جميع مجالاتها.

وعقب هذه الزيارات السياسية كان هناك نشاط سياسي وثقافي محموم قادته اسرائيل في دول آسيا الوسطى تبلور عن مفهوم أحياء التراث اليهودي في مدن دول آسيا الوسطى حيث أن جمعية أحياء التراث اليهودي في جورجيا قامت بإعادة القوة الاقتصادية والاجتماعية والمالية اليهودية في جورجيا ومحاولة العمل مثل ذلك في باقي الدول المستقلة في آسيا الوسطى.

كما أن إسرائيل تعد واحدة من الدول المستثمرة في مجال الشركات النفطية هناك وصناعات النفط وهذا يجعل أن التقارب التركي الاسرائيلي مثلاً ليس فقط ذو وجهة عربية شرق أوسطية فقط بل أن الطموح والخيال الاستراتيجي هو أبعد بكثير من خيال المحللون العرب حيث وجدت أن تركيا الدولة التى فقدت بعض من أهميتها الاستراتيجية بعد نهاية الحرب الباردة وكانت

الدولة التى أصبحت في عزلة من جراء خلافها مع اليـونان وعزل أوروبا لتركيا وعدم قبولها في العالم الأوروبي ثم بعد ذلك سياسات تركيا المتناقضـة مع جيرانها العرب وآخرها عدائها المفتوح مع سوريا والعراق من جراء اجـراءات السدود الكبيرة المقامة على الميـاه القادمة لكل من سوريا والعراق وهو المرشح للتطور في المستقبل. كل هذه العوامل كانت إسرائيل واحدة من أكثر الدول استـغلال للموقـف السياسي والاسـتراتيجي الصـعب الذي تعاني منه تركـيا ناهيك عن البـعد السيـاسي التركي الداخلي وكل هذه العوامل أسـتطاعت إسرائيل جعل من تـركيا جسـر لها إلى آسيـا الوسطى سـوف يعطي ثمارة خـلال العقـود القادمـة عندما يكتـشف العرب عـمق الخطأ الاستراتيجي المرتكب اليوم من الاهمال لهذه المناطق الآسيوية الجديدة.

إسرائيل وسياسة أستثمار الأزمات الدولية

إن من قواعد السياسة الخارجيه للدولة أي دولة طبيعيه، كان هو وجود منطلقات رئيسية أي استراتيجية عريضة تسير على هداها وتسعى إلي تحقيقها وهذه الاستراتيجية محكومة بعوامل ثابتة وشبة ثابتة ومتغيرة، أي أن العوامل الثابتة وشبة الثابتة تعني أن الاستراتيجية والأهداف بعيدة المدى المراد تحقيقها عبر السياسية الخارجية لا تختلف لذات الدولة حتى وأن أختلفت الفترة الزمنيه أو حتى أختلف النظام السياسي وهذه تكاد تكون حقيقه تدل على الاستمراريه فى السياسة الخارجيه حيث أثبتت الدراسات حول تغير السياسه الخارجية لدي الدول هو محدود وتبقى أهدافها الخارجية في مجملها هي ذاتها بعد فترات زمنيه متعدده ومتباعدة. حتي التغيير الذي يطرأ على أطر السياسة الخارجيه يأتي لفترة زمنية ليست بالقصيرة حيث أن أكثر التغيرات راديكالية في السياسية الخارجية تمتد من سنتين حتى الخمس سنوات من أجل أن يتحقق التغيير الحقيقي في السياسة الخارجية وعندما يقال التغيير الحقيقي في السياسة الخارجية لا نعني به تغيير العوامل الثابته، والثابته، نسبياً التى تتحكم بالاستراتيجية البعيدة المدى والعليا للدولة وأنما تؤثر هذه التغييرات على مرونة ومناورة تحقيق ذات الأهداف الأصلية ويجيء مع تغير الفترة الزمنيه والتحول فى النظام الدولى وأختلاف وتغير التوازن السياسي سواء الاقليمي أو الدولى ولعل الحالات التى يحدث فيها التحول الفجائي في السياسة الخارجية وهو الذي عادة ما يمتد لفترة ليست بالقصيرة هي الحالات التى تكون فيه الدولة أي دولة تابعه لدولة عظمى أخرى أو أن يكون النظام السياسي قائم على عدم العدالة المفرطة وكذلك الحالات التى تأخذ فيها السياسة الخارجية الشخصانيه أي طبعها بطابع الفرد، كما يؤدي أنقسام النخبة السياسية داخل الدولة وصراع هذه النخبه تؤدى الى تغير جذرى وجاد فى السياسة الخارجيه. هذه الحالات فى مجملها التى يمكن أن تدفع إلى تغير سريع (يمتد من ٢ ــ ٥ سنوات) وذلك راجع أن أرتباطات دولة أي دولة تكون كبيرة بنظامها ومجالها القديم مما يعني أن الفكاك منه يأخذ بعداً زمنياً لابد أن تتحول خلاله الدولة بشكل تدريجي نظراً لارتباطها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لا يتم التحول عنه بسهوله وبساطه.

وهذا الحديث يقودنا الى محاولة تأصيل الأصل وهو أن السياسة الخارجية بمجملها ثلاث مراحل أو درجات الأول منها أن السياسة الخارجية تتشكل على شكل أستراتيجية تتبناها الدولة ويحكمها البعد الاقتصادي والجغرافي والثقافي والسياسي بحيث أن هذه الاستراتيجية تحاول

رسم أهداف الدولة بغية تحقيقها وهذه الاستراتيجيات للدول لا تختلف إلي حد كبير ولا تتبدل بشكل جذري حتى وإن طالت الفترة الزمنيه أو تغير النظام السياسي كأن تقول أن هدف بسمارك فى المانيا ١٨٠٠م لا يختلف عن هدف هلمت كول المانيا ١٩٩٠م إلا أن طريقة الوصول للهدف هي التي تختلف لكن الهدف هو ذاته والغايه هي ذاتها. وكأن تقول أن هدف روسيا القيصيريه لا تختلف عن روسيا الاتحاد السوفيتي كما أنه ليس من المتوقع أن تختلف عن روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي فإن الاولى حاولت مد سلطتها وهيمنتها بأسلوب الامبريالية القديمة وروسيا الاتحاد السوفيتي حاولة مد أمبرياليتها عن طريق استخدام البعد الايدلوجي الماركسي واستخدام الأدوات العسكريه سواء على شكل مبيعات أو تحصينات عسكريه كما أنه من المتوقع أن تنتهج روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي ذات الغاية ولكن بطرق مختلفه تتعامل مع المستجدات الدولية لتحقيق نفس الغاية والهدف وهذا الحديث يكاد يصدق على أغلب دول العالم. والاستراتيجية في السياسة الخارجية يسهل على السياسي المتابع قرأتها وفهمها وأستيعابها بل وكشفها بشكل واضح.

الثاني في تدرج السياسة الخارجية وأهدافها من المرحلة الاستراتيجية إلى المرحلة التكتيكية أي الأهداف التكتيكية أو المتوسطة المدى لتحقيق الهدف الاستراتيجي ونعني به وضع مجموعة أو سلسلة من الخطط والتكتيكات المرحليه التى ترتبط مع بعضها البعض بحيث تشكل في مجملها الوصول إلى الهدف الأستراتيجي. ونعني بالأهداف المرحليه هو وضع الخطط المتنوعه من أجل تسجيل نجاحات متعددة ومختلفة من أجل القرب من تحقيق الهدف الاستراتيجي الأسمي أو المحافظة عليه. وطبيعة هذه الخطط المرحليه غالباً ما تحاول التعامل مع الواقع المرحلي مثل أستثمار الدول للازمات الاقتصادية العالمية أو الخلل فى النظام الدولي أو حتي نشوب الحروب ذات التأثير علي النظام الدولي وذلك بدفع هذه الصراعات من أجل تعزيز مكانت الدولة عالمياً وتحسين موقعها السياسي في المجتمع الدولي.

والشئ الملفت للنظر حول الخطط التكتيكة المرحليه في السياسة الخارجية أنها تتميز بالسريه أكثر من الأهداف الاستراتيجية حيث أن تحقيق الهدف من هذه السياسات القصيرة الأمد هو أستثمار الفترة المرحليه وتعزيز وتحقيق الهدف المنشود ويتطلب ذلك السريه والمرونه باعداد الخطط المتلاحقه التى تشكل بمجملها تحقيق الهدف الأكبر.

الثالث : وهو الذي يعنينا هو أستثمار الازمات الدولية الطارئه والسريعه وهو ما يمكن تسميته بالخطط الخاطفه أو الخطط والأهداف الموضوعه التى تنتظر الفرصة الدولية السانحة من أجل تحقيقها وهي تأتي بالمرتبة الثالثة بعد الخطه الاستراتيجية في السياسة الخارجية وبعد الخطط والتكتيكات المرحلية في السياسة الخارجية. والخطط الخاطفه هي مجموعة وسلسلة من الأهداف يمكن تنفيذها خلال مرحلة نشوء حدث دولي يجذب الابصار والانتباه الدولي سواء من

الساسة أو من الأعلام بحيث يمكن تحقيق هذا الهدف. وبالمراقبة والملاحظة فإن دراسة السياسة الخارجية الأسرائيلية تكاد تكون من الدول البارعة بتحقيق مثل هذه الاهداف الخاطفه والأهم أنها من الدول ذات القدرة على أستثمار الحدث الدولي بشكل قوي ونافذ. حيث يرى المتتبع للسياسة الخارجية الاسرائيلية ان الاستراتيجية الاسرائيلية يخدمها الخطط والاهداف المرحليه والخاطفه ويتجلي أسلوب أسرائيل في تحقيق الاهداف الخاطفه باستثمار الحوادث الدولية بشكل قوي وفعال والسبب يرجع أن إسرائيل تجهز خططها وأهدافها الخاطفه وتنتظر الفرصة الدولية المواتيه لاستثمارها بحيث أن المراقب للسياسة الاسرائيلية يلاحظ أنها تقوم بضرب أهدافها فى لبنان والعالم العربي من الدول المتاخمة لها أو البعيدة أثناء وجود حدث دولي سواء حرب الفوكلاند أو الانتخابات الامريكيه أو أنقلاب عسكري هنا أو هناك أو أزمة دولية أو حرب أقليمية وقد أعتادت أسرائيل القيام بتجاربها العسكريه وخصوصاً على صواريخها المتوسطة المدي خلال الازمات الدولية.

لهذا كلة فإن العالم العربي معني بمراقبة وتوجس أكثر في حالة الازمات الدولية من قيام إسرائيل بتنفيذ خططها الخاطفه تجاه العالم العربي بحيث أنه يمكن القول أن ضرب جنوب لبنان الاخير جاء نتيجة لحملة أنتخابية أكثر منه لاستثمار حدث دولي ولذلك كان تسليط الضوء الاعلامي العربي والدولي علية كان كبير رغم تردد وسائل الاعلام العالمية تغطيته بشكل كبير في بداية الحمله العسكرية الاسرائيلية. ولاسباب الحمله الاعلاميه فإن إسرائيل فشلت في صرف الانظار عن تصرفاتها العسكريه في الجنوب اللبناني وهذا عكس ما كانت تقوم به في السابق عند اسغلالها. باستثمار الازمات الدولية بحيث تقوم بضرب الهدف وتحقيق أهدافها الخاطفه وتمر العمليه بدون ضجيج أعلامي كبير مما يعطيها الفرصة إلى أن تمر ضرباتها الخاطفه بسلام على المستوى الدولي.

خلاصة القول إنه يتعين على الساسة العرب الانتباه للاحداث الدولية وتوقع الضربات الخاطفة من إسرائيل وذلك باستثمار الاحداث الدولية، بمعني آخر على العالم العربي الالتفات للجهات المظلمة خلال مرحله تسليط الضوء على حدث عالمي ينشأ هنا أو هناك والالتفات إلي كيف يمكن لإسرائيل أستثمار هذه الاحداث وما هو هدفها القادم. ومن جهة ثانية فإن متابعة الضربات الخاطفه بشكل جيد ومدروس سوف يعطي المراقب تصور عن الخطط المرحلية للسياسة الخارجية الاسرائيلية ونواياها مما يكشف سريتها وقدرتها على المناورة في المستقبل.

أسلحة الدفاع والهجوم

يبدو أن العالم الثالث يعيش في دوامة مترابطة بحيث يصعب معها فهم البداية من النهاية بل ان حلقات الاحباط التى تعيشها دول الجنوب كما يحلو للفرنسيين قول ذلك أو الدول النامية كما يحلو لدول العالم الثالث تسمية نفسها أو الدول المتخلفة كما يحلو للدول الغربية تسميتها أقول أن حلقات الأحباط التى تعشها هذه الدول تتنوع وتتشكل لدرجة أنه يصعب على أي باحث أن يرى بارقه أمل حقيقية يمكن التعويل عليها بشكل قوي وواضح وباستثناء دول العالم الثالث الكبيرة مثل الهند والصين ودول التصدير الاقتصادي أي دول النمور الآسيوية التى تعاني تزيف أقتصادي كبير يمكن أن يرجعها الى الخلف سنوات عديدة وليس أدل من الأزمة الاقتصادية التى حصدت عشرون سنة من العمل والتطور الذي عاشته اندونيسيا والسنوات القادمة هي التى سوف تدفعنا الى الحكم على الدول الآسيوية الأخرى عن مدى الأضرار الاقتصادية التى لحقت بهذه الدول. واليوم تعيش روسيا أحد أهم أزماتها الاقتصادية ومما يجعل المشكلة الروسية أكثر حدة وخطورة على الأمن العالمي والأوروبي بشكل خاص هو امتلاك هذه الدولة الكمية الكبيرة من الاسلحة الهجومية والدفاعية الذي من المفترض أن يدفع الدول الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا الى أضعاف روسيا عبر الديون الاقتصادية ولكن ليس إلى حد انهيار الدولة في روسيا لان ذلك يعني المخاطرة الكبيرة على المستوى العسكرى في حالة أنهيار روسيا والتوجة نحو التطرف السياسي سواء الداخلي أو الخارجي.

اذاً باستثناء روسيا ،الصين ،الهند وباكستان إلى حد قليل فان دول العالم الثالث تضم إلى جانب مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية والفقر والأمية والصحية والبيئية تضم الى كل ذلك أداة عسكرية دفاعية لن تحقق الأمن والاستقرار سواء الداخلي أو الخارجي. ان الباحث والمراقب للاستراتيجيات العسكرية في الفكر السياسي الغربي لا يمكن أن يخطيء أبدا انه على مدار التاريخ الحديث أن الدول الغربية لم تنتهج سياسة عسكرية دفاعية بل كل استراتيجيات الدول الغربية كانت هجومية ابتدأ من الحرب العالمية الأولى حتى الحرب العالمية الثانية بل أن الدول المتقدمة اليوم لا تعير الاسلحة الدفاعية الاهتمام الكبير إلا في نطاق محدود جداً وخصوصاً من الدول التى لا تستطيع امتلاك وتصنيع أسلحة هجومية بموجب المعاهدات الدولية التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية مثل المانيا واليابان أما باقي الدول وبدون استثناء فإنها تعي أهمية التوجه الاستراتيجي الهجومي في بناء ترسانتها العسكرية. ومن الملاحظ أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية التى تتمتع بعزلة جغرافية كانت بمثابة دفاع طبيعي إلا أن هذه الدولة الى اليوم

لا تملك نظام دفاعي إلا في نقاط صغيرة ومحددة مثل أنظمة دفاعية عن حاملات الطائرات التى تجوب البحار وكذلك مواقع الصواريخ الاستراتيجية وبعضها حتى لا يملك الحماية بصفتها أهداف متحركة ودائمة الحركة لذلك فإنه واضح أن الاهداف المراد الدفاع عنها هي أهداف محدودة وصغيرة يمكن الدفاع عنها وحمايتها ضد أي اعتداء محتمل بينما يكون جل القوة العسكرية هي ذات توجه هجومي بحت.

وعلى الجانب الآخر فإن دول العالم الثالث هي دول ذات توجه عسكرى دفاعى بحت بحيث نجد أن هذه الدول على الرغم من ضائقتها الاقتصادية وقلة خبرة أفرادها وقلة أمكانياتهم الفنية والتكنولوجية فإن هذه الدول تحاول الدفاع عن أهداف كبيرة جداً تتمثل أحياناً بكامل الوطن أو منشآت كبيرة وواسعة لا يمكن لاي نظام دفعاي أن يقوم بحمايتها والدفاع عنها ومع ذلك فإن هذه الدول تصرف مليارات الدولارات من أجل وضع أنظمة دفاعية غير فعالة ولا يمكن أن تحقق الهدف الدفاع امام اسلحة هجومية هائلة ودقيقة ومكثفة من ضرب هدف كبير أو هدف متوزع في مناطق متعددة. ان مفهوم بناء أنظمة دفاعية في العقيدة العسكرية والسياسية لم يكون عمل فعال منذ الحرب العالمية الثانية ولا نعرف أي حالة من الحالات العسكرية التى استطاع نظام دفاعي أن يصد قوة هجومية ضاربة بفعالية ومع أن بعض المحللين يحتجون بالحالة الفيتنامية فإن هذه دليل ضد اكثر من أنه داعم حيث ان الحالة التى تعيشها فيتنام ولمدة تزيد عن ثلاثون عاماً من البؤس والفقر والتخلف لدليل كافي على أن النظام العسكري الدفاعي هو نظام غير ذو فاعلية.

أن دولة مثل الهند والصين أخذت تتفهم أن النظام الدفاعي هو يوافق عقلية العالم الثالث وأن مفهوم الاستراتيجية العسكرية الدفاعية لا يمكن أن تتوافق مع بناء دولة عظمي أو دولة تريد أن تأخذ مكانها على المستوى العالمي. وأن الأموال التي يمكن صرفها على أنظمة دفاعية غير فعالة وغير مجدية فإنه يمكن صرف ثلث هذه المبالغ على أنظمة هجومية فعالة وتوفير الباقي للبحث والتطوير في المستوى العسكري والتنموي.

وعلى المستوى العسكري فإن الاسلحة الهجومية أصبحت واحدة من اكثر أدوات السياسة الخارجية بحيث أصبح التهديد بالهجوم أو التدمير مع أمكانية فعل ذلك من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية بحيث أصبحت صواريخ كروز الأمريكية أو الطائرات الهجومية الأمريكية أو الاسرائيلية أو البريطانية أوالفرنسية أداة فعالة وقوية في تنفيذ السياسة الخارجية ولم تعرف أن استراتيجية دفاعية أستطاعت أن تجعل من القوة العسكرية أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية في الماضي أو الحاضر.

يبدو أن الوقت قد حان لدول العالم الثالث أن تعيد التفكير في مفهوم استراتيجيتها العسكرية وأن تنتهج نموذج عسكري هجومي فعال قادر على ضرب عمق الخصم وتدمير أهدافة الحيوية

أو التهديد بهذا التدمير بدل من وضع أنظمة دفاعية غير قادرة على الدفاع الحقيقي عن أهداف كبيرة وغير محددة أو أهداف لا يمكن الدفاع عنها. أن مفهوم الدفاع في العقيدة الاستراتيجية العسكرية تغير وأصبح مقبولاً إذا كان هناك هدف محدد ومحدود يمكن الدفاع عنه واصبح غير مقبول إذا كان الهدف كبير ومنتاثر وأصبح المفهوم الهجومي أكثر فاعلية على المستوى السياسي والعسكري من المفهوم الدفاعي واكثر فاعلية على المستوى البشري والاقتصادي الأمر الذي تعاني منه دول العالم الثالث بشكل جاد وواضح.

آسيا القوة السياسية

أرتبطت القارة الآسيوية في الذهنية العالمية بمفهوم الأنجاز والتطور الاقتصادي حيث أخرجت التجربة اليابانية واحدة من اكثر التجارب نجاحاً ووضوحاً في هذا المجال. وكان هذا النجاح الأقتصادي عبارة عن بديل عن التطور والهيمنة السياسية حيث أصبحت السياسة اليابانية هي رهينة الزاويا والدهاليز السياسية اليابانية بل وأصبحت اكثر قرب الى ذهنية الرجل العجوز الذي يمتليء حيرتاً وتردد.

واليوم ونحن نطالع صفحات الأخبار عن طرد الإدارة الأمريكية لأحد العلماء في مجال التسلح النووي وخصوصاً في مجال الصواريخ صغيرة الحجم هائلة القدرة على التدمير وهي من النوع الصاروخ الذي يحمل ما يقارب عشر رؤوس نووية يمكن توزيعها على مناطق جغرافية مختلفة فى ذات الصاروخ أقول اليوم نرى أن الادارة الأمريكية تطرد هذا الخبير والمنحدر من أصول صينية تحت أتهامه بتهريب أسرار هذا الصاروخ المتقدم للصين، ومع أن الصين لا تزال في بدايات تطوراتها العسكرية وأن الصين لاتزال محدودة القدرة على ضرب الولايات المتحدة بشكل مباشر ولا يتوقع أن يكون لديها هذه الأمكانيات إلا بعد فترة من الزمن. أي أن الأمكانيات العسكرية الصينية مازالت محدودة ومتواضعة مقارنة بدولة ضاربة القوة مثل الولايات المتحدة إلى أن مثل هذه المؤشرات السياسية تذكرنا بمنطلقات الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية إلا أن الوضع رغم تشابهة فإن هناك العديد من الاختلافات ومن أهمها: ـــ

أولاً : الصين دولة تعطي البعد الاقتصادي أهمية قصوى فهي تخطط للقوة الأقتصادية كداعمة لقوة عالمية في المستقبل بما فيها القوه العسكرية.

ثانياً : الصين دخلت مع الولايات المتحدة الأمريكية في الكثير من العلاقات كان ابرزها في فترة الحرب الباردة ثم بعد ذلك سلسلة من الاتفاقات الاقتصادية.

ثالثاً : أن هناك ضغط من قبل الشركات الأمريكية بعدم أستفزاز الصين وفتح الفرصه للشركات الأمريكية للدخول للسوق الصيني الهائل. هذه الضغوطات تأتي من قبل الاقتصاديين ورجال الأعمال الأمريكيين ، على حكومتهم من أجل عدم تسيس العمل الاقتصادي ودفع المنافع الاقتصادية إلى أقصى مدى ممكن من أجل الاستفادة واستثمار السوق الصينية الهائلة.

رابعاً : هناك أختلاف داخل الادارة الامريكية والدوائر الفكرية والاستراتيجية الفكرية حول كيفية ادارة دفة الصراع مع الصين وأن هناك عدد ليس بالقليل منهم يرجح مفهوم الاتصال والتواصل مع الصين، بدل من المقاطعة والعداء وأن الاتصال والتواصل حسب رأي هؤلاء هي

السياسة الناجحة والفعالة من أجل دفع الصين الى التعايش السلمى مع الغرب وأستثمار الامكانيات السياسية والاقتصادية لصالح الغرب.

خامساً: هناك العديد من السياسيين الأمريكيين يطرحون فكرة استخدام المسألة التايوانية الى أبعد ما يمكن استخدامها دون التصديق أو الاندفاع في الدفاع عن تايوان في حال نشوب أزمة حقيقية بمعنى أن المسألة التايوانية في نظر الغرب هي مسألة ورقة سياسية يمكن أستخدامها في عملية الشد والجذب السياسي مع الصين.

سادساً : يمكن للغرب كذلك أستخدام اليابان وإعادة تنشيط العملاق الاقتصادي الياباني على مستوى البعد السياسي والعسكري أما حول العالم عن طريق إيجاد كرسي لليابان دائم في مجلس الأمن وكذلك قوة عسكرية يابانية تجوب البحار جنب الى جنب مع الاساطيل الأمريكية خلال ربع القرن القادم.

أقول أن لم يكن النشاط الياباني داعم للنشاط الأمريكي حول العالم فعلى الأقل فى القارة الآسيوية بحيث يسترجع اليابان القوة السياسية والعسكرية التى فقدها بعد الحرب العالمية الثانية وهذا يعني فيما يعتقد الاستراتيجيون الامريكيون أضعاف القوه العسكرية الصينية بشكل كبير تحت مفهوم توازن القوى العسكري وكذلك يعني تحوير جزء كبير من المخصصات المالية الصينية تجاه التسلح وهذا يعني كذلك أبطاء عجلة حركة التطور الاقتصادي الصيني بشكل اكثر فاعلية وهذه عبارة عن أوراق سياسية يمكن أن تملكها الادارة الأمريكية تجاه الصين من أجل الحصول على مزيد من أدوات الضغط السياسي وبالتالي التأثير على السياسة الصينية.

سابعاً : ان الهدف الاقوى والاسمى للادارة الامريكية من الناحية الاقتصادية هو تحويل النظام السياسي الصيني من مفهوم الحزب الواحد الى نظام متعدد الاحزاب وبالتالي محاولة التأثير على المعادلة السياسية الصينية الداخلية وبالتالي محورة وتحوير السياسة الصينية ودفعها نحو التوجه الاقتصادي والاعتدال السياسي حسب وجهة النظر الأمريكية.

ثامناً : تبقى الصين الدولة الهائلة الأمكانيات على المستوى السياسي والاقتصادي حيث أن الصين لديها من القوى الجماعات الداعمة للصين في جميع الدول المحيطة بالصين وكذلك وأن الاغراءات الاقتصادية الصينية للشركة العالمية هي أقوى من أن تقاوم على مستوى الاقتصاد الدولي ومن جانب آخر فان الصين تتحسس مخاوف الادارة الامريكية من نشر التكنولوجيا العسكرية إلى دول أخرى سواء في آسيا أو الشرق الأوسط ولذلك فان الادارة الأمريكية سوف تتنازل عن الكثير من مكتسباتها في سبيل لجم ومنع الصين من تصدير مثل هذه التكنولوجيا.

والحقيقة أن الصين بانصياعها للرغبة الامريكية في مهفوم نشر التكنولوجيا العسكرية سوف ترتكب واحده من اكثر اخطائها الاستراتيجية حيث عدم نشر مثل هذه التكنولوجيا فان

الضغط الامريكي سوف يكون منصب على الصين ولكن في حالة التوزيع فان هذا الضغط سوف يتوزع وبالتالي فإن الصين سوف تخلق حلفاء مزعجين للادارة الأمريكية وبالتالي فإن الجهد السياسي الامريكي سوف يكون موزع على مناطق مختلفة من العالم. وعلى الرغم من الخسائر السياسية والاقتصادية المحتملة من جراء هذه الاستراتيجية إلا أنها أفضل من الرضوخ للمطالب الامريكية. بل أن مثل هذه الاستراتيجية وهي توزيع مناطق الضغط يمكن أن يعطي الصين مكانه ودور أكبر من حجمها وأمكانياتها سواء تجاه الادارة الأمريكية وتأثيرها على السياسة الامريكيه أو تجاه الدول الصديقة للحكومة الصينية التى سوف تشكل دوائر مقاومة للضغط الامريكي ومتنفس سياسي واقتصادي للصين على المدى المتوسط والبعيد إلى أن تحزم الصين هذه المعادلة فسوف يبقى الحديث عن مفهوم حقوق الانسان والانضمام لمنظمة التجارة العالمية حديث السياسيين في الوقت الحاضر خصوصاً وأن هذه المواضيع ليست الهم والهدف الحقيقي للمفكرين الاستراتيجيين على الجانب الصيني والامريكي في الوقت الحاضر وانما هي مواضيع للاستهلاك المحلي والعالمي حتى يتم الكشف عن الابعاد الحقيقية للطرفين.

الاستثمار السياسي للتسلح

عندما طرحت إسرائيل فاتورة السلام مع سوريا على الادارة الامريكية لم تكن فقط تتوقع تنازلات هائلة من الادارة الامريكية من أجل خلق ضغط على الطرف المقابل بل أنها توقعت وهي الدولة الخبيرة في شؤون المفاوضات على المستوى النظري والعملي. أقول توقعت اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية أن تقوم بتلبيت قائمة المطالب الاسرائيلية على المستوى الاقتصادي وما يهمنا هنا هو تلبية القائمة الاسرائيلية على المستوى العسكري والتسليحي حيث أصبحت قائمة الاحتياجات الاسرائيلية طويلة ومعقدة تبدأ من طائرات الاباتشي العامودية الى صواريخ كروز وتوماهوك المتوسطة المدى سواء تدار عبر القواعد الرادارية الارضية والجوية سواء عن طريق الاقمار الصناعية أو غرف التحكم الطائرة والمطالب الخاصة بقواعد رادارات الانذار المبكر كما لن نفاجاء بأخذ الوعد على أن تتسلح اسرائيل بطائرات الجيل الجديد من المقاتلات الامريكية الفائقة التطور وهي عمممم والتى يمكن أن تصل لاهدافها بشكل سريع ومتطور كما أن هناك أفكار تسليحية لدى الادارة الامريكية أن تكون هناك مقاتلات بدون طيار أي أن تكون طائرة تعود الى قاعدتها وهي تقوم بنفس الوقت بعمل صواريخ كروز وتاموهوك دون التكاليف الباهظة لمثل هذه الصواريخ وهذا النوع من الطائرات يحقق بشكل جيد رغبات اسرائيل سواء من حيث تحقيق الهدف والتحرر من العامل البشري كذلك أنه يحقق لها ضرب الاهداف في منطقة محدودة مثل الشرق الأوسط.

السؤال هو لماذا اسرائيل تتسلح وهي تقوم بمعاهدات سلاح مع جيرانها؟ ثم لماذا اسرائيل تتسلح وهي الدولة المنتجة للسلاح وتعد مبيعات السلاح أحد أهم مصادر اسرائيل مع المساعدات الخارجية؟ الجواب يكمن ليس فقط أن قائمة الرغبات التسليحية الاسرائيلية تحقق جزء من الأمن لإسرائيل وتسكت جزء من المعارضين للسلام وتعمق التعهد الامريكي بأمن اسرائيل كل ذلك معروف ومفهوم ويمكن استيعابة إلا أن الشيء الذي تعلمته الدبلوماسية والسياسة الاسرائيلية هو أهمية السلاح على المستوي السياسي اكثر من كونه العسكري وإن كان يكمله ولا يتعارض معه. أقول أن خبرة اسرائيل الواسعة بالبعد والاستثمار السياسي للتسلح يكاد يكون نسخة مطابقة للدبلوماسية الامريكية تجاه الاتحاد السوفيتي أو بريطانيا تجاه الاتحاد السوفيتي السابق أو المانيا إلا أن اسرائيل اليوم هي الدولة المتفوقة عسكرياً تقوم بعملية مزيد من استثمار السلاح من أجل الاهداف السياسية.

ان قائمة المطالب الاسرائيلية من الادارة الامريكية اليوم سوف تجعل الدول العربية قاطبة في

موقف اقرب الى الاحباط من حيث ان اسرائيل ليس فقط تتفوق على المستوى التفاوضي وعلى المستوى الأمني والعسكري التسليحي بل أن الدول العربية والمهمة منها سوف تجد نفسها بشكل اكبر أنها مرغمة باستخدام سباق التسلح بالتسليم بالتفوق الاسرائيلي بل وسوف نشعر أنها تحت سياط التفوق الاسرائيلي اكثر اندفاع للمهادنه وللتماهي مع السياسة الاسرائيلية بل سوف نجد اسرائيل باستخدام تفوقها العسكري ومفهوم التسلح هي اللاعب الأهم بل والمؤثر في المنطقة العربية لاكثر من عقدين من الزمن.

ومما يخيف بالنموذج الاسرائيلي اكثر هو ذلك الوعي الاستراتيجي الهائل التى يتمتع به الساسة الاسرائيليون واستخدام مراكز دراساتهم وعقول مفكريهم باستخدام القوة العسكرية ومفهوم التسلح من حيث أنه تسلح اكثر من استخدام السلاح العفلي. أقول يمكن استخدام مفهوم سباق للوصول الى نتائج أقتصادية وسياسية تجعل من اسرائيل هي المحرك الحقيقي لاقتصاديات الدول العربية خصوصاً ونحن نشاهد عدم الفاعلية والسياسات التخبطية التى تعانيها الدول العربية وفقدان استراتيجية واضحة حول القضايا الاقتصادية والسياسية. بل ان اغلب الدول العربية تكاد تكون لديها ضبابية هائلة فيما هو سياسي أو أقتصادي أو عسكري لدرجة أنه لا يمكن التعرف على ملامح استراتيجية واضحة لهذه الدول سواء منفردة أو مجتمعة بل وان كان لابد الخروج بمفهوم للهدف عند الدول العربية فإن مفهوم القضاء على الفقر والبطالة أو تحسين مستوى التعليم هما في مقدمة أهتمام المفكرين اكثر من المطبقين بمعني أن ما يشغل الدول العربية اليوم على المستوى الاقتصادي لا تعد ذات أهمية لدى الدول المتطورة والتى أخذت بالتطور.

ان تجارب الولايات المتحدة الامريكية مع الاتحاد السوفيتي في حرب استنزاف التسلح ثم اقتناص الفرص بمفهوم التسلح للخروج باكبر كمية من التنازلات هو اليوم يكرر نفسه مع اسرائيل والدول العربية وإن كانت حالة اسرائيل اكثر وضوح وذلك لاستعداد اسرائيل الفعلي لاستخدام قواتها العسكرية ضد الدول العربية بدون تردد إذا ما دعت الحاجة الى ذلك.

ان الخبرة الدبلوماسية والتفاوضية التى تملكها اسرائيل اليوم تعد بحق واحدة من اكثر الدول قدرة على التعامل مع القوى الدولية بما فيها العالم العربي وكيف توظف حالة المفاوضات من أجل مزيد من التنازلات السياسية والامنية بل والعسكرية ثم كيف توظف هذه الامكانيات العسكرية الى تحقيق أهداف سياسية وأستراتيجية تخدم الاهداف الاقتصادية كل ذلك من أجل تحيق هدف واضح ومهم للطرف الاسرائيلي هو بقاء اسرائيل الاكثر تفوق في منطقة الشرق الأوسط على المستوى العسكري والسياسي ثم الاقتصادي وأن يدعم هذا التفوق تحرر حقيق من أي ضغوط خارجية سواء من الادارة الامريكية وهي الأهم أو من المشاغبات الدبلوماسية الأوروبية التى ليس لها فاعلية حقيقية في القريب المنظور.

الاستثمار السياسي للحرب

إن مفهوم الاستثمار السياسي للحرب يندرج تحت مفهوم أن الحرب وأستخدام القوة العسكرية هي مسألة استمرارية للعمل الدبلوماسي والسياسي ليس اكثر وأنه عندما تتوقف العملية الديناميكية للفعل السياسي والدبلواسي فإن الحرب تكون الخيار الطبيعي الذي يعمل على تحريك وتغيير المواقف من أجل أن تأخذ المسألة الدبلوماسية مجراها الطبيعي هذا في العمل السياسي الطبيعي على الأقل وهذا لا يعني أن يقترح بالضرورة أن للحرب غايات نبيلة أو غايات سياسية واضحة بل أن ما يحدث في بعض الاحيان أن الحرب تبقى هدف بذاتها حيث تقوم على طحن الجميع بدون استثناء وتعمل عملية جدلية ديالتيكية أي أن الحرب تفزر قوى لم تكن بالصورة أو المعادلة السياسية وكثيراً ما يحدث أن تصبح الحرب هدف بذاتها في الحالات التالية:ـ

أولاً : في حالة توازن القوى بين القوى المتصارعة خصوصاً عندما يكون البعد الايديولوجي والعقائدي هو المحرك لمسألة الصراع فإن المسألة هنا تتعدى كونها صراع قوى بالمفهوم العسكري المعتاد إلى أبعد من ذلك تصل الى مفهوم الكرامة الفكرية والانسانية بمفهومها المشاعري ويمكن أن تطحن هذه الحرب أبسط الجوانب الانسانية وتدمرها وكل هذا الطحن والتدمير يدور تحت مفهوم الانسانية ذاتها.

ثانياً : في حالة التدخل الخارجي في بناء وإعادة بناء توازن القوى المتصارعة فإن مفهوم النصر والهزيمة لا يخضع لديناميكية مغلقة بل إنه يندفع إلى ديناميكيات مفتوحة وغير محدودة وبالتالي تصبح الحرب هدف بذاتها بين الفرقاء المتصارعين والأرادات السياسية التى تعمل على زيادة الصراع عبر التوازنات الخارجية عن محتوى هذا الصراع.

كل ما ذهب ذكرة هو مقدمة كان لابد منها من أجل إيضاح أن الحرب تقوم من أجل عمل سياسي معين وأن هذه القاعدة لها استثناءات يمكن أن تحدث في العديد من الصراعات وخصوصاً الصراعات الأقليمية أو الأهلية التى تحدث في مناطق مختلفة من العالم. إلا أن ما يهم في هذا المقام هو كيفية الاستثمار السياسي للحرب وكيف يمكن أن تكون الحرب أحد وسائل تعزيز النجاح السياسي وتحقيق الاهداف. أن الأمثلة على مثل هذا لا يمكن أحصائها ولكي لا نُغرق في الأمثلة التاريخية ولكي تكون الفكرة اكثر وضوح وشفافية فإن نتائج الحرب الثانية تعد واحدة من الأمثلة الصارخة والواضحة من حيث أن نتائج استخدام القوة العسكرية حيث لعبت دوراً بارزاً وهاماً في تحقيق طموحات القوى السياسية المنتصرة في هذه الحرب وأن دينامكية الحرب وتوازن القوى في أوروبا دفعت الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي

السابق الى الحرب مما أسفر عنه مفهوم جدلية القوة وديناميكيتها إذا ما استخدمنا مفهوم الفيلسوف هيغل فإن القوة الصاعدة استطاعت أستثمار قواتها ونجاحاتها العسكرية إلي الحد الذي دفع أن تصبحا القوتين الاكثر قوة وجبروت لمدة تزيد عن خمسون عاماً حتى نهاية سقوط الاتحاد السوفيتي وبقاء الولايات المتحدة الامريكية القوة الأوحد والحقيقية اليوم.

واليوم ونحن نشاهد ونرقب سلوك الدولة الروسية التى تنتهشها الصراعات المتعددة سواء السياسية أو الاقتصادية أنها تحاول أن تفعل الفعل نفسه في حربها الشرسة ضد الشيشان اليوم. وأن مفهوم الاستثمار السياسي للحرب هو مفهوم لا يتناقض مع مفهوم سيكلولوجيا الحرب أو التكتيكات العسكرية المختلفة بل انه مفهوم ذو فعل سياسي اكثر من كونه عسكري وإنما الاعتماد على مفهوم القوة العسكرية من أجل تحريك المسألة السياسية أو أضعاف أو تقوية بعض القوى المتصارعة والمؤثرة في أي عمل سياسي مستقبلي وهذا ما تحاول روسيا اليوم فعله من حيث أن حربها مع الشيشان سواء الأولى أو الثانية هو محاولة أضعاف بعض القوى السياسية التى تعمل على أستقلال الشيشان عن الاتحاد الروسي ولذلك فإن استخدام القوة العسكرية الروسية بهذه الطريقة البشعة والعتيقة ما هو إلا محاولة منها لضرب القوى الشيشانية التى تعمل ضد أهداف موسكو ومحاولة أضعافها مقابل قوى سياسية شيشانية. وأن كانت هذه الاستراتيجية التى تتبعها روسيا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت ذات أمكانيات عسكرية هائلة وقادرة علي أدارة الصراع بشكل جيد بحيث يصبح لها القدرة والامكانية على ضرب أهدافها بدقة وعناية سواء أهداف عسكرية أو سياسية وأن المشاهد والمراقب يجد أن هذه الفاعلية غير موجودة أطلاقا لدى الروس اليوم بل ان حملتهم العسكرية يمكن أن تجلب عليهم مزيد من ردود الفعل العكسية سواء من الداخل أو الخارج. كما أن تحقيق الهدف يتطلب أدارة سياسية فاعليه وذات ديناميكية يمكنها أستثمار الحدث العسكري والسياسي بشكل جيد سواء في الداخل أو الخارج وهذا كذلك غير متوفر لروسيا.

ان روسيا اليوم تتصرف وكأنها دولة عظمى ذات قدرات سياسية واقتصادية وعسكرية هائلة والساسة الروس اليوم لم يتفهمو أن روسيا اليوم هي غير الاتحاد السوفيتي السابق وأن الخبرة السياسية التى لديهم هي خبرة محدودة خصوصاً مع رجال وساسة يدخلون المعترك السياسي للمرة الأولى ولا يملكون من الأرث سوى أرث دولة عظمى اكثر من كونه أرث سياسي لدولة محدودة الموارد تتفاقم لديها المشاكل السياسية والاقتصادية والادارية.

أنه من المتوقع أن يكون نجاح روسيا في أستثمار القوة العسكرية محدود في المسألة الشيشانية وذلك راجع الى:ـــ

١ ـــ أن خبرة الرجال الروس مازالت محدودة في هذا المجال الديناميكي الفعال في استثمار القوة العسكرية من أجل تحقيق أهداف سياسية.

٢ ــ أن هناك أولويات داخل روسيا تسبق مفهوم إعادة تطويع الشيشان خصوصاً البعد السياسي والاقتصادي والفساد الاداري.

٣ ــ أن حالة التنافس الانتخابية في روسيا اليوم تدفع الى المزايدة السياسية بعيداً عن التفكير الاستراتيجي الرشيد.

٤ ــ أن التدخل الخارجي سوف يتعاظم في هذه الحالة من أجل مزيد من الضغط الخارجي على أي مرشح يمكن أن ينجح في الانتخابات القادمة.

٥ ــ هناك مصالح وأهداف استراتيجية خارجية بعدم أنهاء المشكلة الشيشانية في القريب العاجل بل أن المصالح الدولية تقتضي إيجاد مزيد من بؤر التوتر المحدود على أطراف الاتحاد الروسي اليوم.

الأستراتيجية أولاً الأستراتيجية أخيراً

في الدوائر الاكاديمية يبدو أن الجدل لم يحسم بعد على وجه القطع على أهمية الاستراتيجية على الرغم من وجود تخصصات وفروع رئيسية داخل تخصص العلوم السياسية والدراسات الدولية وبعض الدراسات الأخرى حتي على مستوى الأعمال أقول يوجد أهتمام كبير في مفهوم الأستراتيجية، بل أن هناك العديد من المؤلفات والمؤتمرات تحمل معنى ومضمون الاستراتيجية والتى تقضي بوجود خطة طويلة الأمد أو مجموعة أفكار وأهداف طويلة الأمد يمكن تنفيذها بالخطط المرحليه أو التكتيكية حتى تكتمل الاستراتيجية.

على سبيل المثال إذا أفترضنا أن الاستراتيجية الاسرائيلية اليوم تعمل على وضع نفسها دولة طبيعيه في المنطقة العربية مع احتفاظها بقوتها وأهميتها الجغرافية فأن الخطط والمراحل التنفيذية لمثل هذه الاستراتيجية تبدأ بالتفرد بالدول العربية واحدة تلو الأخرى أما عن طريق الضربات العسكرية ثم استثمار هذه الضربات للكسب السياسي أو عن طريق البعد السياسي والتلويح باستخدام القوة من أجل أن تستطيع أن تنفرد بالدول العربية ومن هذا المنطلق أستطاعت إسرائيل أن تحقق لذاتها أمكانية القدرة على العمل من داخل المنظومة العربية أو حتى الشرق أوسطية. كل ذلك يحدث دون أن تخسر إسرائيل مكانتها وقوتها العسكرية والسياسية التى تسمح لها عند الازمات بالعودة الى قوتها واستخدامها في تحقيق سياساتها أو أكمال استراتيجيتها.

إذا كان هذا مثل مبسط ومختصر لمفهوم الاستراتيجية فإن هناك من ينتقد هذا المفهوم تحت مبرر أن الاستراتيجية يتم عليها تغييرات متوالية ومتتابعة لدرجة أن الناتج من هذه التغييرات والتحولات تخرج بنتائج غير ما كان مرسوم في الاستراتيجية الأصلية لذلك فإن أستخدام كلمة خطة أستراتيجية لا تعد سوى أفكار أولية يدخل عليها التغيير والتبديل لدرجة أنها تتحول إلى خطط مرحلية قصيرة وتنتفي مفهوم الاستراتيجية. إلا أن جزء من الاستراتيجيين يقولون أن مفهوم وجود الاستراتيجية مهم إلا أن عملية تنفيذ هذه الاستراتيجية تتوقف علي أمكانية وقدرة الدولة أو الوحدة السياسية على القيام بها بمعني آخر أن رسم الاستراتيجية ثم وضعها موضع التنفيذ هي مسألة تدخل بقدرة وأمكانية الدول سواء على المستوى الجغرافي والموارد الطبيعية وكذلك قدرتها التصنيعية والعسكرية ثم بعد ذلك قدرتها التحديثية سواء على المستوى الصناعي أو البشري وبالتالي فإن هذه العوامل هي التي تقرر حقيقتاً هل لدى الدوله أي دولة أمكانية رسم خطة أستراتيجية وهل لديها الكوادر البشرية على القيام بهذه الخطط وهل لديها الامكانيات

والقدرات على وضع هذه الخطة موضع التنفيذ والتطبيق.

ومهما يكن من جدل حول مفهوم الاستراتيجية وإن كان حبيس الجدل الاكاديمي الجامعي والفكري فإن الأهمية الاستراتيجية على مستوى الدول يبدو أنه لا يعرف هذا الجدل وهذا التردد وأنما القضية محسومة لصالح أهمية الخطة الاستراتيجية. ولعلنا نقرأ من وقت إلى آخر عن الاستراتيجية لدوله (أ) أو دولة (ب) حول قضية من القضايا أو في منطقة من المناطق. ولأهمية هذا المفهوم فإن هناك من هو قد تخصص في هذه القضايا والدراسات الاستراتيجية.

عندما طالعنا كتاب «صفحه الشطرنج» للكاتب والسياسي الشهير زبيغينو برجنسكي والذي صدر أخيراً من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا كان واحد من أكثر الكتب انتشاراً وتداولاً على المستوى الفكري السياسي وخصوصاً على مستوى السياسية العملية أو الاجرائية القابلة للتطبيق على عكس من كتابات هنري كيسنجر التى أتسمت بالماضية وسرد الذكريات مع اعطاء تصور للمستقبل وليست مثل كتابات فوكوياما التى اتسمت بالتنظير البحت والحكم القاطع على هذا التنظير.. وتأتي أهمية كتابة برجنسكي وكأنه رد على كتاب المتناطحون (Head to Head) للكاتب (لسترثرو) الذي رسم صورة قاتمة وغير واضحة لمستقبل الولايات المتحدة الأمريكية دافعاً الدول الآسيوية (الصين واليابان) وأوروبا الى الصدارة جنبا الى جنب مع الولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن السيد برجنسكي بشكل حاذق أستطاع أن يصور لنا وللمتخصصين فى الشؤون الدولية صورة مليئة بالاثارة والاقناع حتي جاء كتابه وكأنه واحدة من أروع الرويات المستقبلية التي قاقت أحداثها على المنطق والمعلومة والواقعية. لذلك كتابات برجنسكي سوف تؤخذ كوثيقة على أنها الخطوط العريضة للاستراتيجية الأمريكية في المستقبل المنظور خصوصاً أنه لم يخفي طموحاً هائلاً تتميز به شخصية برجنسكي نفسه وتتميز الادارة الامريكيه بمثل هذا الطموح. ومما يجعل برجنسكي وآرائه ذات أهمية ليس لأنه واحد من المتمرسين بالادارة ومراكز الدراسات فقط ولكن لأنه يعكس جيل فكري يدير الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الفترة من الزمن من جانب ومن جانب آخر فإن الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تعد نتيجة لوقائع المرحله الزمنية منذ منتصف الثمانينيات وأوائل التسعينيات هذه المرحلة التى رسمت الخطوط العريضة للاستراتيجية الأمريكية التى توضع اليوم موضع التنفيذ والتعديل لتحدد السياسة الأمريكية في المستقبل وبناء على هذه الاحداث المتعاقبة والمتلاحقة فإن المراقب سوف يجمع قطع الأحداث والتصريحات والجهود والتصرفات حتى يضعها مع بعضها البعض حتى يستطيع تكوين صورة تقريبية عن مستقبل الاستراتيجية الامريكية وبالتالي عن مدى نجاحها وأخفاقها أو على الأقل مواطن النجاح والفشل فيها وبالتالي التعرف على سلوك الولايات المتحدة الأمريكية في مناطق من والعالم العربي واحد منه ومن هذه المناطق التى تمتد إليها الاستراتيجية الأمريكية. أنه من الأهمية بمكان لدارسي ومراقبي ومهتمي

بالسياسية الأمريكية أن يتعرفو على التوجهات الرئيسية للاستراتيجية الأمريكية الدولية ثم انعكاسها على العالم العربي بشكل خاص وهذا ما أرجو أن يكون موضوع مقال قادم انشاء الله على ضوء كتاب السيد برجنسكي.

إلا أن السؤال يبقي هو لماذا دائماً عندما يأتي الحديث عن الاستراتيجية وأهميتها يتدرج الحديث عن الدول الغربية وبعض الدول الآسيويه في حين أن الدول العربية يكاد لا يذكر شيء عن الاستراتيجية بل أننا لا نعرف على وجه الدقة وجود أستراتيجية عربية جماعية أو فردية من شأنها رسم وتصور سياسي معين سوى تلك المناوراة السياسية والاقتصادية التى تهدف إلى الوصول إلى مستوى البقاء السياسي والاستمرارية السياسية بل أن المخيف جداً هو أن الدول العربية ليس لديها أستراتيجية واضحة على المستوى الخارجي وذلك للتدخلات الخارجية والتنافس السياسي العربي العربي وأنما الأكثر أثارة هو عدم وجود أستراتيجية محليه واضحه وغالباً ما تكون هذه الاستراتيجية المحليه إن وجدت ضحيه عوامل خارجية مثل أرتفاع أو انخفاض أسواق النفط وبالتالي فإن الايمان بوجود أسترتيجية متماسكة يتضعضع من جراء الهزات الخارجية الغير متحكم فيها وبالتالي فإن الفرد المربوط بالنظام السياسي في الدول العربية وأرتباط هذا الفرد في حياته اليومية بالذي جرى على مستوى الحكومة يجعل عدم وجود أو أضطراب الخطط الاستراتيجية الداخلية للدول العربية ينعكس على مستوى الأفراد.

الأقتصاد والسياسة الحلقه المفرغة في الوطن العربي

يرجعون علماء الأقتصاد والسياسة علومهم ومعارفهم إلى كتابات وآراء أفلاطون في العصر الأغريقي وهذا الأرجاع جاء نتيجة لنمو هذين العلمين في كنف الحضارة الغربية حيثُ ترجع هذه الحضارة نفسها إلى قاعدتها الأصلية وهي المرحلة والفترة اليونانية. وقد يكون أرتباط السياسة بالأقتصاد قديم قدم الأنسان ذاته إلا أن هذا الرجوع لمرحلة الاغريق فرضتها الضرورة المعرفية القادمة من الغرب وفرضتها عمق وأهمية الكتابات اليونانية. وتألق أرتباط السياسة بالاقتصاد في الكتابات الهامة والقوية التى ربط ارسطو ذلك الفيلسوف العقلاني حيث ربط بين الاستقرار والطبقة الوسطي أي الاستقرار وأنتفاء الفقراء أو على الأقل الحد من أنتشار الفقر ومنذ ذلك العهد السحيق مروراً بالمرحلة القانونية الرومانية ثم مرحلة البيات الشتوي الفكرى للعالم الغربي أبان هيمنة الكنسية والخرافات حتى بداية عصر النهضة الأوروبية بعد أن جاءت الحضارة الإسلامية بشكل مستقل في هذه الفترة. هذه المرحلة الإسلامية التى بثت باشعاعها على العالم المشرقي أنتهى وخبى بقيام الأمبراطوريات المتلاحقه التى مجدت العسكره وأهملت وحاربت الفكر.

منذ قيام عصر التنوير الأوروبي ونفض غبار الكنسية المتخلف حتي بدأت تظهر الكتابات الفعلية والعقلانية التى سمحت لتطور العلوم الطبيعيه ثم بعد ذلك التكنولوجيا التى أعطت العالم الغربي قوتة وحضارتة ومجده وهيمنتة على بقية العالم. هذه الهيمنة كانت أحد نتاج هذه المرحلة التنويرية والتى كان من نتاجها ذلك البحث الدؤوب بالفكر والفلسفة السياسية والتى أنجبت لنا مفكرين كبار من ميكيافيللي ومفكرين العقد الاجتماعي حتي جاءت الفلسفات التى تربط السياسة بالاقتصاد والتى يعد كشفاً مهماً وثميناً في حقل المعرفة يذكرنا بذلك الاكتشاف الهام الذي فتحه ابن خلدون في الربط بين التغير السياسي والبعد الاجتماعي والذي قاد الى نظريته الشهيرة حول قيام وسقوط الدول. أقول أن ربط الاقتصاد بالسياسة كان ثمن كتابات عديده قادها فيوباخ، وهيغل ، وماركس، وميل، وآدم سميث، وهابز، ولوك، وروسو، وغيرهم كثير الذين بحثو بالتأثير الاقتصادي على السياسي والسياسي على الاقتصادي. ولكن ماشأن كل ذلك بالحلقة المفرغة التى تعيشها بعض الدول العربية ؟

أن السائح المراقب للدول العربية وخصوصاً الدول غير النفطية سوف يشاهد هذه الجدلية بشكل واضح هذا لا يعني أن الدول النفطية تتنفي فيها هذه العلاقة ولكنها علاقة لها

خصوصيتها الخاصة كما يحلو للكثير التحدث عنها بهذا الأسلوب. وما يدعو للبحث والتبصر في المأزق التى تعيشة بعض الدول العربية هو تلك العلاقة التكاملية والأنتفائية في بعض الأحيان بين السياسة والاقتصاد وهذا يقود الى محاولة فهم الحلقة المفرغة التى تعيشها بعض الدول العربية.

فأنت على سبيل المثال تقراء الاحصائيات التى تنشر عن العالم العربي وتصادب بالصداع والأحباط أحياناً رغم ما تعيشة بعض الدول العربية غير النفطية من تطور أقتصادي محدود الا أن علاقة السياسي بالاقتصادي تدخلك في هذه الدوامة من جديد. الاحصائيات التى تنشر ليس خارج العالم العربي بل حتي داخل العالم العربي تقول أن الفقر يزداد انتشاراً في الدول العربية وتقول أن مستوى دخل الفرد هو في تنازل إذا أخذنا التضخم الاقتصادي التى تعيشة هذه الدول وتقول المعلومات أن مستوى الأميهةهو بأزدياد على الرغم من اعداد المدارس والجامعات التى تضمها المدن العربية وأن الزيادة السنوية في عدد السكان لا يواكبة مستوى في اعداد المدارس والمعاهد العاليه لذلك فأن اعداد الاميين هم بأزدياد مضطرد .

هذه المعلومات تقول أن المستوى المعيشي والتعليمي هي في تناقص في العالم العربي وأن عدد الفقراء والأميين هم في تزايد مما يعني أن مجهودات بعض الدول العربية لم تستطع وضع خطة واضحة للعمل على تحسين هذا الوضع المتفاقم والذي يتأزم يوماً بعد يوم. ولكون أغلب الدول العربية ليس لديها الأمكانيات الأقتصادية التى بها يمكن مجابهة هذه الضغوط فأنها حاولت معالجة الهم الاقتصادي بحلول سياسية حيث أنها فتحت الباب للتعدد الحزبي المنضبط أي تعدد الآراء السياسية المربوطة بسياسة النظام السياسي وهذا يعني أن الوصفة السياسية التي يراد منها معالجة المرض الاقتصادي لن تعالجة بل سوف تخدره لفترة زمنية وهي لا تمنع تعاظمة وتضخمة في المستقبل. أي أن الحل السياسي للمعضلة الاقتصادية كانت لأسباب شراء الوقت وعملية تخديرية أكثر من كونها حلاً حقيقياً للمشكلة الرئيسية ولكن المشكلة بدأت أقتصادية والحكومات العربية حاولت حلها بالأدوية السياسية. والمجتمع العربي فهم أن الحل السياسي هو الحل للأزمات التي يعاني منها فبحث عن أسباب هذه المشاكل فوجدها تتمثل في من يديرها فتوجهت صوب من يعمل في السياسة ويتعاطاها حتى بدأ مفهوم عدم الاستقرار السياسي التى تعانى منه بعض الدول العربية نتيجة للضائقة الاقتصادية التى بحث عن حلول سياسية لها. ويتوجة المواطن نحو صانع السياسة يعني زعزعت البعد الاستقراري وبالتالي دفع ممارسي السياسة إلى استثمار مزيد من المال في الجهاز الأمنى من أجل حفظ الأمن وأصبحت أفضل العقول وأكثر الأموال تذهب لتعزيز البعد الأمني وهذا تصرف طبيعي ومنطقي تقوده الضرورة الأمنية إلا أن ما يحدث كذلك أنه تصبح هناك حاجة لمزيد من المال من أجل أشباع البعد الأمني من جهة ومن جهة اخرى القيام ببعض الاعباء الاخرى سواء الاقتصادية أو الاجتماعية

لمجابهة التزايد السكاني وفي نفس الوقت الحاجة لقطع مزيد من المال من المجتمع يصبح ضرورة أمنية وبالتالي فأن زيادة الفقر في بعض الدول العربية يصبح نتيجة لهذه السياسة وبالتالي يتأزم البعد السياسي والذي يدفع إلى إعادة الكره لتعزيز البعد الأمني وبالتالي الضغط السياسي والاجتماعي على المجتمع.

هذه الجدلية يتم حلها أو التخلص منها مؤقتاً بالاقتراض من الخارج وهذه يعني أن هناك طرف ثالث دخل في المعادلة وسوف يكون أحد القوى التي يتحكم أو تؤثر بما هو سياسي وأقتصادي داخل الدولة التى أقترضت. وهذا لا يعني أن الدولة المقترضة سوف تخرج من مصيدة المديونية بسهولة اذا أخذنا أن اغلب الدول العربية هي دول غير نفطية ومداخيلها محدودة. ويمكن التخلص من الدائره المغلقة بين السياسي والاقتصادي في بعض هذه الدول بالمحاولة للحصول على المساعدات الخارجية وهنا تبرز اشكالية وكيفية وماهية هذه المساعدات وما هي الشروط المترتبة على هذه المساعدات سواء على المستوي السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي الداخلي.

إن هذه الدائره المغلقة التى تعيشها بعض الدول العربية غير النفطية كانت أحد أسباب الدخول في نفق التسوية السياسية التى دفعتها الأزمات الاقتصادية للتضخم والتزايد وأن هذه الدائرة كانت أحد أهم وأكبر مداخل الدول الاجنبية للتأثير علي الدول العربية وسياساتها عن طريق المساعدات الخارجية وبالتالي فرض نوع من الشروط والرقابة السياسية على سلوك هذه الدول سواء تجاه الخارج أو الداخل وأحياناً توجية مثل هذه السياسات والتأثير على مصداقية هذه السياسات سواء تجاه المراقب الخارجي أو المواطن العادي.

الأمم المتحدة وأزمات البلقان

عندما قامت الأمم على أنقاض عصبة الأمم في نهاية الحرب العالمية الثانية كانت تتويج لمكافئة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية وأثبات سيادتهم على النظام الدولي الذي يعقب الحرب حتى أن فرنسا الدولة المهزومة من قبل الألمان كانت من الدول التى كوفئت للدخول لمجلس الأمن وتمثيل مصالحا على أعلى مستوى ممكن. وبغض النظر عن الأهداف في ذلك الوقت الذي كانت تطمح منه الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لاعادة ترتيب العالم تحت قوتهما وهيمنتهما ومع أن هذه الاستراتيجية كتب لها الكثير من النجاح باستثناء التمرد السوفيتي ثم الفرنسي عن الرغبة الأنغلوسكسونية حيث كانت منطقة البلقان أحد المناطق الخاضعة سياسياً تحت التأثير اليساري السوفيتي وتحت ادارة أهم القوى الحليفة للسوفيت وهم الصرب خصوصاً في المناطق البلقانية الملتهبة في مناطق البوسنة والهرسك والبانيا.

ان ما يعنيا في هذا المقال أن نرصد سلوك الأمم المتحدة في هذة المنطقة من خلال الحرب البوسنية ثم نزاع كسوفو رغم علمنا أن الأمم المتحدة لا تعدو عن كونها منظمة عالمية تتصرف بوحي مصالح القوى الكبرى خصوصاً في الجوانب السياسية والعسكرية وهنا يجب أن نسجل النجاحات الثقافية والانسانية والصحية التى سلجتها الأمم المتحدة في العالم على أمتداد تاريخها مع التسليم بالضعف النسبي في القضايا السياسية حول العالم والراجع الى الخلافات السياسية والأيدلوجية التى كانت تحركها الحرب الباردة بين القوتين الأعظم في ذلك الوقت.

عندما قامت الحرب العرقية في البوسنة والهرسك منذ بداية التسعينيات كانت مدفوعة باحلام الصرب في تكوين صربيا الكبرى وتصفية القوى السياسية والعرقية التى يمكن أو من المحتمل أن تقف في وجة مثل هذا المشروع وكان هذا التوجيه مدفوع بعدة أفتراضات من قبل الصرب أهمها : ـــ

١ ـــ ان مفهوم الوحدة الصربية كان شيء متأصل في الذاكرة السياسية والاجتماعية الصربية خصوصاً وأنهم ادارو المنطقة لفترة طويلة.

٢ ـــ كانت أحلام الصرب مدفوعة من قبل الروس القوة الحقيقية للاتحاد السوفيتي السابق.

٣ ـــ كان هناك أفتراض لدى الصرب أن الغرب يمقت الوجود الاسلامي ذو الاحوال

التركية في منطقة البلقان دون اعطاء ثقل حقيقي للمسألة السياسية الاستراتيجية.

ولكن ما يمكن أن يثير أكثر من علامة أستفهام وأستغراب هو موقف الأمم المتحدة المتباين والمختلف بين حرب التطهير العرقي في البوسنة والهرسك وموقف الأمم المتحدة ذاتها من حرب التطهير العرقي في كوسوفو مع أن المبرر السياسي والعسكري قد يكون أقوى في كوسوفو منه في مناطق البوسنة والهرسك وهذا لا يعني تبرير المذابح والمجازر التى تقترف ضد النساء والأطفال والشيوخ العزل. أقول أن موقف الأمم المتحدة كان مختلف ومتباين إلى حد الأستغراب ومع ذلك أن الأمم المتحدة هي هي لم تتغير أو يتبدل أعضائها أو ميثاقها إلا أن الشيء الوحيد الذي تغير في موقفها هو تغير الأمين العام للأمم المتحدة من بطرس غالي إلى كوفي عنان.

عندما كان السيد بطرس غالي «العربي» الدارس للثقافة العربية الرجل الذي جندت له الدول العربية كل قوتها الدبلوماسية والسياسية من أجل إيصاله إلى دفه الأمانة العامة للأمم المتحدة كان واحد من اكثر الشخصيات التى ساهمت تطويل أمد الصراع في البوسنة والهرسك، بل بأمد المذابح الجماعية والاغتصابات الجماعية ضد المسلمين والمسلمات في البوسنة والهرسك وكان الأمين العام السابق للأمم المتحدة يحارب أي تدخل من قبل الدول الأوروبية وهو لم يعمل شيء على الأطلاق مما أدي إلى أستمرار تلك المجازر وهنا يطرح تسائل عن حقيقة النوايا السياسية للأمين العام السابق.

ولم تتوقف تلك المجازر حتى تدخلت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لإيقاف هذه البشاعة الانسانية التى ساهم الأمين العام السابق في أستمرارها وان كنا نعي الأسباب السياسية والاستراتيجية للتدخل الأمريكي فهذا لا ينفي المصالح البوسنية والاسلامية من هذا التدخل.

وعلى الطرف الآخر أو الجانب الثاني نجد أن السيد كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة الحالي كان أكثر نزاهتاً وانقى سريرة عندما سارع بشكل قوى وعاجل للتدخل في المجازر التى تحدث فى أقليم كوسوفو حيث كان أكثر الشخصيات حماساً لرفع تقريره القوى والصارم للأمم المتحدة ومجلس الأمن والذي يدين فيه المواقف الصربية الغير أنسانية ويطلب من الدول القوية التدخل لانقاذ الانسان الاعزل في كوسوفو وهناك نجد أنفسنا لا نستطيع الى عقد مقارنة بين الأمين العربي السابق والأمين الافريقي الحالى لنجد أن الاخير اكثر أنسانية وأكثر عدالة وأنصاف إذا ما أخذنا منطقة البلقان والمذابح الوحشيه التى وقعت فيها كمثال لمواقف الرجلين ومن هنا نحيي الامين العام الأفريقي الأصل على هذه النزاهة الانسانية التى عبر عنها في مواقفه الانسانية الشفافة وهنا نرى مواقفة في أزمة الأمم المتحدة مع العراق أو في الأزمة السياسية في نيجيريا وكلها تعبر عن نقاء نفسي يمثل

حقيقة رجل يقف على رأس هرم الأمم المتحدة.

ومن جانب آخر يعيد السيد الأمين العام السابق للأمم المتحدة للأذهان خصوصاً في التاريخ السياسي العربي موقف العرب الأوائل الذين كانوا ينطلقون من مواقفهم القومية حتي قامو بتدمير العالم العربي تحت مظلة مصالح الأقليات الدينية والسياسية والعرقية التى ساهمت بتشتيت العالم العربي وزرع الكثير من الشقاق في جنباته تحت مفهوم قومي أو عرقي أو حقوق دينية كانت موجودة في مضمون الرسالة الاسلامية من حقوق الاقليات الدينية الاخرى ولكن كان الهدف هو هيمنة الأقليات على الغالبية المسلمة في العالم العربي.

الأمن الإسرائيلي

منذ نشأة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م وهاجس الأمن كان واحد من اكثر العوامل تأثيراً على السياسة الداخلية والخارجية، بل إن بناء البنية التحتية لإسرائيل والمخططات التى لحقت بعد ذلك كانت مبنية على أعتبار الهاجس الأمني هو المحرك القوي والحقيقي لهذه المخططات وهذ البنى التحتيه وليس من شك أن البناء الأيدلوجي كان أحد الدوافع القوية لبناء دولة إسرائيل خصوصاً في الزواج الغير شرعي بين ة اليهودية المشوهة والعلمانية الصهيونية ذات البعد الخاص، بل أن هذا الزواج الغير شرعي ربط بين المفهوم العلماني العالمي وخصوصية الديانة والظروف اليهودية وهذا بحد ذاته يعد مزواجة غير منطقية من الناحية العقلانية إلا أنه بالمفهوم الإعلامي والسياسي يعتبر أنجاز قوي وفعال وإن كان مؤقت.

منذ قيام إسرائيل والهاجس الأمني كان أحد العناصر الهامة والقوية في تحديد سياستها الخارجية حيث كان يغذي مفهوم الأمن الدعم المطلوب من العالم الغربي بكامله حيث كان ينظر إلى إسرائيل الدولة الضعيفة داخل المحيط العربي وبالتالي فكانت اسرائيل تحصل على الدعم الغربي سواء في أوروبا الغربية أو في أمريكا الشمالية وأستمرت هذه الاسطورة أو المبرر السياسي حتى نهاية حرب ١٩٦٧م عندما أثبتت إسرائيل للعالم ان هذه الدولة الضعيفة والخائفة أن تهزم الدول العربية،بل وتحتل أراضيها وتكون أكبر وأهم قوة في العالم العربي ومن ذلك التاريخ تحول مفهوم الأمن الإسرائيلي من مفهوم دفاعي الى مفهوم أمني هجومي أي تحوله من استراتيجية البناء الداخلي من أجل الدفاع عن الذات إلى بناء استراتيجي من أجل ضرب الخصم في عقر داره من أجل تأمين الذات حيث أصبح الهم الاسرائيلي هو أضعاف الطرف الآخر.

وبالفعل توالت الحروب الإسرائيلية العربية بشكل حروب عشرية حيث تبدأ حرب ١٩٧٣م ثم ١٩٨٢م ثم حرب ١٩٩١م والتى تعد بحق واحدة من المعارك التي صبت في المصالح الاسرائيلية بشكل مباشر وهي اكثر الاطراف التي استفادة منها رغم أنها لم تكن طرف فيها بشكل مباشر أقول إن مفهوم الأمن الاسرائيلي أصبح مفهوم أمن هجومي أي مفهوم أضعاف الخصم بكل الطرق والوسائل الممكنة حتى تصل إلي حرب الأحباط كما في مرحلة الثمانينات أو ما يحدث للبنان اليوم.

إلا أن الجديد في المفهوم الأمني الهجومي الذي تتبناه إسرائيل اليوم هو أن الساحة أو الحلبة واسعة وغير متحكم بها بشكل دقيق حيث أنه ليس العالم العربي الطرف الوحيد فيها، بل إن هناك دول عديدة في العالم تريد أن تكون طرف في المعارك السياسية في العالم العربي وذلك

راجع لأسباب أيدلوجية وهذا يدخل العالم الاسلامي وكذلك جزء كبير من العالم العربي أو لأسباب أقتصادية وهنا يدخل فيها العالم الآسيوي أو حتى البعد الاستراتيجي والاقتصادي وهنا يبرز بوضوح العالم الغربي، أي أن الساحة هنا ليست مسألة عالم عربي وإسرائيل وإن العالم أكثر أتساع وأقوى تشابك في القضايا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ومن هنا أصبحت المهمة الأمنية الاسرائيلية الهجومية من محاوله أضعاف العالم العربي عن طريق استثمار علاقاتها الدولية أبتداء من العالم الغربي الى محاولة توثيق علاقاتها مع دول آسيوية كشفت التقارير عن التعاون العسكري والتكنولوجي مع إسرائيل.

وإن كان ذلك عامل من عوامل القوة لإسرائيل إلا أنه دليل ضعف واضح لأسباب عديدة منها:ـ

أولاً :ان السعي المستميت لبناء البعد الأمني بهذا القدر وهذا الخوف دليل واضح على عدم الأمن النفسي والداخلي في اسرائيل وهناك خلل حقيقي في التركيبة النفسية الإسرائيلية ثم أن هذا المنهج في تحقيق الأمن يذكرنا بالهاجس الروسي السوفيتي القيصري القديم من هاجس الخوف القادم من أوروبا الشرقية حيث توالت الغزوات على روسيا قادمة من الغرب سواء من بولندا أو المانيا أو الفرنسيين أو النمساويين وغيرهم وكان الحل السوفيتى هو الهيمنة على هذه المناطق الذي سوف يستمر قرابة الخمسون عاماً ليكتشف الروس والسوفيت ان هذه المحاولة لتحقيق الأمن خلفت لديهم مزيد من الخوف وأن الهيمنة يمكن أن تستمر عقود من الزمن ولكن ليس من المتوقع أن تستمر مراحل زمنية طويلة وأن محاولة تهدئه المخاوف بهذه الطريقة جلبت المزيد من الخوف وإللا أمن.

ثانياً : ان وضع اسرائيل على الرغم من تشابهه مع الوضع الروسي إلى حد ما إلا أن إسرائيل ليس لها جذور حقيقية في هذه المنطقة وبالتالي فإن الذاكرة الجماعية اليهودية المرتبطة بالأرض ليست قوية وليس لها جذور صلبة وأن مفهوم التجميع اليهودي في أرض الميعاد كما كانت تنطلق الدعاية اليهودية فيه سياسة تحمل بذور تفككها في داخلها حيث يعيش المجتمع اليهودي مرحلة التناقضات ومن المتوقع أستمرار هذه التناقضات حتي تستطيع المؤسسات العسكرية والمدنية دمج وصهر المجتمع بشكل يقّرب بين تناقضاته وأختلافاته القوية وهذا يحتاج إلى مرحلة زمنية غير قصيرة. بل إن العالم العربي يمكن أن يستطيع أن ينفذ من هذه التناقضات الاجتماعية الاسرائيلية حتى يمكنه التأثير على اسرائيل ذاتها في المستقبل والقاضي في الحد من هيمنة العنصر اليهودي القادم من الغرب داخل أطر السياسة الاسرائيلية ومحاولة خلق حالة توازن قوى أو توازن خوف داخل اسرائيل وهذا سوف يكون واحد من اكثر و أمضى الاسلحة العربية ضد اسرائيل في الوقت الحاضر.

ثالثاً : إن مأزق إسرائيل هي أنها ليست روسيا أو بريطانيا بحيث تخلق حالة من التوتر

وتعيش خارجها كما هي حالة بريطانيا مع مستعمراتها القديمة أو روسيا التي تخلق حالة هيمنة وتوتر وتنعم بقعمقها الاستراتيجي وأراضيها الشاسعة. إن إسرائيل تخلق التوترات والتناقضات السياسية وتعيش في داخلها وأن اسرائيل مهما تكن فإن قدراتها محدودة لتجنيد العالم ضد العرب وان نجح في وقت من الاوقات فإنه ليس بالضرورة أن ينجح في كل الأوقات.

ان هاجس إسرائيل الأمني التى قامت عليه حكومات إسرائيل المتعاقبة رغم الاختلاف اليوم بين مفهوم الأمن لدى الحزبين الرئيسيين اليكود والعمال أقول رغم الاختلاف الفلسفي على مفهوم الأمن إلا أن الهاجس الأمني هو المهيمن على الذهنية الاسرائيلية وهذا دليل ضعف اكثر منه دليل قوة بل دليل عدم ثقة بالذات رغم الإمكانيات العسكرية الهائلة التقليدية والبيولوجية والنووية وأنه كل ما تمعن اسرائيل في شروطها الأمنية كل ما تخلق حاله من عدم الاستقرار وفي المستقبل بل وحالة من الخوف لديها.

البعد الإعلامي في السياسة الأمريكية

تتهم دول العالم الثالث دائماً وأبداً بالانغلاق الأعلامي وبشكل أدق بأنتفاء الحرية الأعلامية ويقوم هذا الأنتقاد على قاعدة المقارنة الأعلامية مع الدول التى تتمتع بحرية أعلامية أوسع. هذا هو الواضح لدي الفرد والحقيقه أنه يصعب على الرجل العادي تفنيد أو تحليل هذه المقوله من أجل رفضها. فإن الأنسان الذي زار أو عاش في الولايات المتحدة الأمريكية أو الدول الغربية سوف يجد أدلة كثيرة تدل على الحرية الأعلامية بشكلها العام فأنت تستطيع التحدث عن القضايا الأجتماعية والنفسيه والسياسية والاقتصادية بشكل حر وطليق والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما مدي أهميتك ومكانك الفكرية والاجتماعية هو الذي سوف يحدد مدى أهميتك للمجتمع وتأثيرك فيه. من بعد آخر نجد أن الأعلام يعد أحد أهم محاور رسم وتنفيذ السياسة الخارجية للدولة الحديثه إلى جانب العوامل الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية والمخابراتيه كأداة لتنفيذ وتحقيق الهدف في السياسة الخارجية فإن الأعلام أحد المحاور المهيمه في هذه العمليه. السؤال الذي يقف دائماً هو التالي: إذا كان الأعلام الغربي بشكل عام والأمريكي بشكل خاص حراً فكيف يكون أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية وتحقيق الهدف الوطني؟ والسؤال يبدو في غاية الوجهاهه إذ كيف يكون أعلاماً حراً وفي نفس الوقت تقوم الحكومه الأمريكية بتوظيفة لصالحها في أهدافها الخارجية وعندما نتحدث فان الحديث ينصب عن الوسائل الأعلامية حريتها وأستخدامها في الأهداف الخارجية فإننا لا نقصد تلك الأذاعات مثل صوت أمريكا أو حتى المحطات التى أنتشرت وتنتشر في مختلف بقاع الأرض والتى تعمل لصالح أجهزة حكومية أمريكية مثل أذاعة أوربا الحره والأذاعات التى على شاكلتها وأنما تقصد الأجهزة الأذاعية الخاصه مثل ضههو شصضو ضصإو هصضو صصضو البريطانية هذه الأجهزة الأعلامية التى أستطاعت أختراق العالم بأجمعه ناهيك عن وكالات الأخبار العالمية، وكاتب هذه السطور لا يناقش مصداقيه هذه الأجهزة الأعلامية فهذا ليس من أهتمام هذا المقال الآن على الأقل وأنما النقاش يدور حول كيفيه أستخدام الأدارة الأمريكيه لهذه الأجهزة الأعلامية بطريقه تحقق أهداف الأدارة الأمريكية بدون أن يبدو ذلك للمشاهد أن هذه المحطه التلفزيونية أو تلك تابعه للحكومه أو حتى يقلل من هامش حريتها. ولتكون الفكره أكثر وضوحاً وأكثر دقه. فإننا نشاهد المحطات السابق ذكرها على سبيل المثال تعد أحد أهم أدوات تنفيذ السياسة الخارجية وذلك ما تمثله عمليه جمع المعلومات ووسيلة ضغط مباشر وغير مباشر على الهدف الخارجي أي أن هذه الشركات الأعلامية لديها القدره على

أحداث ضغط قوى وملاحظ على الدوله الهدف. كضغط هذه الأجهزة والشركات الأعلامية على دولة نيكارغوا على سبيل المثال وما تقوم به هذه الشركات الأعلامية من تغطية أعلامية تجعل هذه الدوله تحت ضغط قوي من قبل المجتمع الدولي من جانب ومن قبل مواطني نيكارغوا من جانب آخر خصوصاً إذا كانت هذه الشركات الأعلامية ذات حضور واضح أو حتى ذات حضور على مستوى النخبه. والجانب الآخر والمهم في تسليط الضوء على نيكارغوا مثلاً يكون عامل مهم في يد الأدارة الأمريكيه لتعبئة المجتمع الأمريكي وتحضير لمساندة أجراءات التى تتخذها الحكومة الأمريكية تجاه نيكارغوا. وهذا الحديث صحيح وبصدق إذا أخذا العالم الأسلامي على سبيل المثال أو أي دولة عربية. فنجد أن تسليط الضوء على الأرهاب الأسلامي أو العربي يجد رواجاً مهماً في أجهزة الأعلام الغربية وهي في نفس الوقت تبني العديد من الحواجز النفسيه داخل المجتمع الغربي والأمريكي للرفض والشك وعدم قبول كل ما هو مسلم أو عربي، والشق الثاني نجد هناك دعم وقبول لأي أجراء عسكري أو سياسي أو أقتصادي للأدارة الأمريكيه ضد العالم العربي بدعوي الأرهاب والأهم من كل ذلك وهو ما يطمح اليه بعض علماء الأجتماع السياسي الأمريكيين والموالين للدولة العبريه هو أستمرار هذه الصوره وتركيزها لدي الشعوب الغربيه والفرد الأمريكي على وجه الخصوص.

لكن السؤال دائماً وأبداً يبقي قائماً وهو طالما أن هذه الشركات الأعلامية الصحفيه تتمتع بحق حريه التعبير والكتابة والحديث فكيف تكون أداة في يد الحكومة الأمريكيه والحديث ينحصر على الشركات الأعلامية الأمريكية هنا وللتوضيح أكثر منه للحصر؟ نقول أن الجواب يكمن في تركيبة النظام السياسي والأجتماعي الأمريكي حيث يتمتع ذلك المجتمع بالحريه الفكرية من جانب والحرية الأقتصادية من جانب آخر وإذا كانت تلك الحريتين متكاملتين فإنهما في جوانب أخرى متناقضين بحيث كثيراً ما يتم توظيف البعد الأقتصادي لحساب البعد العسكري والحريه.

أن جدلية الحريه الفكريه والحريه الأقتصادية تلعبان دوراً مهماً جداً في قيم وسير الأعلام الغربي. مثلاً لا يمكن أن تأخذ شركة من هذه الشركات الأعلامية سواء كان أعلاماً مقروءاً أو مسموعاً أو مشاهداً مكانة في المجتمع الغربي دون أن تكون ذات مصداقية ولا تكون ذات مصداقية إذا لم تكن سباقه إلى الحصول علي الخبر والمعلومه أين كانت هذه المعلومه ولا يمكن أن تكون سباقه إذ لم تكن قريبه من متخذ القرار أو الأجهزة الحكومية ولا يمكن أن تكون قريبه من متخذ القرار والأجهزة الحكومية أذا كانت تنقل الجانب السلبي في سلوك الدوله ونهاية المعادلة تقول إذا أرت أن تكون وسيله أعلامية شديده الحضور فعليك أن تكون قريب من أتخاذ القرار وأذا أرت أن تكون قريب من أتخاذ القرار فعليك أن تأخذ في الأعتبار البعد السياسي لمتخذ القرار وهو حمل الجانب الايجابي أكثر من السلبي. وفيما يخص سلوك الدوله الخارجي والذي هو السياسه الخارجية فسوف نجد أن الأعلام الأمريكي يطغي عليه التغطية الايجابية لسلوك

الحكومه الأمريكيه الخارجي من جانب أهم شركات الأعلام ولن نجد من هو شديد الانتقاد لسلوك السياسه الخارجية إلا في بعض الأفراد أو المؤسسات الأعلامية التى أقل حظاً في الحضور الجماهيرى. ولكن السؤال هو كيف يتم أستخدام وسائل الأعلام من قبل الحكومه الأمريكيه فإلى جانب عملية القرب من متخذ القرار والحرص على أستمراريته من جانب الأعلام نجد أن هناك عدة قنوات داخل الحكومة الأمريكية يتم تغذية الوسائل الاعلامية المختلفة بالمعلومه المراد نقلها من الحكومه الأمريكية للمتلقي أينما كان. مثلاً خطابات الرئيس الأمريكي والأجابة على أسئلة الصحفيين نجد أنها من أهم وسائل أستخدام الأعلام لصالح السياسه الحكوميه فعندما نجد الحديث عن دولة خارجية نيكارغوى مثلاً فسوف يسلط الرئيس خطابه عن هذه الدوله موضوع الخطاب بالذات وبذلك سوف ينقل الصحفيين والمراسلين والمحللين أو القادمين من جميع أنحاء العالم ووكالات الأخبار ما دار في هذا اللقاء الصحفي وبذلك يكون صوت الرئيس الأمريكي والذي هو يمثل الحكومه الأمريكية وصل إلى كل مكان. والأمر يصدق كذلك على المتحدث بأسم البيت الأبيض أو المتحدث بأسم وزارة الدفاع أو وزارة الخارجية كل هؤلاء وغيرهم يقومون بتعبئة يوميه وأحياناً عدة مرات في اليوم برسالة الحكومه الأمريكيه وسياساتها ورغباتها والملفت للنظر في السياسة الخارجية وأستخدام وسائل الأعلام كأحد أدوات التنفيذ هو أن هذه المعلومات التى تصدرها الأجهزة المختلفه في الأدارة الأمريكيه ليس بالضرورة تكون صحيحه بل أحياناً تستخدم من أجل التشويه على الدوله المعادية وزيادة البلبلة ومع ذلك تقوم وسائل الأعلام المختلفة بنقل هذه المعلومات بشكل واسع. إذاً يمكن الوصول إلى النتيجة التاليه هو أن الأعلام الأمريكي يتمتع بالحريه الحقيقيه في القضايا الداخليه وذلك راجع لتوزنات سياسة داخليه ولكن يكون هامش الحريه أقل في القضايا الخارجية وذلك يرجع أن الحكومه هي مصدر المعلومات من الخارج إلى حد كبير وبالتالي من أراد نقل السبق المعلوماتي أى السبق الصحفي عليه القرب من متخذ القرار ومن أراد التقرب من متخذ القرار عليه أن يكون ذو توجه أيجابي تجاه السياسه الحكوميه. والحالات القليلة التي يتم فيها نقد الحكومه بشكل قوي هي عندما يكون واضح أن فترة الرئيس قابله على الأنتهاء وليس هناك من فائدة علي الأستمرار معه أو أن تكون هذه المعلومه تهم الفرد الأمريكي بشكل عام وتهم رجال السياسة من الكونغرس بشكل خاص. بحيث يتم تعويض القرب من مصدر المعلومات في البيت الأبيض بمصدر جيد أقرب للمعلومات من الكونغرس. أو أن تكون هذه المعلومه (القضية) من الأهمية التى سوف تعطى الشركه الأعلامية المكانه البارزه لفترة معينه. أذا أن وسيلة أعلامية مثل ضهه وغيرها من الشركات الأخرى ليس بالضرورة أن تقوم بنقل الخبر بشكل أفضل وأنما يمكنها خدمه حكومه بلادها بشكل يفوق سفراء الدوله ومسئوليها. وما عليك إلا أن تتأمل وسائل الأعلام الأمريكيه عند حدوث أزمة بين الولايات المتحدة الأمريكيه ودوله أخري تتحول ضهه مثل

غيرها كعامل دعائي لرغبة ووجهة النظر الأمريكيه بل ويتحول البلد أو الشعب الملقي عليه الضوء الى مذنب في المحكمه الأمريكية وأمام الشعب الأمريكي وأمام العالم. والأمثال فى هذا الشأن لا تحصي سواء في أمريكا اللاتينيه أو أفريقيا أو آسيا أو حتى أوربا.

والجانب الأكثر أضافه في أستخدام الحكومات الغربيه والأمريكيه بشكل خاص للأعلام هو بناء العدو أي تحديد عدو يمكن من خلاله تبرير تصرفات الحكومه الأمريكيه تجاهه سواء بالأساليب القانونيه و أحياناً بأساليب خارجة عن القانون كأغتيال بعض الشخصيات أو حتى أحداث أنقلاب في بعض الدول أو حتى أشعال الحروب الأهليه إلا أمثله كانت تخفي ورائها أسم محاربة الشيوعيه الدوليه. واليوم نجد أن ذلك بدأ يبني من جديد ولكن ليست الشيوعيه هي الهدف بل العرب والمسلمين وذلك من أجل أن تبربر الحكومه الأمريكية زيادة الصرف والأستمرار على بناء القدرات العسكرية ومما يخيف لمثل هذا التوجة هو كونه من أجل تحقيق بعض الأهداف السياسية المؤقته يتم تغذية الشعوب الغربية ضد العرب والعالم الأسلامي والتى سوف تبقي في الذاكره الاجتماعيه لفترة غير قصيرة ومما يخيفنا أيضا أن نهج وضع الفرد العربي المسلم على أنه محب ومروج للأرهاب لا يختلف عن مفهوم الشيوعي الدموي السابق أو مفهوم الياباني الخائن في الحرب العالمية الثانيه ولهذا تسلط بعض الدراسات أن الأسلوب الأعلامي في تبرير سجن المواطنين الأمريكيين من أصل ياباني في المعتقلات الجماعية دون اعتراض اجتماعي سواء من الرجل العادي أو المثقف يتم مرة أخرى بنفس الطريقة في المرحلة المكارثيه عندما تم أعدام وقتل بعض الأفراد وذلك للاشتباه بميولهم اليساريه ويتم الآن في الشك والريبه وأحياناً الاعتداء البدني على المواطنين عند أي حادث تفجير يتم في الولايات المتحدة الأمريكيه.

نخلص من كل ذلك إن الحريه الأعلامية وخاصة في الشؤون الخارجية هي محددة الهامش في وسائل الأعلام الغربية وخاصة إذا كانت القضية تمس الأمن الوطني الأمريكي. ومن جانب آخر أن الحكومه الأمريكيه تقوم بتعبئة وتوظيف وسائل الأعلام الأمريكية كأداة لتنفيذ سياستها الخارجية بشكل لا يتناقض مع الدستور الأمريكي في شيء.

البلقان المجال الأخير

إن رجل الشارع العادي لينفطر قلبه للمناظر الهائله والمعاناة الحقيقية التى يعيشها الشعب الكسوفي هذه الأيام وتكون هذه المعاناة أشد وقعاً وأشد ثقلاً عندما تكون مرسومه في عيون الأطفال والنساء ومسجلة في نظرات كبار السن من الجنسين. إلا أن السياسي المحترف دائماً يرى في كل حدث مهماً كان احتفالياً أو مأساوياً فرصة مواتيه لتعميق تحقيق أهدافه ومن صوداف الاحداث أن الاشخاص الذين تنظر إليهم العامه على أنهم اكثر وطنية واخلاص للهدف الوطني وذلك لاستخدامهم الشعارات الجوفاء والرموز التاريخية والعرقية والدينية أقول أن تلك الشخصيات التى تراها العامه على أنها تحقق الأهداف الوطنية هي التى تلعب دوراً رئيسياً في تحطيم وتشتيت الاهداف الوطنية التى أرادو تحقيقها حيث نجد أن سكوبودان مولوسوفيتش الزعيم الصربي الذي تنظر إليه العامه في صربيا علي أنه الزعيم الذي يمكن أن يحقق أحلام الدولة الصربية الكبرى هو الذي سوف يشتت هذه الاحلام بسياساته الغير مدروسة والغير عقلانية وسلوك الزعيم الصربي يذكرنا بوعود هتلر التى قطعها على نفسه بأن يغير وجه المانيا وتحقق أحلام هتلر إلا أنها عكس ما كانت عليه أحلامه.

الزعيم الصربي بسلوكة العنصري واستخدامه البعد العنصري الديني واستخدامة آلة القتل الجماعي للابرياء وأغتصاب النساء يفتح المجال للقوى الكبري وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بأن تعيد ترتيب منطقة البلقان بشكل يخدم مصالحها الاستراتيجية بعيده المدى.

وتحت مبرر البعد الأنساني والأخلاقي وهما مبرران تبدو وجاهتهما للمراقب وخصوصاً في حقل المعاناة الانسانية التى يعيشها الشعب الكسوفي فإن الولايات المتحدة وبريطانيا مويدة من جميع أنحاء العالم باستثناء روسيا سوف تجد أن العالم يسير خلفها يؤيدها من أجل تحقيق أهدافها في آخر المناطق الأوروبية واكثرها حساسية في هذه المرحلة ومن هنا فإن السلوك الأمريكي البريطاني في هذا سوف يستمر لانه يحقق الاهداف التالية: ـــ

أولاً : كانت الشكوك تحوم حول أهداف حلف الناتو وهل سيبقي البعد العسكري والأمنى مهم كأحد أهداف ومبرر بقاء حلف الناتو ثم تأتي أزمة البلقان لتؤكد ليس فقط الأهمية الأمنية والاستراتيجية لحلف الناتو بل تؤكد قيادة الولايات المتحدة الأمريكية له والتأثير البريطاني علي القارة الأوروبية وبالتالي أصبح اليوم الناتو أكثر أهمية من ذي قبل بل أصبح دوره ليس فقط أمنى من الخارج بل أمنى خارجي وداخلي أي داخل القارة الأوروبية وأعطته الأزمة

البلقانية مبرر للبقاء والنشاط لعقود قادمة.

ثانياً : حققت الأزمة البلقانية الأخيرة استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية القاضيه بتوحيد أوروبا على المستوى الاقتصادي ولكن يجب أن يكون حضور الولايات المتحدة الامريكية قوي على المستوى الأمني والعسكري وهو عمل كانت تسعى الى تحقيقة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا مقابل النشاط المحموم التى تقوم به فرنسا والمانيا من الربط بين البعد الأمني والاقتصادي من أجل أخراج الولايات التحدة الأمريكية وأضعاف الموقف البريطاني في أوروبا. ومن هنا نجد فرنسا مرة أخرى والمانيا تنجران خلف السياسة الأمريكية والبريطانية ليس من أجل تحقيق أهداف أستراتيجية واضحة بل من أجل أن لا تنفرد الولايات المتحدة وبريطانيا بترتيب الأمن الأوروبي دون مشاركتهما.

ثالثاً : الزعيم الصربي هو الحليف الوحيد المتبقي لروسيا في القارة الأوروبية إذا أبعدنا اليونان من المعادلة ولكن هذا الحليف الغير حصيف هو الذي سوف يعمل بسلوكة السياسي على أبعاد النفوذ الروسي من أوروبا وهذا ما تريد تحقيقة الاستراتيجية الامريكية البريطانية من أبعاد روسيا عن أي دور محتمل في أوروبا وإن كان ولابد من دور روسي فيجب أن يكون سياسي اكثر من كونه عسكري استراتيجي. وهذه الاستراتيجية تصب فى مسعى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا لأضعاف روسيا وتحويلها الى دولة تقع على الهامش في السياسة الأوروبية وحلقة في مسلسل أضعاف روسيا وحرمانها من تفوقها العسكري في المستقبل.

رابعاً : إن دخول الولايات المتحدة الأمريكية في أزمة البلقان يؤكد على أستراتيجيتها القاضية فى أستثمار التفوق الامريكي على المستوى الدولي وهذا منطق سياسي واستراتيجي طبيعي من حيث إعادة ترتيب الأمن في البلقان وإيجاد حضور لها في المناطق الأضعف مثل البانيا وكسوفو من أجل التأكيد على التواجد العسكري القوي خصوصاً وأن هذه المناطق مرشحة لقبول التواجد الأمريكي لفترة غير محددة عكس من التململ الاوروبي الذي نشاهدة بعد أنهيار الأتحاد السوفيتي من جدوى الوضع الأمريكي على القارة الأوروبية. وأن هذه الدول الصغيرة والمهدد بقائها وأمنها أكثر الدول ترحيب بهذا الوجود الامريكي. ولعل البانيا لعبت اللعبة السياسية بشكل جيد عندما قررت فتح جميع أمكانياتها العسكرية وقواعدها ومجالها الجوي أمام قوات حلف الناتو من أجل مزيد من الارتباط الأمني بين البانيا وحلف الناتو مما يمكن أن يرشحها إلى الدخول بالحلف بالمستقبل وبالتالي الحصول على المساعدات الاطلسية وبالتالي يمكن أن يساعدها على الدخول في حظيرة الجماعة الأوروبية كجزء من الدائرة الاقتصادية والأمنية الأوروبية.

وبالتالي يمكن تحقيق الأمن والرفاهية الاقتصادية لدولة فقيرة مثل البانيا مجاورة لدولة يوغسلافيا.

الرئيس الصربي الذي أرد تحقيق الحلم الصربي عمل وبشكل جيد على تدمير هذا الحلم وهذه دائماً عادة الزعماء الدكتاتوريين والمنحدرين من الذهنية العسكرية والاحلام الطوباوية والذين دائماً يجدون من الرعاع والعامة السند لهم دون أن تقدم هذه العامة أي دعم حقيقي سوى البعد العاطفي الذي ليس له من الرصيد أي معنى في حالة الازمات وهذا دليل آخر على أن الشعوب والواعية والعاقلة يجب أن تحذر من الزعامة الدكتاتورية والغوغائية التى تجرها الى نهايات محزنة ومأساوية وهي تصور الموقف على أنه الذهاب والرقي إلى قمم المجد وإذا كان الشعب الصربي عليه وعي ذلك فإن شعوب العالم الثالث عليهم الوعي كذلك.

البوسنة بعد اتفاق دايتون

الرئيس البوسني على عزت بيغوفيتش وفريقه السياسي المقتدر وخاصه نائب الرئيس ورئيس الوزراء والسياسي اللبق المتحدث البليغ محمد شاكربيه الذي كان لأسلوبه وطريقته التحديثه الأثر الكبير فى التأثير على الرأي العام الأمريكي والاستفادة الحقيقيه من وسةئل الاعلام الامريكية ولعل كثيراً من الدول العربية والاسلامية تنر بعين مجهرية لدوره الفعال الذي قام به محمد شاكربيه المندوب البوسني لدى الأمم المتحدة سابقاً والذي يمكن أن يستفاد من تجربته الفعاله فى هذا المجال، أقول أن الرئيس البوسني وفريقة السياسي أثبتو لانفسهم وللعالم العربي والعالم الغربي عن حنكه سياسيه وقدرة فائقة بجمع وترتيب الأولويات وتفعيل الامكانيات المحددة للحصول على أكبر قدر من الأهداف حيث أستطاعت هذه القيادات الديناميكيه حشد القدرات المتواضعه من أجل الوصول الى اتفاقية دايتون، القاعدة الأمريكية فى ولاية القلب الأمريكي، ولأتفاقية أقل ما يقال عنها سياسياً أنها أستطاعت وضع خريطة البوسنة والوجود الأسلامي المتأهصل والنابع من القارة الأوروبيه «على عكس الهجرات الاسلامية» على أرض الواقع وهي بالتالى أستطاعت أنتزاع الاعتراف الواقعي بهذا الوجود وشرعيته وأستمراريته. وأتفاقية دايتون أستطاعت أنتزاع الاعتراف القانوني العالمي بوجود الكيان البوسني على أرض مهد الثورة الصناعية ومركز العالم المتغير وهي بالتالي تكون البوسنة أول دولة أسلامية تضع لنفسها وجوداً تاريخياً على الأرض الأوربيه. وأتفاقية دايتون كانت نتيجة حصافة سياسية ونظرة أستراتيجية يمكن لها أن تضع قواعد النجاح ومبررات الأستمراريه وذلك بدخولها معمة توازن القوى الأوربي وترجيح وتدخل الولايات المتحدة الأمريكيه بذلك حيث قادة حصافة السياسة للقيادات البوسنية بأدخال وتوظيف الطموح والتطلعات الأمريكيه على الساحه الأوربيه وأصبحت البوسنه حجر زاوية مهمه فى توازن القوى الأوربيه ورمزاً للتواجد والتأثير الأمريكي على منطقة البلقان وبالتالى أستطاعت لجم التوثب الصربي المدعوم من روسيا المتعطشة لدور عالمي يخرجها من مأزقها السياسي والاقتصادي وأستطاعت كذلك أيقاف الميوعه السياسية الفرنسيه والنظرة القصيرة الأمد للسياسة البريطانية. نقول أن التوجه البوسني وسياسته وتوقيعة على أتفاقية دايتون أستطاع الربط بين السياسية الخارجية الأمريكيه فى أوروبا والبلقان على وجه الخصوص وبين البقاء القانوني والواقعي البوسني وهذا جزء مهم لفهم وتعبئة السياسة الخارجية لأي دولة من الدول حيث عدم ربط البقاء بمسئله حظ أو مرتبطة بشخصية معينه، يعني ذلك

المسئله البوسنه وبقائها لم تعد مربوطة بسياسة شخصة كلنتون بل ربطة بالاستراتيجية الأمريكية وهذا مهم ومن جانب آخر أن أختفاء على عزت بغوفيتش ومساعديه لن يعني شيء للبقاء البوسني وهذا درس آخر لعل العالم العربي والاسلامي يتعلمة من التجربة البوسنية. ورغم حصافة وقدرة الفريق السياسي البوسني وخروجهم باتفاقية دايتون وهو عمل بشعار سياسي شهير هو فن الممكن والحصول عليه وتعظم المصلحه والتقليل من المضار، إلا أن الفكر السياسي والدراسات السياسية نخبرنا أن الوحدة أثناء الحرب ونزعت البقاء أثناء النزاع المسلح تكون أقوي وأشد منها في فترات السلم والدعه ومن ذلك كله نخرج الى اقول أن التجربة البوسنية قد تجاوزت المرحله السهله ودخلت بوابه المراحل الأكثر تعقيداً والأقل وضوحاً، ففي السابق كانت البوسنة مجتمع موحد بذاته يواجه تهديداً بالفناء ليس فقط من الصرب والكروات بل ومن كثير من الدول الغربيه ومن جانب آخر كان النظام الأقليمي الأوروبي وخصوصاً في شرقها لم تتضح معالمه كما أن السياسه الأمريكيه لم تحزم خياراتها الأستراتيجية لذلك كان الدفاع البوسني عن الذات هو دفاع عن البقاء أما بعد أتفاق دايتون فإن دفاع البوسنه عن الذات هو الرغبه والعمل على التجذير والتركز والتمكن وهو أمر ليس من البساطه والسهوله ففي السابق كانت تكفي قدرة وقيادة وديناميكية على عزت بغوفيتش وفريقة السياسي للابقاء على البقاء البوسني ولم يكن هامش الخلاف معه إلا في الحالات الشاذه والنادره أما وقد دعم البقاء السياسى بالاتفاق مع الخصوم فإن البعد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بالاضافة الى البعد السياسي والعسكري أخذ يأخذ أهمية كبيره، أقول أن البعد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بدأت أهميته من أجل تماسك وبقاء وأستمرارية النواة البوسنية وهذه المرحله لا تتوقف على فرد أو عدد قليل من الافراد وهذا ما يجعلها اكثر تعقيداً أو أقل يقيناً كما أن هناك احتمالات بزوغ أهواء مخالفة ومتناقضة لذلك نري أن المرحله القادمه سوف تكون مرحلة تعكس أهمية كبيره وعليها يمكن تدعيم اتفاقية دايتون وتطويرها من جانب وعليها أيضا يمكن أن يكتب للتجربة البونسيه النجاح والاستمراريه. ومن أجل أن توضح النقاط يمكن سردها على الشكل التالى : ـــ

أولاً : البعد السياسى : على البوسنة والهرسك تعميق وأنجاح أتفاقية دايتون ليس فقط لهذه الاتفاقية بذاتها وأنما لجعلها بوابه حقيقة تضفي الى توازن قوى أوربي يصعب به تغيير الواقع، بمعنى آخر أن خلق وتجميع توازن قوي يجعل محاولة التغيير أمراً خطراً من الناحيه السياسية والعسكرية بل ويعد أحياناً انتخاراً سياسياً لبعض القوى الأوربيه وتوازن اقوي واستمراريته يعني حضوراً أمريكياً موثقاً من جانب وكذلك يعني أعطاء أطول مدة ممكنه للبوسنين على كافه طبقاته السياسية والاجتماعيه والاقتصادية للقيام بدور اكثر

فاعلية للمستقبل أي أن أطالة مدة توازن القوى يعنى اتاحة فرصة طويلة الامد من أجل توظيف البعد الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتأكيد بقاء واستمرار البوسنة والهرسك ككيان واقعي قانوني على أرض أوربا بمعنى أن البعد السياسى شرطاً مهماً لنجاح البعد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي سوف يريدون تباعاً.

ثانياً : البعد الاقتصادى : شهدت أراضى البوسنه والهرسك تدميراً شبه كامل على مستوى البنيه الاساسيه الاقتصادية وهذا لا شك عائقاً مهماً فى أعادة البناء والاعمار ولكن هذا يمكن أعادة بنائه عن طريق المساعدات الدوليه من أجل أعادة بعث الحياة فى الدوله المكبله بالجراحات لما بعد بناء البنيه الاساسيه ونعني بذلك أن البوسنة والبوسنين عليه أن يوسعو مداركهم وقدراتهم على الانفتاح الاقتصادي على جميع المناطق وبقاع العالم فإن الربط الاقتصادي البونسي الأمريكي فى غاية الأهمية حيث بهذا الربط يتم بناء وتوظيف البعد الاقتصادي من أجل أن يصب فى المصلحة السياسيه كما أن الربط الاقتصادي لا يقل أهمية مع دول أوربا الغربيه والشرقيه ومع العالم العربي والاسلامي و دول شرق آسيا أي أن الربط الاقتصادي مع العالم يعني تطوراً أقتصادياً للأفراد البوسنين المسلمين في مجال التطور الاقتصادي مما يعني بروز قيادات وأدارات وأمكانيات جديدة تدعم وتعزز التطور السياسي وهى بالتالى تبرز القيادات الاقتصادية البوسنيه مع منافسيهم الصرب والكروات من جانب وكذلك أدخال المصالح الدوليه فى المسألة البوسنيه بمعنى الربط بين المصالح البوسنية والمصالح الدولية أي أن بقاء البوسنه وأستمراريتها يعني بقاء المصالح الدولية وأستمراريتها وعلى البوسنين مراعاة تعزيز المكانه الاقتصادية لأفراد البوسنين فى هذه المرحلة المهمة.

ثالثاً : البعد الاجتماعى والثقافى : كان قدراً للشعب البوسني أن يكون مسلماً داخل محيط غير مسلم يتميز بالوعي الحضاري والتطور العلمي والثقافي وهذا يجعل الشعب البوسني يعيش المعادلة الصعبه كيف يستمر ويعيش وينافس من جانب، ومن جانب آخر أن يبقي على خصوصيته الدينيه وهو أمر ليس باليسير ولكون الابقاء على الخصوصيه الدينيه هى أصلاً مطلب جوهري فإن على المفكرين والقياديين البوسنيين العمل على هذه الاستراتيجية بدقه ووعي قوي حيث أن الارتباط بالمشرق الاسلامي والعالم العربي يأتي عاملاً مهماً هنا حيث بدون المحافظة على الهوية الحضاريهة الاسلامية للبوسنة يكون كل ما حدث وماسوف يحدث لا بشكل بعداً وتصوراً منطقياً. حيث أن الصرب وغيرهم من القوي الاوربيه كانت تسعي الى أفراغ هذه المنطقة من التواجد الحضاري المغاير وهو ما يجب على البوسنين التأكيد عليه وهذا يأتى عن طريق العمل الطويل والشاق والوعي الحضاري طويل النفس. يمكن أنجاح البعد الحضاري والثقافي المسلم فى البوسنه والهرسك عن طريق أيجاد

أمكانيات وترتيبات من خلالها يتم ربط البوسنين بالعالم العربي والاسلامي سواء عن طريق الاتصال الثقافي وتبادل الطلبة والتواصل الاجتماعي والاقتصادي وهنا يبرز أهمية العالم العربي والاسلامي في التعزيز الثقافي الاسلامي والعربي للبوسنه والهرسك عن طريق أستضافة الطلبة البوسنين في الجامعات العربيه والاسلامية وعن طريق تبادل الوفود الثقافية والدعوية وتعزيز الروابط بين المجتمع البوسني والعالم العربي والاسلامي. والعمل الصادق المستمر يمكن أن يكون أتفاق دايتون بداية لرسم معالم وجود أسلامي بوسني غير قابل للزوال وبدون ذلك سوف تكون أتفاقية دايتون هي بداية النهاية للقضية البوسنية حيث أنه ليس من المنتظر أن تقف صربيا وكرواتيا والكثير من الدول الغربية مكتوفة الأيدي وأنما العمل على أنجاز ما عجزت عنه الآليه العسكريه من تصفية الوجود الحضاري المغاير فى الأرضي البلقانية.

التنافس التعاوني

كان التنافس الايدلوجي والحرب الباردة التي تمثل الصراع الحقيقي والشامل على جميع الأصعدة والامكانيات والقدرات سواء ببعدها الفكري الفلسفي أو الاقتصادي التنموي أو الأجتماعي والتقني وسباق التسلح بكل ما أحدثتة التكنلوجيا العسكرية من قدرات جديدة هائلة،كل هذه الجبهات للصراع باستثناء الاستخدام الفعلي والحقيقي للقوة العسكرية . وأن كانت الدول العظمى سابقاً تدخل في صراع مسلح مغلف أو غير مباشر وذلك تحت مضلة الصراعات الاقليمية المتعدده أبتداء من الحرب الكورية ١٩٥٠م ثم الحرب الفيتنامية وتلتها العديد من الصراعات في أفريقيا وجاءت حروب الشرق الأوسط المتعددة بين العالم العربي وأسرائيل وأختتمت هذه الصراعات بين القوتين العظمتين السابقتين في حرب أفغانستان التي أنهار الأتحاد السوفييتي بعد ذلك ليصبح النظام الدولي نظام عائما لم تتحدد معالمة الحقيقة بعد.

ومفهوم النظام العائم لا يعني هنا الضائع بل يرمي في قول عائم أنه لاتنطبق عليه شروط النظم الدولية السابقة بشكل قوي أمثال تعدد الاقطاب أو ثنائي القطبية أو حتى آحادي القطبية وإن كان العديد من المفكرين والمهتمين بالشؤون الدوليه يطلقون على النظام الدولي الحالي نظام آحادي القطبية داعمين هذا المفهوم تحت مبرر أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدوله الأعظم والأقوى على الاطلاق وبالتالي فإن قدراتها العسكرية والاقتصادية والفكرية والاعلامية والسياسية والتكنولوجية تؤهالها على لعب دورالقوة العالمية المهيمنة. وإن كانت هذه المقارنة لا تخلو من حقيقة ومن صواب فإن هذه المقارنة فيها بعض العيوب ومن أهمها فإن مقاربة أو مفهوم النظام الأحادي القوة والتي تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى على نظام دولي نظام آحادي القطب فإن هذه المقاربة أو المفهوم تنطلق من مفهوم الدولة الآمبرطورية في التاريخ العالمي عندما كانت الأمبرطورية الرومانية أو الأسلامية أو البريطانية هي الدولة التي تحتكر القوة الدولية دون سواها وأن كانت الولايات المتحدة الأمريكية لديها ما تحتكره في النظام الدولي فإن الفكر السياسي الأمريكي المجدد يجد في هذه الهيمنة المطلقة ضعف للولايات المتحدة الأمريكية على جميع الأصعدة وخصوصاً أن هذه الهيمنة سوف تدفع الى مزيد من التسلح من أجل الحفاظ على هذه القوة والهيمنة على الساحة الدولية وهذا ما تخشاه الولايات المتحدة الأمريكية من الأندفاع العسكري تاركتاً الساحة خاليه للدول الأخرى على المستوى الاقتصادي و التكنولوجي ثم الفكري و بالتالي الأنهيار الأكيد للولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل.

ولكل هذه الأسباب فإن القارئ للسياسة الخارجية الأمريكية بشقيها السياسي والاقتصادي

فإنه سوف يلحض التمسك بالمبادئ والقوة السياسية الاستراتيجية ولعمل في هذا المجال بالطريقة السياسية التقليدية القديمة ولم يطرء عليها تحولات كبيرة جداً في هذا المجال والمراقب والدارس يستطيع تتبع ومراقبة السياسة الخارجية الأمريكية وتباينها في المناطق المختلفة من الكرةالأرضية. أما السياسة الاقتصادية الأمريكية وهي مكملة للسياسة الخارجية والسياسة الاستراتيجية فإنها تأخذ منحى مايمكن أن يطلق عليه التنافس التعاوني بمعنى أن المنافسة الدولية كبيرة جداً على المستوى الاقتصادي ولكن يجب أن نأخذ من وجهة نظر الحكومة الأمريكية تنافس تعاوني تكاملي حتى يمكنها أن تفتح الباب لتحسين وضع الدول الأخرى للمنافسة الاقتصادية وتحويل أهتمام الدول الأخرى وجرها من البعد السياسي العسكري الى البعد الاقتصادي التنموي وهذا في نهاية المطاف يصب في مصلحة الاستراتيجية الأمريكية... كيف يكون ذلك؟!

تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية وذلك عن طريق مفهوم التعاون الاقتصادي وفتح أسواقها الهائلة لبعض المنتجات العالمية أن تلعب دوراً مهما في تحويل الأهتمام الدولي من البعد السياسي الى الاقتصادي وفتح مجال للنجاح الاقتصادي لكثير من الدول على حساب النجاح السياسي العسكري و الأستراتيجي.

من الواضح الى حد بعيد أن الكثير من دول العالم تعمل على تعزيز البعد الاقتصادي ومحاولة أنجاح تجربة التنمية وهذا نشاهدة في أسيا بمافيها الصين و أوروبا وامريكا اللاتينية باستثناء افريقيا التي لم تحسم خياراتها السياسية المحلية بعد. والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة وقوه هو ما مدى اللتزام هذه القوى الصاعدة باستثمار القوة الاقتصادية في حالة النجاح فقط دون التحول الى قوة عسكرية وجبهة سياسية قوية؟. .وهذا التخوف من الجانب الأمريكي وجيه وله ما يبرره على المستوى التجربة التاريخية والمنطق السياسي المتعارف عليه.

وما يخفف من هذا الجانب هو أن الدول المؤهلة للعب دور سياسي وعسكري في المستقبل بعد تحقيق نجاحها الاقتصادي وبالتالي لعب دورامهماً أو مهيمناً على الساحة الدولية هي دول أما أنها مازالت في طور النمو أو أمامها المزيد من التحولات والتحديات التي يمكن أن تعترض طريقها سواء تحولات وتحديات داخلية كتغير التركيبة السكانية الداخلية واحتمالات التخلخل السكاني الذي يدفع الى التغيير الكبير أو عدم الاستقرار أوالى تحديات اقليمية كبيرة وهذه الحالة تنطبق على صين بشكل خاص. والدول الأخرى المرشحة للعب دور مثل اليابان ولكن اليابان قد يتعذر عليه لعب دور دولة كبرى في المستقبل رقم الثراء الهائل والقوة التكنولوجية الكبيرة وذلك لسمات الثقافة المغلقة لليابانيين والتوجه الى أحتقار الثقافات الأخرى الذي يدفع الى حركة التصادم مع اليابان أكثر من التعاون. تبقى المنطقة الحقيقية المرشحة للعب دوراً مهماً في العالم هي أوروبا، الا أن العثرات ما زالت في وجه اوروبا سواء داخل أوروبا الغربية أو

محاولة ضم وأستيعاب أوروبا الشرقية وروسيا في المستقبل وهذا يحتاج الى فترة زمنية غير قصيره الا أنها واعده إذا ما كتب لها النجاح.

ومما يشكك في نجاح وقيام دولة مهمة مهيمنة على النظام الدولي بعد الهيمنه النسبية للولايات المتحدة الامريكية أن أمريكا سوف تعمل على أستخدام قدراتها السياسية والاقتصادية و العسكرية إذا لزم الامر للحيلولة دون ظهور قوة عسكرية سياسية مهيمنة دوليا أي أن تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية قوتها العسكرية والسياسية من أجل الحيلولة دون قيام قوة مهيمنةجديدة يمكن أن تؤثر على القوة الأمريكية الحالية.

ومن هذا المنطلق فإن عملية تشجيع التنافس التعاوني يمكن أن يكون أحد أستراتيجيات الحكومة الأمريكية ونقصد بالتنافس التعاوني هو التنافس التعاوني الاقتصادي وبالتالي أبعاد الدول الاخرى عن التنافس العسكري. والتنافس التعاوني يحقق التنمية الاقتصادية وتحسين المعيشة والصحة والتعليم والتنمية الدولية وفي نفس الوقت يكفل الهيمنة السياسية والعسكرية النسبية للولايات المتحدة الامريكية الى الأمد المنضور. وفي نفس الوقت فإن التنافس التعاوني سوف يسمح للولايات المتحدة الأمريكية الى أستثمار جزء من قدراتها الاقتصادية على البعد الاقتصادي التعليمي والتكنولوجي مما يسمح لها بالاستمرار في الهيمنة النسبية أطول مدة ممكنه ... السؤال هو هل تنجح الولايات المتحدة الامريكية في أدارة دفة التنافس التعاوني أو الصراع الاقتصادي السلمي بشكل جيد دون الدخول في صراع عسكري يخل في هذه المعادلة ويفشلها، أو من يضمن أندفاع العديد من الدول لدخول معترك الهيمنة السياسية والعسكرية بعد النجاح الاقتصادي مما يشعل نار التصادم في المستقبل ثم من يستطيع أعطاء ضمانات عن سير التحالفات والتحالفات المضادة التي يمكن أن تقودها النجاحات والفشل الاقتصادي هنا وهناك . وفي أسوآء الاحوال من يضمن أن تقوم الكوارث الطبيعية في خلخلة هذا التوازن وعدم تجديد الاطماع في المستقبل كل هذه العوامل يمكن أن تلعب عامل هدم للسياسة الخارجية الامريكية التي تحاول أنشاء عرف يؤدي الى هيمنة أمريكية عسكرية سياسية نسبية على المدى المنضور على الأقل. أما أين يقع العالم الثالث فأرجوا أن يكون موضوع حديث قادم في النظام التعاوني الدولي.

التنافس على بقايا العالم

جزء من التوقعات التى كانت تزخر بها كتابات المهنيين والمراقبين التحولات التى يشهدها النظام الدولي منذ نهاية الحرب الباردة وأنزلاق الاتحاد السوفيتي في أدراج التاريخ السياسي هو تأجج الصراعات الاقليمية حيث أستطاعت الحرب الباردة أن تضع تلك الصراعات وإلى حد ما تحت مطرقة صراع القوى الكبرى أي مد النفوذ من الدول الكبرى على الدول الصغرى والذي يعني كذلك احتفاظ في دوائر النفوذ والهيمنة ما يعني تحديد حدود المصالح الحيوية والمصالح التى لا يمكن التنازل عنه. ومنذ نهاية الحرب البادرة وهذه المناطق أصبحت في وضع مناطق تنازع جديدة سواء في آسيا الوسطى أو حتى في شرق آسيا أو أمريكا اللاتينية إلا أنه لم يكن هناك مكان ومنطقة جغرافية تأثرت بشكل سلبي بالحرب الباردة من صراعات أقليمية وحروب أهلية مثل أفريقيا حتى أنه خيل للمراقب أن أفريقيا أستوعبت اكثر الصراعات بين القوى الدولية وترجمته الى أزمات أقتصادية وسياسية واجتماعية وحروب أهلية أبتداء من جنوب أفريقيا في مرحلة النظام العنصري حتى حرب الصحراء الكبرى مروراً بادغال السياسة الافريقية التى أتسمت بالعرقيه وتمثيل المصالح الأجنبية في أبشع الصور والأشكال.

أقول ان المراقبين والدارسين لاثر الحرب الباردة وكذلك لمعانات القارة السمراء وصلوا الى نتائج منها أن نهاية الحرب الباردة والصراع بين القوى الدولية سوف تكون نهاية المعاناة الأفريقية ودخولها في معمعه صراعية هي بعيدة كل البعد عنه حيث شهدت التنافس السوفيتي الامريكي والسوفيتي الفرنسي والفرنسي الأمريكي والامريكي الصيني والصيني السوفيتي والصيني الفرنسي مع كل ذلك تدخل الدوائر السياسية البريطانية واليابانية على شكل تدخل سياسي في حالة الأولى وتدخل مالي استثماري في حالة الثانية مشكلة التداخلات السيايسة وضعت أفريقيا برمتها في مدار التخلف القادم من التخلف والمفضي الى التخلف.

وعندما وضعت الحرب الباردة أوزارها أعتقد الجميع أن أفريقيا تخرج من حالة التنازع الدولى خصوصاً وأن القارة السمراء فقدت موقعها الاستراتيجي الدولي والذي كان محط تنافس وأهتمام دولي ولم تكن تشكل حالة أقتصادية تذكر حتى يتم التنافس الاقتصادي عليها ولذلك فإن أفريقيا فقدت الاهتمام من العالم بعد نهاية الحرب الباردة مما دفع الى تركها نهشا للاحقاد والنزاعات المحلية المختنقة منذ الحرب الباردة ولذلك فإن جرائم هائلة

الفظاعة وفقر وأوبئة كانت النتيجة المنطقية للقارة السمراء ذاك الوقت.

وفيما أفريقيا تمارس الانتصار الاقتصادي والسياسي كان العالم القوي والقوى الدولية تتنافس على آسيا القارة الواعدة وتوحد قواها وشركاتها وسياساتها من أجل الاستثمار في الاسواق الصينية بشكل خاص والاسيوية بشكل عام ثم بعد قيام روسيا على أعقاب الاتحاد السوفيتي فإن الهيمنة الغربية أخذت تضع أستثماراتها السياسية والمالية في شرق القارة الاوروبية منبع الأرث الأوروبي ومهد حضارته تمخضت في ضم العدد من دول أوروبا الشرقية الى حلف الناتو ووضع نظام أمنى وأستثماري لمناطق البلقان بشكل مؤقت في البوسنة والهرسك وكسوفا وبقايا جمهوريات يوغسلافيا السابقة في العقد الذي أنصرم مع دخول الالفية الثالثة بعد أن أتضحت الرؤيا السياسية في هذه المناطق يلتفت العالم القوي لبقايا العالم ومقتنياته المتمثل في القارة السمراء المنسية.

ولكون الصين والهند في شغل بذواتهما حول نجاح مشاريعها الاقتصادية والسياسية وروسيا مشغولة بوضعها الداخلي وإعادة ترتيب أولوياتها. فإن العالم المتبقي ذو الأهمية والقادر على الحركة الدولية هما القارة الامريكية المارد القوى والقارة الأوروبية التى تتحرك ببطيء نحو نفض غبار أنكفائها على ذاتها ومشاريع توحيدها والصراعات الغير قابلة للنهاية حول الوضع الأوروبي. هاتين المنطقتين من العالم هما القادرات على الالتفاف الى بقايا العالم مثل القارة الافريقية السمراء.

وبالفعل فإن المجال الأوروبي في القارة الافريقية له بعد تاريخي عبر العديد من حلقات التاريخ الاستعماري وهو كذلك واحد من فضاءات التوسع نحو العالم الرحب بدعم هذا التوجه في الرغبة الفرنسية العارمة بالتسلح بالقوة الأوروبية من أجل إعادة المكانة الفرنسية الى القارة السمراء بعد أن ثبت للفرنسيين مراراً وتكراراً أن القوة الفرنسية محدودة لدرجة عدم قدرتها على المنافسة الدولية ي لمناطق هامشية مثل أفريقية ولذلك فإن الفرنسيين يريدون أن يقطفوا سنوات من استثمار الدبلوماسية الفرنسية في أوروبا وخصوصاً التقارب مع المانيا من أجل توظيف هذه القوة لصالح الدبلوماسية والاقتصاد الفرنسي وتحت هذه المظله وهذه المبررات فإن فرنسا تعد نفسها بالنجاح والعودة الى البيت الافريقي بشكل أقوى عن طريق المؤتمر الأوروبي الافريقي والتى تسعى من خلاله دول أفريقيا إلى التخفيف من ديونها المتراكمة والغير قابلة للوفاء بها للدول الأوروبية أن تعذر حذفها بكاملها.

إلا أن المارد في الجانب الآخر من المحيط الاطلنطي لم يكن ليترك بقايا العالم تعبث به المزاجية الأوروبية وخصوصاً مزاجية الدبلوماسية الفرنسية وتحاول الولايات المتحدة الامريكية وهي على حق أثبات للقارة السمراء ان المستقبل يكمن مع العالم الجديد الاكثر

مرونة والاكثر انفتاح، مع العالم الاكثر ديمقراطية وتقبل الطرف الآخر بل وأن العنصرية الامريكية سوف تعد واحدة من العدل والانصاف مقابل العنصرية الأوروبية بل ان المصالح الاقتصادية هي مع القوة الهائلة في القارة الامريكية وليس مع التقلب المزاجي الأوروبي ومن هذا المنطلق فإن الكونغرس يعد مشروع قانون ان كتب له النجاح سوف يضع المشروع الأوروبي على قدر هائل من الشك ويتلخص هذا المشروع الامريكي بمحاولة فتح الاسواق الامريكية للمنتجات القادمةمن أفريقيا وهذا لا يعني أن أفريقيا سوف تغرق القارة الامريكية بالمنتجات الأفريقية ولكن يعني أن هناك استثمارات أمريكية سوف تجد بالمشروع مبرر كافي للاستثمار في أفريقيا فمزايا هائلة وأسواق واعدة في القارة والشعب الهائل الثراء مثل الولايات المتحدة الامريكية وهذا المشروع الذي سوف يجعل الجدل الأوروبي الافريقي بدون معنى وبدون هدف مستقبلي.

الجدل النووي والصراع الدولي

حسم السيد بوتن الرئيس الروسي المنتخب الجدل السياسي الغير واضح المعالم الذي يدور خلف الكواليس المغلقة داخل الدائرة السياسية الروسيه وهو السؤال الذي يؤرق السياسي الروسي بشكل قوى ويقسم قواهم وهو هل من الممكن التسليم والاعتراف بوضع روسيا دولة من الدرجة الثانيه ليس على المستوى الاقتصادي فهذا البعد لا يؤهل روسيا حتى ولا دولة من الدرجة الثانية وأنما هل يستطيع السياسي الروسي والمفكر الروسي أن يقبل بوضع روسيا الدولة الهائلة القوة سابقاً ومرهوبة الجانب في عهد الاتحاد السوفيتي أن تتحول الدولة من الدرجة الثانية على المستوى العسكري العامل الذي كان رمز القوة السوفيتية وبالتالي الروسية.

إن توقع البرلمان الروسي (الدوما) على معاهدة الحد من الصورايخ النووية الثانية أو ما عرفة بـ (إه خ م ه ممـ) والقاضية بخفض الصواريخ النووية الى مستوى ٣٥٠٠ صاروخ تزيد أو تنقص لكل طرف بعد أن كانت تزيد عن العشرة آلالف صاروخ ثم الذهاب الى أبعد من ذلك الى المرحلة التى يوقع عليها البرلمان الروسي على التصديق في أيقاف الاختبارات النووية في المستقبل والتلميح الى الاستعداد الى الخوض في معاهدة نووية جديدة تبعث الى مزيد من التخفيض في الاسلحة النووية. ماذا تبحث عنه روسيا؟ وما هو المتوقع من الولايات المتحدة الأمريكية؟ ومن الحلفاء الأوروبيون؟ وما أثره على النظام الدولي؟

ويمكن تلخيص الاهداف الروسية بالتالي: —

أولاً : ان الواقعية الروسية خصوصاً بعد حرب الخليج وأنهيار الاتحاد السوفيتي ثم حرب البوسنة والهرسك ثم حرب كسوفا وصلت روسيا الى قناعة مفادها إن منافسة الولايات المتحدة الامريكية هو ضرب من الخيال والوهم السياسي والتالي يجب التسليم أن النظام الدولي نظام أحادي القطبية تتزعمة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل لا ينافسها عليه أحد فى المدى المنظور الذي يمكن أن يستمر ثلاثون سنة في أقل تقدير.

ثانياً : إن معاملة روسيا كدولة عظمى ليس في صالح روسيا ذاتها حيث تنصب المطالب السياسية والعسكرية بشكل اكثر من قدراتها السياسية والعسكرية والاقتصادية بل واكبر من قدراتها البشرية حيث أن خبرة روسيا اليوم في التعامل الدولي ليست الا في بدايتها إذا ما قارناها بالخبرة الامريكية أو البريطانية أو الفرنسية وبالتالي فإن الكوادر السياسية الروسية اليوم تعمل على إعادة فهم لروسيا وأمكانياتها في ضوء العوامل والمتغيرات الجديدة.

ثالثاً: وبناء على المعطيات السابقة فإن القوة النووية الروسية أصبحت عبء على روسيا اكثر من كونها عامل من عوامل الأمن الوطني وإن قوة نووية أقل عدد واكثر فعالية سوف تؤدي الغرض المطلوب منها في مسألة الأمن الوطني وسوف تكون أقل تكاليف على مستوى الصيانة والتحديث وعلى مستوى العمليات العكسرية والمعلوماتية.

رابعاً: إن الانتقال من الجدل النووي وتحفيض القوة النووية سوف يدفع روسيا إلى الانتقال الى ملفات هامة أخرى على المستوى السياسي المحلي والدولي والاقتصادي والعسكري التقليدي في ضوء الاتفاقات المحلية وضوء السوق الدولي للاسلحة التقليدية.

خامساً: إن أندفاع روسيا في هذا الاتجاه سوف يضع أوربا في مواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية بدل من أن تكون حليفتها العسكرية بمعنى إذا كانت القوة النووية الأوروبية كانت عامل من عوامل الضغط ضد الاتحاد السوفيتي السابق وكانت هذه القوة النووية الأوروبية تبعد عن أي محادثات نووية فإن التوجه الروسي اليوم سوف يثير تسائل عن جدوى القوة النووية الأوروبية الضاربة ومستقبلها سواء على المستوى المحلي أو على مستوى علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً بعد أنخفاض التهديد على أوروبا القادم من روسيا اليوم وعلى الجانب الآخر من المحيط فإن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تدفع وتشجع روسيا هذا الاتجاه بل سوف تربط مثل هذا النمط من التفكير مع دعمها السياسي والاقتصادي عبر المنظمات المالية الدولية وذلك واضح الى كون الولايات المتحدة الأمريكي سوف تكون الكاسب الحقيقي من مثل هذه المعاهدات للخفض من الاسلحة النووية حيث أنها على العكس من روسيا لديها القدرة المالية والمعلوماتية والعلمية والبشرية لتطوير نماذج جديدة من السلاح تكفل تفوقها لتلافي العقود القادمة على مستوى العالم بل وسوف يكون من المصالح الامريكية هو دفع الأوروبيين للدخول في مثل هذه المعاهدات للحد من التسلح بعد ان كانت أحد القوى التى مانعت ادخال القوة النووية الأوروبية في معادلة الحد من التسلح.

كل ذلك سوف يدفع الى أدراج روسيا كدولة داخل النظام السياسي والأمني الأوروبي اكثر من كونها دولة ذات بعد وأهمية دولية كما كان الاتحاد السوفيتي يتمتع به بهذا المنطلق فإن النظرة الأمريكية سوف تكون اكثر شمولية في نظرتها إلى أوروبا أي أن أوروبا لن تكون شرقية وغربية تتنازعها القوة الشرقية في روسيا والغربية الامريكية بل أن مسألة إعادة ترتيب البيت الأوروبي وادخال روسيا فيه سوف يضعف الجناح الالماني الفرنسي وسوف يعزز الاجنحة السياسية القديمة المتمثلة في روسيا بريطانيا فرنسا المانيا كقوة متنافسه سياسية واقتصادية على الرغم من الوحدة الأوروبية وتكون كل من ايطاليا وبولندا مع الدول الأوروبية الاخرى كعناصر ضبط وتوازن أوروبي تلعب فيه الولايات المتحدة الامريكية الدور المرجح للقوى والتوجه الاقتصادي للقارة الأوروبية القديمة.

الجدل النفطي من جديد

منذ حرب ١٩٧٣م والنفط يعد واحد من الاحاديث الهامة عند النقاش حول القضايا الاستراتيجية والسياسية حيث لعبت المنطقة العربية والخليج العربي على وجه الخصوص مناطق ذات بعد وأهمية أستراتيجية في اطار النظام الدولي وأصبح المنطلق الاستراتيجي الدولي والغربي على وجه الخصوص يعمل على حرمان القوى اليسارية من الوصول لهذه المناطق التى تعد بحق واحدة من أهم المناطق الاستراتيجية على مستوى الطاقة وعلى مستوى مستقبل العالم حيث أخذ النفط هذه الأهمية الاستراتيجية بفعل الاستراتيجية الغربية التى دفعت النفط من مادة خام ومصدر للطاقة الى وسيلة سياسية تحت مظلة الحرب الباردة وبالتالي أدخلت المنطقة العربية الصراع الدولي بفعل هذا التوجه السياسي الغربي حيث تجاوز العالم في ذلك الوقت مفهوم الموقع الجغرافي كنتيجة طبيعية للتطور التقني في وسائل المواصلات والاتصالات والتسلح وكذلك تجاوز العالم في ذلك الوقت مفهوم ملىء الفراغ السياسي وهو العامل الذي قاد الولايات المتحدة الامريكية الى هذه المناطق الجديدة بدل من القوة البريطانية. أقول ان العالم العربي بفعل العامل النفطي دخل النظام الدولي من حيث البعد الاستراتيجي السياسي والعسكري وتجاوز المفهوم الجغرافي لهذه الأهمية وعندما أستطاع الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص أقناع العرب بالأهمية الاستراتيجية والسياسية للنفط ودورة في تحجيم القوة الشيوعية سواء على مستوى الأحتواء الدولي أو على مستوى التحدي الاقليمي للمناطق المتعددة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وأخذت هذه التعبئة السياسية والاستراتيجية للنفط تأخذ مفهوم طول النفس والمدى الطويل خصوصاً وأن الخصم الذي كان يتمثل بالمنظومه الشيوعيه وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي كان ايضا غني بالقدرات النفطية وذو اكتفاء ذاتي من هذه الطاقة وبالتالي أصبح النفط الدولي وكنتيجة طبيعية محل للنزاع السياسي والتنافس الاستراتيجي اكثر من كونه حاجة يمكن الدخول حرب من أجله وكان من ضمن نتائج هذه الحالة هي مزيد من التسيس وأقحام النفط ومسألة الطاقة في خضم التفكير السياسي والاستراتيجي وهذا ما فهمه العرب بعد مرحلة طويلة تمثلت في البداية بتحدي شركات النفط التى كانت تهيمن على استخراج وتكرير وتصدير النفط في أغلب المناطق النفطية العربية، أقول ان هذا التسيس دفع هذه الدول الى معاملة النفط بالمعادلة السياسية والتى كان من نتائجها تأميم صناعة النفط والتى أخذت تتدرج حتى وصلت منتهاها في الامتلاك الكامل للدول النفطية لجميع مراحل الانتاج والتكرير والتصدير في مرحلة لاحقة كان الفاصل الحقيقي بها مسألة التحكم في سعر النفط وهي التى كانت محل جدل لا

ينتهي في الدوائر السياسية اكثر من الدوائر الاقتصادية بل ان مسألة زيادة سعر النفط سنتاً أو أثنين كانت يؤخذ هذا القرار بذهنية سياسية اكثر من العامل الاقتصادي.

وإذا كانت حرب ١٩٧٣م تعد حداً فاصلاً قوياً بين ما عرف بحرب الارادة بين الشركات النفطية والدول المنتجة للنفط فإن هذه الحرب كانت بمثابة أعلان الدول العربية تفهمها للدرس القاضي بتسييس النفط الى منتهاه أي أن ما كانت تسعي الدول الغربي للحصول عليه للضغط على الدول الاشتراكية باستخدام النفط كمناطق استراتيجية فإن الدول العربية النفطية وغير النفطية أخذت تفهم موضوع التسيس بشكل قوي ولكن استخدامه ضد اسرائيل في مسألة التسلح وإعادة التسلح وضد الحلفاء وإسرائيل في مسألة استخدام النفط كسلاح سياسي كما كان هذا المفهوم سائداً في ذلك الوقت.

ان الحظر النفطي يعد بحق واحداً من الصدمات الهائلة التى ضربت السياسة الغربية في صميمها وشربت نتائج تعبئتها السياسية لسلعة النفط. ومن ذلك الوقت فان الادارة الغربية والولايات المتحدة الامريكية أنقسمت بين محاولة تهميش المناطق النفطية عن طريق ايجاد البديل للطاقة أو تخفيف أهميتها عن طريق تعدد مصار استخراج النفط وبناء المستودعات الاستراتيجية وبالفعل فإن هذين التوجهين دفعا أسعار النفط الى أقل مستوى له خلال مطلع التسعينات من القرن الماضي.

إذا كان ذلك كذلك فإن دول النفط والدول المهمة منها معنية بشكل قوى في رسم استراتيجية يمكن من خلالها أضفاء البعد الاقتصادي على النفط وابعاد التوظيف السياسي للنفط قدر المستطاع وان إخضاع النفط للبعد الاقتصادي سوف يدفع الى الرؤيا الواضحه للمستقبل سواء النفطي أو الاقتصادي للدول النفطية بل وسوف يسحب البساط من التدابير الاستراتيجية التى تعمل لها الادارة الغربية والامريكية وأيقاف المحاولات الهائلة لتعدد مصادر أستخراج النفط حول العالم بل وتجعل مفهوم المخزون الاستراتيجي النفطي الذي تعمل به الولايات المتحدة الامريكية غير ذات جدوى وتفقدة معناه السياسي والاستراتيجي. بل ان النظرة الاقتصادية للنفط سوف تكون ذات فوائد هائلة وكبيرة على الدول النفطية على المستوى السياسي أي تتخلص من الضغط السياسي سواء من الدول المنتجة أو المستهلكة للنفط بل وسوف تبعث على أستقرار أقتصادي يقود الى مزيد من الاستقرار الاجتماعي والسياسي.

ان المصلحة السياسية والاقتصادية والاستراتيجية واضحة في محاولة أخضاع النفط والانتاج النفطي الى المعيار الاقتصادي والتفكير طويل الامد بدل من المساومات السياسية التى عاشها النفط ودفعت الى الشد والجذب السياسي الذي لم يكن في صالح الدول النفطية ذات الثقل والأهمية في مجال مخزونها النفطي الهائل. بل ان تسيس النفط هذا دفع الى ثقل سياسي للدول النفطية الهامشية والدول المستهلكة بشكل لا يتناسب مع أهميتها الحقيقية.

الخليج والتسلح

منذ فجر الاكتشافات النفطية وخصوصاً عند اكتشافها بكميات ومخزون كبير في منطقة الخليج أصبحت هذه المنطقة من أهم المناطق الاستراتيجية العالمية وخصوصاً ما يرتبط فيها بالقوى الاقتصادية والطاقة على وجه التحديد ولكون الحضارة الغربية ثم بعد ذلك العالم باسره مستهلك مضمون لطاقة النفط، فلقد تحول النفط من سلعه مرتبطه بالطاقة والبعد الاقتصادي الى سلعه أبعد وأهم وأرتبطت بالقيم السياسية والايدلوجية والتسلح. ومنذ أن كان الصراع الدولي قائم على القطبيه الثنائيه بين الولايات المتحدة الأمريكيه والاتحاد السوفيتي وهو الوضع الذى ورثها النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانيه وحتى أنهيار الاتحاد السوفيتي الذي قلل الى حد بعيد أثر الصراع العسكري الدولي وخصوصاً حرباً عالميه محتملة بين القوتين العظميين في ذلك الوقت وتحول الصراع من أبعاده الدوليه ليأخذ أبعاداً أقليمية وكانت أول بواكير الصراع هو التنافس العراقي الايراني والذي توّج بالحرب العراقيه الايرانيه التى أمتدت لفترة ثمان سنوات استطاعت أن تحصد آلاف الأرواح من الطرفين وأن تستهلك طاقة كلا البلدين وإذا كان ذلك ليس كافياً فقد جاءت حرب الخليج الثانيه وتحرير الكويت ليصبح أحد وأهم الأحداث التى وضعت الخليج كأحد أهم الاحداث العسكريه منذ الحرب العالمية الثانيه ومنذ أنسحاب بريطانيا والخليج لا يكف عن الحركة على المستوي الاقتصادي والاجتماعي والعسكري، حيث تشهد دول الخليج كلها بما فيها إيران والعراق حركة تسليحيه منذ منتصف الستينات حتى اليوم تتحرك وتتفاعل مثل حركة الرمال الصحراويه تتجه من جهة إلى أخري خالقه حالة من التوازن العسكري في فترة زمنيه وعدم التوازن العسكري في فترة أخري.

ولأهمية الخليج فإن توازن القوى في هذه المنطقة يعد من الملامح المهمة التى تهتم بها مراكز الدراسات السياسية والعسكرية وذلك نابع من الأهمية الدولية للمنطقة بشكل عام. ومن هذه الدراسات هي التى قام بها السيد «أندرو روثمل» حول «تغيير ميزان القوى العسكري في الخليج» الصادر عن المعهد الملكي للدراسات الدفاعية (The Changing Military Balance In The Gulf 1996: Andrew Rathmell)

والذي يسلط الضوء من خلال الكثير من الأرقام والجداول الاحصائيه حول التسلح وأعادة التسلح في منطقة الخليج. ورغم أن المؤلف يثري الكتاب بالعديد من الأرقام والجداول حول المعدات العسكرية عددها وأنواعها لكل دولة على حدى ورغم أن المؤلف أستطاع تحليل ميزان القوي لكل دولة على حدى ثم بعد ذلك قام بالمقارنه بين القوي في منطقة الخليج إلا أنه واضح أن هناك أشياء مهمة مفقودة من الكتاب على المستوي التحليلي العسكري يجب أن تؤخذ في أي

نزاع مستقبلي. أستطاع المؤلف فرز المنطقة كما يفعل غيره إلي ثلاث أو أربع قوي رئيسية هي العراق ، إيران ، المملكة العربية السعودية، دول الخليج الباقيه. في السابق كان تحليل ميزان القوى بين العراق وايران أهم ما يمكن أن يُلتفت اليه خصوصاً في فترة التفوق الايراني الكبير على العراق في مرحلة شاه إيران عندما كانت القوات الايرانيه تجوب الخليج وجزء من المحيط الهندي وتصد ثورة ظفار هذه الهيمنه هي التي أستطاعت أستغلال الاكراد لانهاك العراق والفوز باتفاقية الجزائر مع العراق هذه الاتفاقية التي عدة من أهم انتصارات ايران ضد العراق. كل هذه الهيمنه لايران كانت تتمتع بدعم غربي أمريكي قوي بدء يضمحل مع ثورة ايران ١٩٧٩ التى جاءت بالخميني للسلطة والتي دفعت ايران الى شبه التفكك الداخلي وخصوصاً على المستوي العسكري الأمر الذي أغرى العراق لاعادة كتابة أتفاقية الجزائر وهو الذي قاد الى حرب الثماني أعوام بينهما خلالها أستطاع العراق أن يقلب ميزان القوى لصالحه بفضل الدعم الخليجي الهائل والمقاطعه الغربيه لايران الامر الذي أغرى القوة العراقية لدخول الكويت خصوصاً مع اختلال ميزان القوى لصالح العراق بشكل قوي . إلا أن الحرب الخليجية الثانيه وتحرير الكويت أدخلت عناصر جديدة في ميزان القوى الخليجي هذا النزاع الذي إدي الى دخول العراق أمام قوات التحالف الدولي وهو الأمر الذي دمر الآله العسكريه العراقيه بشكل قوي وانخفاضها من عشرون فيلق مسلحاً تسليحاً جيداً الى فيلقين أثنين مسلحين تسليحاً جيداً قادران على حماية النظام السياسي وفيلقين آخرين مسلحين بشكل ردىء. بينما الآلة العراقيه تتحطم تحت ضربات قوات التحالف كانت ايران تعيد ترتيب قدراتها العسكرية سواء بعقد بعض الصفقات أو حتي بأخذ الطائرات العسكرية العراقيه التى تهرب لايران هرباً من ضربات قوات التحالف. لم تنتهي الحرب وتتحرر الكويت الا لتكتشف ايران والعراق كذلك أن ميزان القوي بين الدولتين قد مال بشكل قوي لصالح ايران خصوصاً على مستوي سلاح الجو والقوات البريه إلى حد كبير أصبح لصالح ايران على الرغم من قدرة العراق علي مستوي القوات البريه مازالت قادرة على الدفاع عن الارض العراقية في المستقبل.

خلاصة القول أن ايران خرجت أفضل من الناحيه العسكرية بعد الحرب الخليجية الثانيه مقابل العراق تعزز ذلك ببعض الصفقات العسكرية وخصوصاً على مستوي الصواريخ الصينية أو الغواصات الروسيه.

المؤلف من جانب آخر يعطي أهمية كبيرة للقدرة العسكرية المتطورة للمملكة العربية السعودية ويؤكد على التطور الهائل على مستوي بناء البنيه التحيته بشكل كبير وعلى مستوي التقدم التكنولوجي للأسلحه التى تملكها المملكة العربية السعودية، ورغم أن المؤلف يركز على القدرة البشريه الهائلة للعراق وأيران وكذلك الخبرة القتاليه والاستعداد للقتال لدي الفرد العراقي والايراني إلا أنه يركز على التطور النوعي والتكنولوجي للمعدات العسكرية التى تقتنيها المملكة

العربية السعودية.

ومن خلال تحليل الصفقات التى تعقدها دول مجلس التعاون الخليجي والعراق من جهة ثانية وايران من جهة ثالثة حتى عام ٢٠٠٥م يتضح أن كل من ايران والعراق لديهما خبرة وقدرة على مستوي القوات البريه بشكل كبير وأن ايران لديها خبرة وقوة على مستوي القوات البحرية كذلك بينما المملكة العربية السعودية فإن لديها قدرة جيدة على مستوي القوات الجوية والبحريه وأن الفرد السعودي يعمل على استيعاب القدرة التكنولوجية المتطورة المتوفرة بين يديه بشكل يمكن الاستفادة منها بشكل كبير في السنوات القليلة القادمة.

ومن خلال التحليل والأرقام فإنه يصعب على أي قاريء ومحلل عسكري أن يجزم بشكل قاطع أن ميزان القوى سوف يكون لصالح طرف على حساب الطرف الآخر في أي نزاع في منطقة الخليج وذلك يرجع الى ان التحليل التزم الطريقه التقليدية بالتحليل والتي تركز على العدد في العتاد العسكري دون التفصيل حول الفاعليه القتالية لهذا العتاد حيث يتم المقارنه بين الدبابات الروسيه القديمة والجديدة والدبابات الأمريكيه المتطورة جداً والبريطانية. وهنا يعني أن الدبابه المتطورة أكثر كفائه إلا أنها تحتاج أستيعاب على المستوي التكنولوجي بشكل كبير وهذا يعد أحد المثالب ضد مثل هذا النوع من السلاح. ومن جانب آخر فإن الحديث عن التسلح وتوازن القوي سوف يبقى ناقص وغير كامل دون الحديث عن العقيدة العسكرية والتدريب والروح المعنويه لدي الأفراد وكذلك طبيعة النظام السياسي والشرعية السياسية وظروف النزاع والتعبيئة الأيديولوجية وكذلك قضايا الاتصالات الوجتسكية التي تعمل عن نقل وإدارة الحرب بشكل اكثر فاعلية في مختلف جبهات القتال وقبل ذلك وبعدالقوى الدولية التى تري في منطقة الخليج مكاناً ذو أهمية أستراتيجية واقتصادية هامه.

من كل ذلك يتضح أن مثل هذه الدراسات لا تعدو أن تكون محاولات ذات قيمة محدوده مهمتها ملىء الفراغ المعرفي حول الجوانب العسكرية إلا أنها لا تحدده، على الرغم من المعلومات الهائلة الوارده فيه وكيفية سير النزاع إذا ما وقع في المستقبل وذلك راجع انه ليس هناك خلل واضح وحقيقي في ميزان القوي أي ليس هناك تفوق واضح من جانب على الجانب الآخر وهذا يدفعنا الى مفهوم دراسات الحرب أي مفهوم عقلانية الحرب أي هل يمكن خوض حرب بشكل عقلاني ؟ أي هل يمكن الدخول في حرب بعد دراسة عقلانية لها؟ الدراسات تقول أن ذلك ممكن في حالة وجود تفوق عسكري واضح وقوي فإن ذلك ممكن مثل حرب الخليج الثانيه وتحرير الكويت فإن التفوق العسكري القوى والحاسم لقوات التحالف أدي الى إدارة النزاع والتخطيط له وحصد نتائجة العسكرية والسياسية بشكل مدروس . وأنه في حالة توازن أو شبة توازن القوى فإن مثل هذه العقلانية في الحرب لا تتحقق بشكل كبير وذلك راجع أنه يمكن دراسة الحرب بشكل عقلاني في بدايتها ولكن عندما يشتعل النزاع فإن هناك العديد من العوامل التي تدخل

وتؤثر بسير الاحداث بشكل يؤثر على التخطيط السابق وتتحول الخطه الاستراتيجية الى خطط تكتيكية مرحليه بدلاً من خطة استراتيجية متكاملة. والنزاع في حاله توازن القوي أو شبة توازن القوي يجعل أي تدخل أجنبي مهما كان بسيطاً ذو أهمية كبيرة ومؤثر على سير المعارك ونتائجها. في حالة توازن القوى يكون النزاع لا يحتمل أي خطأ عسكري أو سياسي وذلك راجع للأهمية السياسية والعسكرية القصوى لاصغر التفاصيل .

والأهم من ذلك أن خوض حرب في حالة توازن القوي أو شبة توازن القوي يُعد ضرب من اللاعقلانية العسكرية والسياسية وذلك أن احتماليه النصر والهزيمة يتعادلان وأن الضعف على المستوي الوطني هو الاحتمال الاقوي لذلك كان مفهوم توازن القوى أحد أهم المفاهيم التى تلعب دوراً مهماً في أقرار السلم الدولي في كثير من مناطق العالم بقي القول هل توازن القوى دفاعي أم توازن قوى هجومي حيث تلعب صبغته الدفاعية أو الهجومية في مفهوم وأهمية السلام وللاحرب في مناطق العالم المختلفة وهذا ما أرجو أن يكون موضوع حديث قادم بحول الله وقوته.

الدور السياسي للكنيسة الكاثوليكية

لم يكن غريباً أبداً أن يتم الاعتداء على بعض أفراد المهاجرين العرب والمسلمين الذين يقطنون أرض المهجر وأرض الحلم ، أرض العالم الأمريكي غداة الإنفجار العنيف الذي هز وجدان المواطن الأمريكي بكل تصنيفاته والذي دفع العاطفة طوراً ، والحماس والعنصرية طوراً آخر إلى إلقاء التهمة صوب العالم المشرقي وبالخصوص العالم العربي والاسلامي ؛ فهذه التصرفات الغريبة لم ولن تكن الأولى كما أنها لم ولن تكن الأخيرة . فالعالم الغربي ينظر إلى العالم العربي نظرة واحدة لا يفرق فيها بين عشرين دولة عربية ولا حتى فارقاً واضحاً كونك إيراني أو باكستاني أو عربي، فإن جميع العرب والمسلمين يشكلون ذلك الطرف التاريخي الآخر . والتهجم على العرب والمسلمين لم يكن جديداً ، فلقد حدث تهجم أقوى إبان الثورة الايرانية عندما لزم الطلبة العرب والايرانيون الذين يدرسون في الولايات المتحدة الأمريكية منازلهم حتى تضع الثورة الإيرانية أوزارها وتنقضي معضلة الرهائن الأمريكيين المحتجزين في سفارتهم بطهران العاصمة الإيرانية . وكان الاعتداء الثاني علي العرب والمسلمين كذلك إبان حرب الخليج وتحرير الكويت حيث عانى السعودي جنباً إلى جنب مع الكويتي والعراقي العداء القوي الذي كانت بعض العناصر اليمينية المتطرفة في الولايات المتحدة الأمريكية تطلقه تجاه الجالية العربية المسلمة دون تفريق بين من كان لجانبهم أو ضدهم في حرب الخليج . والحقيقة أن هذه النظرة الكلية لا ينفرد بها العالم الغربي تجاه العالم العربي الاسلامي بل إن العرب يعيشون هذه النظرة تجاه العالم الغربي والذي ينظر إليه على أنه كل متكامل وغير قابل للتقسيم أو التصنيف . والحقيقة أنه غير ذلك تماماً . وهذه النظرة من جهة العرب المسلمين تجاه الغرب تنصب وتنطبق على نظرتهم كذلك إلا أن العالم الغربي هو عالم مسيحي ورغم التقسيمات الدينية الهائلة والعديدة التي تعيشها المجتمعات الغربية إلا أن نظرة العرب والمسلمين إلى البعد المسيحي الكاثوليكي هي أكثر الأبعاد إنتشاراً وأهمية وربما يرجع ذلك إلى نشاط الكنيسة الكاثوليكية القوي ليس على أطراف العالم العربي والاسلامي مثل افريقيا وشرق آسيا بل لدخول نشاط هذه الكنيسة إلى داخل العالم العربي ذاته . إلا أن الشيء المعتقد والغير واضح في الرؤيا العربية الاسلامية تجاه الكنيسة الكاثوليكية هو دورها السياسي الدولي المهم ودورها داخل العالم الغربي الأكثر أهمية ، بينما تم التركيز من وجهة النظر العربية والاسلامية على نشاط الكنيسة الديني والدعوي فقط دون الالتفات إلى دورها السياسي المتعاظم . لذلك فإن الحوار الاسلامي ـــ المسيحي الذي يدور على الساحة الآن هو حوار يختلف فيه الطرفان على

المنطلقات والمبادىء . فبينما ينظر العالم العربي والاسلامي إلى مثل هذا الحوار على أنه فرصة سانحة لفضح التهافت العقائدي الذي تشكله وتتبناه الكنيسة الكاثوليكية وهو في نفس الوقت يعطي دعماً معنوياً قوياً للعالم العربي والاسلامي من جهة ويفسح المجال لطرح الفكر الاسلامي على العالم الغربي بشكل أكثر عقلانية وهدوءاً . أقول فبينما ينظر لهذا الحوار المسيحي — الاسلامي على أنه فرصة للمقارعة والمقارنة العقائدية والتي يتميز بها الاسلام عن الديانة المسيخية بالتماسك والوضوح نجد أن رجال الكنيسة الكاثوليكية بدخول هذا الحوار وفي تصورهم البعد السياسي أكثر منه البعد الديني المباشر حيث ترمي الكنيسة الكاثوليكية إلى محاولة الحصول على تنازلات سياسية مهمة بين حكومات العالم العربي وخصوصاً من الدول ذات الأقليات المسيحية بتمثيل مصالحهم من جانب ومن جانب آخر يفتح المجال للكنيسة الكاثوليكية الدخول للمجاميع الفكرية العربية الاسلامية ومحاولة تسجيل بعض النجاحات الفلسفية السياسية ذات البعد الديني مثل محاولة فتح أبواب الحوار حول الحرية الدينية داخل العالم العربي وحرية إنشاء المنظمات والجمعيات الخيرية ذات الطابع الانساني التي يمكن أن لا يكون لها مردود ديني واضح إلا أن مردودها السياسي أكثر وضوحاً وأهمية حيث تعلمت الكنيسة الكاثوليكية أهمية مثل هذه المنظمات ودورها الاجتماعي والسياسي في العالم العربي إبان الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية .

والجانب الآخر المغفل والمجهول لدى الجانب العربي المسلم هو دور الكنيسة الكاثوليكية المتعاظم داخل النسق السياسي الغربي وداخل الدول منفردة بشكل أكثر وضوحاً حيث تحالفت الكنيسة الكاثوليكية تاريخياً مع أكثر الأنظمة الأكثر دكتاتورية وعنصرية ضد الآخر مهما يكن ذلك الآخر حتى وإن كان غربياً ليبرالياً ، حيث تحالفت الكنيسة وكان لها الدور الأقوي في دعم النظام النازي الألماني وكان العالم يعرف أن الكنيسة الكاثوليكية لها دور فعال في إشعال حماس الشعب الألماني لضم الدول المجاورة تحت جناح الرايخ الألماني كما أنها لعبت دوراً بارزاً في عزل الأقليات الغير مسيحية داخل المجتمعات الغربية ذاتها والذي ترجم إلى حركة دموية قادتها قوات الأمن الخاصة النازية ضد غير الألمان ، كما أنها تلعب دوراً مهماً اليوم في تبني الجناح اليميني الفرنسي المتطرف ونظرته للهجرة العربية والاسلامية وخاصة الهجرة المغاربية التي تعيش في فرنسا، كما أن السجل السياسي الكاثوليكي كان حافلاً بالتحالف مع اليمين المتطرف الغربي حيث شهدت الحرب الباردة وخصوصاً منذ منتصف السبعينات من هذا القرن قمة هذا التحالف حيث يصل إلى قمة السلطة الكاثوليكية البابا يوحنا بولس الثاني البولندي الأصل السياسي المحنك صاحب المعرفة العميقة والقوية بالنظرية الماركسية والتركيبة السياسية للمنظومة الاشتراكية تزامن هذا الوصول مع وصول أكثر الحكومات الغربية محافظة منذ الحرب العالمية الثانية وخاصة وصول الرئيس رونالد ريغان في الولايات المتحدة الأمريكية والسيدة

تاتشر في بريطانيا وهلمت كول للمستشارية الألمانية ليشكل هذا الثلاثي القوة الضاغطة على الاتحاد السوفيتي وحلقاته حيث بدأت الضغوط الاقتصادية وسباق التسلح والحصار الاقتصادي يشكل أحد المعاول التي بدأت تهدم المنظومة الاشتراكية ومن طرق آخرى أخذ البابا يوحنا بولس الثاني على عاتقه إشعال الحرب الثقافية الدينية على هذه المنظومة وبدأ يقضي جل وقته موجهاً رسائله وزياراته إلى تلك الدول والتي من أهمها زيارته إلى مسقط رأسه بولندا والتي منها بدأ التخلخل الذي قاد الإنهيار الذي أصاب التحالف الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي حيث أدت زيارته ورسائله إلى بولندا بشحذ الهمم وحث البعد المسيحي للتحرك ترجم ذلك إلى مظاهرات للعمال في حقل لبناء السفن في بولندا هذه المظاهرات التي ظاهرها الاقتصاد وباطنها الثقافة ، والثقافة الايديولوجية ، هذه المظاهرات التي بدأت تتعاظم داخل المنظومة الاشتراكية مشكلة مفاصل تمزق هذه المنظومة إنتهت إلى إنهيار الاتحاد السوفيتي ذاته توجّ بزيارة البابا شخصياً إلى موسكو معقل النظرية العلمية الاشتراكية التي قادها لينين ورفاقه . وإذا كان دور الكنيسة الكاثوليكية دوراً واضحاً في حصار المنظومة الاشتراكية ثم الإتيان عليه واضحاً فإن دور الكنيسة الكاثوليكية هو أكثر وضوحاً في أمريكا اللاتينية حيث أرتبط أسم الكنيسة الكاثوليكية بأكثر الأنظمة السياسية دكتاتورية ووحشية في تشيلي حيث باركت الكنيسة الكاثوليكية الممارسات الوحشية للحكومة العسكرية التشيلية خلال فترة السبعينات واختفاء آلاف الأشخاص الذين عرفوا بمناوئتهم للحكومة التشيلية من منطلق ليبرالي أو يساري ولم يفضح دور الكنيسة في هذه المذابح ضد المواطنين التشيليين إلا في الآونة الأخيرة عندما سجلت الكنيسة علناً إعتذارها عن الممارسات البشعة والدموية التي قامت بها هناك . ودور الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينية لا يقتصر علي تشيلي بل إنها إرتبطت بأكثر المنظمات اليمينية تطرفاً حتى وإن كان التمويل لهذه المنظمات يأتي من تجارة المخدرات حيث إرتبطت الكنيسة الكاثوليكية بالحرب الأهلية التي اجتاحت السلفادور ونيكاراغوا ووصول اليمين المتطرف إلى الحكم في الأرجنتين قبل عقد من الزمن .

ونحن اليوم نشاهد دور الكنيسة الكاثوليكية في إشعال المأزق السياسي الذي تعيشه دولة اسلامية مثل أندونيسيا حيث يشكل إقليم تيمور الشرقية الغني بالنفط أحد أدوات الابتزاز ضد أندونيسيا يمكن أن يستغل استغلالاً سياسياً وجر دولة اسلامية مثل أندونيسيا آخذة بالنهوض الاقتصادي إلى حرب تجهض التنمية الأندونيسية وتحول إقتصادها إلي إقتصاد للتعبئة العسكرية لدعم المجهود الحربي .

إن مثل هذا التاريخ السياسي للكنيسة الكاثوليكية يجب أن لا يكون غائباً عن العالم الاسلامي وخصوصاً على دعاة الحوار الاسلامي ــ المسيحي بل يجب أن يكون حاضراً تمام الحضور مثلما هو حاضر في أذهان الليبراليين الغربيين وإن كاتب هذه السطور يؤكد ويقر على أهمية

الحوار إلا أنه يجب أن يكون حواراً واعياً متفهماً للأبعاد السياسية والتاريخية لمثل هذه الحوارات وإلا إرتبط العالم الاسلامي في أذهان العالم الغربي ليس فقط بأنه مصدراً للإرهاب وأنه دين العنف — كما تروج له الدعايات والاعلام الغربي ، بل يمكن أن يربتط بشيء هو أكبر وأخطر من ذلك في ذهن المثقف والمتلقي الغربي هو أن ينظر للإسلام على أنه حليف للكاثوليكية الدولية وبالتالي حليف للعنف والعنصرية التي تشكله وشكلته الكنيسة الكاثوليكية في أذهان الأوساط المثقفة الغربية كما دلت قراءة السلوك السياسي للكنيسة الكاثوليكية في التاريخ الغربي .

وعلى الرغم من بعض تقارب وجهات النظر بين المسلمين والكنيسة الكاثوليكية وخصوصاً في عدائهم للعالم الشيوعي السابق أو تحالفهم لإفشال مؤتمر السكان في القاهرة إلا أن مثل هذا التحالف يمكن أن يكون العالم الاسلامي هو الخاسر الحقيقي فيه حيث يرتبط مثل هذا التحالف على أنه إستبعاد للمسيحيين الاخرين من جانب ويشكل عداءاً للبعد الثقافي الحضاري الغربي الذي يرى جزءاً منه أن الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها لا تمثله بل تتناقض مع توجهه الفكرية والعقائدية . وأن على الجانب الاسلامي طرح تفكيره ووجهة نظهره بشكل مستقل ومتسق مع المبادىء والحضارة الاسلامية حتى يتسنى فهم الاسلام والمسلمين بشكل مستقل وبعيد عن التأثيرات الكاثوليكية .

الذاكرة الاجتماعية الغربية

أتسمت العلاقة الغربية العربية على وجه العموم بعلاقات كان البعد الديني أحد محدداتها حيث رسم هذه المحدد العلاقة بين الطرفين في دخول القوى الإسلامية الأطراف الأوروبية في البدايات الأولى ثم بعد ذلك كان قلب أوروبا في منتصف الدولة العثمانية وكانت أحد المحددات التى رسمت الذهن الجماعي الأوروبي الغربي نحو الشرق وخصوصاً نحو الشرق المسلم العربي حيث أرتسمت بالتحدي والهيمنة مدعومة هذه الفكرة وهذا التوجه الاجتماعي بإطار فكري أرتسم حول كتابات المستشرقين الذين صورو الشرق العربي للذهن الجماعي والفكري الغربي بحيث أصبحت الدراسات الاستشراقية هي المحدد لمعالم الصورة العربية في الذهنية الغربية، هذا على المستوى الذهني الفكري. أما على المستوى الذهني السياسي فكان البعد الاستراتيجي الذي أتبعت أوروبا تحقيقة بعد مرحلة النهضة الأوروبية ثم بعد ذلك حركة الكشوفات الجغرافية ثم حركة الكشوفات التكنولوجية كلها جعلت الشرق العربي أحد الممرات والمرتكزات في هذا المشروع وكذلك حدد معالم العلاقة بين الطرفين بشكل دعم البعد الذهني الفلسفي الأستشراقي بشكل سياسي سوف يعمل على أستعمار البلاد العربية ثم بعد ذلك التدخل في شؤونها السياسية والتأثير على مستقبل العالم العربي السياسي والاجتماعي خصوصاً مع التطورات العلمية والأعلامية الحديثة اليوم.

إذا كان المخزون الثقافي الغربي كان مشوه في نظرته للعالم العربي مدفوع هذه التشويه في النظرة العدائية القديمة ثم مرحلة الاستعمار ثم مرحلة التأثير السياسي الحديث والمعاصر، ناهيك عن المسألة الفلسطينية التى خلقت وعبأة سوء الفهم بشكل أيدلوجي واضح. وأن الملفت للنظر أن النظرة المرتابة يحملها العالم العربي تجاه العالم الغربي ولكن هنا مبررات العقل الجماعي العربي تكاد تكون في منتهى الواقعية على الرغم من أتهام العقل الجماعي العربي باللاواقعية حيث أن العرب مراراً وتكراراً يشاهدون الطبخ والخبث الغربي تجاههم في تاريخة الحديث وقد يكون جزء من هذا الذهنية الجماعية هو الاحباط والعجز الذي يعانيه العقل العربي وبالتالي وجد من المبرر الغربي أحد عوامل دفع وسحب المبرر على العامل الغربي بدل من النظرة الأكثر نقداً للذات ويمكننا الفصل اليوم ونحن على مشارف القرن العشرين مع شيء من التحفظ أن العقل السياسي الغربي أخذ في التغيير والتبدل إلى حد ما عكس العقل الاجتماعي أو الشعبي العربي الذي يبدو أنه أسير الاساطير والتاريخ الى حد كبير. ويمكن القول إن هذا الانقسام بين العقل السياسي والعقل الاجتماعي الغربي يمكن أن ينصب على العقل السياسي والاجتماعي

الغربي حول نظرتهم للعالم الغربي حيث ينظر المجتمع العربي بالريبة والشك للعالم الغربي بينما ينظر العقل السياسي العربي الى أهمية التقارب مع الغرب بشكل ملفت للنظر إلا أن ما يهمنا هنا وهو الذي كتب هذا المقال من أجله هو كيف أن العقل الجماعي الغربي أحتفظ بكل هذا الكمية الهائلة من العداء للشرق وخصوصاً الشرق العربي المسلم. ولم يكن يمكن اعطاء هذا الحكم لولا أن المشاهد يهزه منظر وتفكير المجتمع العربي ونظرتهم تجاه الغرب وخصوصاً مع الكره الهائل والعنصري مثلاً الذي يعيشه جزء كبير من المجتمع الفرنسي والذي يعد نموذج فقط وليس أستثناء تجاه كل ما هو عربي مسلم. وكيف أن بلد ترعرعت الحرية فيه وكان مفهوم الحرية أحد أركان ثورته ويعد أحد صناع الحرية حتى فى التاريخ الأوروبي كيف يكمن أن يقف كل هذا التاريخ اللبرالي تجاه وضد أختلاف بالرأي والنظرة للحياة والموت مع المسلمين الذين يعيشون في فرنسا اليوم. وهؤلاء المسلمون الذين يعيشون في فرنسا اليوم لم يأتو من عالم مجهول بل جاءو ومن الشمال الأفريقي، المنطقة التى استعمرتها فرنسا لفترات تتروح بين الخمسون والمائة والثلاثون سنة كما هو حالة الجزائر ثم أن هذه المنطقة تعدها فرنسا أحد امتداداتها الحيوية والطبيعية كما كانت تروج الآلة السياسية والعسكرية والفكرية الفرنسية لذلك. لذلك لم يكن مفهوم أو مستوعب أن يكون كل هذا العداء والكره للمسلمين في فرنسا من قبل المجتمع الفرنسي خصوصاً وأن جزء من هذا المسلمين المتواجدين في فرنسا هن أبناء وأحفاد من حارب مع الفرنسيين ضد بلادهم أو حتى في أدغال غابات آسيا وأفريقيا. ومع كل ذلك فإن البعد الايديولوجي والكره الذي يمكن أن يطلق عليه العنصرية الدينية أو العنصرية الثقافية هي التى قادت وتقود المجتمع الفرنسي لمثل هذا العداء ضد الطرف الآخر من الحضارة داخل فرنسا.

إن الإنسان والمراقب لا يستطيع تحليل هذه المشاعر العنصرية التى تعيشها فرنسا ضد مسلمي الشمال الافريقي اليوم ويتسائل هل هذا العداء مركزه القوة والهيمنة والشعور بالتفوق أم أن هذا الشعور الجماعي الفرنسي إن صح التعبير مصدره الخوف الحقيقي من الآتي والشعور بمركب ضعف مما هم معتقدين به لذلك فبدل من تفهم الآخر اللجوء إلى عداء الآخر من أجل بناء حواجز نفسيه داخل الذات الجماعية حتى يمنع فهم والتفاهم مع الآخر وهذا يمكن أن يطلق عليه محاولة أخفاء الحقيقة عن طريق رفضها ومن أجل التأكيد على هذا الرفض محاولة بناء صروح عدائية تكون بمثابة مراكز دفاعية عن عدم الدخول في التفكير في الآخر.

وإذا كان مبرر النظرة العربية تجاه الغرب دعمها وبناها التاريخ الهيمني السياسي والثقافي الغربي تجاه العرب فإن المبرر يكون معقول ومنطقي إلى حد ما يجلبه الخوف والضعف من طغيان القوي. وأن الشيء الغير مفهوم والغير مستوعب هو أن القوي والمهيمن اليوم هو الذي في حالة هلع وخوف من الطرف الضعيف ولذلك فإن العقل الفرنسي اليوم على سبيل المثال

وجد في غطاء الرأس لفتاتين مغربيتين مولودتان في فرنسا وتشربتا الحضارة الغربية ولم تعرفا العالم الشرقي أو العربي سوى عن طريق جسر الإسلام أقول وجدت فرنسا أن هاتين الفتاتين هي الخطر الحقيقي على فرنسا وعلى لسان أحد مدير المدارس الفرنسية ومدرسوها أن هاتين الفتاتين هما الخطر الحقيقي على العملية التعليمية الفرنسية برمتها ومن المضحك والملفت للنظر أن الطلبه والطالبات الذين تحتك بهم هاتين الفتاتين لا يشاطرون المسؤولين في المدرسة الرأي بل يرون فتاتين ضعيفتين غير مؤثرتين ومن هنا يحق لنا التسائل هو ماذا عن العقل الجماعي الغربي تجاه العرب وما هو الفرق بين العقل الجماعي الاجتماعي والعقل السياسي الغربي وأيهم أكثر تقدماً على الآخر في نظرته تجاه العالم العربي.

الروس والتكتيك العسكري

الدارس للمفاهيم العسكرية الروسية يكتشف أنها قامت منذ انشاء الاتحاد السوفيتي على المفهوم الدفاعي خارج خارطة روسيا ودول آسيا الوسطى والتى كانت تعد أحد اجزاء الامبراطورية السوفيتية السابقة. وحيث كانت الاستراتيجية العسكرية السوفيتية تقوم على مفهوم الدفاع في جميع تشكيلات فيالقها العسكرية وطبيعة تركيب وتوزيع القوة العسكرية فيها كانت تقوم على هذا المبدأ ولم يتغير ويتوسع هذا المفهوم الدفاعي القوي إلا عندما دخل هتلر بقواته الالمانية جدار الحواجز العسكرية الروسية حيث تحول المفهوم الدفاعي الى منطق هجومي بشكل قوي دفع القوات الروسية المتقدمة الى دخول برلين ومع نهاية الحرب العالمية الثانية وبداية الحرب الباردة ترجع روسيا الى مذهبها وتكتياتها الدفاعية ولكن بقوة نووية وسباق تسلح هائل مع الغرب والولايات المتحدة الامريكية بشكل خاص والذي سوف يصب الروس قواهم على المنطلق الدفاعي النووي حتي يبدأ مفهوم الحرب الباردة بالتأثير الهائل على أقتصاديات هاتين الدولتين ليقوم السيد ماكنمارا وزير الدفاع الامريكي في مرحلة رئاسة السيد جون كندي بأيصال أهمية مفهوم المنهج الهجومي في بناء القوة العسكرية بشكل يقلل من تكاليف سباق التسلح ويعزز الامن لكل الطرفين ومنذ ذلك الوقت والمنظرين العسكريين الروس يقرون ويعترفون أن السيد ماكنمارا قد أسدى لهم درساً مهماً في مفهوم الخطط والتكتيكات العسكرية وبالفعل فإن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة كلاهما بنى قدرته العسكرية النووية على مفهوم القوة الصاروخية الهجومية وتوازن الرعب النووي ما يعني تخفيف تكاليف التسلح وحفظ الامن والسلم لان الحرب أمر لا يمكن التفكير فيه لهول النتائج المحتملة فيها مما دفع الصراع إلى توسعة في الاسلحة التقليدية والابعاد الاقتصادية والسياسية. حيث سوف يستمر هذا التوجه حتى حرب فيتنام التى أيقضت التكتيكات العسكرية الامريكية الى أهمية القوة التقليدية أذا ما أرادت الدخول في حروب أقليمية وإذا ما أرادت أن يكون لها حضور أقليمي عسكري في مناطق مختلفة من العالم وإذا كان المفكر العسكري والاستراتيجي الامريكي قد فهم الدرس منذ الستينات من هذا القرن بفضل حرب فيتنام فإن الروس جاء فهمهم لهذا الدرس في وقت متأخر جداً أي عند أندلاع حرب أفغانستان والتى كانت الذهنية العسكرية الروسية تقوم على مفهوم القوة الضاربة التى تصطدم بالقوة العسكرية القوية إلا أن حرب أفغانستان لم تكن من هذا النوع بل كانت حرب عصابات وأستنزاف وحرب طويلة الأمد مما دفع القوات الروسية الى الانسحاب والفشل في مهمتها في أفغانستان، إلا أن انسحاب القوات الروسية من أفغانستان تزامن مع أزمة القيادة والزعامة في

موسكو وأزمة أقتصادية هائلة سوف تأتي على الاتحاد السوفيتي بكاملة وميلاد الجمهوريات السوفيتية في آسيا الوسطى واستقلال روسيا الدولة الأم مع أزمات سياسية واقتصادية قوية متوالية حتى يومنا هذا مع وجود حركات تمرد في الشيشان مما دفع روسيا عام ١٩٩٧م الى خوض الحرب الشيشانية الأولى والتى أنتهت بالفشل وذلك راجع الى طبيعة التكتيكات العسكرية الروسية التى قامت على البعد الباحث عن قوة ضاربة لملاقاتها ومصادمتها وأن الازمات السياسية والاقتصادية التى عصفت بالروس لم تتح الفرصة لهم لإعادة التفكير بالمنطلقات التكتيكية العسكرية المتداولة في الاكاديميات العسكرية الروسية بل أن اعتماد روسيا يقوم على قوة نووية هجومية موجه ضد الغرب وأمريكا وقوة عسكرية تقليدية متقدمة بشكل قوي واضح وهو الأمر الذي دفع الى الفشل العسكري في أفغانستان وحرب الشيشان الأولى.

ولكن المراقب اليوم للاجتياح الروسي للمناطق الشيشانية لا يستطيع إلا أن يراقب وبالاخص التغير الواضح بالمنهجيه والعقيدة العسكرية السوفيتية من حيث أنها أخذت منحنى البعد الهجومي المنظم والبعد التطهيري أي التقدم العسكري البطيء والمنظم واعتماد المنهج السياسي والنفسي في هذا التقدم العسكري وهو تغير مهم في الذهنية العسكرية الروسية. إلا أن الملاحظ كذلك وهو مهم هو أن الاسلحة الروسية المستخدمة في حرب الشيشان الثانية اليوم هي ذات الاسلحة التي استخدمت في حرب افغانستان وهي ذت الاسلحة التى حصلت عليها بعض الدول الصديقة للاتحاد السوفيتي السابق وروسيا اليوم أي أن هناك تأخر واضح وفاضح في تطوير الالة والقوة العسكرية الروسية بشكل يلفت النظر وأن الازمات السياسية ومنها ازمة الرئاسة والتحول الديمقراطي والأزمات الاقتصادية والفساد الاداري كانت عوائق حقيقية حالت دون تطوير حقيقي للقوة السوفيتية التقليدية وغير النووية. بمعنى آخر أن القوة العسكرية الروسية اليوم تعتمد اعتماد كلي على قوة نووية هجومية ضاربة مع آلة عسكرية تقليدية قديمة متآكلة وهذا يعني أن روسيا سوف تعاني من مفهوم الحضور السياسي الاقليمي مع احتفاظها بإهميتها الدولية طالما هي ذات امكانيات عسكرية نووية هجومية.

من هذا المنطلق فإن الروس سوف يعانون من هذا الخلل العسكري الحقيقي حتى يتم تغيير العقيدة العسكرية الروسية الدفاعية الى عقيدة عسكرية هجومية تعتمد على قوات وآلات عسكرية قادرة على تغيير هذه العقيدة العسكرية وليس فقط اعتماد على البعد الهجومي لاسلحة مصممة اصلاً لاغراض دفاعية صرفة كما يحدث اليوم في حرب الشيشان.

السياسة الخارجية البريطانية وقوس التبعية

نحن هنا فى العالم العربي والعالم الاسلامي نعرف جيداً الأثر الكبير الذي تركته السياسة الخارجية البريطانية عند بداية هذا القرن منذ نهاية الدولة العثمانية حتى الحرب الثانية هذه الفترة التى شهدت ولادة معظم الدول العربية بشكلها وحدودها الحديثه بعد أن شهدت هذه المناطق بفعل حركة الاستقلال من جانب وبفعل ضعف القوة العظمي في ذلك الوقت (المملكة المتحدة) حتى أنها بعد أن تلقت الضربات القاسيه والموجعة على يد المانيا النازية والتى ما كان لبريطانيا أن تكون من الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية دون دخول الدولة الجامحه والطامحة (الولايات المتحدة الامريكية) إلى عالم الحرب والذي ترجم هذا الدخول إلى تحالف استراتيجي بعيد المدى تتشابة فيه التحالفات البريطانية الامريكية فيه مع التحالف الامريكي الاسرائيلي. وكلا الدولتين إسرائيل وبريطانيا لديها من الاستثمارات المالية الهائلة في أمريكا حيث تعد بريطانيا هي الدولة الأولى عالمياً استثماراً فى الولايات المتحدة الأمريكية كما تعد القوى الانجلوسكسونية هي القوى الفاعلة والحقيقية في الحياة السياسية الامريكية حتى يومنا هذا. إلا أنه عندما يأتي الحديث عن السياسة الخارجية الأمريكية في العالم العربي فإن تأثير اليهود والامريكيين يكون أبعد وأقوى وذلك بفعل قوة تأثير القوى الاسرائيلية على المصالح الامريكية في العالم العربي. إلا أن الجامع المشترك بين إسرائيل وبريطانيا أنهما كلاهما دخلا في علاقة أستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كانت العلاقة الاستراتيجية بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية يمكن فهمها في أوروبا خصوصاً وأن بريطانيا لعبت دوراً تاريخياً هاماً فى السياسة الاوروبية تمثل في عملية أحداث توازن القوى في أوروبا بحيث أنه كلما يكون هناك تقارب روسى فرنسي فإن بريطانيا سوف تكون قريبة من المانيا وبولندا، وأن حدث تقارب فرنسي الماني فإن بريطانيا تحدث التقارب مع روسيا وبولندا وأن كان التقارب الماني روسي كانت بريطانيا أقرب إلا التقارب مع بولندا وفرنسا. وحتى هذا اليوم نشاهد التقارب الفرنسي الالماني والذي يقترب من المحور البولندي نكتشف أن بريطانيا تلعب إلى حد ما دور توازن القوى، سوى أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت أحد المعطيات الجديدة في اللبعة السياسية الأوروبية.

وإذا كانت السياسة البريطانية هي التي قادت مفهوم توازن القوى كأحد عوامل الصراع والاستقرار على مستوي النظام الدولي وخصوصاً في نظام دولي يعيش حالة تعدد القوى

والاقطاب إلا أن هذا التاريخ من هذا المفهوم تهدم على أثر تحول العالم إلى القطبية الثنائية والصراع بين القوى المتصارعة بين المعسكرين الشرقي والغربي وبعد نهاية هذه القطبية وانتهاء المعسكر الاشتراكي والفوز الواضح للمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والذي استطاعت بريطانيا استثمار جزء من هذا النصر إلا أن أكثر ما يحير المراقب للسياسة البريطانية هو التالي :

أولا : أن السياسة البريطانية تبدو في هذا الوقت وكأنها سياسة فاقدة الارادة السياسية بشكل حقيقي بحيث تعد بريطانيا اليوم أحد أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية أكثر من كونها تمثل المصالح البريطانية بشكل خاص ومحدد.

ثانياً : يطلق على البريطانيون بانهم ينتهجون منهج المحافظ على التقاليد السياسية ومن يراقب هذا المنهج فإنه يكتشف أنه يغرق بهذا المحافظة على التقاليد السياسية إلى الدرجة التى يدفع السياسة البريطانية إلى الالتزام بالسياسة الأمريكية أخطاءت هذه السياسة أم كانت على صواب بحيث أنك تجد إسرائيل لديها القدرة على تمثيل مصالحها وأستثمار المواقف الأمريكية بشكل أكثر حذقاً وذكاء من البريطانيون الذين لا يمكن فهمهم على أنهم يمثلون المصالح البريطانية بشكل خاص وانما يريدون تحقيق مصالح الساسة في واشنطن وأن كان على حساب مصالح لندن.

ثالثاً : إن المراقب للسياسة الخارجية البريطانية (إن كان هناك سياسة خارجية واضحة) تجاه أزمة المفتشين الدوليين الأخيرة في العراق يصاب بنوع من الحيره بحيث تكتشف أن بريطانيا ركبت عربة السياسة الخارجية الأمريكية دون أدني مبرر كافي لهذا الصعود والتطرف فيه حيث نجد أن السياسة الخارجية الامريكية سوف تحقق هدفها الاستراتيجي في المنطقة ومن ضمن هذه الاهداف تجريد العراق وغير العراق من قدراتهم العسكرية غير التقليدية سواء دخلت بريطانيا معها أو بدونها ومع ذلك نجد بريطانيا تدخل مع الولايات المتحدة دون سبب وجيه حقيقي سوى هذا الانسياق غير المحدود وغير المحسوب مع هذه السياسة سواء كانت على جانب الخطأ أو الصواب.

وإذا كان المبرر القانوني هو وراء الانجراف البريطاني أي حمل العراق على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فإن هذا الاندفاع لا يبرره بشكل جيد حيث أن إسرائيل من الدول التى لا تنفذ مثل هذه القرارات ولذلك فإن المبرر القانوني غير كافي لهذا الاندفاع والانسياق البريطاني مع السياسة الخارجية البريطانية.

الملفت للنظر أن السياسة الخارجية الأمريكية حيال الأزمة الأخيرة في الخليج قد وضعت العالم العربي ومنطقة الخليج في حالة من عدم الاستقرار والترقب حيث أن السياسة الخارجية الأمريكية أصبحت مصدر قلق لدول المنطقة بحيث أنها تقرر على لسان وزيرة الخارجية أن

سياسة الحصار ضد العراق مستمرة مادام النظام السياسي العراقي قائم وأنه في ذات الوقت من غير المتوقع أن يسقط النظام بفعل الحصار أو الضربات الجوية. وفي ذات الوقت أن البحث عن الاسلحة الكيماوية والجرثومية قائم منذ زمن بعيد ولم يعثر على شيء جديد وأنه ليس من المتوقع أن يرفع الحصار حتى يتم كشف جميع هذه الاسلحة وتدميرها وهذا يعني أنه ليس هناك فترة محددة يتم فيها التعامل مع الحدث أو بكلمات أخرى أن سياسة توتير المنطقة يجب أن يطول ويستمر أطول مدة ممكنة. ومع هذا المأزق الواضح الذي وضُعت به الدول في المنطقة نجد بريطانيا تقفز على هذه العربة دون تردد ولا يمكن تفسير هذه السياسة إلا تحت تفسيرات غير علمية وغير منهجية وغير سياسية في ذات الوقت ويمكن تفسير هذه السياسة بالتالي :

أولاً : أن بريطانيا يقودها الحقد والكرة للعالم العربي أكثر من أن تقودها المصالح الحقيقية لبريطانيا وإلا كيف يمكن تفسير هذه السياسية التى تفتقد أدنى المعايير السياسية الطبيعية.

ثانياً : أن بريطانيا تعد واحدة من الدول التابعة للولايات المتحدة الأمريكية وهنا تكون النتيجة يجب عدم دراسة أو النظر للسياسة البريطانية وأنما يجب الاكتفاء بالنظر للسياسة الأمريكية وهي القادرة على تفسير السياسة الخارجية البريطانية بفعل هذه التبعيه.

ثالثاً : أن ربط بريطانيا نفسها بالسياسة الخارجية الأمريكية على المستوى الدولي يمكن تفسيره بالمفهوم الحضاري الغربي إلا أنه لا يمكن تفسير مثل هذا الربط في الشرق الأوسط خصوصاً وأن بريطانيا لها مصالح قوية وتاريخية مع دول المنطقة.

رابعاً : أن بريطانيا تهدم بهذه السياسة تاريخ من العلاقات بينها وبين دول العالم العربي وتقوم سياستها في هذا الوقت بهدم وتدمير كل هذا التاريخ.

خامساً : أن السياسة الخارجية البريطانية التابعة للسياسة تتناقض مع مواقف الدول الأوروبية التي كان من المتفرض أن تكون بريطانيا رئيسة الجماعة الأوروبية وبالتالي تمثل المصالح الاوروبية نجد أن المواقف البريطانيه ضد هذه المصالح الأوروبية وتناقضها لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية.

سادساً : أن المراقب للسياسة الخارجية البريطانية يمكن أن يصل إلى نتيجة مفادها أنها إذا كانت السياسة الخارجية البريطانية لديها شيء من الاستقلال تحت ادارة المحافظين فإن اللبراليين البريطانيين أثبتو بشكل لا يرمي اليه الشك أنهم لا يعدون سوى تابعين للسياسة الخارجية الأمريكية أخطأت أم أصابت.

السياسة الخارجية الفرنسية

عندما وقفت فرنسا فى وجه العالم ضاربة بالرأي العالمي عرض الحائط أثناء تفجيراتها النووية التجريبيه على مقربه من القارة الأسترالية والمزارع والمروج الخضراء النيوزيلاندية ، كان ذلك ليس جديد على الذهنيه الفرنسيه حيث عُرفت بأنها أقل حياءً وأكثر عنصريه في مسائل الرأي العام والوضع الدولي، عرفناه وشهدناه في تاريخها الاستعماري وخصوصاً مسألة التهجير وفرنسه الجزائر في مرحلة تاريخه سابقة الجديد في هذا التوجه الفرنسي هو تجديد العهد بشكل اكثر حداثه وذهنية على مشارف القرن القادم مع الاستراتيجية الديغولية التى نقلت فرنسا الدولة الاستعماريه من منزلق التخلف إلى دولة استطاعت الاحتفاظ لنفسها بمرتبة من الدرجة الثانيه في مصاف الدول فى العالم بعد الدول الاكثر قوة وجبروت. ماذا عمل ديغول؟ قام ديغول بلملمت الشتات السياسي والاقتصادي الفرنسي ووضعه في توجه استراتيجي واحد وهو الانسحاب من المستعمرات الفرنسيه القديمه والمشاغبه (المكلفه) على فرنسا والبدء بأعادة أولويات الجمهورية الفرنسيه الجديده وذلك بخلق قوة فرنسيه تقوم على قدراتها الذانيه النوويه بعيداً عن الهيمنه الغربيه والشرقيه وبالتالي الاحتفاظ بالاستقلال للقرار الفرنسي في سياستها الداخليه والخارجية، ومن أجل التأكيد على هذا الاستقلال بهذا القرار سحبت فرنسا نفسها من التشكيل العسكري لحلف الناتو وبنت ترسانه عسكريه نووية خاصه بها يعززها صناعات عسكريه تقليديه سوف تكون أهم مصادر مداخيل الخزانه الفرنسيه.

أستمرت الاستراتيجية الديغولية تقود فرنسا بشكل عام حتي بعد ذهاب ديغول ومجيء أخلافه حيث لم يشهد السياسة الخارجية الفرنسيه أجتهادات جديدة محدوده ولا حتى عند مجيء الادارة الاشتراكيه تحت زعامه الرئيس ميتران عندما أبقي على الخطوط العريضة للاستراتيجية الديغولية وبداء أدخال توجهات جديدة تعمل تحت مظلت الاستراتيجية الديغولية. وعلى الرغم من أشتراكيه الرجل ويساريته إلا أن أكثر سياساته كانت تتميز بالنفس اليمني المعتدل بل أن أربعه عشر عاماً التى أمضاها في قصر الاليزية كانت تحولاً وأنقلاباً على عقود من اليسار والتفكير اليساري. إذاً ما هي الاضافات التى ذهب خيال ميتران يفتخر بها بعد موته لدى الشعب الفرنسي؟ لعل من ابرزها هي استمراريه مد الجسور الثقافية مع أفريقيا والمستعمرات الفرنسيه السابقه وخصوصاً علي الصعيد الثقافي والسياسي محاولاً خلق تجمع بقيادة فرنسا يضاهي تجمع الكومنولث البريطاني أو حتى زعامة الولايات المتحدة للعالم الغربي وزعامه الاتحاد السوفيتي السابق للعالم الشرقي. وعمل ميتران كذلك على جبهة أخري في تعزيز

وزيادة المبيعات الفرنسيه من السلاح إلى جميع المناطق الساخنه في العالم حتى أصبحت هذه المبيعات تشكل ما يقارب ٣١٪ من المداخيل الفرنسيه، وعمل ميتران أيضاً على خلق توازن سياسي في أوربا بدخوله كشريك مع المانيا في خلق تصور لأوربا المستقبل. أوربا المستقبل التي تحيّد التمرد الألماني القادم من جانب وتحّيد القوه البريطانية المدعومه من قبل الحليف التاريخي والقريب القابع خلف المحيط ، الولايات المتحدة الأمريكيه. كل هذه السياسات لم تكن في ذهنية اليسار عندما دخل قصر الاليزية ولكنها دخلت وعاشت مع فرنسا مع الزعيم اليساري ميتران.

وإذا كانت هذه أهم الخطوط العريضة للسياسة الخارجية الفرنسية إذاً ماذا عمل لنا الرئيس الفرنسي الجديد جاك شيراك وعندما فاجأ العالم باعادة تحديث الترسانه النوويه الفرنسيه بل والوقوف بكل قوه أمام بعض الدول التي رفعت معارضتاً حقيقيه لمثل هذه التجارب ونحن هنا لا نتحدث عن المعارضه الغير حقيقيه التى قادتها الولايات المتحدة الأمريكيه. ماهي الاهداف التى يريد الرئيس الفرنسي أن يحققها لفرنسا خلال فترة رئاسته وللاستراتيجية الفرنسيه ماهي الخطوط العريضه للسياسة الخارجية الفرنسيه حتى عام ٢٠٠٠م وما بعده؟ يتضح من اجراء التجارب النووية الفرنسيه أن فرنسا عازمه على تحقيق الاهداف التاليه :

أولا : تحاول فرنسا من خلال تجاربها النوويه أعادة التأكيد على الاستراتيجية الديغولية من أستقلالية القوة النووية الفرنسيه وبالتالي أستقلالية القرار السياسي الفرنسي في الأزمات الدوليه المقبله. وعندما يقال أستقلالية القرار السياسي الفرنسي فإن مهمه ومفهوم الاستقلالية مسألة نسبيه تتوقف على المكان والزمان في عالم يشهد المزيد من التشابك والتعقيد. وفرنسا من جانب آخر طورت قدرات تكنولوجية جديدة مستوحاة من التجربة الأمريكيه التي تسمح لها بإقامة التجارب النووية علي جهاز الكمبيوتر بعيداً عن التفجيرات الأرضية المدويه علي المستوى الجغرافي والسياسي. بمعني آخر أن التجارب النووية الفرنسيه مثلها مثل التجارب النووية الأمريكيه لم تتوقف ولكنها توقفت على مستوى التجريب الجغرافي الحي الحقيقي إلا أن التجارب والبحوث مستمرة وهذا ما تحاول الصين والهند الوصول اليه وذلك من أجل تطوير ترسانتها النووية بعيداً عن الجعجعه السياسية التى تثيرها وسائل الاعلام الغربيه التي تعيش على المفاهيم الصراعيه. إذا أن الاستراتيجية النووية الفرنسيه في مجملها لم تتغير منذ ديغول ولكنها أصبحت أكثر حداثه وأعقد تكنولوجية.

ثانياً : تعمل أدارة الرئيس الفرنسي شيراك على أستمرارية الجسور مع العالم الثالث وخصوصاً مع المستعمرات الفرنسيه وذلك بتسويه الجسور الثقافية من جانب واحد بمعني آخر أن فرنسا سوف تعمل على تعزيز التأثير الفرنسي على المستعمرات القديمه أي المنظومه الفرنكفونية وذلك بتصدير الثقافة الفرنسيه من جانب واحد أي تصديرها من فرنسا الى هذا العالم وليس العكس، بمعنى آخر أيقاف التأثيرات الخارجية من هذه الدول علي فرنسا ويمكن أن

يكون ذلك بتقليل التوجه السياسي الفرنسي تجاه تلك الدول وتعزيز التوجه الثقافي أكثر من الالتزامات السياسية. حيث وصلت فرنسا كما وصل غيرها أن الالتزامات السياسية تعني مصاريف باهظه على الصعيد المالي والسياسي الدولي من جانب كما أن هذا السياسي سوف يفتح المجال إلى خلق تأثير اجتماعي وسياسي خارجي على فرنسا ذاتها وهذا ما نشاهده في فرنسا عند التزامها لنظام سياسي بالأمن والدعم السياسي فعند انهيار هذا النظام المدعوم فإن فرنسا مضطرة لفتح حدودها إلى الافراد الذين كانوا يمثلون المصالح الفرنسيه في بلادهم ولا أدل على ذلك من بقايا الاجيال الجزائرية التى تعاونت مع فرنسا في فترة الاستعمار وحرب التحرير وهذا الكلام يصدق على الكثير من الجاليات الافريقيه التي تقطن الاراضي الفرنسيه. إذاً السياسية الخارجية الفرنسيه الجديدة سوف تعتمد التأثير الثقافي اكثر من البعد السياسي حيث في السابق كانت فرنسا توظف السياسي من أجل التأثير الثقافي أي توظيف هيمنتها السياسية من أجل بث ونشر الحضارة واللغه الفرنسية فإن التوجه الجديد هو توظيف الثقافي والثقافة الفرنسيه من أجل خدمه التوجه والمصالح السياسيه الفرنسية في هده البقع من العالم. وهذا التجربه الفرنسيه الجديدة على كل حال هي ليست من أفكارها بل أستفادة من التجربة الأمريكية في هذا المجال. وهذا التوجه الفرنسي هو الاستفادة من الاستراتيجية الديغولية ولكن بشكل معكوس أو مقلوب حيث كان الاعتماد على السياسي من أجل خدمه الثقافة فإن التوجه الجديد هو الاعتماد علي الثقافة من أجل خدمه السياسه. وهذا لا يعني أن هذا التوجه سوف يكون مكلل بالنجاح بل أن الكثير من الصعوبات سوف تكون في طريقها خصوصاً مع المنافسه العالميه الشديدة.

ثالثا : الركن الثالث في أعمدة السياسة الخارجية الفرنسيه هو تعزيز الصادرات الفرنسيه من أجل تعزيز اقتصادها. ولكون صادراتها من المشروبات الروحيه وأدوات التجميل أخذت تُنافس بشكل أكثر مع التسابق الدولي الشديد فقد وجدت فرنسا أن أهم وأنجح الصادرات التي تعزز الميزانيه الفرنسيه هي مبيعاتها من السلاح حيث أن عامل العرض والطلب على هذه المبيعات لا يخضع للمعايير المعتاده حيث تستطيع فرنسا تصدير منتجاتها من السلاح خلال الأزمات الدوليه وفي المناطق الساخنه من العالم وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير، بل إن الفرنسيين لا يترددون ببيع مفاعل نووي إذا كان ذلك سوف يكون مصدراً للدخل حتى وأن كانوا يعرفون مسبقاً أنه لن يستمر المشروع ويعمل فى المستقبل كما حدث للعراق قبل غزوة للكويت.

إذاً فرنسا سوف تستمر في بيع منتجاتها من السلاح كأحد أهم الموارد الماليه من جهة وبيع السلاح من جهة ثانيه يعد بالنسبة لفرنسا أحد أهم مداخل السياسية لفرنسا لان تلعب دوراً يفوق أمكانياتها فى السياسة الدوليه، بل سوف تعمل فرنسا على تصّيد الأخطاء الأمريكيه من أجل مزيد من صفقات السلاح والذي يعني مزيداً من المداخيل المالية ومزيداً من التأثير السياسي

في الفترة الراهنه الموسومه بالهيمنه الأمريكيه على مسرح العلاقات الدولية.

رابعاً : العمود الرابع فى السياسة الخارجية الفرنسيه الجديدة وهو الذي يعد أنقلاباً على تاريخ السياسة الخارجية الفرنسية في السابق بل ويعد أهم التحولات في الاستراتيجية الديغولية هو التقارب الفرنسي البريطاني من جانب والفرنسي الأمريكي من جانب آخر. التقارب مع بريطانيا هو ذو هموم أوربيه بالدرجة الأولى وتشابة السياسة الخارجية للدولتين بالدرجة الثانيه. حيث أن التقارب مع بريطانيا يعني عدم الانضواء تحت المطرقه الألمانية وخلق توازن سياسي يخفف من أنطلاق القوه الالمانيه العامله على تجميع شتات أوربا تحت مقود السياسة الالمانيه ومن جانب آخر فإن التشابه بين فرنسا وبريطانيا في سياستهما النووية دفع الى هذا التقارب. أما ما يخص التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكيه فقد ثبت بشكل قاطع لدي الفرنسيين بعد أزمة الخليج الثانيه وحرب تحرير الكويت أنه ليس بمقدور فرنسا بمفردها من خلق الحدث والاستفادة منه بل رأت فرنسا نفسها أمام المرآت ضعيفة غير قادرة إلا على ركوب القطار الأمريكي مثل بريطانيا وبالتالي توصلت فرنسا الى نتيجة مفادها انه من المصلحة الفرنسيه أن تلعب الورقة الأمريكيه لفترة هيمنتها الدولية بحيث تحترم هذه الأخيرة المصالح الفرنسيه وتأخذها في الاعتبار وهذا ما فهمه الطرفان من غض الطرف عن التجارب النووية الفرنسيه سوى بعض التصريحات للاستهلاك الاعلامي من جانب وزيارة شيراك إلى الولايات المتحدة الأمريكيه والقائة خطابه الحامل الكثير من المعاني في الكونغرس الأمريكي.

لذلك كله فإن السياسة الخارجية الفرنسية سوف تعيد تشكيل بعض أولوياتها السياسية مع الابقاء على بعض استراتيجياتها الديغولية مع محاولة فرنسا أن تعلب دوراً يتناسب مع قدراتها والابقاء عليها حتى تتغير وتتحرك موازين القوى الدولية والتى تأمل فرنسا أن تكون في صالحها.

الشرق الأوسط عالم متغيّر

ميزت العلاقات والتفاعلات الدولية الحركة وعدم الأستقرار وهذا ما يجعل الكثير من الدراسات الدولية قائمة على الأحتمال والأحتمال المضاد وعلى دراسة العوامل المؤثرة والأقل تأثير وعلى الأبعاد الأجتماعية والنفسية التى تلعب دوراً بصياغة قضية أو بلورة موقف ما. وإذا كان الشرق الأوسط عرف في الحرب الباردة توازن قوى نسبي بين ودل تقف في معسكر الشرق ودول تقف في معسكر الغرب فإن هم الدول في جميع أنحاء العالم هو الاستقرار والبقاء والأستمرار ودول الشرق الأوسط لا تخرج عن هذه المعادلة سوى أن نظام توازن القوى السابق يخدم هذا الغرض ويعززه. إلا أن حرب الخليج الأولى ثم حرب الخليج الثانية ثم أنهيار القطب السوفيتي كل هذه العوامل لعبت دوراً مهماً في أنهيار نظام توازن القوى السابق وخلقت نظاماً شرق أوسطي غير محدد الملامح حيث أن المعادلة الجديدة يمكن أطلاق بعض السمات عليها وهي : —

أولاً : أن النظام الشرق أوسط الجديد هو نظام متغير وغير ثابت أو مستقر بل هو في طور تَّشكل وفي سمات طور التشكل هذا هو أن المجموعة العربية فيه والتى تعتبر عصب هذا النظام وأهم حلقاته أصبحت الأضعف والاقل أهمية من الناحية السياسية حيث أفرزت حرب الخليج الأولى والثانية ضعف العراق من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية كما خلفت أقتصاداً خلجياً يعاني من تبعات الحربين الخليجيين الأولى والثانية وهذه الحالة خلفت أنفصال وأنشغال النطقة الخليجية بهمومها الخاصة ومحاولة تخفيف تأثير آثار الحربين الخليجيين. ومن جانب آخر أن تبعات الحربين الخليجيين أضعفت القوه الأقتصادية العربية التى كانت أحد روافد القوه العربية وخصوصاً على الجبهة العربية الإسرائيلية.

حيث اكتشفت مصر أن توجهاتها العسكرية والسياسية في مرحلة الحرب الباردة لم توصلها نتائج مرضية لذلك توجهت أهتماماتها إلى البعد الأقتصادي وذهبت لتطوير علاقاتها مع دول الغرب من أجل محاولة النهوض في الجانب الاقتصادي حيث أرتبطت بقروض ومساعدات من قبل النظام الاقتصادي والسياسي الغربي.

وإذا كان تأثير تغير النظام الدولي على النظام العربي قوى وهو ذات سمة سلبية على النظام العربي فأن سوريا تعد أكثر الدول تأثر بذلك حيث فقدت الحليف الأستراتيجي القوى الممثل بالاتحادالسوفيتي وأصبحت سوريا في العراء تجابه مستقبلاً غير واضح في ظل ضعف أقتصادي عربي مقابل تنامي القوة الإسرائيلية المدعومة والمضمونة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ويمكن القول أن الدول العربية الأخرى أنشغلت بتبعيات هذا التغيير وذهبت للعمل

بمقتضي مصالحها الخاصة القصيرة الأمد سواء في شمال أفريقيا أو غيرها من مناطق العالم العربي.

ثانياً : كان من أبرز سمات التحول في النظام الشرق أوسطي بروز إيران كقوة مهمة في منطقة الخليج بعد أن نالت الهزائم المتتالية بعد الثورة الايرانية العارمة ثم حرب الخليج الإولى التى استطاعت هذه الحرب تدمير البيئة التحتية للجيش الإيراني القوي في عهد الشاه. إلا أن عام ١٩٩١م هو عام المكاسب الاستراتيجية لايران حيث أستطاعت إيران أن تكسب أهم نجاحين أستراتيجيين دون أن تدفع أي تكاليف حقيقية الأول تمثل فى حرب الخليج الثانية وأبعاد العراق عن خريطة التنافس الأقليمي في الخليج وأضعافه بحيث تجد إيران نفسها فجأةً أنها أصبحت واحدة من القوى المهمة بعد ذهاب المنافس الحقيقي العراقي. والنجاح الثاني لإيران هو أنهيار الاتحاد السوفيتي حيث ذهب واحد من أهم القوى التى أشغلت إيران على مدى عقود طويلة من الزمن وبذهاب الاتحاد السوفيتي تكون إيران قد تخلصت من الجار الشمالي القوى الذي طالما هدد أستقرارها وإيران إذا كانت حققت المكاسب على مستوى أنهيار الاتحاد السوفيتي إلا أنها في ذات الوقت أصبحت في وضع لابد من العمل والتعامل مع الفراغ السياسي في الشمال وأحتمال النزاعات الأقليمية في آسيا الوسطي الأمر الذي لايدعمه الوضع الاقتصادي الايراني الذي لايزال يعاني بعض المصاعب الحقيقيه. وإيران أيضاً كذلك تعيش حالة منافسة حقيقيه مع تركيا على كسب دول آسيا الوسطي المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق وهذا يتطلب مزيد من الجهد السياسي والتكاليف الاقتصادية قد لا يستطيع الاقتصاد الايراني القيام بها.

ثالثاً : من أبرز المتغيرت في التحولات التى شهدها الشرق الأوسط هو دخول تركيا النظام السياسي والاقليمي الشرق أوسطي بحيث نجد أن تركيا تعي الضعف العربي الواضح في التغيرات والتحولات الجديدة لتجد نفسها تستطيع زج قواتها في شمال العراق بل والعمل على إيجاد منطقة أمنية عازلة ضد الاكراد وعلى حساب الاراضي العراقية وتركيا من جانب آخر تعزز تعاونها الأمني والعسكري مع إسرائيل دون أخذ حساب للعرب الطرف الأضعف في النظام الشرق الاوسط المتغيِّر ولا تجد تركيا أي حرج بالقيام بزيارات غدات مناوراتها المشتركة مع إسرائيل، أقول لا تجد حرج في أن يقوم الرئيس التركي بزيارة العواصم العربية وذلك نتيجة للضعف العربي الواضح في هذه التغيرات السياسية العسكرية.

رابعاً : إذا كانت إيران حققت مكاسب من النظام الأقليمي الشرق أوسطي وتركيا حققت مكاسب أكبر من إيران فإن إسرائيل تعد أحد أهم الدول التى حققت المكاسب تلوى الأخرى بحيث إسرائيل تشهد اليوم عهدها الذهبي بحيث أنها القوة التقليدية والنووية الأولى في المنطقة وأمام منافسها التقليدي العالم العربي. فأن العالم العربي يعاني من مصاعب أقتصادية وسياسية واضحة ومافسة تركية إيرانية على الهيمنة على النظام الشرق أوسطي.

خامساً : وتبقي الولايات المتحدة الأمريكية هي الرابح القوى والأكبر من هذه التغيرات والتحولات بحيث أنها هي التي تستطيع أن تتحكم بإعادة توازن القوى وترتيب النظام الاقليمي العربي فهي الحامي الحقيقي لدولة إسرائيل وهي كذلك الدولة التى تتحكم في مصير ومستقبل العراق وهي الدولة التى تربط مصر في عوامل أقتصادية وسياسية والولايات المتحدة التى تدفع سوريا أما بالقبول بالشروط الاسرائيلية أو الجفاف والموت البطيء وأمريكا تمسك بمفاتيح الاستقرار السياسي في تجاه إيران وبالتالي تجاه منطقة الخليج كما أنها التى قامت بتشجيع تركيا للدخول النظام الاقليمي الشرق أوسطي من أجل إيجاد توازن يكون فيه الطرف العربي هو الطرف الأضعف ومن أجل منافسة قوة مثل إيران في المستقبل.

إذا كان الشرق الأوسط يمر بمراحل تغير وتحول فإن القرأة الأولية لهذا التغير والتحول لا تبشر بخير للعالم العربي حيث تكشف أن الدول الأكثر عدد والأكثر سكاناً والأكبر امكانيات أقتصادية . أقول أن هذه الدول الأكبر هي الدول العربية إلا أنها الأضعف في حلقة الأمن الشرق أوسطي والأضعف في توازن القوى في النظام الشرق أوسطي الجديد. ومن جانب آخر فإن إسرائيل وتركيا أصبحتا تلعبان دوراً يفوق أمكانيتهما الأقتصادية والسكانية والجغرافية وأكثر العوامل لفت للأنتباه هو أن إسرائيل التى من المفترض أن تكون الأضعف في هذه الحلقة فإنها تعتبر الدولة الأقوى على المستوى العسكري التقليدي والنووي وعلى المستوى السياسي وبفضل الولايات المتحدة الأمريكية فإن إسرائيل تمسك بميزان توازن القوى في النظام الشرق أوسطي وتمسك إلى حد ما بإعادة ترتيب توازن القوي في هذه المنطقة من العالم بشكل يخدم مصالحها في المدى البعيد.

الصراع الدولي وحظر التجارب النووية

هكذا هو الصراع الدولي في حركة دائمه وتموجات لا تخف أو تهدأ والدولة أي دولة، التى لا تستطيع أن تواكب هذه التموجات والتعرجات في الأحداث الدولية تتعرض لمرحلة العزله المعلوماتيه ثم بعد ذلك العزلة الحركيه وبالتالي الخروج من الدوائر الاحداث التى تسمح للدولة أي دولة أن تسير مع التيارات والتوازنات الدولية أي أن الخروج من دائرة الحدث يعني العزلة عن الحدث ذاته والعزلة عن الحدث يعني إعادة تشكل الحدث الدولي دون فهمة ودون التأثير عليه أو المشاركة بأيجاده وهذه العوامل تدفع الدولة التى لم تشارك في الحدث إلى خروجها على هامش الأحداث الدولية وبالتالي يعاد تشكيل نظام توازن القوى على أسس وعوامل جديدة دفع هذه الدولة إلي التهميش.

والعلاقات الدولية والصراع الدولي هما في حالةحركة وديناميكية دائمة لا تعطي فرصه للدول المتثاقله الغير قادرة على المتابعة والتأثير على الحدث الدولي أن تتوقف عن دورانها وديناميكيتيها بل أن الأحداث الدولية هي تشبه حركة القطار المنطلق المحدد المواقف وبمواقيت محدده بحيث أن الدولة تتعامل مع القطار حسب جدول حركته فإن القطار لا يحول جدوله الزمني لكي يتعامل مع الدول وهذا يصدق بشكل كبير كلما كانت الدولة ذات حجم متوسط أو صغير وهو صحيح الى حد كبير حتى على مستوى الدول الكبيره التى تساهم فى صنع الحدث الدولي أي أنها تساهم بصنع القطار ومحطات وصوله ومواعيده.

إن ما يراد قولة هو أن الأحداث الدولية هي فى حركة دؤويه مستمرة لا تتوقف لدولة لا تتابع الحدث الدولي وتؤثر عليه ويكون للدول المتابعه للحدث الدولي حق المشاركة والتأثير على مستقبل الصراع الدولي وتوازن القوي عندما تجند الدولة أي دولة قدراتها البشرية والأقتصادية والسياسية والدبلوماسية والأعلامية من أجل تعبئة حقيقيه لقدراتها الوطنيه من أجل فاعلية وقدرة أكبر تحدثه في النظام الدولي وذلك من أجل دفع القوى المتصارعه والعلاقات المتشابكه في خانه المصالح الوطنيه والقوميه للدولة .

بهذه الخلفيه النظريه نتابع هذه الأيام مؤتمر القوى النوويه والتى هي شريحه ودرجة من درجات الصراع الدولي لا يكتفي بالدولة المالكه للقدرة النوويه سواء أنتاجها أو قدرة أيصالها للهدف بل أن تأثير مثل هذا المؤتمر المنعقد فى جنيف حول حظر التجارب النوويه، أقول أن تأثير مثل هذا المؤتمر سوف ينعكس على الدول الغير نوويه بل سوف يحدد

سياساتها العسكريه والمدنيه في المستقبل ويؤثر عليها أشد التأثير. كما أن مثل هذا المؤتمر يعني للدول المشاركه وغير المشاركة، النوويه وغير النوويه، سوف يؤثر على أستراتيجيتها العسكرية وخصوصاً الاستراتيجية العسكريه العربيه بشكلها العام أو الاستراتيجية العسكرية للدول العربية على حدى وهذا ما أرجو أن يكون موضوع مقال قادم.

بالنظر إلي مؤتمر جينف المنعقد من أجل الوصول إلي صيغه قرار يتم بموجبه منع حظر التجارب النوويه في المستقبل سوف يكون مناسبه التوقيع عليه من قبل زعماء الدول المشاركة فى نيويورك في شهر سبتمبر القادم من عام ١٩٩٦م. كان المؤتمر من صنع وتأثير السياسة الأمريكيه وهي الدولة القادرة علي صنع والتأثير على قطار العلاقات الدولية والصراع الدولي حيث دفعت إلى أيجاد المؤتمر والتى تهدف منه أيقاف أنتشار التسلح النووي على المستوي السياسي والعسكري كما يعني وضع الدول التى تريد دخول نادي التسلح النووي بخانه القوى الخارجه عن الارادة الدولية على المستوي القانوني. تدفع الولايات المتحدة الأمريكيه إلي توقيع مثل هذه المعاهدة بعد أن كملت قدراتها العسكريه النوويه الضاربه كما أنها أكملت قدراتها التكنولوجية على أقامت التجارب النوويه باستخدام أجهزة الحاسب الآلي المعقدة والعالية الفعالية والقدرة بحيث تحصل على نفس التجارب والنتائج عند قيامها بأمتحانات وتجارب ميدانية. وتدفع الولايات المتحدة إلى هذه المعاهده بعد أن أقامت أحد أهم وأكبر منشأتها العسكريه في ولاية كاليفورنيا من أجل أستخدام الليزر في التفجيرات النوويه وهي القدرة المتطورة فى أستخدام القدرات النوويه عن مثيلاتها بالدول الأخرى. أقول تدفع الولايات المتحدة الأمريكيه لهذه المعاهده مما يعني في نهاية المطاف تفوقها العسكري على باقي الدول الأخرى وهذا ما نرمي اليه عندما نقول أن عدم المشاركة المشار فيه لحركة الصراع الدولي قد تُخرج بعض الدول من اللعبه الدولية وتهميشها مما يعني خسائرها الكبيره.

وهذه المعاهده تعطي بعض المكاسب لكل من بريطانيا وهي تتمتع بالمظله النوويه والحماية الغير محدوده من الحليف التاريخي، الولايات المتحدة الأمريكيه مع أحتفاظ بريطانيا بقدرة نوويه قويه. كما أن الماكسب تنصب علي دولة مثل فرنسيا والتى أجرت مؤخراً تجاربها النوويه والتى طورت قدرات جيده لاستخدام الحاسب الآلي في التجارب النوويه. إذاً ما هي الدول المرشحه للخسائر على المستوى الدولي من هذه المعاهده؟ دول مثل الصين التى هي في طور تطوير ترسانتها النوويه سواء من ناحية العدد أو الامكانيات التكنوولجية المتطورة من أجل تطوير دقه أصابتها أو فعاليتها التدميريه.

ومن الدول كذلك التى يمكن أن تخسر دولة مثل روسيا خصوصاً أنها تعاني من تغييرات جذرية على المستوى السياسي والاجتماعي وضائقة اقتصادية خانقه تم أنقاذ جزء

منها من قبل الدول الغربيه علي شكل قروض مما يعني أن روسيا سوف يتم مفاوضتها على تسديد مديونيتها مقابل التخلي عن تطوير قدراتها النوويه أو تدمير جزء منها وهذا ما سوف يدفع بدولة قويه مثل روسيا إلى دولة من المصاف الثاني أو الثالث على مستوى القوه العسكريه. والهند تعتبر من الدول الأكثر حساسيه في هذه المعاهده خصوصاً أنها مازالت فى بداية برنامجها التطويري النووي على الرغم من أن تجربتها النوويه الأولى كانت عام ١٩٧٤م، فإن الهند تسعى الى تطوير خزانتها النوويه وتطوير قدراتها على أيصالها للهدف مع قدرة فعالة على دقه الهدف وقدرة التدمير.

ولهذه الأسباب وغيرها دفعت الهند وغيرها من الدول المتضرره في هذا المؤتمر إلى محاولة تقييد وتأخير التوقيع على مثل هذه المعاهده بادخال كل من إسرائيل وباكستان بالتوقيع على المعاهده. والدفع باخال إسرائيل وباكستان يعني تعقيد وتأخير التوقيع على معاهده تنص على حظر التجارب النوويه في المستقبل كيف يكون ذلك؟

بادخال إسرائيل بالمعادلة فهذا يعني أن الولايات المتحدة الأمريكيه وُضعت في قفص الأتهام خصوصاً وهي صاحبة الرياده في أيجاد هذا المؤتمر بدافع المصلحه الأستراتيجية الحقيقيه حيث أن أدخال إسرائيل يعني وصع الولايات المتحدة الأمريكيه أمام ... أما أن تضم هذه المعاهده اسرائيل أو أن لا يتم التوقيع عليها. ودخول أسرائيل لهذه المعاهده يعني هو أجبار الادارة الأمريكيه على التأثير على القرار الاسرائيلي فى أشد المواضيع حساسيه وهو القدره النوويه الاسرائيلية من جانب ومن جانب آخر أضعاف القدرة التفاوضيه الاسرائيلية أمام العرب أذا ما ذهب الوزن النووي الأسرائيلي عند مفاوضتها مع العرب خصوصاً مع تفوقها العسكري سواء النووي أو التقليدي . وأدراج باكستان للتوقيع على هذه المعاهدّ يدخل معاهده حظر التجارب النووية تحت مفهوم أسبقيه البيضه والدجاجه حيث أن باكستان لا تستطيع تسليم مستقبلها العسكري بكاملة أمام دولة وجارة منافسة مثل الهند تملك القدرة النووية الهائله وفي نفس الوقت أن الهند لن تتوقف عن تطوير قدرتها النوويه دون دخول دولة مثل باكستان دائرة حظر التجارب النوويه بشكل رسمي ومباشر.

عوداً على البدايه إن معاهدة حظر التجاب النوويه هي أحد المناورات الدولية التي ظاهرها الأمن والسلام النووي وباطنها محاولة أعادة ترتيب الوضع الدولي بشكل يسمح للولايات المتحدة الأمريكيه أن تفتح آفاق تسلحية جديدة وتكنولوجيا عسكريه جديدة تسمح لها بالتفوق لفترة غير محدده تجعلها الدولة القادرة والمالكه على أسلحة تدميريه هائلة مع حرمان الدول الأخرى منها، أو على الأقل سوف تكون تكاليف بنائها عالية جداً على المستوى المالي والسياسي والاجتماعي للدول الأخري. بمعني آخر أن دولة مثل الصين وروسيا والهند لن تستطيع مواكبه التطو العسكري الأمريكي دون أنهاك قدراتها السياسية

والاقتصادية والاجتماعيه أي أن هذه الدول لن تدخل سباق تسلح سوف يكون نتائجة أنهيار النظام الاقتصادي والاجتماعي والتنموي لهذه الدول وبالتالي فإن معاهدة حظر التجارب النوويه فى ظاهرها البعد الانساني وفي باطنها مستقبل النظام الدولي والقوى المهيمنه عليه وهذا ما يرمى اليه أن الدول التى لا تواكب الحدث الدولي وتغفل عنه ولا تحاول تجييره لصالحها فأن قطار الأحداث الدولية لا يتوقف للدولة النائمه وغير الفاعله.

الصين تكتشف الشرق الأوسط

بزيارة السيد زيمين الزعيم الصيني الواقعي لاسرائيل تكتمل دائرة السياسة الواقعية في الدبلوماسية الصينية وبهذه الزيارة ايضا تكتمل المعرفة الصينية للشرق الأوسط والذي يتكون من الدول العربية وإسرائيل. ولكن ما هي الواقعية التى اكتملت دائرتها لدي السياسة الصينية؟ وما هي المعارف المكتشفة للصينيين للشرق الأوسط؟

المتابع للسياسة الصينية فانه يتابع بشغف الذي يدور اليوم في الذهنية الصينية خصوصاً وأن العقل الصيني كان بعيداً عن الواقعية السياسية والتعامل الواقعي مع الأحداث الدولية ومع النظام الدولي حيث أشتهرت اصين بالتشدد ضد العالم الغربي في مرحلة الصراع الشيوعي مع الغرب بعد الثورة الماوية حتى مرحلة الخلاف السوفيتي على الحدود الوطنية ثم بعد الانفراج الصني الامريكي في مرحلة السبعينات ثم المحاولة الصينية الجادة للوصول الى العالم المتقدم ولعب دور الدولة العظمى التى تحاول الصين تحقيقة اليوم.

تاريخياً كانت الصين تنظر بعين العطف الى دول العالم الثالث وصراعها مع العالم الغربي ومن هذا المنطلق فإن الصين تعد أحد زعماء دول عدم الانحياز ومن هذا المنطلق كذلك فإن تعاطفها مع العالم الثالث وقضاياه يصب في نفس المنطلق وكانت المواقف الصينية شبه واضحه ومضمونه حيث رأت أن تأييد المواقف العربية هي وسيلة من وسائل الصين لتزعم العالم الثالث ولكن الصين الواقعية اليوم لا تعير أهتمام لدول العالم الثالث بل أن مسألة العلاقة مع دول العالم الثالث لا تخرج عن كونها أدوات ضغط وتنافس مع القوى اكبرى وخصوصاً أوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية واليابان وليس هناك مجال للتعاون أو التعاطف الايديولوجي أو السياسي. ومن هذا المنطلق يمكن تحديد أهم سمات هذه الواقعية على شكل النقاط التالية: ـــ

أولاً : ان الصين تكتشف ولاول مرة أن المضي قدماً الى الدولة العالمية لا يمكن إلا عن طريق المزواجة بين البعد الواقعي والمصالح الصينية السياسية أي المزواجة بين قراءة الواقع الدولي بشكل محايد وواضح وبعيد عن الاهواء والرغبات والأحكام السياسية المسبقة ووضع الخريطة الدولية بشكل توازناتها محل المنافسه والأختبار وهذا يتضمن أيقاف مفهوم:

(١) ان الصين دولة من دول العالم الثالث وتنتمي الى العالم الثالث وتتعاطف مع دول العالم الثالث ليس لان ذلك غير منطقي على المستوى السياسي ولكن غير منطقي على مستوى الهدف

القومي الصيني ويجب تحويل هذا الموقف الذي أصبح يشكل ايديولوجية صينية الى موقف اكثر انفتاح والتعامل مع النظام الدولي بواقع المصلحة بغض النظر عن طبيعة الدول المتعامل معها.

(٢) ان اعتناق مفهوم الواقعية يفرض على الرئيس الصيني مصافحة الفرقاء والاعداء البعيدين وهذا يعني الاحتفاء بالزعماء الاسرائيليين ومصافحة عرفات في نفس الرحلة السياسية.

ثانياً : ان اكتشاف الواقعية السياسية الصينية جاء بعد نظرة واقعية للنظام الدولي والنظام الاقليمي الشرق أوسطي واكتشاف أن الواقعية تقتضي التعامل مع اسرائيل بشكل يوازي أهميتها وقوتها وهيمنتها.

ثالثاً: اكتشاف الصين ان اسرائيل مصدر هائل من مصادر التكنولوجيا المتقدمة والصناعية وخصوصاً في مجال التصنت والرادارات والقوات الجوية، أدارتاً وهجوماً.

رابعاً : اكتشاف الصين أهمية إسرائيل كعامل مؤثر وقوي على مستوى السياسة الأمريكية تجاه العالم والصين جزء منه حيث تزامنت زيارة الزعيم الصيني لاسرائيل مع طلب شراء طائرات أدارة المعارك الجوية (الاواكس) وتزامن ايضاً طرح اعضاء الكونغرس المتعاطفين مع اسرائيل ومتعاطفين مع العديد من الشركات الأمريكية مشروع منح الصين الحق كدولة دائمة الرعاية وأفضلية في تصدير منتجاتها الى الولايات المتحدة الأمريكية وهذا يعطي إسرائيل قدرة هائلة على التأثير على الصين في المستقبل.

أما التسائل الثاني والذي ينصب حول اكتشاف الصين للشرق الأوسط فإنه يدور حول النقاط التالية : ـــ

أولاً : تكتشف الصين ان اسرائيل تعد واحدة من أهم دول الشرق الأوسط على المستوي العسكري والتكنولوجي من خلال ترسانتها العسكرية والتكنولوجية وكذلك تكتشف ان اسرائيل تعد واحدة من القوى المهمة التي لا يمكن أن ينجح مشروع سياسي في منطقة الشرق الأوسط دون أن تكون راضية عنه أو يصب في مصالحها سواء هذا المشروع كان قدماً من الولايات المتحدة الأمريكية أو من أوروبا أو حتى من دول العالم العربي .

ثانياً : تكتشف الدبلوماسية الصينية أن التأثير الاسرائيلي على السياسية الأمريكية يعد هائل في المقاييس السياسية وهائل على القوة الأوروبية وكبير حتى على الدول العربية.

ثالثاً : إن القراءة الموضوعية للمستقبل تقول ان تأثير اسرائيل على المنطقة هو في أزدياد وللعقود القادية على الأقل وبالتالي فإن الفهم الواقعي والاكتشاف الحقيقي هو أن التعامل مع اسرائيل يعد حقيقة لا يمكن لأي سياسي أغفالها.

رابعاً : تكتشف الصين ان العالم العربي ينقسم الى قسمين قسم فقير غير قادر على شراء حتى اللعب الصينية الرديئة الجودة ناهيك عن قدرتها على شراء السلع العالية الجودة أو حتى

المحدودة. والقسم الآخر الدول الغنية والتى ليس لها من القدرات سوى فتح أسواقها من أجل استيراد المنتجات الصينية ذات الجودة المتواضعة بينما تذهب المنتجات الصينية ذات الجودة الى العالم المتقدم من أجل المنافسة الاقتصادية.

خامساً : تكتشف الصين أن الدول العربية مفيدة جداً في مجال الضغط على الولايات المتحدة الامريكية بتهديدها ببيع أسلحة وخصوصاً صواريخ قادرة على ضرب بعض المناطق الاسرائيلية وبالتالي فإن الصين تحصل على تنازلات من أمريكا وإسرائيل مقابل هذا التهديد وليس أيمان منها أن الدول العربية ذات أهمية استراتيجية.

سادساً : أيمان الصين أن القوة العربية تتمثل في النفط وان الحاجة للتصدير وكسب السوق النفطي وضعت المستهلك للنفط في وضع أقوى من المنتج وبالتالي فإن تأثير الميزة النفطية العربية أصبحت محل تسائل حقيقي لدي الصينين اليوم.

سابعاً : إن علاقة الصين مع أمريكا والغرب تأتي في مقدمة أهتمام الصين ومن هذا المنطلق فإن أهتمام الصين باسرائيل قد يتفوق على أهتمامها بالعالم العربي وهذا سوف يؤدى الي مزيد من أضعاف العالم العربي إذا لم يخرج العالم العربي من سباته الدبلوماسية الطويل.

الصين وأستثمار الأقليات

منذ مرحلة الانفراج في العلاقات الامريكية الصينية في مطلع السبعينات والتى قادها الرئيس رتشرد نيكسون ووزير خارجيته صاحب النظرة الكونية السيد هنري كيسنجر على الجانب الامريكي كان تفكير القادة الصينيون يؤمنون أن الصين الدولة الهائلة من حيث المساحة والسكان والدولة الهائلة من حيث البعد الحضاري والامكانيات الاقتصادية لم تأخذ مكانها الطبيعي في خريطة القوى الدوتية بل أنها كانت أحد أدوات الصراع في الحرب الباردة كل طرف يحاول توظيفها لصالح أهدافه السياسية والايديولوجية والاستراتيجية. ولم تلتفت الصين بشكل جدى لهذه الجوانب إلا مع قدوم الرجل الواقعي شاو دانغ ينغ الذي رسم توجهاته على أن الهدف هو رفع الصين إلى مصاف الدول النافذة دولياً يتناسب مع قدراتها وأمكانياتها.

وبالفعل فإن الصين قررت أستثمار المنهج الاقتصادي كبديل عن أهمية النقاء الايديولوجي الذي كانت الماوية تتشرق بخصوصيتها الصينية وأصبحت الايديولوجية لدى الزعيم الصيني والأب الروحي للنهضة الصينية اليوم ما هي إلا وسيلة تحقق الهدف وليست هدف بذاتها وأصبحت برمجة علاقاتها الخارجية تنطلق من هذا الاطار وتصب بهذا الهدف ومنذ ذلك الوقت أصبح الهم الحقيقي يتمثل في أقلمية الصين أجتماعياً وسياساً وقانونياً للتعامل مع هذا التوجه الجديد وتم فتح المناطق الساحلية وتحفيف القوانين الاستثمارية واستحداث مفهوم جديد والقاضي بان الدولة ذات النظامين والذي سمح بدخول هونغ كونغ عام ١٩٩٧م وماكاو عام ١٩٩٩م وسوف يكون الاطار لدخول تايوان الى الدولة الأم في المستقبل.

ومفهوم التحديث الاقتصادي هذا يعني الصين من الداخل إلا أن هيبة الصين الخارجية كانت واحدة من الاهداف الهامة التى تسعى القيادة الصينية الى تحقيقها ولكون هذه القوة والهيبة لا يمكن تحقيقها على البعد الاقتصادي رغم أهميته وجوهريته إلا أنه أحد العوامل غير الكافية لانشاء وبقاء دولة قوية كما هو الحال في اليابان العملاق الاقتصادي الهائل والقزم السياسي الواضح حيث يتضح من محدودية التأثير الياباني على الدول المجاورة من الناحية السياسية وخصوصاً في تجربة اليابان وتعاملها مع كوريا الشمالية ومسألة التسلح فيها وكذلك على التجارب النووية فى شبه القارة الهندية عندما ثبت للعالم محدودية التأثير الياباني على العكس من قدرة التأثير الأمريكي في هذه المناطق ذلك لتشعب وتعدد أدوات القوة والتأثير الذي تتمتع به القوة الامريكية.

هذا الدرس فهمته الصين بشكل واضح حيث أنها أصرت أن تتزامن القوة الاقتصادية مع قوتها العسكرية والسياسية وأنه بدون هاتين الاخيرتين فلن يكون هناك استثمار حقيقي للقوة الاقتصادية بمفردها إلا أن من الواضح أن الصين بنظامها السياسي الحاضر اليوم والذي تمسك بثوابته السياسية والايديولوجية السياسية حتى اليوم وذلك من أجل ضبط وتحكم بالتغيير الاقتصادي وما يتبعة من تغير اجتماعي وأضطراب محتمل في القيم الاجتماعية والسياسية فإن النظام السياسي عمل على تحنيط البعد السياسي بمقابل مرونة وديناميكة البعد الاقتصادي.

وإن المراقب المحايد للصين اليوم يري أنها بتعطيلها المشروع السياسي اليوم أستطاعت المحافظة على ربط التغيرات وتوظيفها بشكل محسوب وأن وحدت الصين وتماسكها اليوم هو أحد نتائج هذا التعطيل السياسي وكذلك فإن المراقب المحايد سوف يري ويلاحظ أن التحنيط السياسي الذي تأخذ به الصين اليوم عطل واحد من أقوى الوسائل الصينية في أستثمار وأنجاح سياستها الخارجية وهو وجود الاقليات الصينية في الخارج حيث بلغ عدد الصينيون في الخارج ٦٠ مليون نسمة متوزعون في مناطق عديدة من العالم حيث يسيطرون على نسبة تزيد عن ٧٠٪ من الاقتصاد الماليزي و ٨٠٪ من الاقتصاد الاندونيسي رغم ان الصينيون يشكلون ٥٪ فقط من الشعب ويسيطرون الصينيون على ٨٪ من الاقتصاد الفلبيني على الرغم أنهم يشكلون ٧٪ من الشعب الفلبيني ثم أنهم يشكلون من قوة اقتصادية هائلة في تايوان ويمتدون من بورت لويس إلى جزر مورس ولوس انجليس في الغرب الامريكي الى الغرب الكندي حتى قلب العاصمة الفرنسية ناهيك عن اعداد هائلة من العلماء الذين دخلو أهم المؤسسات العلمية والفكرية وهم ينحدورن من أصول صينية كما تخبرنا فيه معلومات أدارة الهجرة والاجانب الامريكية على وجه الخصوص.

إن المراقب والماحظ لهذه الأقليات الصينية والمنتشرة حول العالم وخصوصاً في المناطق الاكثر حيوية على المتسوى الاقتصادي يستطيع بدون عناء كبير أن يتعرف على أثر وأهمية هذه الجاليات من الناحية الاقتصادية في هذه المناطق وأثر هذه الجالية على تعزيز التبادل التجاري مع الصين وعلى تشجيع دفع الاستثمارات الاجنبية إلى الصين حيث أصبحت هذه الاقليات أحد جسور التطوير الاقتصادي وجلب الخبرة الاستثمارية والادارية الى الصين من الدول الاكثر تقدماً كما شكلت أحد أهم نوافذ تصدير المنتجات الصينية ودفعها الى جميع ارجاء العالم.

إلا أن الجانب السلبي هنا أن هذه الجاليات لم يتم استثمارها من الناحية السياسية إلا في أضيق النطاق حيث أن جزء كبير من هذه الأقليات لا تشاطر الحكومة الصينية مواقفها وتوجهاتها السياسية لذلك فإن الحكومة الصينية لا تجد دعم هذه الاقليات من الناحية

السياسية لعدم ايمان هذه القوى بالنهج السياسي الصيني وإذا كان ذلك كذلك في هذه المرحلة فإن التغيرات السياسية التى من المتوقع حدوثها في الصين بعد أن تكتمل دائرة التطور الاقتصادي والاجتماعي الى الدفع الى التغيير والتطوير السياسياو أن تجد الصين نفسها بدافع المصحلة الوطنية أن التغيير السياسي سوف يصب في مصالحها الوطنية سواء الامنية أو السياسية أو الاستراتيجية من نتائج ذلك هو أستثمار هذه الاقليات المتواجدة في جميع أنحاء العالم ليس في اطارها الاقتصادي بل في بعدها السياسي ومن هنا سوف تزداد دائرة وادوات التأثير السياسي والاقتصادي للصين حول العالم وهو عامل من عوامل اكتمال القوة الصينية ووصولها الى القوة العالمية المؤثرة في المستقبل.

العالم العربي تحاصره القوى النووية

العالم يتجه نحو العولمة على مستوى الاقتصاد والاتصالات حيث أثبتت المؤشرات مراراً وتكراراً وأن العالم يتجه نحو الانفتاح على ذاته وأن هذا الخيار لم يعد اختياراً كما يحلو للبعض أن يطرحه أو ينظر إليه من أجل تطمين الذات وأنما أصبح توجهاً لا يمكن مقاومته وأصبح حقيقة ثابتة تسير بالعالم نحو الأتصال المباشر والغير مراقب خذ مثلاً نظام الانترنت كان هناك يوجد عام ١٩٩٥ ما يقارب سبعين (٧٠) مكان للنشر يحاول للنشر فيها حوالي مليون مراقب أو متابع لهذا النظام وفي عام ١٩٩٨م تزداد مجالات النشر إلى أضعاف الاضعاف بينما يزداد عدد المتابعين لنظام الانترنت إلى ١٠٠ مليون فرد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها. هذا النظام الذى سوف ينقل المعلومات والتجارة دون الرجوع إلى ضوابط حدويه أو قانونية خاصة بهذا البلد أو ذاك.

ولعل مؤتمر الدول الصناعية الثمان المنعقد في برمنجهام الاخير كان واحد من سلسلة الانطلاقات التى تؤكد على قيادة هذه الدول وخصوصاً النافذة منها أقول مؤكد على قيادة هذه الدول للعالم للدخول للقرن القادم. هذه الدول المتسلحة على المستوى الاقتصادي والسياسي والفكرى وأخيراً والأهم على مستوى العسكري أو التسليحي.

فى منتصف التسعينيات من هذا القرن وخصوصاً بعد أن أنهيار الاتحاد السوفيتي نادى الكثير بأن عصر الايدلوجيات قد ولى وأن عصر الاهتمام الاقتصادي قد طغى على الساحة الدولية. وحيث أن القوة العسكرية أرتبطت بمفهوم البناء الايدلوجي والدفاع عنها كما حدث في المانيا وايطاليا عندما أندفعت هذه الدول للبناء العسكري من أجل تعزيز والدفاع عن ايدلوجيتها النازية والفاشية وتثبت ذلك بعد الحرب العالمية الثانية عندما أخذ الاتحاد السوفيتي على عاتقه التسلح بشكل قوى من أجل الدفاع عن الايدلوجية الماركسية أو ما أطلق عليه استالين في ذلك القوت بناء الدولة الاشتراكية العلمية القوية والدفاع عنها من القوى المناوئة لها وكان الرد الغربي واضحاً وقوياً في اطلاق سباق التسلح على مصرعيه حتى أدى إلى انهاك الطرفين ولكن كان تأثيره على العالم الاشتراكي أقوى حتى أدى إلى انهيارها في نهاية المطاف.

ومنذ ذلك الانهيار عام ١٩٩١م توجة العالم الى تعظيم المفاهيم الاقتصادية على حساب القوة الايدلوجية والعسكرية. ولكن المراقب للخارطة السياسية الدولية لا يرى ذلك يحدث بالشكل الدرامتيكي الذي يراد منه وأنما الاحداث الدولية تأخذ طابع طول النفس والتغيير البطئ والغير سريع حيث تكشف لنا التجارب الهندية النووية الأخيرة أن التفكير السياسي التقليدي مازال هو

السائد حيث أنه لا يمكن بناء قوة أقتصادية أو سياسية دون أن يكون هناك قوة عسكرية قادرة على حماية هذه القوة و أن التجربة اليابانية تجربة لا يمكن أن تؤخذ على أنها نموذج حيث أن القوة الاقتصادية اليابانية قائمة على حماية القوة الأمريكية لاسباب سياسية واستراتيجية تهم الطرفين ولكن لا يوجد قوة اقتصادية واحدة في العالم دون أن تكون لديها الحماية العسكرية سواء المباشرة كما هو الحال في القوى الاقتصادية الكبرى أو غير المباشرة كما هو في القوى الاقتصادية من الدرجة الثانية. وهنا ترجعنا الهند لنفس المفاهيم السياسية التقليدية التى طرحها السيد مرغون ثاو في كتابة الشهير بعد الحرب العالمية الثانية الذي أطلق عليه (السياسة بين الأمم) والذي سطر فيه القواعد الرئيسية للتفاعل السياسي والتى مازالت قائمة حتى اليوم مع دخول قوى فاعلة وازدياد أهمية عوامل على عوامل أخرى مثل ازدياد أهمية الاقتصاد والتجارة الدولية كأحد محركات وعوامل السياسة الخارجية والصراع الدولي وكذلك دخول عامل الأقليات والاعراق كعامل محرك للسياسة الدولية.

إلا أن قواعد اللعبة السياسية مازالت هي هي حيث تثبت الهند للعالم أن قوتها النووية هي العامل الحاسم الذي سوف يضمن عدم التدخل الاجنبي في الشؤون الهندية سواء المباشرة أو غير المباشرة وعدم التدخل هذا مرجعه هو عدم استفزاز الهند وبالتالي استفزازها على المستوى الاقتصادي مما يؤدى الى استفزازها على المستوى العسكري والنووي. وبالتالي يكون لسان حالة التعامل السياسي مع الهند على النحو التالي :

أن الهند دولة نووية قادرة على ضرب أهدافها فى اي مكان فى العالم بقوة نووية مدمرة وبالتالي فإن من مصلحة النظام الدولي استيعاب الهند واحترامها من بدل عزلها ومحاربتها على المستوى الاقتصادي والسياسي. ومن هنا فرضت الهند ذاتها واحترامها على النظام الدولي بحيث أصبحت الدول تراعي مصالح الهند الاقتصادية بدل من عزل دولة نووية ضاربة قد تدفع النظام الدولي الى الانفجار.

وفي المقابل ماذا يمكن أن يخسر العالم إذا عزل العرب أو حتى دمر مصالحة الاقتصادية والسياسية الجواب لا شيء وذلك لكون العرب قوة ضعيفة جداً ولا تملك القوة والامكانية حتى تخلط أوراق السياسة الدولية حيث كانت تبرع العرب بتسليم أوراقها أنها لن تكون من الدول النووية أو حتى تدمير القوى التى يمكن أن تكون لديها قوة نووية دفع العالم أجمع إلى النظر إلى العالم العربي على أنه منطقة نفوذ للعالم القوي اكثر من أنه منطقة قادرة على التأثير على السياسة الدولية.

أن العيب لا يكمن في النظام الدولي بل أن العيب يكمن في العالم العربي حيث أنه همش ذاته بذاته وأخرج نفسه من اللعبة السياسية الدولية بشكل واضح ورضى أن يكون تابع لهذه القوة أو تلك حارماً نفسه من قوة يمكن أن تكون مؤثرة على المستوى الدولي وبالتالي فإن دولة مثل

الهند سوف تكون اكثر تأثيراً على المستوى الدولي من العالم العربي بكاملة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو العسكري وأن أي دولة قادرة على الدخول في النادي النووي داعمه اقتصادها بقوة عسكرية لحمايتها فإنها من الطبيعي أن تكون أكثر تأثيراً من العالم العربي في القرن القادم.

أن العالم العربي بتخليه عن الخيار النووي دفع بنفسه إلى الهامشيه على مستوى السياسة الدولية من جانب وفتح المجال للتأثير الدولي على أقتصادياتها بشكل مباشر وغير مباشر وبالتالي فإن العالم العربي قد سلم مستقبله للقوى الأجنبية وتفاعلات السياسة الدولية دون أن يكون لديه وسيلة قادرة على الدفاع عن مصالحة العليا في المستقبل. وأنه رمى الثقل على المستوى الاقتصادي بمفردة لن يكون الحل الناجح فقط من أجل رخاء مستقبلي.

ومن الجانب الآخر فإن ابتعاد العالم العربي عن الخيار النووي لن يجعلها في مأمن عن الهجوم النووي في أي صراع في المستقبل وأنما يحاط العالم العربي بقوى نووية من كل جانب حيث أن العالم العربي محاط بقوى نووية فعلية أو قوى نووية مرشحة بشكل كبير للدخول في النادي النووي في المستقبل وبالتالي فإن عدم طرق وصناعة هذه القوه لا يعني عدم التعرض لها في حالة الحرب أو عدم التأثير في تسرباتها وأشعاعاتها في حالة السلم والخطاء التكنولوجية بمعني آخر العالم العربي يتلقي مضار واخطار القوة النووية دون أن يستفيد من فوائدها السياسية والعسكرية. ناهيك أن بعض الدول العربية كانت مواقع لدفن النفايات النووية الغربية لفترة ليست قصيرة مقابل مبالغ مالية أو صفقات ومجاملات سياسية تكون الأرض العربية مكان لدفن النفايات النووية الغربية على الأرض العربية معرضة هذة الدول شعبها جيل بعد جيل وقرن بعد قرن للاخطار والامراض والكوارث الطبيعية من جراء تسرب هذه النفايات النووية إلى المياة الجوفية ثم استخدامها من قبل الناس كل ذلك يحدث دون أن يكون للفرد العربي حتى الفائدة من استخدامها لمصالحه السياسية والاستراتيجية الدولية وبالتالي يكون العالم العربي نفي نفسه عن المستقبل مقابل أحاطته بقوى سياسية وأقتصادية مسلحة تسليحاً نوويا يبعث على احترامها في المستقبل والقرن القادم.

العرب والمأزق النووي من جديد

ترشح العديد من الدراسات والتقارير وخصوصاً في مراكز البحث في الولايات المتحدة الامريكية والمهتمة بالشرق الأوسط والعالم العربي، أقول ترشح هذه الدراسات وهذه التقارير على أن المنطقة العربية والشرق الأوسط هي اكثر المناطق مرحشة للتنافس النووي بل والمرشحة للاستخدام الفعلي لمثل هذه القوة العسكرية الضاربة ويرجع هذه التوجه في التفكير إلى العديد من العوامل الموضوعية العديدة ومنها: -

أولاً : التنافس السياسي والايديولوجي في منطقة الشرق الأوسط ليس فقط مع اسرائيل الدولة القوية والمالكة لترسانة نووية ضاربة بل إن التنافس يكاد يكون هو الحرك الحقيقي لمثل هذه الصراعات حيث نجدها بين دول الجوار ودول العالم العربي ودول الجوار مع دول الجوار والدول العربية مع الدول العربية. كل هذه العوامل دون إيمان وصيغة سياسية وايديولوجية للتعايش السلمي بين هذه الدول وهذه القوى لن يكون عاملاً مساعداً على الاستقرار السياسي وبالتالي تبرز الأهمية الكبيرة للقوة العسكرية من أجل الشعور بالأمن والقارئ المتفحص للنظام الدولي يكتشف أن جزء كبير من هذا الأمن لا يمكن أن يتحقق إلا بوجود ترسانة نووية كافية لضرب الخصم مع أمكانية إداراتها ووسائل أيصالها إلى أهدافها وأنه بوجود مثل هذه الترسانة النووية فإنه يمكن أن يتحول الصراع من صراع قائم على التنافس أي نفي كل طرف للآخر وأقصائه الى صراع على تبادل المنافع والادوار وتتحول الايديولوجيا السياسية من ايديولوجيا أنتفائية الى ايديولوجيا قابلة للتعامل والتفاهم مع الآخر والسبب أن البديل لهذا التفاهم والتعايش في ظل القوة النووية هو الحرب المدمرة.

ثانياً : شعور العديد من دول المنطقة بالاحباط أزاء النظام الدولي الذي ينظر لهذه المنطقة على أنها منطقة مد نفوذ بدل من أن تكون منطقة مساهمة في تكوين النظام الدولي بل أن الذهنية الغربية اليوم تنظر ان النظام العربي لا يقوم إلا على نظرية السياسة المفروضة أو القائمة علي القوة أو ما يطلق عليه استخدام السوط بدل الجزرة في بعض مفاهيم العلاقات الدولية وأن هذا النظام الدولي يطلق العنان لبعض القوى الاقليمية لمزيد من القوة مثل اسرائيل بل أن بعض دول الجوار تركيا على سبيل المثال وغيرها من دول الجوار ترى أن أمتلاك القوة وحدها كفيل بكسب أحترام النظام الاقليمي والنظام الدولي ولذلك فإن تحقيق الأهداف الوطنية على المستوى الخارجي يمر عبر بوابة القوة الضاربة والتى تتمثل بالقوة العسكرية والتى تتلخص بالقوة النووية أو الغير تقليدية على أقل تقدير.

بل أن النظام العربي يعى هذا التوجه وهذه المقولة من خلال تفحصة للتاريخ السياسي الدولي حيث يكتشف أن الدول المحترمة والمؤثرة على المستوى الدولي هي فقط الدول التى تمتلك قوة نووية ضاربة أو تحت حماية قوة نووية ضاربة.

ثالثاً: يعزز الصراع العربي العربي حول الهيمنة والصراع على النظام الاقليمي العربي والذي للصراع مع القوة الخارجة عن النظام العربي تأثير على هذا الصراع العربي العربي أقول يفرز هذه المحاولات المتكررة على الهينمة على النظام العربي ثلاث أنواع من الفاعلين في النظام العربي هم: ــ

١ ــ الدول التى تحاول كسر الحاجز وأمتلاك القوة التقليدية والغير تقليدية وهذه القوة توصم وتوصف بالراديكالية والغير المتعقلة سياسياً مع أن حرب الخليج الثانية أفرزت بعض التوجهات السياسية المتعلقة والقائمة على طول النفس والاستفادة بل وتوظيف النظام الدولي من أجل كسب هذه القوة وبالتالي توظيفها لاحقاً من أجل الهيمنة وقيادة النظام الاقليمي العربي. وان كان يبدو هذا التوجه منطقي من الناحية السياسية فإنه نظام قائم على المحتوى الفكري التقليدي أي ما قبل مفهوم العولمة السياسية والفكرية وهنا يمكن شرح أسباب فشل أو نجاح والشروط التى يجب توفرها في نجاح أو فشل مثل هذا التوجه في موقع آخر غير المقال السريع الذي بين يدينا.

٢ ــ الدول التي لا تطمح الى بناء قوة غير تقليدية أي لا تطمح الى بناء قوة وخيار نووي أو قوة غير تقليدية وهذه القوة لديها الامكانيات لتحقيق أهدافها الفكرية ولكنها أختارت البناء العسكري التقليدي والتعاون مع النظام الدولي من أجل التأكيد على حرمان الاطراف الأخرى من القوة النووية حتى يمكن الحد من هيمنتها على النظام العربي. ومأزق هذه الدول هي أنها مطالبة باستخدام امكانياتها المتنوعة في سياسة صدامية مع الاطراف في النظام العربي الأخرى من أجل أحداث التوازن السياسي والعسكري حتى يمكنها التأثير في موازين قوى النظام العربي.

٣ ــ هي القوى الضعيفة والصغيرة في النظام العربي وهي التى تمحور نفسها وأهدافها السياسية نحو أي من الجناحين في النظام الاقليمي العربي أو الاندفاع نحو خدمة النظام الدولي حتى ضد النظام الاقليمي العربي.

رابعاً: يلعب النظام الدولي ممثل بالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا الممثلين للمصاحل الغربية في المنطقة العربية دور الحازم أو الضاغط دون أمتلاك القوي المحلية للقوة النووية أو أي قوة غير تقليدية وأي أمكانية عسكرية قادرة على أيصال هذه القوة النووية إلى أهدافها بعيدة المدي ورغم أيمان جزء من أطراف النظام الاقليمي العربي والشرق أوسطي بهذا الموقف الامريكي الصارم إلا أنهم لا يستطيعون الجزم أن الموقف الامريكي يمكن أن يستمر إذا ما تغيرة حركة الرياح والتحالفات السياسية الأمريكية والتى يمكن أن تقود أمريكا الى غض طرفها عن

تسلح نووي في سبيل مصالح سياسية وأقتصادية وأيديولوجية أخرى مثل ما حدث للباكستان وإسرائيل ودول أخرى يبدو أنها في طريقها إلى بناء هذه البرامج التسلحيه في المستقبل.

إن ما يمكن تلخيصه إن دول النظام العربي القوية والقائمة لا يمكن لها أو تغفل التفكير الجدي بهذه القدرة العسكرية القوية التى يمكن ترجمتها إلى قوة سياسية وأيديولوجية وأقتصادية في المستقبل وإذا لم تشرع هذه الدول في بناء قوة نووية رادعة فإنه سوف يكون من قصر النظر السياسي والاستراتيجي عدم السعي لكسب المعارف والامكانيات لبناء مثل هذه القوة وجعلها حبيسة الرف والتى يمكن الرجوع إليها وبنائها في حالة تغير الاجواء السياسية وتحرك الرياح السياسية والاستراتيجية في اتجاهات مخالفة حيث يمكن أخراج مثل هذه البرامج والمعارف حتى يمكن طرحها كأحد أوراق اللعبة السياسية الدولية وعامل من عوامل البقاء والاستقرار وأن الدول التي لا تفكر بهذا المنظور هي دول تؤمن بالأمن المطلق والدولة والسياسي الذي تؤمن أو يؤمن بالأمن المطلق لا تستحق أن تبقي كدولة أو أن يمارس السياسة كسياسي.

القوة الجوية وحرب المستقبل

إن المتابع لتطور القوه العسكريه منذ منتصف القرن المنصرم سوف يذهل ليس فقط التطور النوعي والكمي للسلاح وكيفيه أستخدامه وسوف يكون التأمل اكثر عمقاً وقوه عندما ينظر للجدليه والتحولات التى يتم فيها هذا التطور من سلاح إلى آخر ومن أمكانيه عسكريه إلى أخري عبر عقود الزمن. وكيف أن هذه التحولات أو التطورات المتلاحقه كانت أحد أهم معايير أمكانية وقدرة هيمنة دولة أو مجموعة من الدول على النظام الدولي حيث أن اكتشاف قوة البارود ثم تحويلها إلى قوة قتالية تفجيرية أو ناريه دفع الدول الغربية صاحبة السبق في هذا المجال إلى تحويل تطوراتها الاقتصادية والتقنية إلى قوة عسكرية سوف يسيح عبر القارات معلنه قوة وهيمنة العالم الغربي على بقيه العالم وهذا التفوق لم يتوقف على كونه تفوقاً عسكرياً بل ترجم الى تفوقاً حضارياً وثقافياً واقتصادياً وهو في نفس الوقت ربط عجلة الدولة الأخري بحركة التطوير والتغيير التى عاشتها وتعيشها الحضارة الغربية.

إن ما يهدف إليه مثل هذا المقال هو ليس تسجيل وتتبع تاريخ الحضارة الغربية وكيف أستطاعت تحويل وترجمة قوتها الاقتصادية والتكنولوجية إلي قوة عسكرية ضاربة أستطاعت هذه القوة أن تخضع الآخر وبالتالي أعادة التعزيز الاقتصادي والحضاري الغربي عن طريق القوة العسكرية التي اعلنت عن مشروع الاستعمار والهيمنة المباشره وغير المباشرة. وأنما يهدف هذا المقال الى محاولة رصد التحولات والتطورات العسكرية والانتقال من منهج عسكري فلسفي فعال الى آخر وتسليط الضوء على سلاح الجو في الوقت الحاضر وأمكانية استخداماته في الحروب القادمه.

أقول إن المتأمل لأهمية البندقيه في بداية استخداماتها سوف يصل الى نتائج أن البندقية البسيطه هذه أستطاعت حسم أهم المعارك في منتصف القرن الماضي عندما كانت السلاح الجديد الهائل التطور وهذه البندقيه كذلك أستطاعت حسم أهم المعارك التى شهدها العالم الغربي قبل الحرب العالمية الأولى وأستمرت أهمية البندقيه حتي بدأ أختراع ودخول قدرات عسكرية جديدة مثل المدافع والدروع وناقلات الجنود وهذه التطورات والتحولات النوعية قللت الى حد بعيد أهمية البندقية في الحروب العسكريه وهيمنتها الى حد كبير بينما أستطاعت البندقية تهميش السيف والسكين والحروب القديمة وهذا لا يعني أن البندقية والسكين لم يعد أستخدامها وارداً وأنما نقول أن دورها الحقيقى تهمش وتضائل إلى حد ما. ومنذ الحرب العالمية الثانية بدأت الدبابات والدروع والمدافع تتطور بشكل مذهل ومتعدد الأغراض من أجل أن تستطيع البقاء

والمنافسه في فوائدها القتاليه حيث أصبحت المدافع تصل الى مدى بعيد نسبياً والدبابات أصبحت لديها القدرة على السرعة والمناورة في التحرك وضرب الخصم إلا أن كل هذه التطورات لم تستطيع مجارات الاختراعات الجديدة على مستوى سلاح الجو الذي بدأت تظهر أهميته بعد الحرب العالمية الثانية بشكل قوى وجلي وخصوصاً عندما خاضت المانيا أهم نجاحاتها العسكرية بعد قصف جوى مكثف وهذا يصدق على قوات الحلفاء خصوصاً عندما كانت المدن الالمانية الهدف الحقيقي لسلاح جو الحلفاء الذي أستطاعت تدمير خطوط الأمدادات والتموين وأستطاع تدمير الروح المعنويه سواء للجيش بشكل خاص والشعب الالماني بشكل عام.

كان تطوير سلاح الجو فتحاً هائلاً بالمدارس والقدرة القتالية أستطاعت أن تتطور خلال عقود الزمن التى أعقبتها خصوصاً مع الحرب الكوريه ثم حرب فيتنام ثم النجاح المذهل والحاسم لسلاح الجو الأسرائيلي في أنهاء القوه المصريه خلال فترة وجيزة عام ١٩٦٧م. هذه التحولات والتطورات جعلت من سلاح الجو سر الأسرار لحسم المعركة والانتصار بل ذهبت كثير من الدول والعربيه منها على وجه الخصوص ذات القدرة والامكانيات الى تطوير هذا الجانب من السلاح كأحد أهم مرتكزاتها العسكرية. وفي مرحلة نشوء وأهمية سلاح الجو كان تطوير القدرات العسكرية جاري بشكل مذهل وخصوصاً على مستوى تطوير الصواريخ ذات القدرة التدميريه الهائلة وجعلها متعددت الأغراض سواء لحمل قدرات نووية أو قدرة تدميريه تقليدية وكذلك أصبحت الأهداف التى يمكن أن تشملها هذه القدرة التدميريه متعددة ومتنوعه فهى تمتد إلى ضرب التجمعات العسكرية وخطوط الامداد والتموين إلى ضرب مخازن الذخيرة في حالات الحروب النظيفة (إذا كان هناك حرباً نظيفة) إلى ضرب القدرات والمنشأت الاقتصادية والصناعية والتى تمتد من المنشأة الصناعية إلى المنشأة الصناعية الحيويه مثل الكهرباء والماء وغيرها من المنشأت التى تعمل علي سير الحياة المدنية، بل تذهب القدرة التدميرية للصواريخ الي ضرب التجمعات البشرية من أجل بث الذعر وزعزعت الثقة داخل الدولة المستهدفه وضعضعت الروح المعنوية للجنود على سحات المعركة وأصبحت الصواريخ متعددة الأغراض بحيث أصبحت أستخداماتها متعدده من ضرب الهدف الجوي إلى الأرضي ومن الصاروخ الغبي الذي يضرب هدف كبير الى الصاروخ الذكي الذي يضرب هدفاً دقيقاً بعينه.

أن المراقب لتطور السلاح سوف يلاحظ أن جدلية التطوير والانتقال سائره وتسير على القدرات العسكرية بشكل قوى وواضح وأن التطور المتسارع في القوه العسكرية والذي ينتج عنه الانتقال الى سلاح وقدرة عسكرية أخرى وإذا كانت هذا ينطبق على البندقية والدبابه والمدرعه فإنه كذلك ينطبق على سلاح الجو حيث أن العقد الأخير وعلى مشارف العام ٢٠٠٠م، فأن سلاح الجو رغم التطور المذهل الذي يعيشه فأنه يواجه تحديات حقيقيه من القدرة الصناعية للصواريخ المتطورة وتعدد أغراضها حيث أستطاعت حرب الخليج الثانية كشف هذا بشكل قوي

وفعال . قد يقول قائل ولكن حرب الخليج أثبتت العكس حيث أثبتت أهمية سلاح الجو وقدرته على تدمير القوات العراقية ولكن المتأمل في ذلك سوف يرى أن أستخدام سلاح الجو كان فعالاً بشكل قوي لان القدرات العسكرية للخصم كانت متواضعه على المستوي التقدم التسلحي والعقيدة العسكرية وحيث أستطاعت قوه عسكريه جوية متطورة ضرب قوه عسكرية متخلفه قائمه على الدورع والدبابات ومع ذلك فإن أهم الأهداف فى العمق أستطاعت الصواريخ ضربها وليس سلاح الجو.

إذاً أن حرب الخليج كانت عبارة عن حرب بين معدات ما بعد الحرب العالمية الثانية لقوة التحالف مع قوات ما قبل الحرب العالمية الثانية لقوة العراق ولكن في ثنايا الحرب تكتشف وبشكل مبدئى أن الفوز الحقيقي هو السلاح الجديد وهو سلاح الرصاصه الهائله ذات القوة التدميريه وهي الصاروخ حيث أستطاع هذا السلاح أختراق جميع القدرات الدفاعيه سواء في العراق أو إسرائيل لضرب الهدف وبالتالي فأن كثافة صاروخيه فعاله مع شبكة أتصالات وتوجيه قادرة على ضرب الأهداف العميقه والمهمه بشكل أقل تكليفا من سلاح الجو سواء على المستوى المادي أو البشري.

إن حرب مثل حرب الخليج هي التى دفعت دولة مثل إسرائيل إلى أعادة دراسة أهمية وجدوي سلاح الجو وخصوصاً وأن سلاح الجو كان العمود الفقري للقوة العسكرية الإسرائيلية منذ قيامها عام ١٩٤٨م عندما كانت تقارع به القوه العسكرية العربية القائمة على البندقية والدروع والمدافع قصيرة الأمد. وأن حرب مثل حرب الخليج هي التى دفعت العسكري المخضرم بسلاح الجو الاسرائيلي اليزر كوهين (Eliezer Cohen) إلى تأليف كتابه المهم عن سلاح الجو الاسرائيلي وهو «أفضل دفاع عن إسرائيل» (ISRAEL.S BEST DEFENES) نشر ١٩٩٣م والذي تابع فيه تطور سلاح الجو الاسرائيلي مع اعطاء تفاصيل عن أهم المهمات التى قام بها سلاح الجو الاسرائيلي خلال مرحلة الأربعين سنه الماضيه حتى وصوله إلى حرب الخليج الثانية التى بداء بطرح أسئلة مهمه عن مستقبل وأهمية سلاح الجو. ومع أن الرجل لم يأتي بأي حلول أو تصورات واضحة أو ممكنة إلا أنه بدأ يشكك بفعالية وقوة سلاح الجو في حرب مستقبلية مع قوة عربيه مهمه ومتطورة على المستوى الصاروخي والاتصالات والاستخبارات، وأن سلاح الجو الاسرائيلي يمكن أن يكون عاملاً مسانداً لمثل هذه الحروب وسوف يكون أكثر فاعلية عند دخول حرب مع خصم أقل تطوراً.

إن ما حدث للقدرات العسكرية المختلفة منذ الحرب العالمية الثانية يبدو أنه يصب ويجرى على سلاح الجو كذلك حيث أن عصر القوة الجوية القائم على الطائرة المقاتله أصبح يأخذ بالتحول والتغيير وأصبح سلاح الجو قوة عسكرية مساندة وليست العمود الفقري للقوة العسكرية للدول حيث سوف يحل محلها القوه الصاروخيه الموجهة بالاقمار الصناعية والعقول

الالكترونيـة والقائم على قدرة معلومـاتية هائلة سواء عن الذات وعن الخـصم ومن كل ذلك فأن سلاح الجو سوف يبقي أهم الاسلحة العسكرية للدول الضعيفة والمتخلفه وليست القوى والدول المتطورة وأن الحروب القادمـه سوف تشهد نقلة نوعيـة على مستوى تحديد الأهداف وانتـقائها وضربهـا عن طريق القوة الصاروخيـه الأقل تكليفاً على المسـتوى البشري والمادي بشكل أكـثر فاعليه وجـدوى عسكريه. وهنا يطرح السؤال الأهم أين الدول العربيـة متجهة وخـصوصاً وأن إسرائيل نموذجا يستحق المراقبة والملاحظة والتحليل.

الغرب والنظرة إلى المسألة الشيشانية

مما يجعل السياسة اكثر اثارة للمتخصص والممارس هو ذلك الغموض واللاحدود وعدم الوضوح في المواقف السياسية أي أن جزء من متعة وقوة السياسة في نظرة الممارس أو الدارس للسياسة هو هذه العقد التى تحتاج الى فك ثم يتبعها المزيد من العقد وإذا كان هذا مصدر من مصادر المتعة لممارس ودارس السياسة فإنه يعد أحد عيوب السياسة للشخص غير المراقب وغير الممارس وغير المتخصص بل أن هذا الغموض في نظر العامة هو نوع من الملل يقود الى عدم الأهتمام ولذلك كان فكر المجاميع الشعبية واضحة مباشرة وهي تهتم بسرعة وتفقد الحماس والاهتمام بنفس السرعة.

من هذا المنطلق يمكن تحليل الموقف الغربي حول المسألة الشيشانية والقضية الروسية كما يمكن أن تطرح في الغرب كما كان مفهوم السؤال الالماني في أدبيات العلوم السياسية التاريخية وهي الأدبيات التى أشغلت الدارسين والممارسين للسياسة الجزء الاكبر من القرن العشرين. أقول أن موقف الغرب من الشيشان يقوده عاملان رئيسيان وهما: ـــ

١ ـــ المصلحة السياسية والاستراتيجية الحاضرة والمستقبلية وهذا يعني فيما يعنيه مزيد من تقوية القوى المحلية والقوى الجديدة فى آسيا الوسطي وعلى مشارف وحدود روسيا ويعني تقوية هذه القوى خلق نوع من التعاون مع هذه القوى والدول الجديدة حتى يمكن خلق مناطق نفوذ سياسي وأستراتيجي ومناطق أستثمار أقتصادي في المستقبل. وهذا العامل لا يمكن أن يتحقق إلا في تزامن مع العامل الثاني وهو

٢ ـــ أدخال روسيا في دوامة جديدة من القضايا المختلقة التى تستهلك طاقة الساسة الروس إلى حد أبعادهم عن النقاط الاستراتيجية والاقتصادية الهامة التى يمكن أن تعيد للروسي وروسيا المكانة التى تتناسب مع قدراتها وامكانياتها.

وهذين العاملين يتطلبان من الموقف الأوروبي خلق نوع من التوازن والزيادة التدريجية في وسائل الضغط مع تعدد أنواعها من البعد السياسي أي أحراج وعزل روسيا على مستوى الساحة الدولية إلى البعد العسكري من حيث والدعم غير المباشر في المستقبل لكل ما يمكن أن يخلق قلاقل لروسيا اليوم الى الحد الذي يمكن أن يصل في المستقبل الى دعم الحركات الانفصالية كما حدث في دعم الدول التى انسلخت من الاتحاد السوفيتي السابق تحت مفهوم دعم أستقلال هذه الدول وأنفصالها وأبعادها عن الاعتماد على روسيا الدولة الأم لهذه الدول. بل أن العامل الاقتصادي اليوم يعد واحد من أرخص الاسلحة التى يستخدمها الغرب ضد روسيا

وليس في مجال المساعدات الخارجية التى ليس من المتوقع توقفها لأسباب عديدة منها : ـــ

أ ـــ أن ثلثي هذه المساعدات المقدمة من الغرب لروسيا اليوم تذهب من أجل تطبيق معاهدات خفض التسلح وهذا يعني أن اموال الغرب اليوم تذهب الى تدمير أحد أهم عوامل قوة روسيا اليوم والاتحاد السوفيتي السابق أي أن روسيا تدمر قوتها دون أن يكون لها الامكانيات لبناء ترسانة جديدة من الاسحلة ناهيك عن التطوير.

ب ـــ أن الثلث الباقي من هذه المساعدات المقدمة من الغرب تذهب الى دعم التوجه الديمقراطي في روسيا وهذا يعني أن هذه الاموال تذهب الى بناء قوى أجتماعية وسياسية تقف بجانب الغرب ضد القوى المتطرفة في روسيا أي أن العامل الثاني هذا وهو خلق قوى ديمقراطية يكمل العامل الأول وهو تدمير القوة العسكرية للقوة الروسية دون أن يكون هناك بديل لهذه الألة العسكرية المدمرة التى يمكن أن تجعل روسيا في مصاف الدول الهامة على المستوي الدولي.

على الرغم من أعتراف الغربي والولايات المتحدة الامريكية بوحدة روسيا وهو الذي يعني أن أنفصال الشيشان في هذه المرحلة يضر بالموقف الغربي والامريكي أي أن أنفصال الشيشان يعني خلل في الاستراتيجية الغربية تجاة روسيا بل أن العقل السياسي والاستراتيجي الغربي يرى أن بقاء الشيشان في إطار روسيا الاتحادية يعني التالي : ـــ

١ ـــ مزيد من استنزاف للقوة الروسية بابقاء الجرح الروسي ينزف أطول مدة ممكنة حتى وأن كان على حساب الضعفاء من الشيشان الذين ليس لهم ناقة ولا جمل في كل ما يحدث.

٢ ـــ أستخدام المسألة الشيشانية كورقة سياسية ضاغطة على روسيا أطول مدة ممكنة يمكن استخدامها في بعض التنازلات العسكرية والاقتصادية أو الديمقراطية على مستوى النظام السياسي.

٣ ـــ أفراغ القوى الاسلامية والنشاط الاقتصادي الاسلامي في قضية الشيشان أي أفراغ قوى سياسية وأقتصادية أسلامية لمساعدة الشيشان في خدمة الاهداف الغربية أي أضعاف روسيا في المستقبل أي أن الآخرين غير الغرب يساهمون في تحقيق الاهداف الغربية في روسيا.

إن من المتوقع أن يكون الموقف الغربي غير محدد الملامح في هذه المرحلة تجاه القضية الشيشانية ليس لان الغرب ليس لديه فكرة أستراتيجية واضحة بل العكس أن هذه الموقف الغامض هو جزء من هذه الاستراتيجية أي استخدام بؤر الصراع أطول مدة ممكنة بل أن هناك خلافات جديه يتم مناقشتها من أجل اضعاف روسيا ومنها فك أرتباط روسيا نهائياً مع دول آسيا الوسطي وتشكيل أوروبا قوة تدخل سريع لا يقابلها قوة على الجانب الروسي وهذا يعني أن مسألة التدخل الغربي في الشوؤن الروسية هي مسألة وقت سوف تكون أقوى واكبر واكثر في المستقبل عندما تتكامل سلسلة التحالفات الاقتصادية والاستراتيجية في العالم فإن روسيا

سوف تكتشف بنفسها أنها تبحث عن رضى القوى الأخرى من أجل البقاء والاستمرار كقوة قادرة عن الدفاع عن نفسها بل أن مصدر قوة روسيا اليوم وهو القوة العسكرية من المحتمل أن يكون هو المشنقة التى سوف تدفع الدول الغربية لبنائه من أجل القضاء على روسيا نفسها وأنهاء أي نفوذ أو قوة لها في المستقبل ومن اليوم حتى يحين ذلك اليوم فإن الغرب سوف يترك الشأن الشيشاني مستمر التوقد أطول مدة ممكنه بل وخلق بؤر جديدة يمكن استثمارها فى المستقبل سواء من قلب الدولة الروسية أو من أطرافها. أم أن روسيا تقلب الطاولة مستفيدة من التناقضات المحتملة داخل الاطار السياسي الغربي وتوظفة لمصالحها السياسية القريبة والبعيدة الاجل.

الغرب ... مركز العالم

أنبثقت الدراسات السياسية منذ بداية الفلسفة السياسية من العالم الغربي من اليونان على وجه التحديد ومنذ أن خرجت أوروبا من عصور الانحطاط ونفضي هيمنة الكنيسة عنها وهي تلعب دور المحرك على أنها مركز العالم أو ما عرف في بعض الدراسات بدراسة المركز والاطراف. وإذا كان منهج دراسة المركز والاطراف ذات بعد اقتصادي في فترة من الفترات فقد لعب البعد السياسي الدور الاكبر والأهم بل ان النظام الأوروبي في مرحلة تاريخية كان يعد مركز العالم بل ان بعض الدراسات تأخذ على أن النظام الغربي هو العالم السياسي ببعده القومي والدبلوماسي وبقيه العالم لا يتعدي ويتجاوز كونه مناطق ريفية وتابعة لهذا المركز المهيمن ومن هنا أنبثقت هذه الدراسات ترتبط مفهوم التطور والتخلف والقوة والضعف في منطق المركز والأطراف.

كل ما سبق كان مقدمة يمكن وصفها للدخول إلى أحياء القيادة الأوروبية للعالم بالمساعدة الأمريكية بل يمكن القول بموافقة وتأييد أمريكي يخدم مصالح وتطلعات الأخيرة من أجل مزيد من التأثير على النظام العالمي في الحاضر وبالتالي المستقبل.

وبالفعل فإن مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي المعقود في أسطنبول في تركيا يركز على مفهوم هذه القيادة والريادة من النظام الغربي للعالم ليس فقط من ضخامة القوة الاقتصادية للقارة الأوروبية والولايات المتحدة الامريكية والتى تشكل القوة والثقل الحقيقي في العالم، وليس للقوة العسكرية الضاربة سواء التقليدية أو النووية والتى جعلت من أوروبا وأمركيا القوة الاوحد في العالم وليس للاستثمارا الهائلة في مجال البحث والتصوير العلمي والتكنولوجي والذي لا يرقى اليهم أحد سوى بعض المواقف اليابانية من حين إلى آخر وليس للقوة المعرفية النظرية التى تتخصص فيها أوروبا والولايات المتحدة الامريكية العالم لعقود من الزمن.

بل أن القيادة النظرية السياسية التى تقودها أوروبا والولايات المتحدة الامريكية تعد واحدة من أهم عناصر القوة والمبادرة. فإذا تركنا البعد الاقتصادي الواضح للعيان الذي يبرز أوروبا وأمريكا في مقدمة العالم فإن القرارات التى وضعها المؤتمرون في اسطنبول تعد وثيقة التغيير السياسي للمستقبل حيث أن أهم هذه البنود كان هو أقرار وأعتراف الدول الأوروبية صغيرها وكبيرها فهمها وهامشها ان ما يحدث في أي دولة من الدول يعد من أهتمام بقية الدول الأخرى بمعني أن هذا القرار يعني فيما يعني الآتي: —

١ — أن مفهوم السيادة والاستقلالية بمفهومها التقليدي السابق أخذ ينحسر وبتأكل

بشكل قوي وواضح بل أن هذا القرار يعني أن مفهوم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاعضاء أمر وارد بل أمر قانوني ومطلوب وهذا يعني ايضا قدرة الدول الكبرى للتدخل وتسيير شؤون الدول الصغرى شيء يمكن القبول والتسليم به أو أن الدول الصغيرة ذات التوجه القومي المتشدد لم يعد لها مكان في أوروبا اليوم وهذا بعد تغيير قوى في العقلية والذهنية السياسية الأوروبية.

٢ — ان مفهوم الخصوصيه الفكرية والايديولوجية وكذلك الخصوصية القومية لم تعد ذات فاعلية اليوم في أوروبا أي أن مفهوم النظرة القومية في أوروبا أخذت بالاضمحلال ولم يعد هناك مكان لقوى متعصبة مثل الصرب أو حتى للالمان في أوروبا المستقبل.

٣ — ان هذا القرار يعني ان الدول الكبيرة في منظمة الأمن الأوروبي لها دور القيادة والتوجه في الشؤون الأمنية الأوروبية وهذا يعني أن أمريكا، بريطانيا، فرنسا لهما دور مهم وخصوصاً دولة قوية مثل الولايات المتحدة الامريكية في الشؤون الأوروبية.

ان مفهوم السيادة ببعده السياسي الذي أخذ بتآكل على صخرة الواقعية الاقتصادية هو النموذج الذي يعد القاعدة التى يمكن ان تكون عليه مستقبل منظمة التجارة العالمية بمعنى أن منظمة التجارة العالمية بمعاولها الاقتصادي سوف تسهم الى حد كبير في هدم مفهوم السيادة للدول التى تنظم لهذه المنظمة في المستقبل. ومما يعني كذلك ان مفهوم الخصوصية الوطنية أو القومية للدول الاعضاء في المنظمة العالمية سواء الخصوصية السياسية أو الاجتماعية أو الدينية أو العرقية لم يعد لها وجاهه سياسية أو دبلوماسية بل سوف يكون أثر وتأثير النظام الدولي عبر منظمة التجارة العالمية ممثله بالنموذج الأوروبي اليوم هو المعيار والمثال الحقيقي التى سوف تكتشف دول العالم الثالث أنها مطالبة بتطبيقة من أجل مزيد من التداخل السياسي والاقتصادي الدولي.

أن مفاهيم السياسة مثل استخدام القوة في الشؤون الداخلية أو التصرف والتأثير علي القوى الاجتماعية والتصرف في الموارد الاقتصادية التى كانت الدول في السابق تعد أحد أهم أدوات بقائها وقوتها فإن الخيارات أمام الأنظمة السياسية أصبحت محدودة بل أن الحديث عن مجتمع مدني ذو أستقلالية عن النظام السياسي أصبح فكر نجاوزها الوقت بل أن الحديث اليوم عن مجتمع مدني عالمي ذو قيم وتوجيهات عالمية اكثر من كونة مجتمع مدني وطني أو قومي كما كان البعد الاجتماعي والسياسي السابق.

أن أوروبا عززت هذا التوجه السياسي والاقتصادي من أجل أضعاف التوجه القومي في دول أوروبا الصغيرة والتى تأخذ بالمفهوم القومي من أجل تماسكها الوطني أقول أن أوربا عززت هذا التوجه بالقرار القوي والبعيد الأثر على أوروبا وهو خفض القوات التقليدية للدول الأوروبية (التقليدية وليس النووية) وتواجدها في المناطق الاخرى وهذا يعني مزيد

من اضعاف الدول الصغيرة والمتوسطة ومزيد من القوة للدول القوية والغنية القادرة على خفض هذه القوات وتعبئتها بشكل سريع ونقلها الى مواقعها بشكل أسرع من الدول الصغيرة. وبالتالي فإن الدول الصغيرة سوف تكتشف أن خيار الاندماج الاقتصادي هو الاكثر عقلانية وأن الاحتماء وراء البعد القومي والوطني تدعمة قوة عسكرية قوية خيار رلم يعد موجود ولم يعد واقعي وهذه الحاله وهذه الخيارات التى تواجهها دول أوروبا الصغيرة هي الحالة التى سوف تجدها الكثير من دول العالم الثالث أنها تعيشها فسيكون الخيار بين مفهوم الخصوصية السياسية والاجتماعية والقوة العسكرية مع الموت أو الاندماج مع عالم يتدخل في قضاياك الصغرية والكبيرة.

العنف كأداة أستراتيجية

من المتعارف عليه أن الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به الدولة أي دولة لعب دوراً إيجابيا أو سلبياً في أدارة دفة السياسة حيث نجد أن موقع الدولة على مضيق مهم كما هو الحال لدولة مصر العربية وتربعها على قناة السويس والتي لعبت هذه القناة في تهافت الدول من فرنسا حتى الأحتلال البريطاني حتى قيام إسرائيل بالوصول إلى مشارف قناة السويس وإذا كانت قناة السويس قد جلبت الأطماع على مصر من الدول الأخرى فإن هذا الموقع المتميز جلب دخلاً مهماً يعد من أهم مداخيل مصر الثابتة فى هذا الوقت والحديث بصدق كذلك على عدن عندما سعت بريطانيا إلى فصلها عن باقي اليمن والسيطرة عليها حيث أن من يسيطر على قناة السويس وعدن يعد مسيطراً على مداخل ومخارج البحر الأحمر الشريان الحيوي الرابط بين آسيا وأوروبا ولنقل الطاقة من منطقة الخليج إلى العالم الصناعي قبل صناعة الناقلات العملاقة التى تدور على رأس القارة الافريقية من جهتها الجنوبية.

ومن المتعارف عليه أيضاً أن القدرة الاقتصادية وخصوصاً الموارد الطبيعية التى تمتلكها الدول تعد أحد أهم الادوات الاستراتيجية سواء السياسية أو الاقتصادية أو حتى العسكرية حيث أصبحت دول الخليج العربي محط أنظار العالم وأطماعهم منذ اكتشاف هذه الأهمية الاستراتيجية في أحتوائها على مخازن نفطية كبيرة ما دفع دول هذه المنطقة إلى التعامل مع هذه الحقيقة بشكل واقعي وموضوعي وليس من المتوقع أن يخف هذا الأهتمام إلا مع مزيد من الاكتشافات النفطية حول العالم وخصوصاً من مناطق آسيا الوسطى التى مرشحة أن تلعب دوراً أكبر من دورها السابق بعد أن كانت منطوية تحت لواء الاتحاد السوفيتي وإذا ما تحقق الاستقرار السياسي والاستثمار الاقتصادي للنفط والغاز فأن اهتمام الدول سوف يتوزع على هذه المناطق بدل الاهتمام المنصب على منطقة الخليج بمفردها وهذا لا يعني الغاء الأهمية الدينية والحضارية لمنطقة حيوية مثل العالم العربي والخليج بشكل خاص.

والاهمية الاستراتيجية للبعد الاقتصادي لا ينصب على المواد الخام بل يعد التحديث الاقتصادي والتطور التصنيعي أحد العوامل المهمة في هذا الأطار حيث أصبحت دول مثل دول شرق آسيا من الدول ذات الأهتمام الدولي وخاصة من دول تعدها منافس مهم مثل الدول الغربية أقول أصبحت الدول الآسيويه نمط أهتمام أستراتيجي من قبل الدول الغربية بعد أن شكلت هذه الدول قوة صناعية مهمة بدأنا نلمس الأهمية الاستراتيجية الأقتصادية لهذه الدول مع الأزمة الاقتصادية التى تجتاح آسيا في هذه الفترة ونشهد تحرك صندوق النقد الدولي للعمل

على ازجاء النصائح الاقتصادية لهذه الدول على الرغم من أن قناعة هذه الدول من أن النصائح الاقتصادية التى يقدمها صندوق النقد الدولي سوف تُدخل هذه الدول في كساد أقتصادي بعيد المدى ومديونية قد تدفع إلى الأفلاس ناهيك عن الآثار الاجتماعية والسياسية التى سوف تقودها نصائح صندوق النقد الدولي من جراء البطالة والأرتفاع الفاحش للأسعار وخصوصاً أسعار السلع الرئيسية.

ومما يلفت للنظر في نهاية هذا القرن هو تبلور مفهوم العنف كأداة أستراتيجية بدل من كونها أداة تكتيكية حيث تشهد ساحة الدول نمو هذه الظاهرة بشكل تدريجي متزايد ونشاهد أنتقال ظاهرة العنف من كونها من دول إلى جماعات شبه منظمة إلى حالات فردية حيث تري مثلاً أن العنف كان هدف أستراتيجي بحد ذاته في حرب البوسنة والهرسك حيث شاهدنا كيف كانت عمليات التطهير العرقي التى شهدتها أراضي البوسنة ولهرسك على يد الصرب من أجل خفض عدد البوسنين أما بالقتل الجماعي أو التهجير الجماعي ومع أن الحالة البوسنية لم تكن الأولى حيث أن أوروبا شهدت هذه الحالة ثم شهدتها أفريقيا وخصوصاً المذابح الجماعية والفظائع بين القبائل في رواندا والتى لم تكن ضحايا القتل هم الذين دفعو ثمن هذا العنف بل أن المهاجرين قد دفعو ثمن هذا العنف وخصوصاً عندما أجتاحهم العنف من قبل الدول المجاورة أو من قبل الأمراض والمجاعات التى قضت على العديد من هؤلاء الهاربين من الخوف والموت السريع إلى الخوف والموت البطيء. ومما يميز الاستراتيجية العنيفة في كل من أوروبا وأفريقيا أنها كانت تحدث بين جماعات مختلفة وأعراق مختلفة وديانات مختلفة دفعها التنافس الديني والعرقي والسياسي إلى هذا العنف إلا أن ما تشهده الجزائر هو عنف من نوع مختلف حيث أن تضارب الآراء والانباء والغموض الذي يكتنف العنف فى الجزائر بجعل الدارس والمحلل لحالة العنف هذه يصاب بنوع من التردد حيث أن التقارير تشير أن حالة العنف في الجزائر قد حصدت بين ستون ألف (٦٠,٠٠٠) إلى ثمانون ألف (٨٠,٠٠٠) نسمة منذ الغاء الانتخابات الجزائرية عام ١٩٩١م وأن معظم هولاء الضحايا هم من الأطفال والشيوخ والنساء بشكل يصعب فهمة أو التفكير فيه حيث أن الجزائر لا تعد حالة تنافس عرقي على الرغم من أن فرنسا حاولت خلق وإيجاد حالة صراع وعداء بين الامازيغيين والعرب إلى أنها لم تسجل نجاحاً حقيقياً في هذا المجال ومع ذلك تكتشف كل يوم أن حالات المذابح التى تشهدها الجزائر هي من أبناء الدين الواحد والعرق الواحد والثقافة الواحدة والمصير الواحد ولا يمكن أن تجد هذه المذابح التبربر المنطقي سوى أن العنف أصبح أداة ووسيلة أستراتيجية لدى الأطراف المتصارعة في الشأن الجزائري حيث أصبحت القوى المتصارعة تستخدم العنف كوسيلة لتحقيق أهدافها ولكون مصادر العنف غامضة وغير واضحة حيث تذهب بعض التحاليل إلى أتهام أطراف مهمة داخل الجزائر ومن مسؤوليتها حفظ الأمن إلى جماعات خارجة عن القانون. أن ما تشهده الجزائر هي حالة من فقدان التوازن

السياسي دفعت القوى المتصارعة بدون أستثناء إلى العمل على تحقيق مكاسب بعد أن أصبحت القوة هي الوسيلة للحصول على الهيمنة واصبح مختلط بين أناس كان من المفترض أن يرابطون في ثكناتهم العسكرية بدل من الخوض في دهاليز السياسة وأن الاستراتيجية العنفية التى تشهدها الجزائر مرشحة للاستمرار مادام الوضع السياسي باقي على ما هو عليه ما لم يحدث حواراً وطنياً تشترك فيه جميع الفعاليات الوطنية الحقيقية التى تدافع عن مصالح الجزائر وليس فقط بقايا فلول الجيش الفرنسي.

العلاقات الأمريكية الأيرانية

من المتعارف عليه فى أدبيات العلوم السياسية وخصوصاً السياسه الخارجية أن السياسة الخارجية للدولة أي دولة لا تتغير بسرعه بل تتغير ببطيء وتأخذ فترة زمنية ليست بالقصيرة من أجل التحول من نمط في السياسة الخارجية إلى آخر ولعل ما كتبه أحد الباحثين في مجال السياسة الخارجية عندما طبق دراسته على أكثر من عشرة آلاف حالة في السياسة الخارجية وجد أن ٣٪ فقط حصل عليها تغير وتحول في سلوكها الخارجي وهذا التحول والتغير لم يكن سريعاً بل أخذ يمتد من سنتين إلى خمس سنوات على أختلاف الحالات وهذا ما يجعل بناء وتغير السياسة الخارجية بطيء وفي نفس الوقت غير ملاحظ من قبل الأشخاص غير المراقبين للوضع والتحولات الدولية.

والعلاقات الأمريكية الأيرانية لا تخرج عن هذا الأطار حيث تبقي السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الخليج هي هي إلى حد بعيد منذ دخولها المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية وتلى الفراغ السياسي الذي تركته بريطانيا حيث تقوم هذه السياسة على مبدأ تدفق النفط من الخليج بدون أنقطاع وبأسعار معقولة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وكذلك أبعاد منطقة الخليج عن الهيمنة السوفيتيه في مرحلة الحرب الباردة ثم بعد ذلك مصدر للدخل من جراء بيع السلاح بعد الحرب الباردة وأخيراً الاحتفاظ في هذا المنطقة لصالح وإلى جنب الولايات المتحدة الأمريكية وهي تدخل القرن الواحد والعشرين وتثبت ذاتها كدولة عظمي في العالم الجديد . وأمريكا في ذات الوقت لابد أن تكون لها مكانة مميزة في الخليج خصوصاً وأن تنافسها الكبير قادم مع آسيا وأوروبا في المستقبل لذلك تبرز أهمية الخليج كأحد المناطق المهمة في العالم. لذلك فإنه من المتوقع أستمرار أهمية الخليج كأحد الحلقات المهمة في السياسة الخارجية الأمريكية إلى أمد منظور.

ومن جانب آخر فإن ايران تعد نفسها كأحد الدول العظمي في الخليج وحلقة من حلقات الصراع الدولي على المستوى الحرب الباردة حيث كانت تمثل إيران الشاه أحد محاور السياسة الخارجية الأمريكية ضد الاتحاد السوفيتي والذي كان الشاه من خلال هذا المحور يستغله للعب دور القوة في منطقه الخليج وعندما ذهبت الثورة بالشاة فإن الخطوط العريضة للسياسة الخارجية الايرانيه لم تتغير جذرياً بل عطلت في مرحلة التغير الداخلى الكبير في ايران ثم بدأت تمارس قوتها الأقليمية في حربها ثمان سنوات مع العراق لتدخل ايران مرحلة إعادة ترتيب أولوياتها السياسية بعد الحرب العراقية الايرانيهةوهي القوات

التى جاءت بالسيد/ رفسنجاني لسدة الحكم في ايران ممهداً الطريق لوصول السيد/ خاتمي الرئيس الايراني الجديد لادارة دفة السياسة الخارجية الايرانيه.

والسيد خاتمي ليس حراً في تنفيذ السياسة الخارجية الايرانيه كما يبدو للوهلة الأولى. فإن العارفين بتعرجات وخفايا السياسة الايرانية يرون أن السيد خاتمي والتوجه الذي يمثله لا يتعدى عن كونه حلقة من حلقات القوى في ايران حيث يوجد قوة المحافظين وقوة الحرس الثوري الايراني ناهيك عن القوى الليبرالية الواقعة خارج الخريطة السياسية الرسمية الدينية في ايران. بمعنى أن القوى التى يمكن أن تقف في وجه خاتمي هى قوى من داخل الحلقة الديمقراطية المصغرة الدينية في ايران أو ما يمكن أن يطلق عليها الديمقراطية المركزية وليس التحديات من خارج هذه الحلقه.

ورغم كل التحديات التى من المحتمل ان تواجه خاتمي فإنه لن يخلق أهداف جديدة للسياسة الخارجية الايرانيه بل سوف يحاول تحقيق ذات الأهداف وذات المنطلقات ولكن سوف يأخذ أسلوباً آخر في تحقيق مثل هذه الأهداف حيث من المحتمل أن يعمل على أن تكون ايران أحد الدول المتفهمة لطبيعة المنطقة وطبيعة السياسة الدولية وبالتالي بأخذ شكل ومفهوم التعاون اكثر من مفهوم التصادم في تحقيق سياسته الخارجية. وإذا كان مفهوم التصادم اكثر منطقية لحكومة الثورة السابقة هي الاكثر منطقية من اجل المزيادات الانتخابية والتمسك والولاء لمباديء الثورة فإن ذلك أدي الى تردى الوضع الاقتصادي الأيراني وبالتالي فإنه من المحتمل أن يذهب السيد خاتمى إلى العمل لقلب المعادلة بتحقيق المصالح الاقتصادية والاجتماعية من أجل شراء أصوات الناخبين بدل من المزايدات الثوريه ، وعلى الرغم أن هذه التوجه من المحتمل أن يقود الى مصادمات سياسية داخلية وبالذات مع الحرس الثوري ورجال الثورة القدامى الى ان تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي وأدخال أيران إلى النظام الدولي كفيل باسكات القوى المعارضه.

على الرغم من كل ما سبق لا يعني أن أيران وصلت الى بر الأمان السياسي تحت قيادة السيد خاتمى فإن هناك العديد من المواضيع المتعلقة والكبيرة التى يمكن أن تسرق الأضواء من برنامج خاتمى السياسي وتبدد أحلامه في إحداث تغيير في السياسة الخارجية ومن هذه المواضيع هو العلاقة مع الغرب وبالذات مع الولايات المتحدة الأمريكية.

عندما خسرت الولايات المتحدة الأمريكية أيران بعد الثورة والعراق بعد الحرب الخليجية الثانية كانت هناك بعض الأصوات داخل الدوائر السياسية الأمريكية التى ترى أن الولايات المتحدة تمارس الفشل في السياسة الخارجية خصوصاً وأنها تخسر اكبر قوتين من ثلاث قوى فى منطقة الخليج أيران والعراق، الدولتين اللتان تتمتعان بقوة بشرية وأقتصادية وأستراتيجية وبالتالي فإن أهمال هاتين الدولتين هو نوع من الفشل فى السياسة الخارجية

الأمريكية لذلك عمدة الولايات المتحدة الأمريكية الى عزل تلك الدولتين أي تصبح المعادلة هي إذا لم تفوز الولايات المتحدة الأمريكية بهاتين الدولتين فإنه لا يمكن أن تفوز بهما أي دولة أخرى وخصوصاً فى أوروبا وروسيا والصين وبالتالي سعت الى عزلهما واصدار قوانين أستثمارية صارمة ضد هاتين الدولتين وبالتالي تكون السياسة الخارجية الأمريكية على النحو التالى : أيران والعراق قوتين مهمتين في الخليج ولكن سياستهما الخارجية لا تتمشى وتفهم المصالح الأمريكيه لذلك لابد من أهمال وعزل هاتين الدولتين والتأكد من عدم فوز أي دولة من الدول المنافسة بهما. كل ذلك يقوده السياسات الرعناء والغير مدروسه للعراق وكذلك مفهوم تصدير الثورة والتسلح النووي لأيران.

وإذا تركنا العراق جانبا وركزنا على أيران فإن أيران تحت رئاسة السيد خاتمي سوف تحاول كسر هذا الحاجز مع الولايات المتحدة الأمريكية وكسر مفهوم سياسة التوازن السلبي التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكيه في المنطقة وبالتالي فإن السيد خاتمي من المحتمل أن يحاول كسر هذه السياسة من ثلاث مداخل رئيسية .....

أولا : تحسين علاقة أيران مع جيرانها وخصوصاً دول الخليج العربية والعراق محاولاً تغيير التصور التى تحمله هذه الدول عن أيران الثورة وتصدير الثورة وبالتالي تخفيف الحماس من هذه الدول في الوقوف مع الولايات المتحدة الأمريكية في وجه أيران.

ثانيا : من المحتمل أن تسعى أيران الى تخفيف حدة مواقفها من قضية السلام مع أسرائيل وتتحول الى تأييد الجانب الآخر من المعادلة وهو سوريا وبالتالي يبدوا من مواقفها أنها تغيرت من قضية السلام وهى بذات الوقت تدعم الطرف الأكثر تشدد في قضية السلام مع إسرائيل. ومن هنا فإن أيران سوف تحبذ أحد العناصر الذي يقف في وجه التقارب مع أمريكا خصوصاً أن إسرائيل وقواها في أمريكا تدعو الى القطيعة الكاملة بين الولايات المتحدة الأمريكيه وأيران يقوده بعض رجال الكونجرس في أمريكا مثل التوماتو السنتور من نيويورك وغيره.

ثالثا : من المحتمل أن يعمل السيد خاتمى الى تحسين علاقات بلاده بالدول الغربية والآسيويه من أجل مزيد من الضغط على الأدارة الأمريكية من أجل تخفيف حدتها ودفعها الى تحسين علاقاتها مع إيران .

من كل هذه العوامل فإنه إذا ما سارت الأحداث الدولية المقبلة بدون مفاجآت مهمة فإن العلاقات الأمريكية الإيرانيه يمكن أن تأخذ طريق الانفراج البطيء والهادي وخصوصاً وأن هناك قوى معارضة لهذا التقارب سواء في أيران أو الولايات المتحدة الأمريكية هذه القوى التى سوف تحاول نسف أي تقارب محتمل بين الدولتين. إلا إذا كانت المصلحة البعيدة المدى هي المحرك فإن المنطق السياسي يدعو الى التقارب بين الدولتين وهذا ما بدأنا نشهده من

التصـريحات الهادئة من الطرفين وكـذلك الوفد النسائـي الأمريكي الذي يزور إيران والذي يعد مدخل من مداخل التفاهم المتبادل بين الطرفين. هذا التفاهم الذي يمكن ان يحدث هو ليس حب الولايات المتـحـدة الأمريكيـه لإيران أو نسـيان الاهانـات التى تعرضت لـها في نهـاية السبعنيات ومطلع الثمانيناث وانما هو قطع الطريق من التقارب الايراني الصيني والايراني الهندي والايراني الأوروبي الذي يمكن أن يضـيع ايران عن دائرة المصالح الامـريكيه فـترة ليست قصيرة.

المانيا واكتمال الدائرة

كان قد قدر لكاتب هذه السطور أن علق على أجتياح اللبراليين الجدد أو وسط اليسار بالتغيير البرلماني والسياسي وكان ذلك عندما وصل السيد توني بلير إلى سدة الحكم في بريطانيا مستدلاً الستار على سنوات من حكم المحافظين أبتداء مع السيده تاتشر وأنتهت مع السيد جون ميجر وكان أنتصار السيد بلير جاء بعد مجيء اللبرالي السيد كلنتون إلى البيت الأبيض وبعد أنتخابات أوروبية في دولها الصغيرة وعودة اليسار إلى الهرم السياسي نرى أن فرنسا التى أختارت رئيسها اليميني الديغولي المعتدل السيد جاك شيراك ترجع وتنتخب حكومة يسارية بقيادة السيد جوسبان. كانت هذه هى الصورة قبل سقوط اخر آباطرة الديمقراطيات الغربية وهو السيد هلموت كول والذي يذكرنا بحق بالسيد روزفلت والذي تقلد القوة في البيص الأبيض لاربع فترات رأسية متتابعة وكان ذلك في أحرج وأهم الاوقات على الساحة الدولية مما جعل شبح السيد روزفلت يتابع الساسة والدارسين إلى اليوم في السياسة الدولية.

وما يقال عن السيد روزفلت يمكن أن يقال عن آخر أباطرة الديمقراطيات الغربية وهو السيد كول الذي تربع على المستشارية الالمانية لمدة ستة عشر عاماً متواصلة كان قد عاش أهم المراحل السياسية بعد الحرب العالمية الثانية هذه الحرب الدي شهدها السيد كول في مرحلة صباة المبكرة ويشهد هزيمة المانيا العسكرية الساحق ويشهد أنقسام المانيا إلى دولتين ويبدوا أن السيد كول قد صمم على اعادة المانيا إلى سابق عهدها ولكن بعناصر وشروط جديدة

الأول منها : ــ أن تكون المانيا دولة ديمقراطية ليس فيها للتطرف مكان وإن كان السيد كول نجح إلى حد كبير في هذا المجال فإن المجتمع الالماني يظهر ويفرز بعض التشنجات المتطرفة من وقت إلي آخر خصوصاً ضد الاجانب والاتراك على وجه الخصوص.

ثانياً : ـ أن تكون المانيا أحد أهم القوى الأوروبية من الناحية الاقتصادية والتكنولوجية ولقد حقق السيد كول بالمانيا ويعد بحق حلم حقيقي حيث دائماً ما تدرج المانيا وتأتي أهم الدول المصنعة جنب الى جنب مع اليابان والولايات المتحدة الأمريكية.

ثالثا : ــ أن تكون المانيا أحد أهم العربات والقوى التى تدفع إلى التقارب الأوروبي تحت التأثير الالماني وقد حقق السيد كول بالطرق الدبلوماسية والسياسية وبالنظرة الاستراتيجية الجيدة ما لم يستطع أن يحققه هتلر بالوسائل العسكرية بل أن السيد بسمارك وهو أحد ملهمي الخيال الالماني في القضايا السياسية والاستراتيجية والعسكرية كان حاضراً إلى حد كبير في الخيال السياسي للسيد هلموت كول.

رابعاً : ـــ إن توحيد شطري المانيا والذي كان ضرب من الخيال أصبح حقيقة واقعة اليوم على الرغم من المشاكل الحقيقية التى يمكن التغلب عليها في المستقبل إلا أن هذه الوحدة تعد بحق واحدة من أهم منجزات السيد كول رغم الاخفاقات الاقتصادية في هذه الوحدة.

إن ما جرنا للحديث عن نتائج الانتخابات الالمانية ليس الذي ذكر والذي كان مقدمة طويلة لا بد منها ولكن ما يهمنا هنا هو لماذا وصول السيد جرهارد شرودر الاشتراكي المغمور إلى سدة المستشارية في المانيا وسقوط واحد من أباطرة الديمقراطية الغربية وهو السيد كول. هل المسألة في حساب التغيير وممارسة الحق في الاختبار والانتخابات أما أن السيد كول قد أخفق في الوصول إلى الناخب الالماني؟ ثم إذا كان ذلك كذلك هل ما حدث في المانيا هو امتداد لما حدث في أوروبا والولايات المتحدة؟

أن هذه الاسئلة وغيرها تحتاج إلى حسابات عديدة ومتشعبة ولكن سوف نلجم أنفسنا إلى تحليل مباشر وبسيط ونترك بقيت التحليلات والاسباب ليس لعدم أهميتها وأنما لان المقام لا يتسع لمثلها هنا.

والنظرة والتحليل أو الفرضية التى ننطلق منها لوصول السيد شرودر وهزيمة السيد كول هى نفسها الفرضية التى أوصلت السيد توني بلير وجوسبان وكلينتون إلى قمة الهرم السياسي وهذه الفرضية تقول أن اليمين المحافظ هو القادر والذي لدية النظرة الاستراتيجية الدولية الثاقبة وبالتالي هو القادر على التعبير عن المصالح القومية لهذه الدول في المحيط الدولي. وأن النجاح الذي يلاقيه اليمين في سياساته الخارجية واستراتيجيته الدولية كان واضحاً وقوياً إلا أنه يقابله فشل حقيقي على مستوى السياسات الاقتصادية والاجتماعية الداخلية وبالملاحظة لأكثر الانتخابات التى حدثت خلال خمس سنوات الماضيه يلاحظ أن الليبراليون أو اليسار المعتدل كان قد وصل إلى سدة السلطة في هذه البلدان تحت مبرر المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الداخلية وكان ذلك واضحاً في انتخاب السيد كلينتون والسيد بلير والسيد جوسبان ثم أخيراً في انتخاب شردور حيث كانت البطالة والوضع الاقتصادي والاجتماعي بي شطري المانيا السابق كان واحد من أهم عوامل هزيمة السيد كول إلا أن اليسار في جميع الدول المذكورة لم يجري أي تغيير على أستراتيجية المحافظين في قضايا السياسة الخارجية بل أن مشروع السيد رونلد ريغان في الثمانينات والسيد بوش في مطلع التسعينات يكاد يكون هو مشروع السيد كلنتون اليوم مع فاعلية أقل ودنياميكية أقل في مجال الشؤون الخارجية ومع أقتصاد داخلي قوي كان العامل في وصول اللبراليين الى السلطة وما كان صحيح في حالة الولايات المتحدة الأمريكية كان صادقاً على مستوى بريطانيا التي لم يحدث أي تغيير يذكر في السياسة الخارجية البريطانية سوى تغيير مبسط في السياسة البريطانية تجاه أيرلند والتى تعد إلى حد ما شأن بريطاني داخلي اكثر من كونه دولي، بل أن السياسة الخارجية

البريطانية لم تشهد تغيير تجاه الوضع الدولي باستثناء أوروبا وهو ما قامت به حكومة السيد بلير اليوم. وإذا كان هذا ملاحظة واقعة الى حد كبير إلى حد كبير فإن أول تصاريح السيد شرودر المستشار المنتخب لألمانيا كان إعلاناته أنه لن يكون هناك تغيير في السياسة الخارجية الالمانية سواء تجاه حلف الناتو أو السياسة الالمانية للشأن الأوروبي أو حتى سياستها الدولية بل يعلن السيد شرودر أنه سوف تكون المانيا أكثر ديناميكية في سياستها الخارجية وهو ما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع المانيا باتجاهه. وأنه ليس من المتوقع أن يحدث تغيير مهم في السياسة الخارجية الالمانية أسوة بالدول الديمقراطية الاخرى التى أختارت اللبراليون على المحافظين وأن لسان حال الناخب الغربي يقول أن النجاحات الهائلة والكبيرة التى حققها اليمين على المستوي الاستراتيجيي وعلى مستوى النظام الدولي لابد من تتويجها في نجاح على مستوى السياسة الداخلية والاقتصاد المحلي. لذلك لابد من التصويت لصالح اليسار المعتدل.

وإذا كانت هذه الفرضية التى ذكرناها والنائلة أن اليمين يجيد النجاحات الاستراتيجية والدولية واليسار يجيد النجاحات الاقتصاية المحلية فإن الوضع الفرنسي اليوم يطبق هذة الفرضية حيث يتولى منصب رئيس الجمهورية السيد شيراك والذي حقق العديد من النجاحات لفرنسا على مستوى السياسة الخارجية وترك الوضع الداخلي للسيد جوسبان اليساري حتى يتعامل مع الوضع الداخلى. السؤال هو هل يمكن أن تنجح فرنسا في هذة لتكتيكات السياسية؟ أو هل تستطيع الامساك بالبرتقالة والتفاحة بيد واحدة؟ أم أن هذه الظاهرة تتوقف على التقليعات الفرنسية وحدها وأن الأمر لا يمكن أن يطبق بهذه الطريقة وأن اليسار يساو واليمين يمين كما يحب أن يقول اليمين الأمريكي ذلك.

المسألة البوسنية وإعادة توازن القوى الأوروبية

يشعر الكثير من العرب والمسلمين بالذهول والاستغراب من الدور المريب والغير واضح للدور الذي تنتهجه بريطانيا في البوسنة والهرسك . ومما يزيد ذلك ريبة هو أن المملكة المتحدة لا تتمتع بقدر قليل من الثقة من قبل المواطن العربي بشكل عام ومن الحكومات العربية والاسلامية بشكل خاص حتى أن هناك شعارات تتلقفها وسائل الاعلام والدراسات المختلفة تقول إذا كانت هناك مشكلة حدودية أو خلاف بين دولتين عربيتين أو اسلاميتين أو خلاف فيه طرف مسلم وكان من نتائج هذا الخلاف الحروب والمآسي والتهجير والتخلف فبحث عن الدور البريطاني . والحقيقة أن هذه الادعاءات لم تأت من فراغ حيث أن أكثر الحروب التي عاشتها الدول الاسلامية كان هناك بصمات بريطانية فيها والقضية الفلسطينية وحرب الخليج الأولى والثانية والخلافات الحدودية العربية ، وكذلك المشكلة الكشميرية والكثير غيرها كان لبريطانيا اليد الطولى في إيجادها . وأرجو أن لايفهم من ذلك أن لاتوجد أرض خصبة واستعداد لمثل هذه الخلافات والحروب ولكنني أقول أن الدور البريطاني كان عاملاً حاسماً في مثل هذه الحروب والمآسي . وبمثل هذه الخلفية والتوجس من السياسة البريطانية ينظر المسلمون والعرب للدور البريطاني في البوسنة والهرسك من واقع الريبة والتوجس . فإن المراقب للدور البريطاني والحماس البريطاني في البوسنة والهرسك لا بد أن يعتريه شيء من التساؤل فينسبه للمتلقي البسيط ينظر إلى دور ألمانيا في دعم كرواتيا والوقوف في جانبها أمر طبيعي وذلك للتقارب التاريخي وتطابق المصالح في يوغسلافيا السابقة من جانب وفي أوروبا بشكل عام . كما ينظر للدور الروسي على أنه شيء طبيعي في مساندة الصرب والوقوف إلى جانبهم وذلك للتقارب العقائدي حيث تجمعهم المسيجية الأرثوذكسية وهي التي تقف على وجه المنافسة مع الكنيسة الكاثوليكية والبروتستنتية . إضافة إلي تقارب مصالح روسيا مع الصرب وصرب البوسنة على وجه الخصوص وذلك بالتحالف مع روسيا يعني دوراً أهم لروسيا في مستقبل أوروبا وكذلك إضفاء أهمية روسية ودوراً عالمياً والذي يحقق للصرب دوراً وأمناً ودعماً خارجياً قوياً يتمثل في الدولة الروسية . وكذلك يمكن فهم الدور الأمريكي المتحفظ والمنشق على نفسه والذي يدعو فيه البيت الأبيض إلى التقارب مع القوى الأوروبية وإن كان أكثر منها تشدداً تجاه الصرب إلى الموقف القوي للكونغرس الأمريكي الداعي لرفع حظر بيع الأسلحة للبوسنيين وإعطائهم فرصة للدفاع عن أنفسهم مقابل الآلة الحربية الصربية المدعومة من روسيا . والحقيقة أن الموقف

الأمـريكي سواءاً البـيت الأبيض أو الكونغـرس لا يخـتلف من حيث الجـوهر حـيث يسعى كـلا الطرفين إلى إيجاد دور أمـريكي في البوسنة والهـرسك ومن ثم تقوية هذا الدور حـتى تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تؤثر على مـجريات الأحداث الأوروبية حيث يرى البيت الأبيض أن ذلك يتحقق عن طريق التقارب من القوى الأوروبية الـفاعلة وبالتالي يرى الدور الأمريكي المتميز هو التـأثير على الأحـداث وذلك باستـخدام النفـوذ الأمريـكي التاريخي عن طريق التـحالفـات الأوروبية والتي سوف تفـتح المجال للصوت الأمريكي أن يكون مـسموعاً في ردهات السـياسة الأوروبية . ومن جهة أخرى ينظر الكونغرس الأمريكي إلى دور بلادهم على أن الدول الأوروبية تريد أن تستغل نشأتها بـعيداً عن تأثير القوة الأمريكية خصوصـاً وأن نجاح القوة الأمريكية بدأ يخفت مع زوال الخطر الشـيوعي السوفيتي وتأثـيرها في أوروبا حيث توحدت ألمانيـا وانعتقت القوى الأوروبية الشرقية من الهيمنة السوفيتية اليسارية بل وانضمت بعضها للسوق الأوروبية المشتركـة وتحول حلف الناتو من منظمة عـسكرية متماسكة مـحددة الهدف والمهمـة إلى منظمة أوروبية يلعـب فيهـا الدور الأمريكي المنسق أكـثر من دور خالق الحـدث . ومن هذا المنطلق يرى الكونغرس بشيء من التوجس والخيفـة إلى التوجه الأوروبي والذي يقضي بأن الدور الأمريكي قام بعـمله ورسالته خيـر قيام إبان الحرب البـاردة وأنه آن الآوان للقوة والهيمنة الأمـريكية أن تترك الشـأن الأوروبي للأوروبيين لحل خلافـاتهم داخل مظلة المنظمات السـياسيـة الأوروبية وهذا مـا دفع الكونغـرس الأمـريكي إلى دفع الإدارة الأمـريكيـة إلى قطع الطريق على التـوجـه الأوروبي وفرض واقع جديد يجـعل الدور الأمريكي في أوروبا قوي وحيـوي من خلال المسألة البوسنية .

والسؤال دائماً وأبداً يبقى عالقاً وهو ما هو الدور البريطاني والفرنسي في المشكلة البوسنية ؟ ولكي نتفرغ للدور البريطاني كان يجب التعليق على الـدور الفرنسي وهو أن فرنسا كذلك تشعر مثل الولايات المتـحدة الأمريكية بأن هذا النزاع إمـا أن يعطي فرنسا دوراً مهـماً في أوروبا أو أن يجعلها دولة غير ذات تأثير في هذه المسألة بالذات . ولكـون فرنسا تنظر لنفسها على أنها تمتلك استراتيجيـة متكاملة وتنظر إلى ذاتها على أنها قوة عالمية «قد لايتنـاسب مع القدرات الفرنسية» فإنها رأت أن لعب دوراً مهمـاً وحاسماً في القضية البوسنيـة سوف يجعل من فرنسا دولة ذات رأي وشـأن في المسـألة الأوروبية بشكل عـام وإعادة التـرتيب لدول البلقان بشكـل خاص ولكن الأهم من كل ذلك من وجهة نظر الفرنسيين هو إعادة توازن القوى الأوروبية من جديد أي النظرة الاستراتيجيـة الفرنسية للقوى الأوروبية بعد الحرب الباردة وهذا مـا سوف يتضح عند حديثنا عن الدور البريطاني .

من حق السائل أن يسـأل إذا كان لا توجد أقليـة دينية أو عرقـية ولا سيـاسية كمـا هو الحال لروسيا أو ألمانيا أو اليونان أو تركيـا في البوسنة والهرسك ترتبط مع بريطانيا بشيء فلماذا هذا

الحماس البريطاني والاندفاع والتدخل والتأثير في مجريات الأحداث في البوسنة والهرسك . والسؤال يمكن أن يندرج على فرنسا كذلك . الجواب يكمن في التاريخ السياسي البريطاني وعلاقاتها الدولية التاريخية حيث صرح بذلك رئيس الوزراء البريطاني جون ميجر بشكل غير مباشر مبرراً التدخل المتواصل والمتزايد لبريطانيا في البوسنة والهرسك حيث قال أن إرسال قوات بريطانية ومن ثم تعزيزها في البوسنة والهرسك لها أسباب «إنسانية» وأسباب استراتيجية . والعارفين لتاريخ العلاقات البريطانية الدولية سوف ينفي ويفند البعد الانساني في السياسة البريطانية سابقاً ولاحقاً وأنها أكثر ما إفتقدته السياسة البريطانية سابقاً ولاحقاً هو البعد الانساني . إذاً هذا البعد لم ولن يكن حقيقياً وليست بريطانيا بالذات أو أي من القوى الأوروبية سوف تأخذ البعد الانساني حجز زاوية في سياستها الخارجية . إذاً دعونا نبحث في البعد الآخر وهو البعد الاستراتيجي. إن كاتب هذه السطور يرى أن البعد الاستراتيجي هو المحرك الحقيقي للدور البريطاني في البوسنة والهرسك . والسؤال الذي يطرحه الساسة البريطانيون على أنفسهم هو التالي : كيف يمكن أن تلعب بريطانيا دوراً مهماً في أوروبا ربما يكون أكبر من امكانياتها كما هو الحال في القرن الماضي ؟ والجواب هو إعادة لعب بريطانيا الدور الذي كانت تلعبه قبل الثورة الشيوعية ١٩١٧ وقبل قيام الحرب الباردة وهو دور المرجح لتوازن القوى . فالبريطانيون في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحاضر لعبوا دور المرجح بين القوى الأوروبية المتصارعة منها الدولة العثمانية ، وروسيا القيصرية ، النمسا، بروسيا ، ألمانيا ، فرنسا ، وحيث كانت دائماً في جانب الطرف الذي يمكن أن يخسر في حربه الأوروبية فهي تحالفت مع روسيا ضد فرنسا عندما اجتاحت القوات الفرنسية أوروبا وكانت مع فرنسا ضد ألمانيا عندما أخذت ألمانيا بالتوسع في القارة الأوروبية ومع ألمانيا وفرنسا ضد روسيا الاتحاد السوفيتي ومع أن عناصر القوة تغيرت إلى حد ما في أوروبا إلا أن أصول اللعبة مازالت باقية ويمكن إعادة استثمارها من جديد وهي التالي : القوى الأوروبية الفاعلة هي روسيا ، فرنسا ، ألمانيا وقوى فاعلية مساندة هي تركيا ، اليونان ، ايطاليا ، بولندا ، ودول مؤثرة في المسرح الأوروبي هي الولايات المتحدة الأمريكية فإن بريطانيا تنظر لدورها على أنها الدولة التي سوف تخلق حلقة من توازن القوى تكون فيه لندن المرجح المهم للمنتصر وللمنهزم في أي صدام عسكري أو سياسي محتمل ومن ذلك خلقت توازناً بين روسيا مدعوماً من قبل الصرب وصرب البوسنة ويمكن دخول اليونان كدولة مساندة لهذا الحلف ومن جهة ثانية وجود ألمانيا وفرنسا مدعوماً من كرواتيا ومسانداً من قبل تركيا في حالة دخول اليونان الصراع أي أن تكون أصول اللعبة السياسية الدولية هي وقوف قوتين أوروبيتين متقاربتين من الناحية العددية والقوة العسكرية تكون بريطانيا هي الفصل والدولة التي تلعب دور ترجيح القوي في حالة النزاع السياسي والعسكري الأوروبي وكذلك يمكن أن يدعم الموقف البريطاني الولايات المتحدة

الأمريكية في حالة وصول الوضع الأوروبي إلى مرحلة الخطر كما حدث في الحرب العالمية الأولى والثانية من تدخل أمريكي لصالح بريطانيا ضد القوى الأوروبية الأخرى .

أي أن توازن القوى الأوروبية التي تسعى بريطانيا إلى إيجاده وبالتالي لعب دور مهم فيه يمكن أن يعطي لها دوراً حاسماً أكبر بكثير من قدراتها الاقتصادية والعسكرية وبالتالي لعب التأثير على المستقبل السياسي الأوروبي .

والسؤال يبقى دائماً هو أين مسلمي البوسنة والهرسك من كل ذلك ؟ الجواب يكمن في أن يجد البوسنيون دوراً في هذه التشكيلة الجديدة لتوازن القوى . بمعنى آخر يجب على مسلمي البوسنة والهرسك البحث عن حام قوي صاحب مصلحة في توازن القوى الأوروبية وبالتالي سوف يسمح بالبقاء للدولة البوسنيّة كجزء من التركيبة السياسية الأوروبية وتوازن القوى فيها ، وإذا لم يعي البوسنيون ذلك ومن خلفهم العرب والمسلمون سوف تكون دولة البوسنة والهرسك أحد ضحايا قطار توازن القوى الأوروبية وسوف تسجل البوسنة والهرسك على أنها كانت أحد ضحايا المرحلة الانتقالية من الحرب الباردة وتوازن الرعب إلى مرحلة التوازن المتعدد الأقطاب في أوروبا . أما كيف يمكن للبوسنيين عمل ذلك وما هو دور العرب والمسلمين في خلق مكان للبوسنيين في التشكيلة الأوروبية الجديدة فهو ما آمل أن يكون موضوع مقال آخر .

القوى العربية والإسلامية في أمريكا

من سمات هذا العصر الحرب الباردة التى عاشتها السياسة الدولية طيلة العقود السابقة من هذا القرن حيث أصبح الصراع بين قوتين مهمتين على الساحة الدولية هو أحد العوامل المؤثر في صياغة السياسة الدولية وبأنهيار الاتحاد السوفيتي أستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تصبح أحد أهم القوى على الساحة الدولية وبالتالي تعاظم دورها أكبر من السابق فى لعب دوراً مهماً في السياسة الدولية بشكل عام والعالم العربي والاسلامي بشكل خاص. ومنذ انشاء إسرائيل والاهتمام العربي وخاصة السياسي والمعرفي في طبيعة النظام السياسي الأمريكي جاء في أحد أهم سلم أولويات المراقبين والدارسين خصوصاً أن الدراسات والملاحظات سلطت الضوء على طبيعة النظام السياسي الأمريكي ذو النزعة الانفتاحية أي أنه نظام ذو طبيعة يسمح للقوى السياسية والاجتماعية المختلفة في الداخل بالعمل على التأثير على السياسة الأمريكية سواء الداخلية أو الخارجية. ومن بوابة التأثير على الرئيس والادارة السياسية وثم التأثير على السلطة التشريعية أو على وسائل الإعلام أو مراكز الدراسات ودور النشر المختلفة تكمن قوة التأثير على مجريات المخرجات في السياسة الخارجية الأمريكية وهو ما يعنينا هنا. لم يحدث أن تكلم العرب عن السياسة الخارجية الأمريكية دون الحديث عن دور اللوبي الصهيوني الذي إستطاع بقدرته التنظيمية والمالية وكذلك بقربه الثقافي من الحياة الأمريكية أن يصنع دعماً أمريكياً قوياً يمكن أن يكون أحد الروافد المهمة في الحياة الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨م. وهنا يجب التسجيل أن السياسة الخارجية الأمريكية كذلك وجدة مصالحها تصب في هذا الجانب في مرحلة من مراحل التاريخ الحديث وخصوصاً في مرحلة الحرب الباردة.

إن ما يقود الحديث عن تأثير القوى السياسية داخل الحياة السياسية الأمريكية هو الحديث الذي بداء يزداد يوماً بعد آخر حول إمكانية إيجاد قوة عربية إسلامية قادرة على التأثير على السياسة الخارجية الأمريكية بمعنى آخر إيجاد لوبي عربي أو إسلامي إذا لم يستطع كسب السياسة الأمريكية فعلى الأقل تحييد هذه السياسة تجاه العالم العربي. إلا أن مثل هذه القوى السياسية العربية تحمل في طياتها بعض نقاط الضعف التى يمكن تسجيلها على نقاط هي : ــ

أولاً : إن الهجرة العربية والإسلامية إلى أمريكا تعد حالة جديدة ولم تكون قديمة ناهيك أنها هجرة أرتبطت بالفقر والحاجة أكثر من أنها أرتبطت بالأستثمار والبحث عن مراكز قوى جديدة.

ثانياً : على الرغم من سرعة الانتشار الإسلامي في أمريكا ونحن هنا نسجل التفاؤل الكبير

في مستقبل الإسلام هناك إلا أن هذا الانتشار يعكس حالة التنافس والتقسيم في العالم العربي والإسلامي وبالتالي فإن الحديث عن توحد الجهود داخل الساحة الأمريكية مازال يعد أمر يصعب تحقيقة في الوقت الحاضر.

ثالثاً : أنه لا يمكن الحديث عن اللوبي العربي أو الاسلامي دون الحديث عن طبيعة التفريعات والقوى المختلفة الذي يتكون منها الحضور العربي والاسلامي. فإذا ما أخذنا الحضور العربي في الحسبان فإن ذلك يعكس أولاً طبيعة المناطق التى كانت مصدر الهجرة وبالتالي مصادر أختلافها واهتماماتها حيث يخرج على السطح مفهوم العربي المسلم والعربي المسيحي ثم ثانياًالمنطقة الجغرافية التى قدم منها أي أن أحتمال انتقال خلفيته الثقافية وبالتالي توجهاته السياسية السابقة إلى الساحة الأمريكية تعد أحد أهم عوامل الاختلاف على الساحة الأمريكية وعلى البعد الإسلامي الأكبر فإن هذا الاختلاف بعد ذلك راجع الى المنطقة الجغرافية التى قدم منها المهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سواء باختلافها الفكري أو الاختلاف في النظرة للإسلام حيث تنعكس الخلافات بين الدول الإسلامية على طبيعة التجمعات الاسلامية هناك. وعلى الجانب الثالث تكتشف أن المسلمين من الأصول الأمريكية كذلك ينتمون إلى البيض والسود وكل من هذين الطرفين له أبعاده السياسية وهمومه الاجتماعية والنفسية وبالتالي فإن الساحة الاسلامية في أمريكا حرمت حتى من عامل التوحيد وهو توطين الدين الاسلامي بشكل قوي داخل الافراد والعناصر التى تنحدر من أصول أمريكية خصوصاً وأن هؤلاء الأقدر والأكثر كفاءة في فهم العقل الأمريكي وبالتالي الأقدر على مخاطبة البعد النفسي والانساني فيه وبالتالي يأتي ودورهم مهم في توحيد الجهود على المستوى الاجتماعي والسياسي ونشر الدين في القارة الأمريكية.

رابعاً : هناك تباين واضح في مدى أرتباط الجاليات الإسلامية في مواطنها الأصلية بحيث نجد أن بعضها مرتبط لدرجة التبعية وتمثل وجهة نظر مسقط رأسها وعلى النقيض من ذلك نجد أن هناك بعض القوى حشد القوى والطاقات موجه ضد مسقط الرأس وهذا مما يجعل عملية التنسيق بين هذه القوى في غاية الصعوبة لتباين وأختلاف أهدافها.

إنه من المعروف الآن على المستوى المعلوماتي والتحليلى على الأقل أن الدين الاسلامي هو أكثر الاديان سرعة في الانتشار في القارة الأمريكية سواء بانضمام أفراد جدد من داخل الساحة الأمريكية أو من خلال الهجرة إلى هناك إلا أن الحضور الاسلامي مازال ضعيف وغير منظم ويحتاج إلي سنوات طويلة حتي يمكن لمثل هذه القوى تستطيع أن تؤثر على مجريات الحدث داخل الساحه الأمريكية بشكل أو بأخر ولعل ذلك يرجع الى :

١ ــ أن الوجود الاسلامي لم يتجذر هناك بشكل جيد وبالتالي فإن الجيل الجديد الذي يري الساحة والموطن الأمريكي هو وطنه ومكان حياته لم يصل إلى مرحلة الممارسة والدخول في

خضم الحياة العامة وحتي يأتي ذلك فإنه يتطلب فترة زمنية كبيرة.

٢ ــ مازالت الجاليات الإسلامية والعربية بشكل عام بعيدة على الأهتمام بالهم الاجتماعي والسياسي العام بمعنى أن الجاليات الإسلامية لم تدخل وتتحدث عن الهم اليومي للمواطن الأمريكي بل أنها مشغولة بقضاياها التى تعد ثانوية أو غير مهمه للفرد الأمريكي لذلك لم تستطع جذب انتباه المواطن الأمريكي العادي اليها ناهيك عن السياسي.

٣ ــ أن علاقة الجاليات الاسلامية بالعالم الاسلامي يجب أن تكون قائمة على الأرتباط الإيجابي أي أرتباط يضع في توجهة مظله المصلحة المتكاملة بدل عن المنافسة وهنا يمكن القول أن الارتباط الايجابي يعني أن تكون هناك توجهات مرحليه واسعة وعدم الدخول في الكثير من التفاصيل التي تجعل هذه المنافسات سلبية تهدر جهود الجاليات الإسلامية وتشغل العالم الاسلامي من طرف آخر.

٤ ــ أن من أسباب النجاح في خلق قوة إسلامية وعربية في أمريكا هو العمل المرحلي وعدم القفز فوق الحواجز ومثل ذلك يقوم على تثبيت الاسلام في القارة الأمريكية أولاً بمعني يجب أن يكون شعار الرحله هو (توطين الاسلام) وهنا العمل على توطين الاسلام بين الافراد داخل المجتمع الأمريكي بشكل أكبر حتى يستطيع الوقوف في وجه الازمات السياسية والاقتصادية في المستقبل ويمكن أن يكون قوة ذات تأثير في الحياة العامه هناك.

٥ ــ في هذه المرحلة يجب ان يكون دور الدول الاسلامية دور الاستشاري والداعم وترك عمليه أيصال المعلومة والتحرك يترك لأبناء الجالية العربية والإسلامية والذين ينحدرون من أصول أمريكية.

أن أستراتيجية العالم العربي من أجل خلق نواة أو قوة في الساحة الأمريكية أو لوبي عربي مسلم هناك يعد ذو أهمية كبيرة لمصلحة العالم العربي والاسلامي علي المدى البعيد وأن مثل هذه العمل يمكن أن يصب في مصلحة الدول العربية والاسلامية بشكل يحقق العديد من المكاسب السياسية والاستراتيجية ناهيك عن كونه ساحة للعمل لا ينتهى ولا ينضب يمكن صب الجهود الاسلامية والعربية فيه دون الدخول في منافسات أقليمية تهدر الطاقات للعالم العربي والاسلامي. كما أن مثل هذا العمل يمكن أن يكون أحد عوامل تنمية العالم الاسلامي حيث يمكن الاستفادة واستثمار العقول الاسلامية العربية في أمريكا على المدى البعيد لفائدة الدول العربية والإسلامية.

القوة النووية وتوازن القوى

لا شك أن التفجيرات النووية الباكستانية التى أجرتها مؤخراً، وإذا كانت جميع ما نقلته وسائل الإعلام العالمية عن هذه التفجيرات وقدراتها وأن قدرة الباكستان على تصنيع وتركيب الرؤوس النووية على الصواريخ البلاستيكية متوسطة المدى. أقول إذا كانت هذه القدرة الباكستانية صحيحة التى جاءت تحدد على التهديد الهندي الواضح والقوى تحت زعامة الحكومة الهندوسية الهندية التى وصلت الى السلطة تحت شعارات فيها الكثير من التطرف ومزيد من المزايدات السياسية التى يمكن أن يكون مصدرها تفاعلات البعد السياسي الداخلي أو أن يكون مصدرها البعد الايديولوجي للحزب السياسي الهندوسي الذي يتزعمة رئيس الوزراء الهندي. وهذه المرة الأولى منذ سنين التى نرى فيها الهند تنطلق بتصريحات نارية مصدرها البعد الايدلوجي عكس من البرغماتية التى عرفت بها الدبلوماسية الهندية منذ عقود مضت. وإذا كانت الحكومة الهندية قد وضعت الباكستان تحت مظلت التفوق الهندى الواضح وان كانت الهند تهدف الى التوازن الاستراتيجي مع الصين وهذا ما لفت اليه نظر رد الفعل المتسم بالميوعة من قبل الساسة الغربيين وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تجاه التجارب النووية الهندية حيث كانت تهدف هذا الدول لمحاولة التخفيف من التفوق الاقليمي الصيني في اسيا خصوصاً على مستوى القوة العسكرية ولذلك كانت تحركات الهند من الناحية العسكرية والاستراتيجيتة مبررة إلا أن رد الفعل الباكتساني القوى والحازم قد هز النظرة الأستراتيجية الهندية من جذورها وكان اندفاع الصين إلى تشجيع الباكستان على دخول النادي النووي اكثر منطقية وعقلانية من التفكير الهندي في أجراء التجارب النووية في البداية. وبالتالي فإن التفكير الاستراتيجي الصيني يكون فحواه على النحو التالي التالي : ـــ

الهند دولة نووية قوية لديها القدرة على ردع وتهديد الصين وتستطيع أن تحدث شبه توازن قوى مع الصين هذا التوازن سوف يدعم موقف الدول الغربية التى تملك العديد من الأوراق السياسية تجاه الصين مثل تايوان، الانفتاح الاقتصادي،التكنولوجيا المتطورة واستيرادها، حقوق الانسان، تطوير النظام السياسي الصيني كل هذه العوامل سوف تعمل على أضعاف موقف الصين السياسي تجاه الدول الغربية في حالة وجود توازن قوى أقليمي بين الهند والصين وبالتالي فإن تشجيع أو غض الطرف الغربي عن تطوير الألة العسكرية النووية الهندية يبدو في منتهي المنطقة الاستراتيجية من وجهة النظر الهندية والغربية على حد سواء.

ومن جانب آخر على المستوى الباكستاني فإنه لم يكن لديها خيار آخر سوى اجراء التجارب

النووية والاعلان للعالم وللهند أولاً وأخيراً أن الباكستان إذا ما دخلت الحرب مع الهند فسوف تكون حرب لن يكون فيها منتصر بل سوف تكون الهزيمة للهند كما هي للباكستان وهذا ما يطلق عليه مفهوم الردع وبالتالي فإن باكستان قد حققت واحدة من أهم استراتيجياتها العسكرية في العصر الحديث واذا كان السيد جناح مؤسس الباكستان الحديثة هو الذي انشاء الدولة فإن الحكومة الحالية بقيادة نواز شريف هو الذي وضع ثوابت هذه الدولة للدخول للعصر الحديث بعد الجهد القوى الذي بذلة الرئيس السابق ذو الفقار على بوتو من أجل بناء القوة العسكرية الباكستانية التى تجني اليوم ثمارها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف لدولة مثل باكستان تكون تثبتت للدخول في القرن الواحد والعشرون بعد اجراء تجاربها النووية خصوصاً ان الباكستان تعاني من مشاكل حقيقية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي. ان المشاكل التى تعانيها على المستوى الاجتماعي يمكن حلها على المستوى السياسي الداخلي والاقتصادي الداخلي إلا ان المشاكل الاقتصادية هي التي تعتبر المحك الحقيقي الذي يجب على باكستان التفكير الجدي لايجاد الحلول حولة. وان كانت زيارة السيد نواز شريف في المنطقة العربية وأوروبا للحد من المشاكل الاقتصادية المتوقعة فعلى باكستان إلى جانب ذلك أن ترسل إشارة سياسية واضحة وغير قابلة للفهم الخاطئ مفادها أن خنق باكستان على المستوى الاقتصادي شيئ سوف يجلب عدم الاستقرار ولن يخفف أو يلغي القوة العسكرية الباكستانية وأن الدولة التى تغرق في مشاكلها الاقتصادية والسياسية سوف تدفع المنطقة المحيطة بها للغرق ككل وبهذا فإن باكستان سوف توصل هذه الرسالة مما يمكن فهمة من المجتمع الدولي أن حصار باكستان على المستوى الاقتصادي لن يؤدي إلى تخلي باكستان عن القوة النووية أو أنه سوف يؤدي إلى الأمن بل على العكس فإنه سوف يخلق اجواء غير آمنه في باكستان مما قد يدفعها إلى تصدير مشاكلها الخارجية سواء تجاه كشمير مما قد يدفع الدولتين الهند وباكستان الى خوض حروب لا تعرف محدوديتها كلا الدولتين وهذا سوف يجر دول آخرى الى هذا الصراع. ان مثل هذه الرسالة سوف تدفع الدول الغربية الى التفكير في تجنيب باكستان المعانات الاقتصادية بشكل لا يضعف أو يهدد الأمن والنظام السياسي الباكستاني في المستقبل.

أن هذا المنطلق السياسي هو الذي سيطر علي الذهنية الغربية عند أنهيار الاتحاد السوفيتي حيث تدافعت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا إلى تقديم المساعدات لروسيا من أجل تجنب أنهيار النظام السياسي الروسي بعد معاناته الاقتصادية والعمل على إعادة انتخاب الرئيس الروسى بورس يلسن من أجل استكمال التغيير السياسي والاقتصادي في روسيا، بل ان الولايات المتحدة الامريكية قدمت الخبرة والمال والاهتمام من اجل ضمان وجود القوة النووية الروسية بشكل آمن ومنظم خوفاً من حدوث أي خطأ بشكل أو بأخر.

وعودة الى المنطلق الاستراتيجي وتوازن القوى يبدو أن الصين دعمت الموقف الباكستاني من أجل التسلح النووي من أجل تستطيع باكستان في حالة حدوث نزاع أو حتي حرب باردة تستطيع الباكستان اشغال ٤٠٪ من قدرات الهند أو حتى قدرتها القتالية أو تدمير ما يقارب هذا المعدل من القوة العسكرية الهندية بحيث تتكفل الصين بالتصدي للنسبه الباقية من القوة الهندية وبهذا المنطلق تكون الدول الغربية أكبر الذين خسرو من التجارب النووية الباكستانية عكس المكاسب التى جنتها من التجارب النووية الهندية. ومن هذا المنطلق فليس من المستبعد أن تقوم الصين بإعادة أثارة وتنشيط البرامج النووية في كوريا الشمالية أو حتى دول قريبة من باكستان وليست بعيدة عن الهند ومطلة على الخليج العربي كل ذلك بدافع الحفاظ على أوراق تستطيع فيها ادارة اللعبة السياسيسة والدخول للقرن القادم بها مقابل المحاولات الغربية باستخدام الهند واليابان لاضعاف الموقف الصيني الدولي المتنامي.

أن التجارب النووية الهندية والباكستانية قد صفعت التجربة السياسية العربية في الصميم حيث أثبت الساسة الهنود والباكستانيين أنهم أكثر حصانة وأكثر فهماً للسياسة والبعد الاستراتيجي الدولي من عشرون دولة عربية سلمت قرارها السياسي للدول الاجنبية وتبرعت بتنازلتها السياسية والعسكرية طائعة مختارة تاركتاً المجال للفارس اليهودي أن يكون اللاعب الوحيد في المنطقة العربية بل تاركتاً الفارس اليهودي القطب الذي يعطي الشرق الأوسط أهمية وليس ٢٠٠ مليون عربي وذلك بامتلاكها قوة عسكرية ونووية ضاربة مع دعم دولي قوي متمثل بالقوة الغربية والولايات المتحدة الأمريكية على وجة الخصوص.

الهواجس الغربية

دئبت الذهنية الاسلامية والعربية على وجه الخصوص بوصم ذاتها الفكرية بأنها ذاكرة وتفكير توجس وخوف من الآخر سواء بغزو عسكري مادي أو بغزو فكري هلامي يدخل مسامات الجسد الفكري ويغير رائحته وطعمة ومزاجة، وهذا التوجس الغربي ليس جديداً وأنما بداء مع الذهنية العربية منذ بداية النهضة الفكرية السياسية مع بدايات أنهيار الدولة العثمانية والتململ الذي قادة محمد على، مصر والذي تطور بعد ذلك الى حركة استعمار ثم أستغلال ثم قلق فكري وسياسي عاشه العالم العربي من جراء تطور الجزء الغربي من القارة الارضية وسيطرتها على منافذ ومخارج السياسة الدولية. وهذا الهاجس والتوجس شكل تفكيراً ومنعطفاً فكرياً عربياً حيث أصبح الجدل الفكري يدور حول هل التطور يكون بمحاكات الغرب وهل ذلك خيار أم لازم لابد منه كما يطرح مؤيدو عبدالرحمن ابن خلدون من محاكات المغلوب للغالب وهل هذه المحاكات تعني أنتقالاً كلياً لتقمص الآخر أم هو أنتقال جزئي بل هل هذا الانتقال والتقمص هو أبدي لا رجعه فيه أم هو تكتيكي تقتضيه المرحلة الراهنه ثم العودة إلى الأصول أم أن المسألة كما يراها دارسو فلسفه هيغل الدياليكتيكيه من أن هذا الانتقال ليس للسقوط فى آخر بل هو للانتقال إلى شيء جديد هو ليس الآنا ولا الآخر وأنما شي مستجد وينتج من الطرفين أم أن المسألة كما طرحها الجدليون الماديون تحت بذور التفكير الفيوباخي في طرحه أن الجدل المادي وراء هذا الصراع وأن الناتج الجديد هو محصله هذا الجدل وأن البعد الحضاري والثقافي يأتي كنتيجة تابعه وليس مدخل أو نتيجة أساسية. وبينما يعيش العرب والمسلمين هذا الجدل فإنه كذلك يعيش حالة إلا استقرار والتغير المتتابع ، إلا استقرار والمتتابع بدافع ذاتي وخارجي بمعني بدوافع محليه داخلية ذاتيه وتأثيرات خارجيه سواء مباشرة بالتدخل المادي السياسي العسكري أو بطريقه غير مباشره عن طريق التأثيرات الفكريه والأقتصادية. وإذا كنا نحن العرب عقلنا ودرسنا وعشنا هذا التناقض وهذه الهواجس والتخوفات بل أصبحت جزء من أطارنا الفكري والجدلي عند الحديث عن الذات العربية وسياساتها المستقبليه فإن ما يحير ويبعث عن شحذ همم المفكرين والمهتمين هو هذه الهواجس الغربية، ما هي؟ كيف تعبر عن ذاتها؟ وتكونها الفلسفي؟ وما هو مصدرها وتوجهاتها المستقبلية المحتمله؟ أم أن المسألة والقضيه كلها من بنات أفكار هواجسنا الفلسفيه العربية وأصبنا بداء فلسفة الآخر كما حدث ونتج عن فلسفة الذات.

أن الذين عاشو ردحاً من سنوات للتحصيل العلمي في دول العالم الغربي بشكل عام

وبداخل الدول الفاعلة منه بشكل خاص ويكون من أصحاب الفضول المعرفي والمتابعين للحدث السياسي المبسط ثم ببعده الفلسفي الفكري الأكاديمي، وهنا يجب التنويه أن متابعة الحدث السياسي لا تفيد كثيراً إذا لم تربط ببعدها الفلسفي الفكري الأكاديمي الاجتماعي وإلا أصبح الحدث شيء معلق في الفراغ ليس له روابط خلفيه أو أمامية بمعني آخر أن الحدث السياسي لا يأتي من فراغ وأنما يأتي بروابط سياسية وأجتماعية وأقتصادية ويقود إلى نتائج يمكن أن تكون سياسية أو جماعية أو أقتصادية أو كلها مجتمعه ولذلك كله فأن المتابعه السياسية لا تغني عن أهمية أستيعاب البعد الفلسفي الفكري للحدث مصدره وخلفيته كما أن استيعاب البعد الفكري والفلسفي يجب أن يتعزز بمتابعة الحدث حتى تتم عملية التقويم والتصحيح فى عملية التعميم والنتائج، أقول أن الذين عاشو في دول العالم الغربي سوف يشعرون بشكل يومي وبشكل متصاعد أهتمام غربي بالعالم الآخر، والعالم الآخر هنا العالم الغير غربي ومن هذا المتابعه والملاحظه وخصوصاً منذ مطلع الثمانينيات من هذا القرن سوف يلاحظ التالى: ـ

أولاً : أهتماماً غربيا وأمريكيا واضحاً في التطور الاقتصادي الذي تعيشة دول جنوب شرق آسيا بل تحول هذا الأهتمام إلى هاجساً بدء يقض مضجع الدول الغربيه وأصبحت تطرح مفاهيم جديدة عن المنافسه الآسيويه على المستوي التكنولوجي والاقتصادي وإن كان كاتب هذه السطور يري أن الولايات المتحدة الأمريكيه مازالت تتربع على مفاتيح التكنولوجيا والتطور التكنولوجي حتى هذا اليوم وحتى نهاية القرن على أقل تقدير، إلا أن المنافسة الآسيوية حقيقه وهي ببساطة أصبحت تنافس أمريكا والعالم الغربي على المداخليل العالمية بمعنى أن العالم الغربي الذي كان يتمتع بمداخيل تتراوح بين ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من دخل العالم فإن الدول الاسيوية بداءت تأخذ حصة من هذه المداخيل ولذلك رأي العالم الغربي أن جزء من المداخيل العالمية بداء يذهب إلى الدول الآسيويه وبدأت المداخيل الغربية بالانحسار.

ثانيا : أن المراقب منذ مطلع الثمانينيات من هذا القرن سوف يراقب الهاجس والتخوف الغربي من العالم الاسلامي والعربي والذي يذهل هنا أنه إذا كان العرب والمسلمين يخافون ويتوجسون هيمنة غربية يجد لها القاريء والمتابع مبرر أذاً مما هو مبرر الهاجس الغربي وهذه الهواجس الغربيه تتعزز يوماً بعد يوم بل إن مهرجان الجنادريه لهذا العام وضع هذا الهاجس والتخوف على السطح مع العلم أن المحاضرون والذين ساهموا بفعاليات الجدل الفكري حول الهاجس الغربي من الأسلام هم من الذين يحسبون على الاعتدال أو من الذين يحسبون على البعد السياسي الغربي الذي يتسم بشيء من الواقعيه، وأذا كان هذا الهاجس حقيقي ومشاهد فإن الفرد العربي المتابع يسأل لماذا ؟ هل هي نوع من السياسة لها بعداً

سياسياً يدافع عنه من قبل أقليات فكرية وعرقيه تدفع بهذا الاتجاه والتوجه ؟ ولكن الحقيقي والمشاهد أنه هاجس موجود ويعيش مع العالم الغربي ومع الجاليات المسلمة في العالم الغربي. وما يعزز الجزم بوجود هذه الهواجس هو القول أن الهاجس الغربي من التطور الاقتصادي الآسيوي شيء مبرر وطبيعي نتيجة للمنافسه المادية من المداخيل العالمية وهذا شيء يقع في صلب وقلب المفاهيم الفلسفيه الرأسماليه الذي يعتنقه العالم الغربي والصراع إذاً ذا صبغه مادية أخذة المنحى السياسي. ولكن التوجس من العالم العربي والاسلامي الضعيفين ليس هناك مبرر مادي يدعمة وأنما يجب الالتفات إلى المبرر والبعد الثقافي حتى يمكن التعرف عليه وعلى الرغم من أنفتاح العالم الغربي على الثقافات الآخري فإنه أنفتاح للضم وليس للتأثر بمعني أنه أنفتاح من أجل أستيعاب و دمج الثقافات الآخري وليس من أجل التأثر بها وهذا ما قاد إلى هذا التوجس الذي يعيشة العالم الغربي حيث نجد أن هناك تسامح ثقافي مع جميع الثقافات والديانات الأخري سواء الآسيويه أو اليهوديه، بينما نجد أن هناك تشدد وتوجس من الثقافة والديانه الأسلامية وذلك يرجع إلى قناعة المفكر والسياسي الغربي من التجربة التاريخيه أن الديانات والثقافات الأخري غير الاسلامية أما أنها ديانات مغلقه على جنس بعينه أو أنها أقل جاذبية للفرد الغربي وبالتالي أقل منافسة للثقافة الغربيه والديانات المسيحيه المتفرعه. حيث نجد أن الدين الاسلامي على الرغم من تفكك وصراع العالم الاسلامي يشكل دين متماسك على البعد العقائدي فيه كما أنه دين يشكل نقطه جذب وفضول من قبل الآخرين والدين الأسلامي ليس فقط يغير القيم الدينيه لدي معتنقيه بل يغير ثقافة وعادات وقيم المعتنق له ويسفه الكثير من القيم والمسلمات السابقه له ومن هذا المنطلق يبدو الدين الاسلامي عامل بديل مستقل عما سبقه وهذا يجعله اكثر جاذبية واكثر تغيير للفرد المعتنق له وهذا بالتالي جعله مصدر هاجس وتوجس من قبل صانع الحضارة الغربية على قيمة الاجتماعيه والثقافية وهذا التخوف والهاجس تعزز بعدة عناصر لعل من أهمها : ـــ

١ ـــ أن الدين الاسلامي يشكل البديل للقيم الحضاريه التى يعيش عليها الفرد قبل أعتناقه الاسلام وهذا ما شهدناه من خلال الكثير من الافراد الذين أعتنقوا الاسلام حيث أنه ليس فقط يمثل نقطة جذب من حيث تماسكه العقائدي بل يمثل نقطه جذب لكونه يُوجد البديل للقيم السابقه.

٢ ـــ الهاجس الغربي من الهجرة الأسلامية إلى العالم الغربي وإذا كانت هذه الهواجس اكثر وضوحاً في فرنسا حيث أن الهجرة الأسلامية إلى فرنسا كانت ذات بعد سياسي وأقتصادي قادتها السياسة الفرنسيه نفسها فى مستعمراتها السابقه وخصوصاً في المغرب العربي فإن فرنسا بمثقفيها وسياسيوها يعيشون الهاجس الكبير وهو الهجرة

العربيه الاسلامية إلى فرنسا حيث يصف أحد الباحثين الذين زارو وعاشوا أحد المؤتمرات الفكريه والسياسية في فرنسا، أن الهجرة العربية والاسلامية لفرنسا تسيطر على أذهان الغربيين أكثر من أي قضية أخري وإذا كانت فرنسا تتخوف من الهيمنه الثقافية الأمريكيه فإن خوفها من أختراق المجتمع الفرنسي من جنوب المتوسط هي اكثر بكثير في سيطرتها على التفكير الفرنسي. وهنا يجب التنويه أن فرنسا ليست الدولة الوحيدة التى تطرح مفهوم الهجرة بل ان بريطانيا والمانيا حتى أنه بداء طرح مثل هذه الافكار في أروقه السياسة الأمريكيه وهي مرشحه للتطور والزياده فى المستقبل.

٣ ــ البعد الثاني فى دافع الهاجس الغربي هو الزياده المتواصله في عدد سكان العالم العربي والاسلامي حيث تعد معدلات الولادة في العالم الاسلامي والعربي أعلى من معدلات الولادة فى أي مكان في العالم وهذا ما نوه له (الاستاذ هنتنغتون في محاضرته في الجنادريه) وأن زياده نسبه السكان في العالم العربي والاسلامي حتماً تقود الى عاملين مهمين حسب رأي الاستاذ هنتنغتون وهما : ــ

أ) عدم أستقرار سياسي واجتماعي داخل العالم العربي والاسلامي إذا لم يكن هناك سياسات جادة من أجل أستيعاب مثل هذه الزياده مما يعني جعل منطقه العالم الاسلامي والعربي منطقة عدم أستقرار سياسي وهذا يقود إلى البعد الآخر هو ....

ب) هجرة أسلامية وعربية إلى العالم الغربي وهذا ما يخشاه العالم الغربي من تدفق الهجرات الاسلامية إليه وهذا ما تمثله حالة الجزائر في ذهنيه فرنسا حيث أن عدم الاستقرار يقود إلى هجرة وبالتالي يجب العمل على أيجاد أستقرار مصحوب بهيمنه فرنسيه في حالة الجزائر وهذا لا يكون ألا عن طريق النقطه التاليه وهي ...

جـ) العمل على تخفيض معدل زيادة السكان وهذا يكون عن طريق عقد المؤتمرات والندوات حول السكان وقضايا المرأة حيث عمل العالم الغربي من خلال مؤتمر السكان فى القاهرة والذي حاول أدخال مفاهيم تحديد النسل والعائله المصغره وأدخال البعد التعليمي والاقتصادي في مفهوم العائله مما يدفع إلى الحد من عدد الانجاب كما أهتم العالم الغربي بقضايا المرأة عن طريق مؤتمر المرأة في بكين حيث أن لدي العالم الغربي قناعة أن تحسين وضع المرأة أجتماعياً وأقتصادياً وفتح مجالات عمل لها سوف يدفعها إلى تأخير الالتزام العائلي والارتباط بالزواج وبالتالي تأخير عمليه الانجاب مما يعني الحد من معدل المواليد أي أن التوسع في حريه المرأة وأستقلالها الاقتصادي يعني الحد من عدد المواليد والانجاب من هذا كله يصل العالم الغربي إلى خلاصه يمكن وصفها على الشكل التالي : ــ

إن تحسين وضع المرأة الاقتصادي والاجتماعي وفتح الحريات لها سواء الاجتماعية والاقتصادية يعني تأخير التزامها العائلي والاسرى والاقلال من عدد المواليد مما يعني

الاقلال من نسبه زيادة سكان العالم العربي الاسلامي وهذا يقود إلى احتمالات الأستقرار السياسي والاقتصادي أي أيقاف زحف الهجرة العربية والأسلامية إلى العالم الغربي. ونحن هنا نطرح القضية للتحليل والمراقبة وليس لغرض التأييد والاعتراض.

وفى الختام إذا كان العالم الغربي المالك للقوة والنفوذ في الحاضر وفي المستقبل المنظور يملك هذه الهواجس عن عالم ضعيف مفكك مثل العالم الاسلامي والعربي فكيف نحن ننظر الى ذواتنا وهواجسنا التى أصبحت تشكل القوالب الفكرية للجدل السياسي والفلسفي في العالم العربي وكذلك هي دعوة إلى رؤية جديدة لفهم الذات وفهم الآخرين من أجل حسن التعامل معه وذلك من أجل تعظيم المصالح والتقليل من المخاطر في المستقبل القادم في علاقاتنا مع الاخر كأن من كان.

النفط الآسيوي واللعبة السياسية

لم يسجل مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي الذي أنعقد في اسطانبول المدينة التركية نجاحاً لسياسة الدول الأوروبية الكبرى وعلى الخصوص بريطانيا وفرنسا والمانيا إلى حد ما ولم يكن فقط أنعقاد المؤتمر نجاح للدبلوماسية التركية التى أستطاعت أن تضع نفسها داخل الدائرة الغربية الأوروبية على المستوى النفسي على الأقل والمستوي الأمني بشكل صارخ وقوي إلا أن أنتصار الدبلوماسية التركية كان على المستوى الاقتصادي وخصوصاً حقل توقيع نقل النفط من آسيا الوسطى الى المستهلك في أوروبا حيث ليس فقط أنها تفكر بالعوائد الاقتصادية التى سوف يعود عليها بل أن العوائد السياسية والاستراتيجية تفوق بشكل كبير وغير منظور العوائد الاقتصادية من حيث: —

١ — تركيز أهمية تركيا لدول آسيا الوسطى والعراق على انها المنفذ الحقيقي لنفط هذه المناطق.

٢ — يعطي تركيا أهمية أستراتيجية لدى دول آسيا الوسطى وبالتالي الحضور السياسي والثقل السياسي لدى هذه الدول وهذه المنطقة.

٣ — ان الأهم في البعد السياسي والاستراتيجي لخط أنابيب آسيا الوسطى إلى تركيا هو فرض تركيا نفسها على أنها أحد أهم الجسور الاستراتيجية للعالم الغربي بل أن تركيا اليوم تضاعف أهميتها الأمنية العسكرية الى كانت تتمتع بها لعقود طويلة سابقة فإنه مع الانخفاض النسبي للبعد السوفيتي السابق أو الروسي اليوم لهذا البعد الأمني إلا أن تركيا أستطاعت إضافة الأمن الاقتصادي والاستراتيجي الاستثماري والسياسي التى أستطاعت الحصول عليه من خلال العقد الهائل لنقل النفط عبر الاراضي والموانى التركية الى العالم المستهلك.

وإذا كانت تركيا من الدول التى أستطاعت توظيف قدراتها ومخزونها التاريخي والسياسي والعرقي من أجل الفوز بمثل هذه المكانه والقدرة إلا أن ذلك راجع والي حد كبير الى المكاسب الكبيرة التى تحققت للولايات المتحدة الامريكية من هذا المؤتمر ومن هذه المكاسب الواضحة للعيان هي: —

١ — تجديد الحضور والهيمنة الامريكية في أوروبا بشكل اكبر بكثير من المفهوم العسكري والامني الذي كان يتمثل في حلف الناتو بل ان المؤتمر الأمني الأوروبي خرج بقدرة أمريكية اكبر للتأثير على الابعاد والاحداث الداخلية للعديد من الدول الأوروبية الصغيرة بل ان القيم السياسية والاجتماعية الامريكية أصبحت معيار واضح للدول الأوروبية الصغيرة. ومن خلال

مفهوم التدخل وعدم السكوت عن ما يجري في أوروبا فإن الولايات المتحدة أستطاعت أن تؤثر على الدول الأوروبية القوية من خلال الدول الأوروبية الصغيرة مستفيدة من التوزانات السياسية والاقتصادية والتاريخ الصراعي الاوروبي.

٢ ــ قدرة الولايات المتحدة الامريكية على استثمار هذا المؤتمر في مزيد من عزل روسيا وتحجيم أي دور أو تأثير لها على دول أوروبا الشرقية أو الدول التي من المتوقع أن يكون لديها تحفظات سياسية من دول أوروبا الغربية نتيجة الارث السياسي والاستراتيجي السابق.

٣ ــ ان أهم المكاسب التى استطاعت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا إلى حد ما هو قدرتها مرة أخى على حرمان روسيا وعزلتها من أهم مجالاتها السياسية والاستراتيجية وهو منطقة آسيا الوسطى مستخدمة حرمانها الاقتصادي وحرمانها من مرور أنابيب النفط عبر الاراضي الروسية مضحية بالتكاليف الاقتصادية لمثل هذا الانبوب من أجل مكاسب سياسية وأستراتيجية على المدي البعيد.

إن الولايات المتحدة الامريكية وروسيا يعرفان جيداً ان الاستقلال الاقتصادي لمنطقة آسيا الوسطي عن روسيا يعني اختلاف المصالح السياسية والاستراتيجية بين دول آسيا الوسطي وروسيا. ويعني تحجيم أي دور أو تأثير روسي على هذه المناطق يدعم هذا التحجيم لهذا الدور الروسي دور شركات النفط والتصنيع والتكرير الغربية في آسيا الوسطي من أجل حرمان أي دخول روسي على الرغم من التكنولوجيا الروسية في مجال صناعة النفط تعد متخلفة الى حد كبير مقارنة بنظيرتها في العالم الغربي اليوم.

٤ ــ أستطاعت الدبلوماسية الأمريكية أن تجنح الى حد كبير في معاقبة بعض الدول الأخرى التى تقاوم السياسية الامريكية أو لا تشترك معها في نفس الرؤيا السياسية وأستطاعت الحكومة الامريكية حرمانها من مرور خط النفط عبر هذه الدول المطلة على الخليج العربي رغم الميزة الاقتصادية والجغرافية وبالتالي فإن الرسالة الامريكية للعالم هي أن من يعارض الولايات المتحدة الامريكية سوف يعاقب بالعديد من الطرق ومنها البعد الاقتصادي.

٥ ــ أن الخط النفطي عبر تركيا وعلى الرغم من عيوبه الاقتصادية والجغرافية إلا أنه من الناحية الاستراتيجية أفضل الخيارات للويالات المتحدة الامريكية وأوروبا حيث يتلافى المشاكل المحتملة في روسيا أو حتى مناخها السياسي والتقلبات الداخلية كما يتجنب خط النفط الشرق الأوسط والتوترات المحتملة فيها.

٦ ــ أستطاعت الولايات المتحدة الامريكية أن تكافىء الدول التى كان لها مواقف سياسية واضحة ومؤيدة للسياسة الامريكية وخصوصاً تركيا التى أثبتت فائدتها الهائلة للسياسة الامريكية وأستمراريتها سواء أبان الحرب الباردة أو القلاقل والحروب التى أعقبت الحرب الباردة وأنهيار الاتحاد السوفيتي حيث أثبتت تركيا مراراً وتكراراً ولائها الهائل والقوي والغير

مشروط للسياسة الامريكية والتى أستطاعت تحيد المواقف الغربية والامريكية على وجه الخصوص في اكثر القضايا حساسية تجاه الغرب وهي القضية القبرصية ورغم ان المنطق السياسي الغربي يقتضي صداقة تركيا على حساب اليونان إلا أن المسألة لا تتعدى كونها مصالح سياسية وأولويات استراتيجية في معظم حالاتها. وبالتالي فإن الترحيب الكبير الذي يلاقيه الرئيس الامريكي في تركيا مع المظاهرات الصاخبة التى يلاقيه كلنتون في اليونان تضع اكثر من علامة استفهام حول المنطق السياسي الامريكي البسيط إلا أن المصالح الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية تقتضي اليوم التضحية باليونان من وجهة النظر الامريكية.

إن النفط اليوم يلعب الى حد كبير في تحديد خريطة القوى والنفوذ السياسي في المنطقة الجديدة والوليدة في اسيا الوسطى بل أن النفط اليوم كما حدث في الماضي يقوم بعمل أدات سياسية وأستراتيجية من أجل عزلة بعض الدول وتهميشها ومد النفوذ الغربي بشكل كبير والامريكي بشكل خاص.

المشروع الصهيوني والموقع الجغرافي

عندما كان المشروع الصهيوني لإقامة وطن قومي يجمع يهود الشتات في العالم فكرة لدى مؤسس الحركة ثيدور هرتزل في نهاية القرن الماضي والذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الذي سوف يكون القاعدة والانطلاقة الحقيقية نحو تنفيذ المشروع وتحويلة من نظرية حبيسة الورق الى واقع ملموس يمكن الجزم أن مداولات هذا الموتمر كانت تتجاذب بناء على معطيات المرحلة التاريخية وكيف يمكن للمرحلة التاريخية أن تضفي بظلالها على ما يعقبها في مراحل تاريخية لاحقه عندما كانت فكرة المشروع الصهيوني فكرة كان لابد لها من دعائم عديدة أو ما يمكن أن يطلق عليه المنطلق الذي يمكن أن يدفع المشروع الى النجاح ومثلما يقول الفيلسوف الالماني هيغل أن أي فكرة توجد نقضيها ثم تنفيها بشكل ديالكتيكي متتابع. وكانت دعائم الفكرة الصهيونية هو انشاء وطن قومي لليهود وكان الهم الحقيقي هو ماهي الفكرة والمنطلقات التي يمكن ان تجمع شتات يهود العالم في مكان واحد أو وطن قومي واحد وكان الجواب هو الاعتماد على عاملين رئيسيين سوف يكونان المرتكزان الشرعيان التي سوف تقوم الحركة بانشاء هذا الوطن وأن يكون هذا العاملان تحت مظلة الفكرة الصهيونية وهما : ــ

أولاً: البعد التاريخي حيث استطاعت قوى الفكر الصهيوني أن تحسم الصراع لمصلحة المكان المؤهل لجذب اكبر عدد من يهود العالم ولهذا تم موقع فلسطين العربية المسلمة لتكون مكان الوطن اليهودي وذلك لان الدراسات التاريخية اليهودية تقر ان اليهود قد سكنو في مرحلة من مراحل التاريخ اليهودي جزء من فلسطين بل لم تكن لهم دولة قط سوى في هذا المكان وتلك المرحلة. ثم جاءت الدراسات اللاحقة لتزور أن الوجود اليهودي كان الأول والأهم في تاريخ أرض فلسطين وهذا ما تكذبة المراجع التاريخية العديدة والبينة.

ثانياً: البعد الديني: لم يكن بامكان الحركة الصهيونية جذب يهود العالم سوى على منطلق البعد الديني خصوصاً وان الدين اليهودي يعد مرتكز اليهودية عبر التاريخ اليهودي وبالتالي فإن انطلاق المشروع الصهيوني كان قائم على البعد الديني.

ولكي يكون المشروع اكثر رمانسية ومقبول من القوى السياسية اليهودية ثم غير اليهودية فيما بعد أخذت المنظمة الصهيونية تبحث المشروع اليهودي على أنه أحد مشاريع المعجزات وأحد مشاريع الحضارة الغربية خصوصاً بعد التزواج الواضح بين زعماء اليهود والكثير من الساسة الغربيين سواء في أوربا أو حتي فى الولايات المتحدة فيما بعد.

إن أختيار الموقع لتنفيذ المشروع الصهيوني في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين دفعه

فيما دفعه في ذلك الوقت الضعف العربي والاسلامي الواضح حيث تكشفت نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحاضر على أن العالم العربي والاسلامي تسيطر عليه الدولة العثمانية (رجل أوروبا المريض) التى غطت العالم العربي والاسلامي بالجهل والتخلف ومن جانب آخر كانت الدولة العثمانية نفسها قد أخترقت من قبل القوى الغربية بشكل كبير وكانت أحد ضحايا اتفاق سايكس بيكو التي تنص على اقتسام المناطق العثمانية بين الدول الاستعمارية الغربية بل وأن الزعماء اليهود كانو لديهم القدرة المادية والسياسية لاستثمار القوى الغربية لاضعاف الدولة العثمانية بل وانهائها من المسرح السياسي العالمي. وفي ذات القوت كانت أغلب الدول العربية باستثناء قلب نجد والجزيرة العربية تعيش تحت استعمار القوى الغربية كل هذه العوامل وهذا الضعف كان أحد المبررات الحقيقي والقوى لكي تكون أرض فلسطين هي الاختيار الامثل كموقع لتنفيذ المشروع الصهيوني بإقامت دولة تجمع شتات اليهود.

إلا أن المراقب يرى أن المشروع الصهيوني لم يلتفت على عاملين مهمين سوف يكون لهما أثر على الوقت الحاضر ومن المحتمل أن يكون لهما أثر اكبر على المستقبل وهما : ـــ

أولاً: كانت تفترض المنظمة الصهونية أن العالم العربي والاسلامي ضعيف إلى درجة أنه لا يرجى عودة أية قوة عربية واسلامية في المستقبل. بل أن كثير من الدراسات مدفوعة بالدراسات الدينية التى قام بها اليهود ومبشرين مسيحيين كانت تقول إن العالم العربي ذهب منه الاسلام الى غير رجعة وأن الدارس لكثير من الدراسات المسيحية واليهودية في تلك المرحلة وما أعقبها بقليل يرى الاستخفاف اليهودي والمسيحي بالاسلام وتعاليمة بل أن هناك كثير من الدراسات تقول أن الاسلام لن يقف أمام المد الغربي سواء الديني أو الحضاري وهذا ما جعل الأرض الفلسطينية تكون موقع ممتاز للمشروع الصهيوني حيث ذهبت رابطته الحقيقية التي هي الاسلام حسب المهفوم الغربي واليهودي.

إلا أن هذه الفكرة لم تكن في مكانها حيث ثبت أن الأسلام أقوى وأرسى مما توقع الغرب واليهود ورأو عالماً اسلامياً وعربياً يحاول النهوض بطريقة أو بأخرى. صحيح أن العالم العربي والاسلامي يعيش حالة تشتت وضعف ولكن لم يلبث هذا العالم من المحاولة تلو الأخرى بل أنه يتضح الخطأ من التقدير الغربي واليهودي من ضعف وذهاب الاسلام الى الأبد من أن الاستراتيجية الاسرائيلية اليوم هو تجميع قواها وقوى حلفائها لاضعاف والامعان في أضعاف العالم الاسلامي والعربي الذي هو عصبة وقوة العالم الاسلامي وذلك عن طريق الحروب المتوالية وبث الخلافات السياسية والاجتماعية داخل العالم العربي للضغط والافلاس السياسي والاقتصادي لدول العالم العربي وهذا لا يعني ابداً أن العالم العربي ليس لدية عيوب في ذاته إلا أنه كان قد هيء نفسه اكثر لاستغلال الآخر. ومع كل ذلك فإن العالم العربي والاسلامي لم يهدى ابداً من أجل الحصول على أسباب القوة ومن المتوقع أن لا يهدء في المستقبل من أجل الحصول

على أسباب القوة ومن هذا المنطلق يبدو أن اختيار أرض فلسطين كأرض لتنفيذ المشروع الصهيوني من خيارات أخرى في أفريقيا وأمريكا اللاتينية كان خطأ كبير أرتكبة المؤسسون الأوائل للمشروع الصهيوني.

ثانياً: كان من المتوقع ومن المفترض أن أختيار الموقع في فلسطين بالنسبة للحركة الصهيونية سوف يجر لها جميع يهود العالم بشكل قوى وسريع إلا أن الحقائق لم تكن كذلك فإن اليهود الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية هم أكثر عدد من يهود إسرائيل نفسها. وكان المشروع الصهيوني يركز على يهود أوروبا بشكل خاص حتي تكتشف اسرائيل انها وبعد خمسين سنة أن يهود أوروبا أصبحوا أقلية في اسرائيل اليوم وبالتالي فإن الاختلاف العرقي والفكري والحضاري يمكن أن يكون سبب في تأجيج الصراع الداخلي في اسرائيل وهذا واحد من الاخطاء المحتملة في التقديرات في المشروع الصهيوني واختيار الموقع الجغرافي له.

وتبدو أن بناء المشروع شيء وهو عمل سهل إلا أن الاحتفاظ به وصيانته وجعله على قدرة علية من الاستمرارية هو العمل الاكثر صعوبة والاكثر تحدي وهذا ما سوف تشهده الخمسون سنة المقبلة في تاريخ العالم العربي والاسلامي ومن تاريخ المنطقة العربية.

الولايات المتحده والصين

الهزه التي احدثها صقوط الاتحاد السوفيتي في انتظام لدولي كانت ومازالت أهم احداث النصف الثاني من القرن العشرين حيث دفع هذا الصقوط الى أعادة ترتيب وتنظيم القوى العالمية من جديد او ماعرف بالنظام العالمي الجديد . وكان من أهم نتائج هذا الانهيار.

١) اندفاع روسيا الوريث الشرعي للنظام السوفيتي السابق من دولة عظمى الى دوله من الدرجة الثانية تعاني من مشاكل اقتصادية حقيقية مع قوة عسكرية ضازبهة تأخذ بالضعف بعد أيقاف العملية التطويريةالتي قادها الضعف الاقتصادي.

٢) تحرر آوربا من الرعب النووي او تخلص أوربا من أحتمالية ان تكون أوربا الساحه الاهم لاي حرب عالميه ثالثه .

٣) اندفاع أوربا للالتفات لمصالحها بعيدة المدى عن نحو تخدم المصالح الاوربية وليس بالضروره ان يكون الروس والامريكيين هم الرابح الاكبر من النظام السياسي الاوربي.

٤) تنفرد القوة الامريكية في منطقة امريكا الجنوبية وبالتالي اندفاع النموذج السياسي الامريكي هناك والذي يعني التحول الديمقراطي المصحوب مع التحول الاقتصادي الرسمالي لصالح الشركات الامريكية العملاقة ولصالح المصارف البنكيهةالامريكية العملاقة واصبح مفهوم التنافس الدولي على امريكا الاتينية شيء من التاريخ ما عدى بعض المنافسات الاقتصادية التي تقودها اليابان وبعض الدول الاوربية الأن مثل هذه المنافسات لاتستطيع ان تؤثر على الاستحواذ الامريكي الواضح والكبير على هذه القارة الهائله.

٥) انفراد الولايات المتحدة الامريكية كاحد اهم القوى الفاعلة والمؤثر في منطقة الشرق الاوسط هذا التفرد دعم قوة إسرائيل بشكل واضح وترك القوى السياسية العربيه الحليفة للسوفيت في السابق تواجه احد الخيارين المرين ، اما لقبول بشروط امريكية والانقياد معها أو مواجة الانقراض البطيء والمر والذي سوف يكلف هذه الدول سواء على المستوي السياسي ، والاقتصادي.

٦) انهيار الاتحاد السوفيتي كان واحد من العوامل الذي أعاد ترتيب القوى السياسيه في اسيا ولعل هذا العامل يعد واحد من اهم أثار الانهيار السوفيتي والذي سوف يكون واحد من اهم المواضيع التي سوف تاخذ النصيب الاكبر ولاهم من الاهتمام الدولي خلال الربع الاول من القرن الواحد والعشرون . وسوف يكون العامل والتفاعل الامريكي مع هذا العالم الاسيوي كبير ومؤثر مع عدم أهمال الاهتمام الاوربي الا ان الاوربيين سوف يكونون مشغولون بترتيب البيت الاوربي خلال هذه لمرحله المقبلة سواء ترتيب الترتيبات الاقتصادية في موضوع السوق والعملة

والتفاعل الاقتصادي او حتى على مستوى الاقتصاد السياسي في قبول اكبر عدد ممكن في المستقبل من الدول الاوربيه بشكل يضمن او يحقق النجاح الازم للتجربةالاوربية وهذا يتطلب ادخال عناصر جديدة من دول شرق اوربا تضمن انتعاش اقتصادي اوربي سواء من ناحية فتح افق الاقتصادية واستثمارية جديدة في شرق اوربا اومن ناحية ادخال هذه الدول لكي تكون عوامل بناء بدل من ان تكون عوامل هدم للبيت الاوربي ومن جانب اخر فان اوربا سوف تكون اكثر اهتمام بالشؤن الاوربية في المرحلة المقبلة على اعتبار ان هناك مناطق ملتهبة وخصوصاً في منطقة البلقان يجب التعامل معها بشكل دقيق حتى يتم بناء الاسس السياسية في اوربا وخصوصاً في هذه المنطقة على قواعد صحيحة تضمن الاستمرارية السياسية والتطور الاقتصادي للدخول للقرن القادم . وهذه العوامل سوف تكون العوام الحقيقية التي سوف تجعل الاوربين منصب اهتمامهم على اوربا مقدمين الدعم المعنوي والسياسي وشيء من الشاط الاقتصادي في اسيا بينما سوف تكون الولايات المتحدة الامريكيه هي العامل الاكثر تاثيراً وتعملاً مع الشان الاسيوي وذلك راجع للعوامل التاليه :

اولاً) كون الولايات المتحدة الامريكيه الدولة الاقوى ولاعظم في العالم ولذلك فان استراتيجيتها واسواقها تتسم بالشمولية الدولية والنظرة العالمية بشكل يتناسب مع امكانيتها وقدراتها العالية.

ثانياً) ان الولايات المتحدة الامريكيه تطل على اهم واعظم المحيطات العالمية فهي ترتبط في اوربا من محيطها في الشرق وترتبط بالعالم الاسيوي في المحيط المطل عليها من الجانب الغربي.

ثالثاً) ان الولايات المتحدة الامريكيه تعد بحق وبجدارة الوريث الحقيقي للحضارة والثقافة الغربية او مايطلق عليه التفسير الغربي للراسمالية وبالتالي فانها تجد نفسها تدافع عن مصالحها السياسية والاقتصادية من جانب ومن جانب اخر وهو مهم تدافع عن المرورث الحضاري الغربي بمفهومه الثقافي والاقتصادي والسياسي وحتي مفهومه الديني.

رابعاً) ان دوله عظمى مثل الولايات المتحده الامريكية تجد انه من المنطق السياسي والاستراتيجي متابعة التطورات العالمية وخاصة في أسيا المنطقة الاكثر ترشيحاً من الناحية السياسيه للعب الدور الاكثر تاثراً جنب الى جنب مع الولايات المتحده الامريكيه، من واجبها مراقبة والتاثير على اي تغيير يحتمل في اسيا هذه التغييرات الهامه التي شهدتها وسوف تشهدها اسيا في المستقبل كان لابد من التاثير عليها من وجهة نظر استراتيجية الامريكية حتى يمكن تحفيز مثل هذه التغييرات بشكل يخدم المصلحة الامريكية في المستقبل ويجعل هذه المنطقة تحت المهجر السياسي والاستراتيجي الامريكي.

الاثر الكبير والعميق الذي أحدثه أنهيار الاتحاد السوفيتي على النظام الدولي وتوقف عند رصد هذه الاثار على المنطقه الاسيوية وخصوصاً مايتعلق بالعلاقات الامريكيه الصينية التي من

المحتمل ان تكون جوهر الاهتمام في الربع الاول من القرن الواحد والعشرين قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وحليفتة الهند وكوريا الشمالية تشكل الزاوبة في الوقوف في وجه القوة الامريكية المرتبطة باليابان صاحب التوجة الاقتصادي القوي وكوريا الجنوبية المعنية بامسالة الشمال بشكل خاص وتايوان التي تندفع بالارتباط بالولايات المتحدة الامريكية مع تمنع امريكي خوفا من فقدان الصين الدولة الاهم في هذه المعادلة ليس فقط من الجانب الاقتصادي وهو ماسوف تتضح معالمة بشكل ايجابي في نهاية التسعينات بل على المستوى السياسي والعسكري ولاستراتيجي وذلك لوجود الصين الدولة التي تحاول ان تلعب دور مرجح القوى في المنطقة الاسيوية اي ان الصين كانت تطمح ان تكون الدولة التي تتمتع بقوة مرجحة للقوى في اسيا مما يعطيها قوه اكبر من قدراتها وتاثير اكبر من امكانياتها في لعب دوراً بارزاً في النظام الدولي بشكل عام والنظام الاسيوي بشكل خاص. بمأن الصين كانت تريد ان تستثمر هذا الدور لصالح تطورها الاقتصادي لفتره اطول من اجل ان تحصل على تعاطف الجميع من اجل تعزيز قدراتها الاقتصادية وبالتالي تحضير الصين لمرحلة مابعد النظام الدولي القائم على مفهوم توازن القوى بين الشرق والغرب.

الا ان انهيار الاتحد السوفيتي دفع هذه المعادلة الدولية وهذه الرؤية الصينية الى انهيار المبكر بفعل انهيار الاتحاد السوفيتي الذي جاء ليربك النظام الدولي بشكل حاد عند ما تأكد انهيار الاتحاد السوفيتي تحول مفهوم التحالفات الاسيوية وتغيرات بشكل واضح حيث ذهب منافس الولايات المتحدة الامريكية الاهم هو الاتحاد السوفيتي لذا فان الصين التي كانت تلعب دور المرجح والموازن في الصراع السوفيتي الامريكي الى الواجة في الصراع الدولي وذلك لكونها الدولة الاكثر ترشيحان للعب دوراً أهم في الساحة الدولية وذلك لامكانياتها الاقتصادية وسوقها الهائل وأمكانياتها العسكرية والبشرية وتاثيرها على السياسة في اسيا بشكل عام ولكون الصين تمثل النظام السياسي الاخر او المختلف عن النظام السياسي القوي لكل هذه الاسباب اصبحت الصين هي الدولة رقم واحد في اهتمامات الولايات المتحدة الامريكية القائدة والزعيمة للعالم الحر او النظام الرسمالي الدولي.

وبالفعل بانتهاء الاتحاد السوفيتي تخرج الصين الى الواجهة ويخرج الخلاف الصيني الهندي الى الواجهة ايضا بعد ان اختفا الخلاف الامريكي السوفيتي مما دفع الهند الى التحول الطبيعي المنطقي الى الولايات المتحدة الامريكية حيث استبدلت الهند حليفها الاستراتيجي السوفيتي بحلف منافس للصين هي الولايات المتحدة الامريكية وباكستان الدولة الحليفة القوية للولايات المتحدة الامريكية الذين حاربو بنفس الخندق امام القوات السوفيتية في افغانستان دفع انهيار الاتحاد السوفيتي والتقارب الهندي الامريكي الى اختلاف التحالف الامريكي الباكستاني بل ان الاولى تخلت بشكل مشين عن الباكستان لدرجة ان الاموال الباكستانية التي دفعت للولايات

المتحدة الامريكية من اجل شراء مقاتلات امريكية اوقفت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي دون تسليم السلاح او اعادت المال للباكستان ومن جانب اخر تكتشف الصين اهمية باكستان في نظام التوازن الاقليمي حيث تجد الصين ان دعم باكستان على المستوى العسكري ولاستراتيجي امر في غاية الحيوية ولاهمية الامر التي دفعها الى التوازن النووي بين الهند والباكستان وهو الامر الذي يمكن ان يشل نسبة كبيرة من القوة الهندية العسكرية تجاه باكستان بدل من ان تكون موجهة ضد الصين. وبالتالي فان دعم الصين للباكستان يعد واحده من المناوراة السياسية والعسكرية الناجحة التي تخدم المصلحة الصينية في المدى القريب والمتوسط مع التسليم ان باكستان سوف تكون مكلفة للصين على المستوى الاقتصادي والسياسي ومن المرجح ان تستثمر الصين التوازن القديم فيما يخص كوريا الجنوبية والشمالية وتكون الاولى مدعومة من قبل الولايات المتحدة الامريكية بوجود قواتها الى جنب كوريا الجنوبية على الحدود مع كوريا الشمالية الا ان الاهتمام الصيني بكوريا الشمالية سوف يزداد بل ومن المحتمل ان ياخذ الدور السوفيتي السابق وخصوصا على صعيد تطوير القدرات العسكرية اذاً انهيار الاتحاد السوفيتي اعاد ترتيب الخريطة السياسية والاستراتيجية على النحو التالي.

الولايات المتحدة الامريكية بتحالفها مع اليابان وكوريا الجنوبية وتقاربها مع الهند سوف يشكل عامل التوازن مع عور الصين باكستان كوريا الشمالية وهنا تكون الولايات المتحدة الامريكية الدولة التي لعبة سعت لتشكيل هذه المعادلة السياسية الاانها تبدو خارج اللعبة الخطرة حيث سوف تلعب الولايات الامريكية دور الموازن للقوى والمرجح للقوى بحيث تستطيع ان تحصل على اكبر المكاسب السياسية والاقتصادية به من جميع الاطراف مع استثمار اقل قوة وامكانية ممكنة في هذه المنطقة بفعل ويفضل نظام توازن القوى هذا .

ومن هذا المنطلق لتوازن القوى سوف سوف يكون موضوع التركيز على العلاقات الصينية الامريكية وتأرجحها بين الصداقة والعداء بين الشد والجذب بين الرغبة ولامتناع بين المؤيد والمعارض وهذا ما يفسر بالحمى الصينية التي تجتاح الولايات المتحدة الامريكية على مستوى الجامعات ومراكز الدراسات ومراكز البحوث ودهاليز البيت الابيض ونشاطاتة وبين حمى النقاش في الكونغرس الامريكي بين مؤيد ومعارض للزيارة التي يقوم بها الرئيس كلنتون الى الصين وان كان البعض يفسرها بالصراع السياسي المحلي بين الحزبين .

وبالفعل فان اعادة ترتيب الاوراق الاسيوية دفع الصين من دولة مراقبة ومستفيدة من الحرب الباردةالى دول دخلت قلب الحدث فاصبحت احد أقطاب النظام الدولي بل اندفعت الصين لتكون واحد من اقطاب الصراع الدولي ومما يزيد هذا الموضوع أهمية هو ان الدور الصيني مرشح لمزيد من التفاعل والزيادة في العقود القادمة حسب المعطيات التي يمكن قراءتها في الوقت الحاضر وهذا التوقعات هي التي تدفع الاهتمام الامريكي الكبير بالشان الصيني حتى

اصبحت الصين واحدة من اكثر الدول مركز للاهتمام في الدوائر السياسية والعسكرية الامريكية في الوقت الحاضر.

ومن اجل رصد طبيعة هذه العلاقة بين البلدين كان لابد من رصد عوامل الشد والجذب بين الدولتين ومن الممكن تسليط الضوء عليها من الجانب الامريكي على النحو التالي:

اولاً: الصين دولة تعد بحق واحدة من اهم الاسواق الواعدة في المستقبل بل وتعد أحد أهم مركز النشاط الاقتصادي والتجاري للمنتجات الامريكية المتطورة وهي بهذا المعنى لايمكن اهمالها من الادارة الامريكية ومن قطاعها الصناعي والتجاري النشط والديناميكي ومن هنا جاء مفهوم الاهتمام بالصين كالدولة الاولى بالرعاية الذي تمتع به الصين منذ سنوات. هذا الوضع يعطي ميزة اقتصادية جيدة للدخول في السوق الامريكية وكذلك الحصول على المنتجات الامريكيةالتي يمكن ان يطلق عليها الاكثر تطويراً في مجال التكنولوجيا وهذا يعطي الولايات المتحدة الامريكية ميزتين متينتين هي.

١) قدرة الولايات المتحدة الامريكية على التاثير على القرار السياسي والاقتصادي الصيني بخلق سوق مهم للمنتجات الصينيه في السوق الامريكية بمعنى ان المستهلك هو الذي يؤثر على المنتج وليس العكس وبالتالي فان المكاسب السياسية الامريكية كبيرة جداً مقابل المكاسب الاقتصادية الصينية من جراء المبيعات الصينية في الاسواق الامريكية .

٢)ان بيع التكنولوجيا الامريكية المتطورة نسبياً يعطي فائدة للصينيين الا انه في ذات الوقت يربط التطور التكنولوجي الصيني بالقدرة التكنولوجية الامريكية وبالتالي يخلق شبه تبعية تكنولوجية وبالتالي يمكن استمار مثل هذه التبعية سياسياً وبشل كبير وفاضح. اي ان المكاسب الاقتصادية والتطويرية للصين يتم ترجمتها من الجانب الامريكي الى مكاسب سياسية كبيرة يتم التاثير بها على النظام السياسي والاقتصادي الصيني رغبت الصين ام لم ترغب وبغض النظر عن فكر وتوجة النظام السياسي الصيني بحيث يخلق حاله من ان تكون المصلحة الصينية هو السير في المصلحة الامريكية.

ثانياً : ان الولايات المتحدة الامريكية تملك مفاتيح واوراق يمكن ان تلعبها لمصلحتها الاستراتيجية من اجل حمل الصين على التصرف لمصالح الولايات المتحدة الامريكية من هذه الاوراق تاتي مسالة التوازن السياسي الاسيوي وخاصة اليابان الدولة الاهم وذات العداء التاريخي للصين وكذالك كوريا الجنوبية والهند ثم بعد ذالك الدول الاسيوية التي بداءت تتفهم اهمية الغرب وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية من الناحية الاقتصادية وخصوصاً في مجال الاقتصاد القائم على التصدير للدول صاحبة الاسواق الاستهلاكية العالية في الغرب والشمال الامريكي.

ثالثاً: تكشفت الاهمية الاقتصادية الامريكية للدول المحيطة بالصين بعد الازمة الاسيوية

الاخيرة ليس فقط لكون الولايات المتحدة الامريكية اهم مستورد للسلع اليابانية والكورية الجنوبية ودول النمور الاسيوية بل تكتشف سيطرة الولايات لمتحدة الامريكية على مركز المال العالمية خصوصاً البنك الدولي وصندوق النقد وكانت الازمة الاندونوسية أكبر درس يمكن ان تستخلصة الدول الاسيوية لاهمية الغرب وخصوصاً الولايات المتحدة الامريكية وان هذه الازمة الاسيوية لم يكن المنقذ لها اليابان او الصين، الدولتين للتين تهتمان بالتصدير والتصدير فقط ولاستثمار الذي يعود عليها باكبر العوائد، أقو ان الازمة الاسيوية وتدخل البنك الدول في هذا الازمات كان واحد من اكبر الدروس التي تصب في صالح الولايات المتحدة الامريكية الاستراتيجية في المدى البعيد ليس فقط انه سوف يكبل هذه الدول بالديون وبالتالي التبعية السياسية بل سوف ينظر الية على ان احد المنظمات المالية المنقذة هناك . ولعل الاتفاق بين صندوق النقد الدولي وروسيا هذه الايام دليل صارخاً على هذا المفهوم للانقاذ المؤقت.

رابعاً: لدى الولايات المتحدة الامريكية مخزون من المواقف الاخلاقية التي تستخدمها واكرر تستخدمها ضد الصين وعلى راسها مسالة حقوق الانسان والذي ارى انها تستخدم لاغراض سياسية اكثر من كونها حقيقة واقعة وايمان حقيقي وذلك لكون الولايات المتحدة الامريكية ارتبطت بتاريخها السياسي الدولي بممارسات غير انسانية بشكل مباشر وغير مباشر مع انتقاد اليمين الامريكي للصين الا ان هذا اليمين نفسة هو الذي وضع الصين الدولة الاولى بالرعية ولاهتمام لذلك فان مسالة حقوق الانسان والحريه الدينية والشخصية التي تطرحها الولايات المتحدة الامريكية في وجه الصين تعد عمل سياسي من اجل توليد الضغط وليس عملاً نابعاً من الايمان السياسي الحقيقي الامريكي.

خامسا: تبقي اهم الاوراق التي تلعبها السياسة الامريكية من اجل الضغط على السياسة الصينية هي القضية التايوانية والتبت حيث اخذت الولايات المتحدة منحى سياسي ودبلماسي واقعي لهذا القضيتين ولذلك فانها رفضت مفهوم استقلال هاتين المقاطعتين عن الصين وفي ذات الوقت رفضت مفهوم الضم بالمعنى والمفهوم الصيني ولذلك فانها لم تقلق الباب امام الصين الا انها لم تتركة مفتوح، اي انها ارسلت رسائل واضحة انها تريد ان تلعب الورقة التايوانية والتبتيه ال اقصى درجة ممكنة لخدمة المصالح السياسية ولاستراتيجية الامريكية تجاه الصين وان الموقف الامريكي هذا يقول بلغة ودبلماسية وعملية رغبات واهداف الولايات المتحدة الامريكية وهو في ذات الوقت قابل للسحب والتراجع في حالة عدم امتثال الصين للرغبات الامريكية.من هذا العرض نخلص الى تسليط الضوء على الاوراق التي تملكها الصين الدافعة الى النمو الاقتصادي مع اعطاء الصين دوراً مهماً وبارزاً ليس فقط على مستوى النظام الاقليمي الاسيوي بل على مستوى العالم ودفع الصين للعب دوراً اكثر اهمية في النظام الدولي والسياسة الدولية.

والعل من ابرز هذه الاوراق التي بيد الصين هي التالي :

اولاً : الصين تعد بحق واحده من اهم الاسواق العالمية خصوصاً مع النمو الاقتصادي المتزايد في الصين ومع خطط الحكومة الرامية للتنمية بشكل سريع هذا يعني ان الصين تحاول ان تضع الخطط من اجل دفع الصين الى درجة الدول النامية وبالتالي فان حركة الاستيراد والتصدير سواء للسلع ذات التقنية العالية او الخدمات تكون في أعلى سلم او لاويات السياسة وتكون الولايات المتحدة هي المكان الاهم لتوفير هذه التكنلوجيا والخدمات فان الصين تحاول علاج هذا النقص بشكل يخدم المصالح السياسية الصينية بمعنى ان الصين تحاول خلق تنافس على الاسواق الصينية الهائلة خصوصاً مع عدد السكان الهائل العدد. اي ان الصين تحاول خلق تنافس دولي عل الاسواق الصينية وبالتالي تخلق منافسة اسعار وتخلق في ذات الوقت قوى سياسية داخل الدول المصدرة للتكنلوجيا والخدمات تدفع في خدمة الصين كما هو الحال في بعض شركات المنتجة للتكنلوجيا مثل اجهزة الكمبيوتر والمعدات المتطورة وكذلك الشركات الكاكوكولا والبيبسيكولا والوجبات السريعة فانها تكون القوة الضاغطة على الادواة الامريكية من اجل جعل الصين الدولة الاولى بالرعاية بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية بمعنى ان الصين تخلق قوى ضغط وجماعات مصالح داخل النظام السياسي الامريكي وفي حلقة رجال الاعمال الامريكيين يعود لمصالح الصين في الوقت الذي يحققون مصالحهم.

ثانياً : ان امتلاك الصين مقومات الدولة العظمى سواء من الناحية الجغرافية او البشرية ولاقتصادية والاستراتيجية يجعل الصين دولة ذات اهمية ويصعب على اي دولة في العالم تجاهلها خصوصاً من دولة ذات سياسة عالمية مثل الولايات المتحدة الامريكية.

ثالثاً ان الصين تحاول لعب ورقة التوازن الاسيوي بحيث نذرت نفسها ان تكون الدولة الراعية لكوريا الشمالية خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ليس فقط لكون كوريا الشمالية تأخذ في نظامها السياسي منهج مقارب للنظام الصيني فإن الصين لاتفكر وتنفذ سياساتها الخارجية من منطلق ايدلوجي بل ان الواضح ان المنهج العملي البرغماتي هو العامل المسيطر والمؤثر على منهج السياسة الخارجية الصينية بحيث تبرز كوريا الشمالية كدولة ذات فائدة للصين من حيث انها تعد احد الاوراق المهمة في السياسة الخارجية الصينية والتي أن تلعبها تجاه الولايات المتحدة الامريكية في مسالة التوازن الاسيوي ومسألة تطوير الصواريخ وخصوصاً ان كوريا الشمالية تشكل عبئ حقيقي على الادواة الامريكية ومحاولة الاخيرة اجهاض البرنامج النووي لكوريا الشمالية والضغط الاقتصادي عليها من اجل اجهاض نظام تطوير صواريخها متوسطة المدى الى الحد الذي دفع الادوات الامريكية الى الدفع بالمنظمات الانسانية لتقديم المساعدات الغذائية وايقاف المجاعة بل وان الولايات المتحدة الامريكية تقدم دعوتة القمح من اجل منع الانفجار الداخلي في كوريا الشمالية الامر الذي بدفعها الى بيع خبراتها وصناعاتها العسكرية لدول اخرى تعدها واشنطن من الدول التي يجب ان لاتحصل على

مثل هذه الاسلحةوبالتالي فـان كوريا الشمالية سوف تشكل ورقة ضغط مـهمة في يد الصينين تجاه الولايات المتحدة الامريكية.

رابعاً : اندفاع الصين الى ابراز اهمـية باكستان الاستـرتـيجية بالنسبة للصين خـصوصاً بعد فقدان باكستان لاهميـتها الاستراتيجية بالنسبة للادواة الامريكية خـصوصاً بعد انهيار الاتحاد السـوفيتـي والتقـارب الهندي الامريكي اصـبحت باكـستـان من الدول ذات الاهميـة بالنسـبة للاستراتيـجية الصينيـة في توازن القوى في شبة القـارة الهندية وفي اسيا بحـيث ان التقارب الصيني البـاكستاني يعد مـحور يمكن ان يقف في وجة او يشل التقـارب الامريكي الهندي على المستوى العسكري على الاقل. ومن هنا فان الصين سوف تمارس لعب الورقة الباكستانيةبشكل حذر في المستقبل.

خامـساً : ومن الاوراق المهمة التي من المحـتمل ان تلعبـها الصين هو تجارتها في مـسألة بيع الصواريخ ذات التكنـلوجيا البـسيطة والفعـالة في نفس الوقت وخصـوصاً لدول ترى واشنطن واسرائيل انها دول معادية لها وان بيع مثل هذه المـعدات العسكرية والمفاعلات النووية يعد واحد من أقوى الاوراق التي تمارسـها الصين تجاه الولايات المتحدة الامريكية في الحاضر ومن المتوقع أستـغلال هذا العمل في المسـتقبل واطالة أمـده بشكل يخدم المصالح الصـينية بشكل كبـير هذه المبيعات التي تكسب الصين بعض الـنجاحات السياسية في اقاليم مـعينة وعلى المستوى الدولي وكذلك تكسبها على مستوى العائدات المادية بحـيث تعد مبيعات السلاح احد الموارد المادية المهمة للدول المصنعـة وبالتالي فـإن المنافـسة على سـوق السلاح يعـد واحد من العـوامل الهامـة في المستقبل

لا يمكن الجزم بالقطع اي من الطرفين الصيني او الامريكي سوف يدير أوراقة المتعددة بشكل جيد ولكن الاوضح ان من يلعب هذه الاوراق بشكل جيد وحاذق سـوف تكون عوائدة السياسية ولاقتصادية عـالية جداً وسوف تكون العوائد على مستوى المكـانة الدولية بنفس قدر النجاح في لعب الاوراق السياسية والاقتصادية.

الوقود الجديد للرأسمالية

﴿دعمه بعمل دعه يمر﴾ بهذه العبارة كان الجدل يتلخص بين رموز الرأسمالية الأولى والحوارالساخن الذي كان يخلط بين القيم الرأسمالية الاقتصادية وبين الذين كانو يحاولون الربط بين الرأسمالية والتطور السياسي وتثبيت المفاهيم الديمقراطية وإذا كانت العبارة السابقة قد لخصت البعد والفهم الأقتصادي للرأسمالية فإنه كذلك وضعت الأبعاد الحقيقية للمأزق الاقتصادي والاجتماعي الذي تقودة الرأسمالية للدول التى أخذت بهذه الفلسفة وهذه المنهجية ووصول هذه المآزق الداخلية للرأسمالية كانت اكثر أنتقادات اليسار التى تلخصت بالمفاهيم الماركسية والاشتراكية والماركسية الجديدة وأقتصاد الحكومة. وأصبحت المفاهيم الرأسمالية رديفة للاستغلال والجشع والبعد عن القيم الانسانية بل أصبحت رديفة للبحث عن الثراء بكل الطرق مهما تكن هذه الطرق مشروعة أو أخلاقية بل أن المفهوم السياسي الذي أطلقه ميكافيللي من أن الغاية تبرر الوسيله من أجل بناء دولة والحفاظ عليها وتثبيت أمنها حسب هذا المفهوم على الاقتصاد وأصبح الشعار هو الثراء هو المهم بأي طريقة وبأي ثمن وبالتالي أصبحت الغاية تبرر الوسيلة.

ولم يكن من مخرج لهذه الآلة الاقتصادية الرأسمالية من طحن الداخل وأتلاف النسيج الاجتماعي الغربي سوى أنتاج وقود جديد يمكن أن تأكل منه هذه الرأسمالية بعد التشبع الداخلي حيث كانت حركة أو مشروع الاستعمار هذا المشروع الذي سوف يصدِّر المشكلة الداخلية الى الخارج بل وسوف يبقي على النسيج الاجتماعي والسياسي يعززه البعد الاقتصادي داخل الدول الأوروبية حتى يمكن لها أن تلعب دور التطور الاقتصادي والتقني الأمر الي سوف يدفع الدول الرأسمالية إلى مزيد من القوة والنفوذ وهي ما عرف بالحركة الاستعمارية التى كانت ذات وجه وتوجه اقتصادي لم يلبث أن تحول ذو أبعاد سياسية استراتيجية حتى يتحول الى بعد حضاري أي محاولة نشر وتثبيت الحضارة الأوروبية حول العالم باستخدام الوسائل الاقتصادية والثقافية بما فيها السياسية والدينية.

وإذا كان هذه الوقود الاستعماري أستطاع أن يأجج القدرة والابداع في الاقتصاد والمجتمع الغربي والذي طحنه التنافس والحروب وإعادة الأعمار فإن الغرب اليوم يعيش واحدة من اكثر فتراته الزمنية سيطرة وقدرة على ان البناء الأوروبي يكاد أن يكون مكتمل على المستوى السياسي والاقتصادي بعد حركة من البناء الداخلي والنفوذ الخارجي.

وإذا كان الغرب قد تفاعل من العالم الخارجي بمفهوم السيد البعيد فإن بعد اكتمال البناء

الأوروبي يبدو أن الغربي بعد انتصاراته الاقتصادية والسياسية والايديولوجية وبعد أنتهاء الحرب الباردة داخل المعسكر الغربي وداخل الحضارة الغربية والتى تمثلت بالصراع الايدلوجي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية والتي انتهت بزوال الأول عن خريطة العالم القوي أقول بعد أنتصارات أوروبا واكتمال بنائها الداخلي ومحاولة الفكر الفلسفي الأوربي تحوير الصراع الدولي الى صراع اقتصادي تقني اكثر من كونة ايديولوجي عسكري وخصوصاً أن التفوق الاقتصادي والتقني اكثر عمقاً وأشد تفاوت بين الغرب وباقي العالم بأستثناء بعض الحالات الآسيوية فإنه كذلك من وجهة نظر الغرب هو اكثر سلميه وأقل مخاطرة من الصراع العسكري والايديولوجي خصوصاً وأن التفوق العسكري يمكن تعديله وتحويله في مرحلة قصيرة كما حدث بعد الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية والتفوق الايديولوجي الغربي مازال يقتنفه الكثير من الشكوك المعرفية والمنطقية بل وأن هناك شك معرفي قوي حول صدق هذا التفوق الايديولوجي الغربي إذا يبقى البعد والتفوق الاقتصادي والتقني هما المبدأن الاكثر سلماً واكثر أغراء وأكثر تفوق يمكن أن يدخل الغرب صراع مع الآخر بهذه الاسلحة بل أن البعد الاقتصادي والتقني هما الاكثر أغراء للعديد من شعوب العالم وبالتالي يمكن ربط المناطق الصغيرة والكبيرة المتطورة والأقل تطور القريبة والنائية بعجلة الاقتصاد والفلسفة الغربية مما يعني صرف النظر عن الابعاد الايديولوجية والعسكرية.

إن النظام الاقتصادي الغربي اليوم يعيش مرحلة أكتمال الذات والتطور المذهل بدون فتح آفاق جديدة لهذا الاقتصاد فإنه يبدأ بأكل ذاته وهذا يعني أنه بدون البحث عن آفاق جديدة حول العالم فإن هذا الاقتصاد يمكن أن يتعرض لمزيد من الازمات الداخلية والنظام الدولي اليوم لم يعد يسمح بمفهوم الاستعمار بمفهومه التقليدي فكان لابد من تهيئة أجواء جديدة يمكن الاستفادة منها واستثمارها حتى تتحول الطاقة الهائلة الكامنة بالاقتصاد الغربي الى عوله أقتصادية جديدة تكمن وتتلخص في منظمة التجارة العالمية هذه المنظمة عن طريقها وبفعل ديناميتها وقوانينها سوف تسمح للدول المنتصرة أقتصادياً أن تفلت العنان لنفسها وأن تستعرض عضلاتها الأقتصادية والتقنية في محاولة للهيمنة على الاقتصاد الدولي بل والتدخل وتوجيه أقتصاديات بعيدة جداً أو محدوده كانت تعد في السابق قمة المحليه. بفعل منظمة التجارة العالمية فإن الغرب اليوم سوف يجد المبرر والوسيلة للدخول في أدق التفاصيل الأقتصادية الدولية والتأثير بها وعليها بل وسوف يكون المجال مفتوح لمزيد من التأثير الاجتماعي والايديولوجي الغير مباشر والغير مستفز للعالم الخارجي وتحت دعو التطور الاقتصادي والعالمية الاقتصادية ولذلك سوف يكون قدرة الدول الآخرى أقل على المقاومة الثقافية والحضارية خصوصاً وأن هذه المسائل الثقافية والحضارية تدار بالية

أقتصادية وتقنية تثبت تفوق الغارب غير المشكوك فيه بشكل كبير وهائل.

هل الحل هو العزلة لدول العالم الثالث، بل العزلة تعني الموت والفناء والزوال إن جزء من الحل هو الخوض والتعلم بالتجربة والمعرفة والاستفادة من أخطاء الآخرين بما فيهم الغرب نفسه والتركيز دائماً على الجوانب الايجابية بعد الانطلاق من الثوابت المعرفية والدينية والاجتماعية.

(الوجه الجديد للذهنية الأمريكية)

تأمل السلطة الفلسطينية من الاستقبال الحافل للرئيس الأمريكي في مطار غزة أن تحصل من هذه الزيارة على الأعتراف الضمني أو التمهيدي الذي يوصل للاعتراف العلنى الصريح بالدولة الفلسطينية في المستقبل وأن كانت هذه الرمزية على جانب كبير من الأهمية إلا أن الواقع يقول أن استعداد الإدارة الأمريكية منذ أعترافها بالسلطة الفلسطينية في رئاسة السيد رونالد ريغان هو بداية أعتراف بالدولة الفلسطينية القادمة حتى وإن لم يكن علنياً حيث شكلت تلك الفترة أعتراف بالوجود الفلسطيني ثم جاءت مرحلة إدارة الرئيس جورج بوش كمرحلة تهيئة الاجواء النفسية للمفاوضة بين الطرفين بل إن إدارة الرئيس بوش كسرة الحاجز النفسي الأمريكي حول إمكانية الاختلاف فى وجهات النظر مع إسرائيل إلى الحد الذي يعلن السيد جيمس بيكر أمام الكونغرس إن إسرائيل غير مستعدة للسلام وعندما تكون كذلك عليها الاتصال بالإدارة الأمريكية.

وهذا التغيير في الذهنية الأمريكية أسبابه الموضوعية والمنطقية والتى سوف نأتي عليها بعد قليل إلا أن كسر الحاجز النفسي جاء من صلافة ونعنت الجانب الإسرائيلي بقيادة الشخص الغير دبلوماسي والغير حصف السيد شامير عندما كان يتعامل مع الزعماء الغربيون بما فيها الرئيس الأمريكي والرئيس الفرنسي بكل صلافة وشيء من الفوقية هذه المواقف المتشددة من الجانب الإسرائيلي ساعدت على كسر الحاجز النفسي الغربي في أمكانية الإختلاف في وجهات النظر وهذا الاختلاف في وجهات النظر لا يعني أبداً الوقوف أمام المصالح الاسرائيلية بل أن ما ساعد على ذلك كذلك هو أنقسام المجتمع الإسرائيلي حول نفسه وحول خياراته السياسية والاستراتيجية، وبين السلام أو الحرب، بين التعايش مع المحيط أون العيش في مكان جغرافي والتعايش مع مكان جغرافي مغاير.

إلا أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تحر سياساتها واستراتيجياتها بناء على الجوانب النفسية أو كسر الحواجز النفسية وأنما هناك أستراتيجية يبدو أنها غير محكمة التفاصيل إلا أن هناك أتفاق كبير وواسع حول خطوطها العريضة وهذه الاستراتيجية بدأت في مجمل أهداف ثم يبدو أنها سوف تتحول في المستقبل إلى أهداف جديدة.

هذه الاستراتيجية بدأت عندما بدأ المد الديني المحافظ يجتاح منطقة الشرق الأوسط

وكانت الأحباطات العامة خصوصاً على مستوى الصراع العربي الاسرائيلي والتى مارست به الأخيرة كثير من نوع الفوقية على العالم العربي سواء فى لبنان أو سوريا وطالت قواتها مناطق أخرى لملاحقة القوة العربية أينما كانت. هذه الموجه من الاحباطات دفعت العالم العربي الى البحث عن جذورة ومن هذا المنطلق بدأت فكرة ومفهوم خلق أستقرار سياسي ولكن لا يمكن أن يكون هناك أستقرار سياسي دون توطين الهوية الفلسطينية وفتح بعض المكاسب الاقتصادية لهذة الهوية. ومن جانب آخر كانت تقضي في المحافظة على حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية وهذه المحافظة تتطلب حل للقضية الفلسطينية بشكل مقبول إلى حد ما. وكانت هذه الاستراتيجية تقضي كذلك بعزل وأضعاف القوى الراديكالية سواء الرسمية أو التى قائمة على دول أو القوى السياسية المختلفة التي تدعم من قوى أخرى وعزل وأضعاف هذه القوى الراديكالية لا يمكن أن يحقق نتائجة دون عزل المحرك الحقيقي لها وهي المسألة الفلسطينية، أي أن جذب السلطة الفلسطينية إلى الجانب الأمريكي كان واحد من أكبر الضربات السياسية للقوى الراديكالية حيث ذهب المنطلق السياسي أو الشرعية السياسية التى كانت تغذى هذه الراديكالية وأصبح حال الحديث هو كيف يمكن لدولة أي دولة أن تهتم بالمصالح الفلسطينية اكثر من الفلسطينيين أنفسهم، وأن من يعيش داخل المشكلة وفى خضم الحدث ليس كمثل المتفرج عليه أو المحرض عليه. وبالتالي كان أنفتاح السلطة الفلسطينية على الولايات المتحدة الأمريكية أو أنفتاح الولايات المتحدة الأمريكية على السلطة الفلسطينية واحدة من اكثر عوامل عزل القوى الراديكالية في العالم العربي.

ثم جاءت حرب الخليج الثانية التى بدأت تصور لقوى الراديكالية أنها ليست سبب في عدم الاستقرار من وجهة نظر الإدارة الأمريكية بل أصبحت تشكل أحد أسباب أنتشار القوة العسكرية الغير تقليدية بمعنى آخر محاولة أدخال هذه القوى لوسائل صراعية عسكرية تفقد إسرائيل سر تفوقها التى تمتعت به طوال السنوات الماضية وبالتالي كان جزء من التزام الولايات المتحدة لأمن وسلامة إسرائيل ضرب هذه المحاولات وهي في مهدها بدل من العمل على معالجتها عندما تكون قد تمت وأكتملت .

وأخيراً يأتي مفهوم الفقر والفاقة والبطالة والوضع الاقتصادي المتردي الذي يعيشه العالم العربي خصوصاً في الدول التى كانت تعاني من الضائقة الاقتصادية لفترة غير قصيرة. فإن ضرب القوى الراديكالية وإيجاد قوى سياسية معتدلة ومتفاعلة سوف يعمل على تحسين الوضع الاقتصادي الذي عمل في السابق على تشجيع القوى الراديكالية كنتيجة طبيعية لفقدان الأمل في وضع أقتصادي أفضل.

كل ذلك يبدو مرحلة استراتيجية تمتد لمدة عشر سنوات تزيد أو تقل من وجهة النظر

الأمريكية ولكن هناك الكثير من الأفكار والتوقعات التى يمكن أن تطرء على الذهنية الأمريكية عندما تكتمل الدائرة الاستراتيجية التى طرحناها والقاضية بانهاء الملف الفلسطيني ضرب القوى الراديكالية وتحسين الوضع الاقتصادي إلى حد ما. أقول عندما تكتمل هذه الدائرة الاستراتيجية قد تلتفت الإدارة الأمريكية والعالم الغربي الى مفهوم محاولة تحرير المجتمع العربي من القيم والعادات المحافظة تحت مفهوم التطوير والتنوير وتحت مفهوم بث الذهنية الغربية القائمة على أسس النظم السياسية الغربية والقيم الاجتماعية الغربية خصوصاً بعد ما يكون المجتمع العربي قد استعد من الناحية النفسية والاجتماعية لذلك بعد سنوات من البث الإعلامي الغربي وبعد أن يأخذ مفهوم التغيير مفهوم أجتماعي وأقتصادي بعيداً عن المفهوم الايدلوجي ومن هنا تكون الدائرة في السياسة والاستراتيجية الغربية قد اكتملت سواء بضرب القوى الراديكالية ثم أضعاف القوى المحافظة مع بعث قوى الأقليات العرقية والدينية في العالم العربي ومن هنا تكتمل الدائرة في التغيير نحو النمط الغربي بكل جوابنه.

الهيبة في الصراع الدولي

عندما كتب الذائع الصين والمنظر للسياسة للقرن العشرين السيد مارغن ثاو وكتابة الاكثر شهرة (السياسة بين الأمم) والذي يخط فيه الخطوط العريضة لمفهوم العلاقات الدولية في المرحلة المعاصرة والتى سادت في القرن العشرين ومن المتوقع ان تلعب دوراً ذو أهمية في المستقبل حيث فحص مفهوم العوامل التى يمكن أن تدير ديناميكية العلاقات الدولية وكان حديثه مزيج من العمق والغموض مزيج بين التداخل والوضوح مزيج بين الحدية والنسبية.

وكان السيد مارغن ثاو أعطى لمفهوم المكانة الدولية بعداً جديداً كعامل من عوامل الهيمنة الدولية وأداة من أدوات التأثير على العالم المحيط بشكله المجمل أو التأثير على حالة أو دولة معينة. وإذا كانت الهيبة تأتي كنتيجة ومحصلة للعديد من العوامل الطبيعية مثل المساحة والموارد الطبيعية والبعد الحضاري فإن هناك العديد من العوامل التى تسعى الدول الى تحقيقها وإيجادها من أجل مزيد من الهيبة الدولية ومنها التطور التعليمي والثقافي والقوة العسكرية ومستوى عالي من الحداثة الاجتماعية ومستوى متطور من الانتاج وإعادة الأنتاج. بل أن السيد مارغن ثاو ذهب الى حد الافتراض أن من قدرات الدولة أي دولة على التأثير على المحيط الخارجي ومن أسباب نجاح التأثير على الدول الأخرى هو هذه المكانة وهذه الهيبة بل أنه ذهب الى الحد أن القوة الغامضة والغير محددة بالمفهوم العلمي المتعارف عليه اليوم من قدرة تأثير دولة (أ) على سبيل المثال على دولة (ب) هو ذلك المزيج من تراكم القوة بكل محدداتها والتى تنتج مفهوم المكانة الدولية والهيبة الدولية وأنه لم يتم أي رصد علمي حقيقي يمكن قياسة عن مدى تأثير هذا المفهوم وتأثير القوة بشكل واضح رغم شبه التسليم لتأثيرها السحري والقوي، وغنى عن القول أن القوة الوطنية بمفهومها الشامل وديناميكية سياسية على المستوى الخارجي خلق مفهوم الهيبة الدولية والتي بدورها تقوم بتحقيق مزيد من القوة الوطنية ومزيد من تحقيق الهدف على مستوى البيئة الدولية.

إذاً مفهوم القوة الوطنية أو القومية بمفهومها الشامل وعلاقتها مع مفهوم الهيبة يمكن تعريفه بمفهوم العلاقة بين البيضة والدجاجة. الدجاجة تنتج البيض والبيض ينتج الدجاج والدجاج ينتج مزيد من البيض حتى آخر المعادلة الغير منتهية أصلاً.

ولكي يكون هناك بعض النماذج التى يمكن تقرب الفكرة للقاريء العابر فأنه يتضح هذا المفهوم بشكل جلى وأهميته بشكل قوي في المراحل الأولى للحرب الباردة في مرحلة مطلع الخمسينات من القرن المنصرم أي منذ عام ١٩٥٠م حيث كان السباق بين القوتين العظميين

على أشدة يشكل بعد الانتهاء من الحرب العالمية الثانية والتى اهتمت هاتين القوتين الصاعدتين بالمخزون الفكري والعلمي والبحثي الألماني والذي تحول الى حرب باردة على المستوى العلمي بين هاتين القوتين المنتصرتين في الحرب العالمية الثانية.

وإذا كانت هذه الحرب على مستوى التطور العلمى والفكري بمفهومة التقني والفلسفي فإن بعد الهيبة الدولية كانت على رأس القائمة في ذهن الساسة على وجه الخصوص وما نعني به من أرتفاع للروح المعنوية الوطنية وهزيمة نفسية في مكانة الدولة المعادية من الطرف الثاني حيث كشفت لنا العديد من التقارير والوثائق التى كانت طي الكتمام والسرية حول سباق الفضاء وبناء الصواريخ العابرة للقارات بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي حيث كشفت هذه الوثائق أن الصراع بين المكتب السياسي الذي كان السيد خروتشوف على قمة الهرم وبين قيادات أركان الجيش الأحمر من أهمية أولوية البرنامج الصاروخي العابر للقارات وبرنامج الفضاء السوفيتي حيث تكشف التقارير من جهة أن القيادات العسكرية مهتمه بالسرية وبكيفية خدمة هذه البرامج من أجل تقوية الجيش الأحمر وكيفية تعزيز أمن الاتحاد السوفيتي بينما كان السياسيون يبحثون على نقيض ذلك الى العلنية وأبراز المستوى المتطور الذي وصلت اليه الصناعة والابحاث في الاتحاد السوفيتي وكيف يمكن توجيه هذه البرامج الى مكاسب سياسية ودولية على مستوى الهيبة الدولية حول العالم للتجربة السوفيتية.

وعلى الجانب الآخر من المعادلة كان الصراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حول هذه البرامج والاكتشافات دور في تملك مفهوم الهيبة الدولية أكثر من دلالاتها على الأمن من حيث المبدأ وبالفعل فان سمعة الولايات المتحدة ومكانتها الدولية كانت على المحك عندما كان صاروخ سبونتك يجوب الفضاء عام ١٩٥٧م وعندما أرسل الروس أول كلب الى الفضاءثم أعقبة بعد ذلك وصول الانسان الى الفضاء كانت كل هذه الأحداث المتعاقبة تشعر الولايات المتحدة الامريكية بمزيد من الاحباط والخيبة وهي ترى أن برنامجها الصاروخي والفضائي يسير من مأزق الى آخر حيث أن ذلك شكل حرج للساسة الامريكيين والخوف من عدم قدرة الولايات المتحدة الأمريكية أقناع العالم بالقوة الأمريكية وأهميتها ومستقبلها بينما كان الروس يزرعون الثقة في حلفائهم حول العالم بمستقبل مشرق ناهيك عن القبول الدولي للايديولوجية السوفيتية والتى شهدت المزيد من القبول حول العالم بعد هذه الاحداث ونتيجة مفهوم خلق الهيبة الدولية والمكانة الدولية وليس عبر المساعدات المادية المحسوسة.

لأهمية عامل المكانه الدولية ورفع الروح المعنوية وأثرها السياسي الدولي فإن القادة الروسي كانوا يسعون الى أبراز هذه الانجازات على أوسع نطاق على الرغم من حساسيتها

وسريتها فإن العائد السياسي من هذه الانجازات يفوق الى حد كبير عوائدها المادية المحسوسة ولذلك فان تصريح السيد جون كندى عن غزو القمر والرجوع خلال عشر سنوات من خطابة الشهير والذي أعقب أحراج السوفيت له وللحكومة الأمريكية بعد أطلاق البرنامج القضائي السوفيتي الناجح والتى تركت الرئيس الامريكي والادارة الامريكية في ذلك الوقت في حالة من الدفاع والمغامرة في اعطاء وعود يمكن ان لا تتحقق ولكن هذه ديدن السياسة في الازمات يجب اعطاء الوعود المحلية والدولية من أجل شراء الوقت وعدم فقدان المكانة الدولية على المستوى الخارجي في هذا النطاق على الأقل.

أمريكا والانتخابات التشريعية

يكتب هذا المقال قبل توجه الناخبون الامريكيون إلى الانتخابات التشريعية الأمريكية التى أعتاد الساسة والعرب المهتمين بالقضايا السياسية الدولية على عدم صرف الاهتمام على أهمية الانتخابات التشريعية الأمريكية سواء الرئيسية أو النصفية ويجيء عدم الاهتمام هذا من رواسب الذهنية السياسية العربية القاضيه بأن الرئيس أو كلمة الرئيس هي الأهم اذاً إذا كان الرئيس هو المهم في الذهنية العربية فإنه من المنطقي لهذه الذهنية أن يكون الرئيس الأمريكي هو الشخص الأهم وبالتالي فإن الرئيس وليس غيره هو محط الاهتمام هنا والغريب جداً أنه كلما كان النظام السياسي اكثر دكتاتورية كان أهتمامه بالرئيس والسلطة التنفيذية أكثر والعكس صحيح أيضا أي أنه كلما كان النظام الخارجي اكثر ديمقراطية أعطي للانتخابات التشريعية وجماعات الضغط والمصالح وزن في العملية السياسية الأمريكية.

والعامل الآخر الذي يمكن أن يلاحظ هنا أن العرب كانوا أقل الساسة أهتمام ومراقبة وملاحظة في قضايا الانتخابات التشريعية الأمريكية وكأن مسألة الانتخابات هذه هي مسألة داخلية بحته وهي ليست من أهتمام المراقب والسياسي خارج إطار السياسة الأمريكية المحليه، وهذا يرجع كذلك إلا أن مسألة التخلف والتحديث هي أحد هذه العوامل حيث يرى الاكاديميون أن الفاصل بين السياسة الداخلية والخارجية يتلاشي كلما كانت الدولة والمجتمع اكثر تحديث بمعنى آخر أن مفهوم القضايا المحلية تكون مرتبطة أرتباط قوي ووثيق بالعوامل والسياسة الخارجية في حالة الدول ذات التحديث والتطور العالي والعالم العربي كونه أقل تحديث في كثير من المجالات فإنه يجد صعوبة كبيرة في ربط بين البعد الداخلي والخارجي. ويمكن القول كذلك، أن الدول العربية الاكثر تحديثاً نسبياً من الدول العربية الأخرى تكتشف أن البعد الاقتصادي المحلي أين كان نوعة مرتبط بقضاياها السياسية الخارجية وكذلك تطور المفهوم الاجتماعي الداخلي مرتبط بالبعد الخارجي إلى حد كبير.

ومن هذا المنطلق فإنه من المهم متابعة الانتخابات التشريعية الأمريكية المحلية بشكل كبير وليس فقط متابعة القضايا المحلية المطروحة في موضوع الانتخابات وهذا مهم والذي تبدأ من مسألة الاخلاقيات السياسية والحملات الانتخابية الشعواء ومسألة البطالة ومسألة حقوق الطفل وكبار السن فإن هذه المواضيع تعكس جانب واحد من النتائج الانتخابية بل أن ما يهم المراقب الخارجي من جملة ما يهمه أيضا هو ما هو نوع الأفراد الذين يرشحون

أنفسهم لمثل هذه الانتخابات وخلفيتهم الاجتماعية والسياسية لكون ذلك يعكس التغير السياسي والأجتماعي داخل المجتمع الأمريكي وهو التغير البطيء والغير مشاهد إلا أن هذه الانتخابات ونوع الافراد الذين يقومون بهذه الحملة الانتخابية تجعل مراقبة التغير الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه المجتمع الأمريكي أكثر قرباً وأكثر وضوحاً، ومن جانب آخر فإن مراقبة الافراد المرشحين أنفسهم للحصول على مقاعد ممثلين للشعب الأمريكي في داخل السلطة التشريعية سواء خلفيتهم السياسية والاجتماعية والأهم المسلمات السياسية التى ينطلقون منها وتصورهم للعالم من حولهم وكيف يرون الحلول لها، كل هذه العوامل تجعلنا اكثر قدرة على مراقبة ودراسة التحول السياسي الأمريكي إذا كان هناك تحولاً بأي أتجاه وعلى الأقل يكون هناك فهم معمق للمواضيع المحتمل طرحها على الحكومة الأمريكية ويجعلنا في موضع اكثر دقة في حكمنا وتوقعنا للنتائج المتوقع صدورها.

إن تعرفنا ومراقبتنا للانتخابات الأمريكية التشريعية تعد واحدة من المهمات الرئيسية لمعرفة كيفية تشكل السياسة الامريكية على وجه التحديد خصوصاً وأن السلطة التشريعية ليس فقط لديها القدرة القانونية والدستورية والمالية للتأثير على مجريات الحدث السياسي فقط بل أنه من وقت إلى آخر لديها السلطة المشروعية للتدخل في قضايا السياسة الخارجية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر وأصبح من المسلمات للسياسة الخارجية الأمريكية أن جناح السلطة التنفيذية لا يستطيع الاقلاع في قضايا السياسة الخارجية دون أن يكون جناح السلطة التشريعية أحد أجنحة الاقلاع. بمعنى أخر أن الرئيس الأمريكي يمكن أن يهمل الرأي العام ولكن لا يستطيع أن يهمل موقف رجال الكونغرس ورأيهم في قضايا السياسة الخارجية.

والعالم العربي معني مثل غيره من دول العالم بالاهتمام بدهاليز السياسة الأمريكية خصوصاً وأن العالم ينظر إلى الولايات المتحدة على أنها دولة تتدخل في شؤون العالم صغيرها وكبيرها بل وبها وعن طريقها يتشكل العالم من حالة نظام دولي إلى آخر. والعالم العربي يجب أن يكون أكثر المناطق وعي لهذه القوة وهذا التأثير خصوصاً وأن الادارة الأمريكية واحدة من أكثر القوى تأثير على القوى السياسية العربية بل أن الولايات المتحدة الأمريكية تتحكم في مستقبل العالم العربي ويأتي مفهوم الانتخابات الأمريكية التشريعية كواحد من أهتمامات إسرائيل ممثلة باللوبي الصهيوني الأمريكي وهذا ليس عيب بهذا اللوبي بل أن من أبجديات المنطق السياسي الطبيعي أن يسعى هذا اللوبي إلى ايصال أفراد وأعضاء جدد إلى الكونغرس لكي يكونو عونا له في طرح القضايا التى تهم اليهود وإسرائيل سواء داخل الولايات المتحدة الأمريكية أو في إسرائيل. ويقوم هؤلاء الاعضاء سواء بطرح مثل هذه المشاريع القانونية والقرارات أو بتأييدها أو عرقلة أي قرار يكون ضد

إسرائيل في قضايا السياسة الخارجية.

بل ويذهب الاعضاء في الكونغرس إلى أحراج السلطة التنفيذية والرئيس الأمريكي أما بانتقاد السياسة الامريكية تجاه إسرائيل أو طرح بعض المواضيع والقوانين التى سوف تكون لصالح إسرائيل كان من أبرزها فرض قانون على الرئيس الأمريكي باعتبار القدس عاصمة إسرائيل والذي وضع الادارة الأمريكية في موقف محرج مع العالم العربي واليوم نشاهد القانون الذي مرره الكونغرس وسوف يكون له بالغ الاثر والتأثير في المستقبل وهو قانون يقضي بفرض عقوبات أقتصادية وقانونية ضد الدول التى لا تسمح للاقليات الدينية بممارسة شعائرها الدينية وهذا القانون سوف يكون واحد من السيوف المسلطة ضد كثير من الدول العربية وإن كان لم يطبق بعد فسوف يكون من أدوات الضغط الهائلة التى تمارسها الادارة الأمريكية على الدول والحكومات العربية في المستقبل كل ذلك جاءت به هذه الانتخابات التشريعية الامريكية وسابقاتها التى لا يعيرها البعد العربي أهتمام يذكر بينما تعد إسرائيل لها كل أهتمام.

أمريكا بدون زعامه

إنها من الفترات التاريخية القليلة التى تظهر فيها الولايات المتحدة الأمريكية بشكل قوى وواضح أنها لا تحمل أسماء قوية ورنان داخل نظامها أو خارجه بشكل يخرج عن المألوف أو بشكل يدل على عدم أستمرارية ظهور مثل هذه الشخصيات الفذه. حيث أمركيا تاريخياً كانت أحد مناجم أخراج مثل هذه الشخصيات سواء عند تأسيس الجمهورية أو بعد التأسيس حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ثم الحرب الباردة. واليوم ونحن نقف على أعتاب القرن الواحد والعشرون نرى أن أمريكا وللمرة الأولى التى تبدو أن القارة الأمريكية الشمالية تعيش بدون زعمة حقيقية حيث أن أغلب الزعامات التى صاغتها الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة أخذة بالتلاشي وكان آخرهم الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الذي كان آخر الزعماء الذين شاركو في الحرب العالمية الثانية كنجدي في سلاح الجو الأمريكي. وبدخول الرئيس بيل كلنتون إلي المكتب البيضاوي فإنة أعلن وللمرة الأولى دخول جيل ما بعد الحرب الكونية الثانية أو ما يطلق عليه هناك بجيل فيتنام. ولعل ذلك كان من المتغيرات الكبيرة التى مازالت تعطي أفرازاتها السياسية على المستوى المرحلى الأمريكي والعالمي للسياسة والنظرة الأمريكية للسياسة الدولية. ومع دخول السيد بيل كلنتون إلى البيت الأبيض يكون قد دخل هذا المركز القيادي تحت جدول أعمال محلي هو أصلاح التعليم والوضع الصحي المتردي ومشكلة البطالة وتحسين الأقتصاد أكثر من كونه جاء ببرنامج عالمي واضح ومع ذلك فإن بيل كلنتون أستطاع أن يبني لنفسه قدرة جيدة في أدارة دفة الولايات المتحدة الأمريكية حيث سجل النجاحات تلو الآخري على مستوى السياسة الداخلية والخارجية وهذا لا يعني أرتكاب بعض الأخطاء في الداخل والخارج وخصوصاً في ولايته الأولي. ومع أنتخاب الرئيس الأمريكي كلنتون وخروج بوب دول وبعض الزعماء المخضرمين من الكونجرس بداء واضحاً أن هناك تغيير جيلي كبير يحدث داخل أروقة السياسة الأمريكية وبدأ واضحاً أن السيد ال غور نائب الرئيس الأمريكي والذي حاول عدة مرات السعي إلي الوصول للبيت الأبيض وكانت آخرها عام ١٩٨٨م حيث قدر لكاتب هذه السطور أن يلتقي فيه خلال مرحلة دراسة الدكتوراه حيث جاء ال غور إلى مدينة سركيوز مدينة الدراسة والتي تعج بالقوى اليهودية، أقول جاء ال غور إلى سركيوز واضعاً القبعة اليهودية الصغيرة على رأسة في مدينة تعد أحد اسوء المناطق من حيث شدة برودة الطقس ومع ذلك فإن ال غور أستطاع أن ينسى كل هذه المتاعب بسبب حرصه على أثبات نفسة وذاته على أنه أكبر مناصر لقضايا

اليهود. كان موقف نائب الرئيس واضحاً على مائدة الطعام التى أقيمت على شرفه في مطعم (الملك سليمان) أنه يؤيد المواقف الأسرائيلية من حيث المبدأ وأنه سوف يسعي إلي أستمرارية العلاقة الخاصة والحميمة مع إسرائيل كما سوف يتأكد من تفوق إسرائيل العسكري القوى والواضح على جيرانها العرب.

كان ذلك عام ١٩٨٨م ولكن بأنضمام ال غور إلى الرئيس بيل كلنتون وأصبح نائب للرئيس وللفترة الرئاسية الثانية بدأ واضح أن الحزب الديمقراطي والذي عاد بقوة وللمرة الرئاسية الثانية بداء واضح أن هذا الحزب والذي عاد بقوة بعد سنوات من الهزائم المتتالية أقول بدأ واضحاً أن الحزب الديمقراطي كان يعد نائب الرئيس ال غور للحملة الانتخابية القادمة كمرشح قوي للحزب الديمقراطي للدخول بالولايات المتحدة للقرن القادم. كما أن آل غور بدأ يبعد بنفسه عن الأعمال السياسية اليومية بشكل واضح محاولاً رسم صورة له أنه السياسي النزيه الذي يهتم بشؤون البيئة والقضايا ذات البعد الأستراتيجي مع أن الرئيس كلنتون أخذ يكلفة فى بعض المهام الكبرى وخصوصاً ما نشاهدة في محاولة فتح علاقة أستراتيجية بين الولايات المتحدة ودول اسيا الوسطى، الدول المستقلة حديثاً عن الاتحاد السوفيتي هذه الدول التى تحاول أمريكا أن تفتح معها علاقة تعاون خصوصاً في مجال النفط والغاز من أجل كسر أحتكار هاتين السلعتين الاستراتيجيتين في منطقة الخليج وروسيا وهذا ما كشفته أحد مستشاري الأمن القومي عندما أدلت بشهادتها أمام لجنة التحقيق في الكونجرس في الاتهامات التي تعرض لها ال غور حول جمع التبرعات والأموال لصالح الحزب الديمقراطي ولأغراض انتخابية حيث بدأ أن السياسي النزية التأي بنفسة عن القضايا اليومية، السياسي الذي يعد نفسه لخوص معركة الانتخابات المقبلة ممنياً نفسه وحزبة الديمقراطي بفترات أطول في البيت الابيض ووعداً في وضع بصماتهم القويه على السياسة الخارجية والداخليه للولايات المتحدة الأمريكية.

أن أتهام السيد آل غور نائب الرئيس الأمريكي بالعمل على جمع تبرعات لصالح الحزب الديمقراطي وهو الأمر الذي أوشك أن يهدد الحملة الانتخابية للرئيس بيل كلنتون أقول أن هذه الاتهامات بدأت تضع آل غور في قفص الاتهام والتى بدأت تلطخ سمعته السياسية في هذا الوقت الحرج بالذات ومن المتوقع أن يقوم الحزب الجمهوري بشكل متعمد عبر رجال الكونغرس وعبر وسائل الاعلام ما أمكن أن تُلحق أكبر كمية من الفضائح السياسية بنائب الرئيس الأمريكي ال غور على الرغم من المحاميين الذين وضعهم آل غور للدفاع عنه في وجة مثل هذه الاتهامات .

إلا أن الأمر ليست قضية قانونية صرفة ومسألة مخالفة قانونية بقدر ماهي قضية سياسية بالدرجة الأولى يطمح منها الحزب الجمهوري المتراجع بشكل قوي وكبير في

السياسة الأمريكية والذي فقد عناصره وزعاماته الفاعلة التي كانت تعج بهم الساحة السياسية الأمريكية في مرحلة السبعينيات والثمانينيات من هذا القرن. بل إن الحزب الجمهوري كان أقل نظرة أستراتيجية من نظرية الديمقراطي عندما تمسك بشيوخ الحزب وعجائزة بالسلطة وبالمكانة السياسية أبتداء من الرئيس رونلد ريغان وجورج بوش وبوب دول وجيسي هلمز وغيرهم. أقول أن تمسك هذه العجائز بالسلطة أغلق الباب أمام الكوارد الشابه أن تأخذ نصيبها من التجربة ومن دخول معترك السياسة الأمريكية من أجل بناء قيادات سياسية تمثل الحزب وتقارع الحزب الديمقراطي في المستقبل. وبالتالي فأن ذهاب مثل هولاء الزعامات باستثناء جيسي هلمز الذي مازال يقارع بأفكار الستينيات كونغرس نهاية القرن أقول باستثناء هذا السنتور من جنوب كرولينا الذي يري أن أمريكا سوف تضيع بدون آرائه المحافظة، والمغرقة في المحافظة، فإن الحزب الجمهوري يكاد لا يحمل في جعبته أي قيادات مهمة على الأقل في الوقت الحاضر. وبدأ للاعيان أن الحزب الديمقراطي ماضي في سيطرته على السياسة الأمريكية لفترة زمنية مقبله خصوصاً مع النجاحات الكبيرة التى حققها بيل كلنتون على المستوى الاقتصادى بعد الصداع الاقتصادي الهائل الذي أحدثه الرئيس رونلد ريغان المتمثل في العجز الهائل والكبير في الميزانية الفدرالية الأمريكية.

وبدخول نائب الرئيس الأمريكي قاعات المحاكم والتحقيق فإن هذا الحدث يرمي إلى تشابك السياسة الأمريكية من جديد وإلى الغموض بعد ما كان واضحاً أن الحزب الديمقراطي واضح المعالم حول مرشحه المقبل. فإن محاكمة نائب الرئيس آل غور ومحاولة الحزب الجمهوري تحقيق أكبر أيذاء للسمعة السياسية لنائب الرئيس كل هذه سوف ترمي كل من الحزب الجمهور ي والديمقراطي في العراء الزعامي أي سوف تجعل من الحزب الجموري والديمقراطي بدون زعامة حقيقه أو على الأقل فإن الحزب الديمقراطي سوف تكون بزعامة جريحه.

ومع محاولة خلط الأوراق السياسية الداخلية والانتخابية الأمريكية باستجواب تصرفات نائب الرئيس حول جمع الأموال لصالح الحزب الديمقراطي بشكل غير قانوني يجعل الساحة الأمريكية قابلة للتحول والمفاجاءت بخروج شخصيات جديدة في مرحلة الانتخابات الأمريكية المقبلة الأمر الذي سوف يوضحه لنا الوقت عندما تبدأ المرحلة الانتخابية مبكرة بشكل واضح عن الاعوام السابقه وذلك راجع الى انتهاء الفترة الرئاسية الثانية والاخيرة للرئيس بيل كلنتون وراجع أيضاً إلى محاولة الشخصيات الجديده بناء اسم لها في سماء السياسة الأمريكية ومن الآن إلى ذلك الوقت علينا الانتظار والمراقبة.

اليابان الدور المرتقب

تعد اليابان واحدة من أكثر قصص النجاح والتفوق والنهوض بعد الهزيمة الساحقة رواجا خصوصاً وأن اليابان الدولة المهزومة فى الحرب العالمية الثانية خرجت منه منتهكة القوى وعوملت بأكبر ما يمكن أن تكون الشراسة العسكرية والسياسية حيث أنها تلقت القنبلتين النوويتين في أول تجارب لهما في الحرب على مدينتهما هورشيما ونجازاكي بل وأمعنت الادارة الامريكية بألاذلال السياسي عندما كتبت الدستور الياباني ودمرت واحد من أكبر المعتقدات اليابانية وخاصة بالنظرة المكبرة والهامة التى يحظى بها الامبراطور الياباني وتحويله من الأهمية والرمزية العالية إلى عامل سياسي من الدرجة الثانية.

كل هذه الانجازات اليابانية جعلت من اليابان اليوم تحظى بهذا الاحترام والتقدير خصوصاً النجاح الكبير الذي حققته الآلة الاقتصادية والتكنولوجية اليابانية اليوم. وعلى الرغم من أن اليابان بقواه السياسية المختلفة يطمح إلى أستمرار هذه القوة وهذا التفوق إلا أن رياح التغيير يبدو أنها آخذة بالهبوب على جزر الشمس المشرقة.

السياسيون يعرفون أن التغيير أي تغيير في مجال السياسة الخارجية هو ذو بعدين خارجي وداخلي. العبد الأول منها هو البعد الخارجي حيث أن أنهيار الاتحاد السوفيتي وأقبال النظام العالمي وتحوله إلى قوة غربية أمريكية واضحة ونافذة دفعت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها إلى إعادة تقويم وتقييم علاقاتها مع حلفائها القدامى. فاليابان الحليف الاستراتيجي القديم الذي حظي بالدفاع الخارجي والمظلة النووية الأمريكية على مدى خمسون عاماً كانت تُدفع بكاملها من قبل الإدارة الأمريكية إصبحت الآن المطالبات الأمريكية تتحول إلى مشاركة اليابان لهذه التكاليف حيث أصبحت اليابان اليوم تتحمل تكاليف مثل هذه المظلة العسكرية والنووية الأمريكية بكاملها بما فيها المعدات العسكرية وتجهيزاتها العامه وكل ذلك لم يُرضي الجانب الأمريكي بل وأن هذا الأخير يتطلع إلى دور أكثر فاعلية بالنسبة للسياسة اليابانية بل ويتطلع الامريكيون أن يرون حليف عسكري وسياسي قوى لهم في اسيا وحول العالم.

لماذا هذا الاندفاع الأمريكي تجاه اليابان أن السبب يكمن هو بإعادة تقييم الحلفاء والتى تأتي الصين واحدة من أهم هذه القوى حيث تحولت الصين من الدولة المحايدة ثم الحليف فى الصراع مع الاتحاد السوفيتي إلى دولة منافسة للويالات المتحدة الأمريكية في القارة الآسيوية على أقل تقدير ومن هنا يأتي الدور الياباني حيث أن وجود يابان قوى يعني إعادة

هيكلة القوى وتوازنها في آسيا مقابل المحور الصيني الكوري الشمالي بحيث تستطيع الادارة الامريكية أستثمار هذا التوازن وهذه الاختلافات في الرؤية الاستراتيجية وتوظيفها في بعدها الاستراتيجي في آسيا القارة الصاعدة وكذلك حول العالم.

البعد الثاني هو البعد الداخلي : أن سنوات من التطوير والتحديث الداخلي دفع إالى تطور الامكانيات البشرية والتكنولوجية إلى درجة كبيرة من الكفاية والشفافية العملية بحيث تم أستثمار وبشكل فعال للقوى والموارد المحلية اليابانية التشحيحة اصلاً بشكل كبير وعندما يحدث مثل هذا الاستثمار والاستنزاف للموارد الداخلية لا يكون أمام النظام السياسي سوى تطوير الية سياسية خارجية فعالة وقادرة إلى جلب المواد الخام من الخارج وكان في السابق منصب على المورد الأكثر أهمية وهو النفط وهذا ما كانت تحقق الاستراتيجية الأمريكية لليابان فإن اليوم دفع الامريكيين للحكومة اليابانية للتعامل مع هذا العامل بالتعاون مع الادارة الامريكية فهذا يعني أن جزء من نشاط وأمكانيات الحكومة اليابانية سوف يسخر للخروج من هذا الاعتماد إلي مرحلة التعاون الفعال مع الادارة الامريكية وهذا لن يكون بدون شروط أمريكية وتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى البعد الاسيوى بما فيها الصين والهند أو على مستوى دولي سواء تجاه الشرق الأوسط وأفريقيا وحتى أوروبا في المستقبل.

أن مفهوم التطور والتحديث لليابان عني فيما عناه كذلك هو أضعاف القوى السياسية التى كانت تنادى بعدم الدخول في مجال التسلح وعدم بناء قوة عسكرية وأن التطور الياباني أضعف هذه القوى وبدأ وكأنها قوى رجعيه خائفة من المستقبل وعلى المستقبل وبالتالي أنحصرت قواها على الخطاب التقليدي المحافظ الذي تولد وترعرع على ذكريات الحرب عام ١٩٤٥م عندما ظهرت هذه القوى مدعومة من العالم الغربي لاخراج يابان بعيد عن المفهوم التسلح وإذا كانت هذه القوى التى دُعمت من الالة الاعلامية الامريكية في الماضى فإن مثل هذه القوى اليوم يتم أنتقادها من الآلة الاعلامية الامريكية ذاتها.

وإذا ما وضعنا هذين البعدين البعد الخارجي ومسألة الحماس الامريكي وجزء من المجتمع الياباني لوجود دور فاعل لليابان حول العالم مع البعد الداخلي وهو مستوى التطور والتحديث القوي الذي شهدته اليابان خلال الخمسون عاماً الماضية والتى أرغمت وسوف ترغم اليابان للعمل على الخروج بسياسة خارجية اكثر نشاط وفاعلية وهذه السياسة الخارجية الاكثر نشاط وفاعلية لن تكون أدوات تنفيذها البعد الاقتصادي والمساعدات الخارجية فقط بل سوف يكون هذا العامل غير كافي وغير فعال بمفردة بل لابد أن يدعم قوة سياسية ديناميكية يدعمها قوة عسكرية سواء على مستوى التدخل العسكري، وأستخدام القوه العسكرية أو على مستوى مبيعات السلاح المتطور أو على مستوى تصدير

الخبراء كأداة من أدوات النفوذ السياسي والاقتصادي.

أن التغيير في النظام الدولي وتداعياته هي أندفاع الصين إلى دولة ذات ثقل متعاظم وهذا يعني أندفاع اليابان لمقابلة هذا الثقل المتعاظم وإلى ترجمة القوة اليابانية الى شيء محسوس وملموس في المستقبل وبالتالي فإن تحويل الآلة التكنولوجية اليابانية المتطورة إلى آلة عسكرية متطورة وهذا ما سوف تكشفة السنوات القادمة وما مدى قدرة اليابان إلى تحويل هذا التطور التكنولوجي المدني إلى تطور تكنولوجي عسكري وكيف أن هذا التحول يمكن أن يحول اليابان من الدولة ذات الأدوات الاقتصادية في سياستها الخارجية إلى دولة ذات تكامل في تعاملها واستخدامها لأدوات السياسة الخارجية.

ثم أخيراً وهل هذا الخيار الاستراتيجي الجديد الذي من المحتمل أن تأخذ به اليابان أن ينفذ هذا التخبط الاقتصادي الذي تعيشة اليابان منذ ما يزيد عن سبع سنوات بحيث يحدث التغيير الاستراتيجي والتحول الجديد ليفتح آفاق أقتصادية وسياسية وعسكرية جديدة للخيال السياسي اليابان أم أن هذا التغيير سوف يكون بطيء وبعيد كما هي حالة القرارات الاقتصادية اليابانية تأخذ هذه الأنفاق والدهاليز المظلمة التى عُرفت بها البيروقراطية اليابانية.

الولايات المتحدة الأمريكية وسنوات التغيير

إن المتابع للسياسة الأمريكية منذ عهد ثورة المحافظين كما يحلو للجمهوريون أن يطلقون على أنفسهم، خصوصاً وان الثورات كانت دائماً من نصيب اليسار، أقول منذ ثورة اليمين الأمريكي الجمهوري بعد التزاوج بين البعد الديني المسيحي المتشدد والبعد الاقتصادي الرأسمالي والمغرق في الرأسمالية وخصوصاً منذ مجيء الرئيس رونالد ريغان إلى السلطة بعد الهزيمة القوية التى تلقاها الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر كانت خطوات الجمهوريون قوية وكبيرة حيث أستطاعو أن يوفقو ما يسمي بالتوجه الديني وتزاوجها مع القيم الأمريكية كل ذلك في رابطة قوية مع القوى السياسية والثقافية المحافظة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وكان منها بعض أهم الجماعات اليهودية التى كانت ترفع التعاطف مع الحزب الديمقراطي. وقد أستطاعت الثورة الجمهورية أن تجذب جزء لا بأس به وخصوصاً بعض العناصر من الأقلية المنحدرة من أصول أفريقية وأصول أسبانية لاتينية مع بعض القوى الاسيوية كان يدعم هذه اللحمة الداخلية تشابك علاقة الجمهوريون مع قوي دولية وسياسية محافظة حول العالم سواء في أوروبا أو أسيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط كانت هذه الشبكة من العلاقات المتشعبة مساهمة بإلهاب مشاعر الأمريكيين وحلفائهم حول العالم في الوقوف ضد الاتحاد السوفيتي أو الجمهورية الشريرة كما كن يطلق عليها الرئيس ريغان في ذلك الوقت. وإذا كانت هذه القوى الجمهورية داخل الولايات المتحدة الأمريكية كانت ترى أنها كانت تستغل العالم لصالحها في حربها مع السوفيت أو مقلوب أي أن هناك أستغلال للسذاجه الأمريكية لمحاربة السوفيت وربط الولايات المتحدة الأمريكية بالقوى المحافظة حول العالم. ولم يكن ذلك ليكتشف أو يفهم من قبل دوائر الفكر الأمريكي والقوى المهمة في عهد المد الجمهوري المحافظ لولا أن العجز الهائل والفاضح في الميزانية الأمريكية التى أستطاع السيد ريغان بكل أقتدار أن يوصلها إلى أرقام هي أقرب إلى الخيال مقابل ذلك ضعف في البنية الداخلية سواء في مستوى التعليم والصحة ومسألة التلوث والبيئة والأهم من كل ذلك على مستوى الاقتصاد المتهاوي وأرتفاع مستوى البطالة كل هذه العوامل كانت عبارة عن جرس أنذار قوي للشعب الأمريكي أن القيم المحافظة مهمة ولكن الوضع الاقتصادي الجيد والتعليم والصحة هي اكبر أهمية من الشعور بالقيم المحافظة.

كل هذه الثورة اليمينية الجمهورية كانت أقل حساسية لقطاعات كبيرة داخل المجتمع

الأمريكي هذه الثورة اليمينية أستطاعت عزل جل الطبقة الوسطى في أمريكا وهي الطبقة ذات الأهمية والهيمنة في التاريخ الأمريكي وجزء كبير من النساء وهن عنصر فعال في عملية التصويت وكذلك جزء كبير من الليبرليون وغالب المنحدرين من أصول أفريقية وهم يشكلون ما يقارب ٢٨٪ من المجتمع الأمريكي وكذلك المتحدون من أصول أسبانية ولاتينية سواء في ولاية فلوريدا أو نيومكسيكو وتكساس وكليفورنيا وهذه تعد من الولايات الهامة في الفدرالية الأمريكية بشكل عام.

وعندما جاء السيد كلينتون إلى البيت الابيض جاء على ما تركه الجمهوريون وأهملوه من قطاعات شعبية مهمة أو قضايا تهم المجتمع الأمريكي بشكل كبير ناهيك أن الحزب الديمقراطي جاء على اكتاف قوى ودماء شابه جديدة بينما لم يستطيع الحزب الجمهوري من التخلص من عجائزه الهرمين الذين أصبحو أقل حساسية لقضايا المجتمع الجديد.

إذا كان هذا أحد التغيرات للقوة الديمقراطية فإن هناك تغيرات حقيقية يشهدها المجتمع الأمريكي بشكل كبير وواضح ولعل أهم هذه التغيرات أن أمريكا عام ١٩٧٠م غير أمريكا عام ٢٠٠٠م ليس فقط على المستوى السياسي والاقتصادي ولكن الأهم على المستوى الاجتماعي والتغير الديموغرافي. هناك ثلاثون سنه تفصل بين عام ١٩٧٠ وعام ٢٠٠٠م وهذه الثلاثون سنة كانت فيها التغيرات واضحة وقوية ليس فقط أن عدد الأمريكيون السود والمنحدرون من أصول أفريقية هم بازدياد وتسارع كبير وليس فقط أن قوة اللتينو والمنحدرون من أصول أسبانية كانو اكثر القوى المؤثرة في ولايات الجنوب والجنوب الغربي ووسط الجنوب من الفدرالية الأمريكية حيث أن عدد الأسبان في أزدياد مستمر ولكن هذه ليست كل القضية بل أن هذه القوى الناشئة أصبحت اكثر أنسجام مع الحياة الأمريكية ومهد لها للدخول في العجلة الأمريكية الكبرى دون فقد البوصلة الأثنية أو الاجتماعية فاصبح المنحدرون من أعراق مغايرة اكثر وعي على المستوى السياسي والاجتماعي من حيث الدخول والمحافظة أي من الدخول على الهوية الاجتماعية هذه الهوية التى تم تجييرها لتكون ايدولوجية دافعه للعمل السياسي والاقتصادي وقد تكون اكثر وأهم نتائجة هي أن ولاية كليفورنيا تتوجه نحو الديمقراطيين لأول مرة منذ عقود من الزمن بعد أن كانت أحد دعائم ومركز تفريخ صقور الحزب الجمهوري بل أن هذا التغير في قدرة وامكانية الأقليات دفعت السيد بوش الابن والذي قاس كحاكم لولاية تكساس أن يعطي أهمية لهذه القوى السياسية للدرجة التى دفعه لتعلم اللغة الاسبانية حتى يبدي أهتمام لهذه القوى. وهذا يعني من ضمن ما يعنية هو أن مفهوم الحزب الجمهوري المحافظ المتشدد من الجانب السياسي الثقافي أخذ يتوسيع مفهوم المحافظة وأصبح اكثر حساسية لمطالب ومشاعر القوى السياسية الأخرى وهذا التغير وهذه الحساسية لا يمكن أن يقوده سوى

القوى الشابه الجديدة وليس عجائز الجمهوريين الهرمون.

إن ثلاثون سنة من التغيير القوي تشهده الولايات المتحدة الأمريكية سواء على مستوى الخريطة الاثنية والاجتماعية الأمريكية أو على مستوى الخريطة داخل القوة الاجتماعية الواحدة. إن مقولة الأمريكيين البيض اليوم مقولة غير دقيقة بل يمكن السؤال هو عن أي بيض أمريكيين نتحدث؟ بمعنى أن القوة الأمريكية البيضاء اليوم منها ما هو محافظ أقصى اليمين ومنها ما هو ليبرالي أقصي اليسار على المستوى الاجتماعي ومنها ما هو بين هذين النقيضين وهناك قوى دينية وسياسية مختلفة دخلت وخلخلت المجتمع الأمريكي التقليدي وأصبح هناك تغير بطيء ولكنه أكيد تشهده الساحة السياسية والاجتماعية الأمريكية سوف يكون أحد أوجه السياسة الأمريكية في المستقبل ويبقى على العالم العربي أن يعي التغيرات ويدخلها في حساباته السياسية أم أن العرب سوف يستيقظيون عندما تدخل هذه القوى الجديدة بتحالفاتها الجديدة ونكون آخر المدعوون لوليمة سياسية قد أنتهت وأنفض المدعوون منها وبقيت لنا بقايا الطعام التى لا تغني ولا تسمن من جوع.

الولايات المتحدة الأمريكية / قراءة مستقبلية

القوة العظمى التى تتمتع بتفوقها وقوتها على جميع دول العالم، هذه الدولة التي بدأت بهجرات أوربيه دفعها الأضطهاد الديني والسياسي إلى عبور المحيط بحثاً عن حياة أفضل. ومثل كل المآسى السياسية والاجتماعيه التى تصاب بها المجتمعات البشريه منذ أمد التاريخ فإن المكان الذي أصبح حلبه للصراع وعدم الأستقرار يبدأ بلفظ أفضل ما أنتجه من عقول وأفضل ما به من رجال حيث يبقي الذين بهم وعليهم بدأ وتزايد الصراع ببقائهم داخل معمة الصراع. والصراع، والدول، والهجرة تشبه إلي حد بعيد جسم الأنسان ذلك المخلوق العجيب حيث عندما يستشري المرض في جسم الأنسان فإن الصراع والحرب تقوم بين الجسم والجراثيم المسببه للمرض يخرج منها الأنسان الصحيح معلولاً وربما معطوب الأعضاء التى كانت سليمه وبالتالى فإن هذه الجراثيم تمارس مهمة الانتحار حيث قضت على المكان، وهو جسم الأنسان، الذي كانت تعيش هي إلى جانب الاعضاء السليمه. وكما يحدث للجسم يحدث كذلك للدول حيث أن الحروب الأهلية وعدم الأستقرار السياسي التى تقوم بين أطراف النزاع يخرج منها الأعضاء السليمه من حيز الصراع. ومهما حدث للقارة الأوربيه فى عهد الحروب الأهلية والتشجنات السياسيه والفكريه صب ذلك في بلاد المهجر الولايات المتحدة الأمريكيه. والقول عن القرأة المستقبليه فإنه من المسكوت عنه أن هذه المجادلات لقرأة القادم هي محاولة تفريع التفريع وأخضاعه لنظرة مجهرية مكروسكوبيه يمكن من خلالها تجسيد الوضع القائم وبالتالى تحديد توجهه ومستقبلة. ولعله لا يخفي على أحد أن الأمساك بتلابيب الموضوع وهنا، مستقبل الولايات المتحدة الأمريكيه هو أمر في غاية الضخامه من العقل تفتيته إلى أكبر قد من الجزئيات يتم الربط بينها فيما بعد للخروج بنظره أكثر جدليه وموضوعيه. وهذه الجزئية التى يعالجها هذا المقال هو الملاحظه التاليه: إن الذاهب الى الولايات المتحدة الأمريكيه والمراقب الزائر للجامعات الأمريكيه سوف يلاحظ التواجد للعناصر الصينيه والآسيويه والهنديه بشكل مكثف في ردهات الجامعات وخاصة في التخصصات ذات البعد التكنولوجي مثل علم الكمبيوتر، وهندسة الكمبيوتر، الهندسة الميكانيكيه، الفيزياء، الكيمياء ... الخ.

نقول أن هناك شبه سيطره من هذه العناصر على التفريعات والتخصصات ذات الأهمية ليس في أوساط الطلبه فقط بل وفي أوساط أعضاء هيئة التدريس إلى الحد الذي دفع

بالبعض للقـول أنه ليس من المشكوك فيه إذا ما أستـمر الوضع كما عليـه فسوف تكون هذه التخصصـات خارج دائرة العناصر الأمريكيه بالكامل خلال العـشر سنوات القادمه .. ولعل قائل هذه العباره أذهله أن الطلبة المتحضريـن من أصول أمريكيه يأتون في المرتبه الخامسه والسادسـه في التخصصـات المذكورة والحقيـقه أن هذا مشـاهد على الكثير من الجامـعات الأمريكيه بشكل عام. ربما يقول قائل ولكن هذا لا يضر الولايات المتحدة الأمريكيه فى شىء بل يذهب للقـول أن هذا من أسرار عـظمه هذه الدوله التى سـمـحت لهذه العـقول بالقـدوم والدراسـة وفتح أفـاق علميـة ومعـرفيـه أمام هـؤلاء من أجل البقـاء في الولايات المتحـدة الأمريكـيه وأن تلك العـقول تمارس المعرفـه في فروع التـكنولوجيـا إلا أنها يمارس عليـها التغيير الثقافي والاجتماعي لتصبح أكثر قبول وقدرة وسرعه للذوبان في المجتمع الأمريكي وبالتالى فإنه ليس هناك من تخوف على المستقبل التكنولوجي على القارة الأمريكيه.

على الرغم من وجاهه هذه النظره خصوصاً وأن العناصر الوافده على القاره الأمريكيه لم تذب حقيقتاً في المجتمع الأمريكي وحتى التى أستطاعت الذوبان الجزئى فهي لم تمارس هذا الذوبان أقتناعـاً بالثقافة الأجـتماعيه الأمـريكيه وأنما يطغي عليهـا البعد الأقتـصادي حيث أثبتت الكثيـر من الدراسات أنه بدون الذوبان اللغوي وكتـمان التوجه الديني والثـقافي فإن سلم النجاح الأقـتصادي الأمريكي سوف يكون عـصي على الصعود وبالتالـي فإن النجاح الأقتصـادي سوف يتحول حلم بعيـد المنال في بلاد وضعت لنفسها هدف تحـقيق الأحلام. وبالتالي فإن هذه العناصـر التى لم تستطع الاندماج داخل بوتقه المجـتمع الأمريكي تنزوي داخل ردهات الجامـعات لتـمارس التدريس والبـحث العلمي دون الخروج لمعـترك الحـياة الاقتصـادية.

نقول على الرغم من وجـاهه هذه النظرة إلا أنها تغفل بعض النقاط الحـريه بالانتباه وهي على سبيل المثال:

أولاً : إن دور الجامـعات الأمريكيـه آخذ بالتغّير فعلي الرغـم من البحوث التى تجـريها معـامل الجامعـات ومختـبراتهـا إلا أنها بدأت تتضـائل مقارنه بأنـتاج معـامل ومختـبرات الشركـات العملاقـه ففي نظام أقتصـادي حر يسمح بتـراكم رأس المال أصبحت الشـركات العمـلاقه أو أتحاد الشركـات بعضـها ببـعض قوة ضاربه لم تستطيع الجـامعات مجـاراتها بأمكاناتها المادية أو المعنوية داخل دهاليـز أتخاذ القرار فى النظام السيـاسي الأمريكي وقد قامت هذه الشـركات باستـقطاب عناصر ذات تأهيل في مجـال البحث والتطبيق للعـمل بها وترك قاعات المحاضرات الجامعيه بعـد الاغراءات المادية المؤهله وكان هذا التوجه مصحوب ببعدين مهمين: ـــ

(١) الربط بين البـحث العلمي والتطبيق حـيث يتم دراسة برامـج تطوير جهـاز الحاسب

الآلي على سبيل المثال ويتم تصميمها وأنتاجها وتحسين الأخطاء فيها بعد الأنتاج.

(٢) المنافسه العالمية والتى جعلت الشركات العملاقه أكثر قدره على المنافسه العالمية مقارنه بالجامعات ذات الميزانيات المحدوده.

(٣) سيطرة العنصر الأمريكي على هذه الشركات وبرامج التطوير فيها على العكس من الجامعات التى بدأ ينسحب منها الكوادر والطاقات الأمريكيه وخصوصاً في المجالات العلمية والتكنولوجية.

ثانيا : الوقوف جنباً الى جنب مع الشركات العملاقه نجد أن بعض المؤسسات العامه مثل الجيش الأمريكي ووكالة الفضاء الأمريكية تكاد تكون أمريكيه خالصه وقائمة على العناصر البيضاء والجيش الأمريكي سواء بشكل مستقل أو متعاون مع الشركات الصناعيه العملاقه يكاد يكون أكثر القطاعات أحتكار للتكنولوجيا المتطورة حيث تبقي هذه التكنولوجيا أحد الأسرار العسكريه حتي يتم الأستغناء عنها وبالتالي يتم تحويلها إلي الأستخدام المدني والحديث يصدق هنا على وكالة الفضاء الأمريكيه حيث كان الكثير من رجال هذين المؤسستين يبررون الميزانية الضخمه على القوات العسكريه والفضاء بأنهما أحد أهم مصادر تطوير التكنولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكيه. نذهب نحن هنا إلى الرد علي المقوله التى تقول أن هناك تفوق ياباني في مجال التكنولوجيا على الولايات المتحدة الأمريكيه وخاصه عند مقارنة بعض المنتجات مثل السيارات وبعض المنتجات الألكترونيه الدقيقه. وأننا نري أن هذه المقولة ليست دقيقة جداً إذا ما أخضعت لنظرة من التفحص فعلى سبيل المثال أن أفضل مهندسي اليابان أي مهندس الدرجة الأولى والثانيه والثالثه يعملون في صناعه السيارات وبعض الأجهزة الالكترونيه بينما نري أن مهندسي الدرجة الأولى والثانيه والثالثه في الولايات المتحدة الأمريكيه يعملون في مجال الفضاء والرادارات والكمبيوترات العاليه التفوق والأقمار الصناعيه وغيرها ونجد أن مهندسي الدرجة الرابعه والخامسه والسادسة يعملون في مجال السيارات والكمرات وبعض الأجهزة الأخري إذاً أن مهندسي الدرجة الرابعه والخامسه والسادسه في الولايات المتحدة الأمريكيه هم الذين يقارنون بأفضل مهندسي اليابان ونؤكد هنا أننا لا نقول أن اليابان لم تكن بمعجزة أقتصادية بل نقول أن مقارنتها مع الولايات المتحدة الأمريكيه والقول بتفوق الأولى على الثانية مقوله متسرعه ويجانبه الصواب.

ثالثا : على الرغم من سيطرة العناصر غير الأمريكيه على التخصصات في مجال الهندسة والكيمياء والفيزياء إلا أننا نري أن العكس في مجال الدراسات الأجتماعية حيث نشاهد أستمرارية سيطرة العنصر الأمريكي الأبيض على الدراسات الأنسانيه مثل العلوم السياسية والعلاقات الدولية، علم الأجتماع، وعلم النفس، والاقتصاد، وعلى الرغم من

دخول بعض العناصر الوافدة أو المهاجرة معترك هذه التخصصات إلا أنها مستمره تحت هيمنه وسيطرة الكوادر الأمريكيه ذات السحنه البيضاء وهذا يرجع إلى جمله أسباب يمكن أن يأتي في مقدمتها:ـــ

١ ـــ أن العلوم الأجتماعيه والدراسات الأنسانيه تكتسي أهمية حقيقيه وذلك لأنها هي التي تشكل العقل البشري وبالتالي التركيبه الثقافية ومن ثم الحضاريه حيث بدون السيطرة على هذه العناصر تصبح الولايات المتحدة الأمريكيه فاقدة لبوصلتها الأجتماعيه والثقافية مما يعني فقدان بوصلتها السياسية. ويرجع ذلك إلى قناعه رجال الفكر الأمريكي أن التطور التكنولوجي مفهوماً أنسانياً عالمياً إلا أن التطور الثقافي هو مفهوماً حضارياً أي الربط بين الأنسان كأنسان والخصوصيه الحضاريه وهم عندما يتحدثون عن الحضارة العالميه يقصدون بها الحضارة الغربيه المهيمنه عالمياً.

٢ ـــ وصول جهابذة الفكر والفلسفه والأستراتيجية إلى قناعه مفادها أن التكنولوجيا يمكن السيطرة عليها وتطويعها ثقافياً وأجتماعياً بينما لا يمكن السيطرة على التوجة التكنولوجي بدون البوصله الحضاريه التيي تحدد مدى الجوانب الايجابيه والسلبيه التي تفرزها الحضارة التكنولوجية. ولعل التجربة اليابانيه والكوريه والاسيويه بشكل عام ماثله أمام الفكر الأمريكي حيث يري بأم عينه أن اليابانيون والآسيويون حقوق النجاح في المجالات التكنولوجية والصناعيه إلا أن الصراع الحقيق لديهم هو النجاح الأجتماعي حيث نري أن المجتمع الياباني والصيني إلى حد ما وخاصه الجيل الجديد يتوجه الى القيم الغربيه تاركاً القيم المحليه سنه بعد سنه على الرغم مما يقال بأن اليابان جمعت بين التقاليد الأجتماعيه والتفوق الأقتصادي بل نقول أن أهم المراهنات الأمريكيه على الصين هو تحول هذه الدوله الضخمه بالامكانيات الاقتصادية والبشريه إلى دولة مهجنه تجعل القيم الغربيه منافسه للقيم المحليه بل أن هذا الصراع ربما يؤدي هو ذاته إلى تفكيك المجتمع الصيني ورإينا بوادر بعض المظاهرات التى حدثت في الصين في السنوات الماضيه والتى نرشحها بالاستمرار فى السنوات القادمة خصوصاً مع التغير الأقتصادي السريع الذي لابد أن يقود إلى تغير أجتماعي وثقافي وبالتالى إلى التغير السياسي هناك.

٣ ـــ أن سيطرة القيم والتقاليد الثقافية الغربية على الدراسات الأنسانيه هو عامل ربط بين القوى المحليه والقوي السياسيه داخل المجتمع الأمريكي. هذا الربط سوف يسمح بخلق قنوات أتصال فكري وحضاري تسمح بنقل المعلومه والتصور والرغبه من داخل المجتمع الأمريكي إلى متخذ القرار وتحولها إلى سياسة وقرارات سياسية وأستراتيجية تعزز من مكانه وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكيه في المستقبل المنظور.

نخرج من هذا الحديث بخلاصه مفادها أنه على الرغم من سيطرة العناصر المهاجرة أو

الوافدة على الولايات المتحدة الأمريكيه على الأقسام العلمية في الجامعات فإنه لا يعني أبداً خروج العناصر الأمريكيه من حلبه الأبداع بل كان التوجه إلى الشركات العملاقه المنتجه القادرة على التصميم والانتاج والتسويق وبالتالي المنافسه العالميه. ومن جانب آخر أن بوصله التوجه للدراسات الانسانيه وما يتفرع منها أخذه تكتسي أهمية كبيرة على مستقبل التوجهات الثقافية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكيه وأنه بدون بوصله الدراسات الأنسانيه الواعيه فإن الدراسات العلميه تكون دراسات بدون هدف واضح محدد مطلوب منها خدمته ولعل هذا الدرس يمكن أن يستفاد منه في دول العالم الثالث التى تحاول اللاحاق بالركب التنموي وبدون تحديد الهدف وأحياناً يجري الخلط بين الهدف الحضاري الثقافي والهدف التنموي التكنولوجي أو يتم التركيز على جانب وأهمال الجانب الآخر.

أمريكا والصين بين التعاون والصراع

زيارة الزعيم الصيني جيانج زيمين إلي الولايات المتحدة الأمريكية تذكرنا بلقاءات القمة في الحرب الباردة بين السوفيت والولايات المتحدة الأمريكية من الجانب الإعلامى والسياسي إلا أن اللغة التى يتحدث بها الزعماء تغيرت مع تغير الظروف الدولية الراهنة والسؤال هو هل الصراع الدولي تغير فعلاً ؟ ثم إذا كان تغير ما هو طبيعة هذا التغير ؟ ثم هل هذا التغير بالشكل والمضمون أم أنه بالشكل بينما يبقي الجوهر ذاته ؟

في زمن الحرب البادرة عندما جاء خرتشوف إلى الأمم المتحدة والقا خطابه الشهير الذي تمثل بتحقير الرأسمالية وبضربه بحذائه على منصة المنظمة الدولية والتى أعقبت هذا الخطاب الشهير زيارته لواشنطن والذي طرح فيه على الأمريكيين القول أن السوفيت والأمريكيين يعرفون كل ما يفعله الآخر فلماذا هذا الصراع وأقترح أقتسام العالم لمناطق نفوذ بين القوتين . ومع هذا العرض المغري لم يوافق الامريكيون على هذا الاقتراح القادم من الزعيم السوفيتي ذو الخلفية الفلاحية المتواضعة بل رفضو هذا العرض بشدة وذلك لان طموح الأمريكيين هو ليس أقتسام العالم والنفوذ مع السوفيت بل الحصول على الاتحادي السوفيتي نفسه وأنهاء القوة السوفيتيه . كما أن الأمريكيين لا يريدون تكرار الخطأ الاستراتيجي الجسيم والهائل الذي أرتكبة السوفيت عام ١٩٣٣م باتفاقهم مع ألمانيا الهتلرية ظانين السوفيت أن هذه الحرب بين دول رأسمالية. هذا الاتفاق هو الذى قاد الكثير من القوى اليسارية إلى التخلى عن السوفيت واليسار بناء على النموذج السوفيتي.

السؤال هو أن الصين والأمريكيين يواجهون نفس السؤال بطريق مختلف هو ليس توزيع الهيمنة العالمية لكلا الدولتين ولكن أن يفسح كل طرف للطرف الآخر مساحة كافية يستطيع من خلالها الحركة والتطور في النظام الدولي. وهذا الافساح الذي يمكن أن يفهم على أنه مفهوم الصراع ينطوى على ملفات ساخنه بين الطرفين لابد من طرقها حتى يتم الاتفاق وهي من التعقيد والتداخل لدرجة أنه لا يمكن أن يجزم أحد بنجاحها أو فشلها.

الولايات المتحدة الأمريكية تطرح مفهوم حقوق الأنسان والحقوق السياسية على وجه الخصوص هل ذلك يرجع إلى أهتمام أمريكا بالشخص الصيني والأسيوي وهي الدولة التى تمارس العنصرية ضدهم وضد غيرهم داخل بلادها. إن الهدف من طرح هذه القضية يمكن أن يتضمن من ضمن ما يتضمن كسب موقف وورقة ضغط ضد الصين وفي نفس الوقت هناك قناعة داخل الحكومة الأمريكية أن المجتمع الصيني وخصوصاً النخب السياسية والفكرية غير

الرسمية هي من التغيريب الأطلاع على النظام الحياتى الغربي بحيث تستطيع أن تقود المجتمع الصيني بالمدى الطويل إلى تقمص الشخصية الغربية وخصوصاً في بعدها السياسي والاقتصادي. و فى هذه الحالة فسوف يكون التغير الفكرى والسياسي الذي تقوده هذه الزعامات الفكرية والسياسية التى لم تدخل حيز الحياة السياسية الرسمية قادرة على دفع الصين الى معترك النموذج الغربي من الناحية الاقتصادية والسياسية. وهو يؤدي إلى التغير في صين اليوم بشكل يسمح فانفتاح صيني على النظام الغربي وبالتالي يتسنى للولايات المتحدة الأمريكية سهولة التعامل مع الصين بمعني أن أمريكا تمنح عقلية غربية للصين من أجل القدرة على التعامل معها بشكل أو بآخر. وهنا تخرج لنا التجربة الأمريكية مع السوفيت حيث أن الطرفين يعودون إلى نفس التراث الفكري السياسي وبالتالي كانت اللغة السياسية مشتركة إلى حد بعيد.

ومن وجهة النظر الأمريكية فإن التغيير في مفهوم حقوق الأنسان سوف يسمح إلى تفهم المضمون الفلسفي والسياسي الغربي ويتزامن مع الانفتاح الاقتصادي الذي تنشدة الصين وأمريكا في ذات الوقت ولكن لأهداف متناقضة . الصين يبحث عن الانفتاح الاقتصادي والتطور في مجال الاقتصادي والتكنولوجيا الصناعية وهو أحد المفاتيح التى تملك الولايات المتحدة أسراره وفي نفس الوقت تسعى أمريكا إلى هذا الانفتاح الاقتصادي وهي ترمي إلى تشجيع الانفتاح السياسي من خلال البعد الاقتصادي وفي ذات الوقت محاولة التأثير على التطور الاقتصادي الصيني وتحويله لصالح الولايات المتحدة الأمريكية والحصول بنفس الوقت على نصيب الأسد من السوق الصينية الهائلة والتى سوف تسمح للولايات المتحدة الحصول على معين لا ينضب من القوة الشرائية والامكانيات الاستهلاكية الضخمة.

والصين في ذات الوقت تسعي الى محاولة تسخير القوة الاقتصادية والتكنولوجية الامريكيه لصالحها محاولة أن تحصل على التكنولوجيا المتطورة بدون التغيير فى النظام السياسي الصيني والذي خفف من حدته الأيدلوجية وأبعد العناصر التي عُرفت بتشددها الايدلوجي وقربت عناصر قيادية مهتمة بالاقتصاد وحركة السوق والتصنيع في اشارة منه أن اهتمامها المقبل منصب على الشؤون الاقتصادية أكثر من العبد السياسي الأيدلوجي. وهذه الاشارة فهمت في الصين وحول العالم وبالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية على أن الصين تنظر الى الاقتصاد بكل عيونها وبكل اهتمامها. ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الطموحات مع عرض عوامل الخلاف بين البلدين خصوصاً وأن النظام الدولي صراعي أكثر منه تعاوني حسب المفهوم الغربي للنظام الدولي ثم حسب القراءات للطموحات السياسية الامريكية التي لا تتوقف عند حد .

إن موضوع مثل تايوان والتى تصر أمريكا على استقلالها دون التصريح الواضح والقوى ولكن جميع تصرفاتها تدل في هذا الاتجاه مع أن أمريكا تطرح مفهوم حل الصراع بين الصينين

أنفسهم إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعرف أن تايوان ورقة ضغط كبيرة لا يمكن التنازل عنها إلا بأهداف كبيرة تحققها من الصين وعلى حساب الصين. والصين وضعت لنفسها هدفاً هو تحقق ضم تايوان في القريب العاجل أو البعيد الممتد ولكن هدف ضم تايوان للدولة الأم يعد أحد أهم المرتكزات للسياسة الخارجية الصينية.

ولكي تخفف الصين من الورقة التايوانية بيد الولايات المتحدة الأمريكية لجأت الى دعم كوريا الشمالية وخصوصاً قدراتها العسكرية محاولة التخفيف من أهمية الورقة التايوانية في اليد الأمريكية بل وأندفعت الى محاولة بيع بعض الاسلحة الصاروخية لدول أخرى مثل باكستان وإيران من أجل مزيد من الضغط على الادارة الأمريكية والحقيقة أن الورقة الإيرانية استخدمتها الصين بشكل جيد وسوف يدفع الصينيون الكثير إذا تخلو عن هذه الورقة الهامة حيث أنها من الأوراق الكبيرة التي سوف تدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى التنازل لصالح الصين مقابل قطع مبيعات أنظمة عسكرية ونووية لايران . والصين من المحتمل أن تتنازل عن هذه الورقة مقابل السماح بتصدير التكنولوجيا الأمريكية المتطورة إلى الصين والتنازل عن المواقف الأمريكية تجاه تايوان.

ولكي تكون الصورة أكثر تعقيداً هو أدخال الولايات المتحدة الأمريكية موضوع التبت وهو الموضوع ذو الحساسية الكبيرة للصين وإذا لم تسير الأمور كما يرها الأمريكيين فسوف تطرح الحكومة الامريكية موضوع الحرية الدينية وهنا يطرح ملف التبت جنب الى جنب مع الأقليات الدينية وخصوصاً الاسلامية في الصين. ملوحة أمريكا بذلك لأمكانية زعزعت الاستقرار الصينى من الداخل وهي ورقة ضغط يمكن ان تستفيد منها الأدارة الأمريكية بشكل كبير وحاسم.

من الواضح أن الصراع بين الطرفين والخلاف كبير حيث يتراوح بين التعاون الصراعي أو الصراع الصراعي. من تايوان، التبت، الحرية الدينية، حقوق الأنسان السياسية، التكنولوجيا المتطورة هذه الأوراق التى تملكها الولايات المتحدة ضد الصين. مقابل كوريا الشمالية، أمداد إيران بالانظمة العسكرية، الاسواق الصينية الواعدة، الاستقرار في منطقة آسيا. كل هذه أوراق هي بيد المفاوض الصيني يطرحها على الجانب الأمريكي فى لقاء القمة القادمة. وهذه القمة سوف يكون لها كبير الاثر سواء السلبي أو الايجابي على منطقة الخليج والمعنين بها بشكل مباشر وعلى صراع شبه القارة الهندية وعلى توازن القوى الآسيوي وعلي شبة القارة الكورية. وحتى نتعرف على نتائج هذه القمة ليس من خلال التصريحات والبيانات ولكن من خلال السلوك السياسي للدولتين خلال الأشهر والسنوات التى تعقب هذه القمة وبهذة الطريقة يمكن أن نتلمس السياسية الخارجية الأمريكية والصينية تجاة بعضهم البعض وتجاه الكثير من القضايا الدولية للعقد القادم وبداية القرن القادم.

أمريكا وسياسة تجفيف المنابع

كان شعار السياسة الأمريكية المتسوحي من الحضارة الغربية بعد صدمة النفط وحرب عام ١٩٧٣م (لا يتكرر) (لايعاد هذا الوضع) والتى كان فيها المقاطعة النفطية العربية مع العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية وهذه الخطوة التى جمعت أول مرة منذ العهود الأسلامية الأولى بين منطقة الخليج التى أصبحت ثربة بقدراتها النفطية والاقتصادية وأهميتيها الاستراتيجية التى أملتها الحرب الباردة وأهمية الخليج الايدلوجية لكون المملكة العربية السعودية مهد الإسلام ومنبعه ووجود دولة تقوم على أسس من الدين الأسلامي والمحافظة عليه كما هو الحال في دولة محافظة مثل المملكة العربية السعودية. وحرب ١٩٧٣م جمعت هذا البعد الخليجي الاقتصادي الأيدلوجي مع موقع الثقل البشري في مصر العربية وسوريا الشام حيث أن هاتين الدولتين هما مهد الحركات السياسية في القرن العشرين وإن كانت بعضها ذوى توجهات بعيدة عن روح الأمة الاسلامية كما هو الحال في بلاد الشام وأقول أنها أول مرة منذ الفتوحات الإسلامية أن يحدث تلاصق بين هاتين المنطقتين حيث أصبحت القوه العسكرية المصرية والشامية تقوم على روادف أقتصادية وايدلوجية نابعة من الجزيرة العربية والخليج.

وكانت النتيجة أن الولايات المتحدة الأمريكية رأت بتقسيم هاتين المنطقتين إلى جزئين ثم تجيفيف مصادر قوتهما حيث سعت خلال السبعينيات والثمانينيات إلى تقليم القوة المصرية بالقروض الاقتصادية التى اثقلت كاهل الاقتصاد المصري ودعم توجهات سياسية كانت تتميز بالبيروقراطية الفاسدة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي مما أحدث شرخ داخل لحمة المجتمع هناك وبسقوط الاتحاد السوفيتي فإن سوريا فقدت معناها الحقيقي كقوة يمكن ان تلعب دورا موازن للقوى في المنطقة العربية وسوريا اليوم اذا ما استمرت الاحداث على ماهية عليه سائرة فإن مصيرها التقادم والتخلف على المستوى العسكري والاقتصادي والتآكل السياسي المرتقب.

اذا كان هذا هو حال الجبهة القوية في الجناح العربي الذي لبعب دوراً مهماً في حرب ١٩٧٣م فكيف تم التعامل مع الجناح الاقتصادي والأيدلوجي الذي مثل قوة المنطقة العربية. فمنذ زيارة السادات الى القدس والمنطقة الخليجية أصبحت منطقة الثقل الحقيقي حيث فقدت سوريا أهميتها الحقيقيه ودخل العراق في حرب مع إيران وكُبلت مصر بمعاهدة السلام مع إسرائيل. حيث يكشف أن دخول العراق مع إيران في حرب دامت ثمان سنوات

تكشف عن التكاليف التى قدمتها دول الخليج لهذه الحرب على المستوى الاقتصادي أو الأيدلوجي حيث لعبت هذه الحرب على خلخلت البعد السياسي والايدلوجي ولكن الأهم هو أن الحرب أستطاعت أن تقتطع جزءاً من القوى والاحتياجات الاقتصادية في المنطقة من أجل دعم القوة العسكرية للوقوف في وجه القوى الثورية اللاعقلانية فى إيران الثورة حتى أن هذه الحرب أستطاعت أضعاف إيران وأنهاك العراق أقتصادياً وكذلك أستثمار الفوائط المالية لدول الخليج أما لشراء منظومة سلاحيه للدول ذاتها أو شراء مثل هذه المنظومات التسليحية لدعم المجهود الحربي للدول العربية في هذا النزاع. إذاً النتيجة هي أنتصار واضح وحقيقي للسياسة الخارجية الأمريكية تم فيها تدمير قوى المنطقة وبيع كميات كبيرة من السلاح وأضعاف الخيارات السياسية لدول المنطقة في الخليج العربي بحيث نجد أن القوة الأمريكية وحضورها أصبح أمراً ذو أهمية.

وإذا كانت دول الاخليج أستطاعت الخروج من حرب الخليج الأول بشيء من القوة الأقتصادية المتبقية من أجل العودة إلى البناء والتنمية فإن نظام صدام حسين أهدى للولايات المتحدة الأمريكية أثمن تصرف قام به وهو غزوه للكويت حيث أستطاعت السياسة الأمريكية أستثمار هذا التصرف إلى أقصى نقطة ممكنة بالحرب الخليجية الثانية أستطاعت أمريكا جعل جميع الدول الخليجية بدون أستثناء وخصوصاً الهامة والفاعلة منها تعاني من ضائقه أقتصادية حادة من المتوقع أن تستمر إلى نهاية هذا القرن وتزيد قليلاً أي أن حرب الخليج الثانية أخذت الهامش الاقتصادي التى كان يشكل قوة منطقة الخليج. ولم تكتفي السياسة الأمريكية عند ذلك، بل من مصلحتها عدم سقوط النظام العراقي حيث أن البديل هو أسوء حيث من المحتمل أنقسام العراق وأحتمال قيام دوله في الجنوب العراقي تكون قريبه لإيران الأمر الذي لا يصب في مصلحة أمريكا ولا حتى دول الخليج العربية وبالتالي أصبح وجود صدام ونظامه عملية مهمة في أستنزاف المنطقة وتجفيفها وسلبها قوتها الاقتصادية والايدلوجية حيث يبقي النظام العراقي بتصرفاته من وقت إلى آخر عامل تستثمره الولايات المتحدة لمزيد من صفقات السلاح وسباق التسلح في المنطقة وكذلك لتحريك قواتها على حساب أقتصاد المنطقة وهذه الحالة من الشد والجذب هي السائدة منذ عام ١٩٩١ حتى نهاية عام ١٩٩٧م ومن المرشح أن تستمر هذه اللعبه إذا ما بقيت المنطقة في حالة من الذهول والتفرج دون العمل على الخروج من هذه الدائرة المغلقة.

ومن الأمعان في هذه السياسة الأمريكية فإنها عملت على هز والمساس في عملية توازن القوى في المنطقة بحيث أن أضعاف العراق يعني قوة إيران وقوة إيران تعني أن دول الخليج يجب أن تدافع عن نفسها بالمزيد من السلاح كما أن قوة إيران تعني أن دول الخليج سوف تحتاج حضور القوى الدولية بشكل أو بآخر. هل تعي إيران ذلك، كما أن دول المنطقة

أصبحت أمام خيارين سلبيين الأول التسلح ومزيد من المصاريف على التسلح وهذا يعني عواقب أقتصادية وأجتماعية وسياسية أو دفع فاتورة إعادة التوازن العسكري الحالى المختل لصالح إيران.

من نتائج هذه السياسة يتضح أولاً ان الولايات المتحدة الأمريكية أستطاعت وسوف تعمل على بيع منظومات تسليحية كانت لديها من الحرب الباردة كان لابد من تسويقها إلى الخارج من أجل زيادة الدخل القومى حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت من أكثر دول العالم مبيعاً للسلاح وأصبح مساهمة بيع السلاح جزء مهم من النتائج القومي الأمريكي وطريقة سهلة لتحويل الفائض التجاري لصالحها في مناطق كثيرة من العالم. وبيعها السلاح فإنها تتخلص من تكاليف تخزينة وحيازته. ثانيا: أن الولايات المتحدة الأمريكية في تجفيف المنابع الاقتصادية في الخليج أستطاعت أن تترك الدول العربية الأخرى مثل مصر وسوريا في العراء أي تركتهم يواجهون مصيرهم الأقتصادي والسياسي وأستطاعت إسرائيل أن تلعب دور الدولة العظمى والمهمة تجاة هذه الدول بعد أن ذهب الرافد الاقتصادي والاستراتيجي والايدلوجي لهذه الدول المتمثل في منطقة الخليج. ثالثاً: أشغال كل منطقة بهمومها الذاتيه بحيث أصبح كل منطقة من العالم العربي لديها هموم خاصة بها لا ترتبط بالمناطق العربية الأخرى. رابعاً : أن القوة الأيدلوجية والعمل على نشر الدين الاسلامي الذي قوى في مرحلة القوة الاقتصادية في الخليج وخاصة خدمة الدين من المملكة العربية السعوديه والدعم الكويتي كذلك قد تأثر بشكل كبير في مرحلة الضائقة الاقتصادية التى تمر بها دول الخليج. وخير شاهد على ذلك عندما قال السيد محمد سوار الذهب الرئيس السوداني السابق الذي عمل سابقة في العالم العربي بخروجه من السلطة على شكل أستقالة وليس على شكل أنقلاب أو أغتيال أقول يقول الرجل وهو رئيس هيئة الاغاثه الاسلامية في افريقيا وأحد الشخصيات التى تحظى باحترام في افريقيا يقول أن أهل الخليج وخصوصاً أخواننا في المملكة العربية السعودية والكويت هم أهل خير كثير وأصحاب همم عالية وأيمان صادق ويتميزون بالكرم ولذلك فإن العمل الخيري الاسلامي تأثر بشكل كبير بعد حرب الخليج الأولى والثانية والاحداث السياسية التى أعقبتها. أي أن الروافد الاقتصادي الذي دعم القوة في نشر وتخفيف معانات المسلمين والعرب في جميع أنحاء العالم قد تأثر بشكل كبير نتيجة لسياسة تجفيف المنابع التى أتبعتها السياسة للولايات المتحدة الأمريكية .

أن هذه الحالة وهذا الضعف سوف يرشح للأستمرار مادامت هذه الحالة السياسية العربية والتى تدفع العالم الغربي إلى أستثمارها ضد مصالح العالم العربي والاسلامي وسوف يكون كذلك طالما أن السياسة الواقعية والنظرة الواقعية والاستراتيجية البعيدة

المدي لم تكون المحك الحقيقي في التعامل السياسي مع عالم القرن القادم.

والولايات المتحدة الأمريكية بسياستها تجفيف المنابع رغم نجاحها على المستوي التكتيكي والمدى القصير إلا أن هذه السياسة تعمل ضد مصالحها ومصالح حلفائها على المدى البعيد حيث أن من نتائج هذه السياسة هو أضعاف أصدقائها في المنطقة والاخلال الواضح في ميزان القوى مما يؤدي إلى مزيد من التوتر وعدم الاستقرار وإن كان ذلك يصب في مصلحة إسرائيل في الدرجة الأولى فأنه ليس بالضرورة أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية من الدول المستفيده على المدى البعيد. بل أن دعم دول الخليج على المستوى الاقتصادي وأستثمار قدراتها الاقتصادية في قضايا التنمية فإن ذلك يؤدي الى الاستقرار وبالتالي تعزيز العلاقات والصداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية كما يدفع إلى مصداقية نجاح السياسية الخارجية الأمريكية التى يجب أن تقوم على المصالح المشتركة مع أصدقائها وحلفائها فى المنطقة. وأن إعادة توازن القوى فى هذا الجزء من العالم وخصوصاً بين الجارتين القويتين أمر في غاية الأهمية لمصلحة دول الخليج العربية والولايات المتحدة الأمريكية في المستقبل المنظور.

إنفجار أكلهوما ومأزق الدولة الرأسمالية

يمكن النظر إلى حادث أكلهوما في قلب القارة الأمريكية على أنه حادث فردي دبره مجموعة من الشبان المتحمسين لبعض القيم ذات التوجه العنصري ، ويمكن كذلك أن ينظر إليه على أنه بداية لموجة من التفكير بشكل عنيف يترجم على شكل اغتيالات وانفجارات مدوية تهزّ الولايات المتحدة الأمريكية من وقت إلى آخر . الجديد في هذا الانفجار الذي هزّ بواطن الشعور لدى الفرد الأمريكي كما هزّ بواطن التفكير والتحليل لدى العارفين بالدورة السياسية العنيفة التي تعيشها الولات المتحدة الأمريكية منذ فترة ليس بالقصيرة ، هذه الدورة ليست فقط على المستوى السياسي وتغير التركيبة السياسية الجبلية في الولايات المتحدة وليس فقط على مستوى التغير الكبير على مستوى المنظومة السكانية التي تمتعت بها الولايات المتحدة الأمريكية لما يزيد على مئة وخمسين سنة خلت حيث لعب الرجل الأبيض دور المركز والمحرك الوحيد ، بينما لعب العنصر الأسود دور العامل الرخيص للقيام بالأعمال ذات الانتاج المتدني ، هذه التركيبة التي توجت وعززت التوجه الرأسمالي بكل قوة مثلما حدث في فرنسا عندما أستثمرت العمالة العربية المغاربية الرخيصة للقيام بالأعمال ذات الانتاجية القليلة والتي جعلت من فرنسا دولة ذات صوت في النظام الدولي بعدما فرغت العنصر الفرنسي للأعمال ذات العطاء الفكري والتكنولوجي العالي ، والحديث يمكن أن يصدق كذلك على اسرائيل اليوم من استثمارها للعمالة الفلسطينية من جهة واستيرادها للعمالة الآسيوية وخصوصاً التايلندية من جهة ثانية من أجل القيام ببعض الأعمال التي ترى أن المواطن الاسرائيلي يجب أن يقوم بالأعمال ذات المردود الاستراتيجي بدلاً من أعمال البناء والنظافة والخدمات اليومية البسيطة . أقول إن التركيبة السكانية التي عاشتها الولايات المتحدة الأمريكية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية كانت تركيبة طابعها التجانس حيث سيطر عليها العنصر الأبيض والدين المسيحي وهيمنة الفلسفة الديمقراطية التي وضع أسسها خلال الجدل الطويل والعميق الذي دار إبان توحيد البلاد على يد رجال جمعوا بين الثقافة والسياسة واتضاح الرؤيا المعرفية . كان الحدث الحقيقي الذي عاشته الولايات المتحدة الأمريكية هو دخولها الحرب العالمية الثانية ورغم أن ليس هناك شك في انتصار الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب إلا أنها أهم حدث استطاع تغيير النمط السياسي الأمريكي والذي دفع بدوره إلى تغيير النمط الاجتماعي كذلك . كيف غيّر النمط السياسي ؟ وذلك بخروج الولايات المتحدة الأمريكية من عزلتها السياسية والتي حافظت علي تركيبتها الاجتماعية ودخول الدولة الأمريكية

القوية معمعة السياسة الدولية ليس فقط بإنشاء الأمم المتحدة بل أخذت على عاتقها ملء الفراغ السياسي والعسكري اللذين تركتهما كل من القوتين العظميين السابقتين فرنسا وبريطانيا اللتين إنسحبتا إلى قوى من الدرجة الثانية حيث قامت الدولة الأمريكية الغنية بأخذ مكان بريطانيا في كل من العالم العربي وجنوب آسيا وجنوب شرق آسيا ومكان فرنسا في كل من شمال افريقيا وخصوصاً في المغرب . ولم تكتف الولايات المتحدة بملء الفراغ السياسي والعسكري بعد الحرب العالمية الثانية ، بل أخذت على عاتقها حماية العالم الرأسمالي الحر إبان الحرب الباردة الشرسة التي خاضتها مع الاتحاد السوفيتي على المستوى السياسي والعقائدي والعسكري طوال أكثر من ثلاثين سنة حيث قامت الولايات المتحدة بدفع الاتحاد السوفيتي إلى سباق التسلح والتحدي الاقليمي في جميع أنحاء العالم الاخر الذي إنتهى إلى إنهيار الاتحاد السوفيتي على مشارف التسعينات من هذا القرن بعد أكثر من سبعين سنة من الحكم الشيوعي تخلله الكثير من المواجهات الجانبية الفاشلة منها على سبيل المثال فيتنام وتشيكوسلوفاكيا والمجر والناجح منها مثل أفغانستان وأثيوبيا والصومال ولم تنته هذه الحرب الباردة إلا وبانهيار المنظومة الفكرية والسياسية لليسار العالمي .

وفي أثناء هذه الحرب الباردة كانت هناك بعض القوى تتغير ويعاد تشكيلها بشكل صامت وغير مرئي جاء نتيجة للحرب الباردة وكان من أبرزها وأهمها الهجرة العالمية من العالم الثالث والعالم الشيوعي إلى العالم الحر وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية هذه الهجرة سواء بجانبها القانوني أو الذهاب للدراسة والبقاء هناك أو بشكل التسلل إلى داخل الحدود الأمريكية كما يحدث للمكسيكيين والهايتيين وكثير من الشعوب في أمريكا الوسطى . وكان الغطاء الايديولوجي يعطي بعض مبررات الهجرة ، منها فتح المجال للمعارضين للأنظمة الشيوعية في العالم لحق اللجوء السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية كما كان يحدث لكل من كوبا ، الصين ، فيتنام ، العالم العربي ، أمريكا الوسطى والجنوبية أو كان يحدث من أجل إضفاء أهمية سياسية للولايات المتحدة الأمريكية ، كما هو الحال للمهاجرين البولنديين أو الهنود في شبه القارة الهندية أو حتى تخفيف العبء على اسرائيل في استقبال أعداد كبيرة من الفلسطينيين ومحاولة توطينهم في الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتزايد سنة بعد سنة وبشكل صامت وغير محسوس قلل من أهمية هذه الهجرة الازدهار الاقتصادي والسياسي التي عاشته الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية من جانب ومن جانب آخر إن المهاجرين الجدد لأسباب عرقية ودينية ولغوية لم تستطع منافسة تمركز وقوة الرجل الأبيض في الولايات المتحدة الأمريكية ولم تشكل أي تهديد لثقافته المسيطرة أو حتى لم تشكل أي تحد لحركة الأمركة القوية التي يعيشها المهاجرون الجدد ، إلا أنه بعدما يقارب الخمسين سنة من الاستيطان والتوطن في القارة الأمريكية خرج الجيل من أبناء المهاجرين يحملون المؤهلات العلمية واللغوية والبعد الوطني

الأمريكي وأصبحوا يطالبون بمكانة لهم في العالم الجديد صدمهم في ذلك رفض العنصر الأبيض لهذه المحاولات مما قادهم إلى إنشاء المنظمات الاجتماعية والاقتصادية وبعضها السياسية من أجل الدفاع عن حقوقهم تزامن ذلك مع حركة التحرير للعنصر الأسود والذي وقع خلال الستينات والسبعينات إلى قراءة جديدة ومختلفة لبنود الدستور الأمريكي حيث أن الدستور يكفل حرية الأديان والتي كان ينظر إليها حرية الأديان المسيحية فقط حيث ذهبت القراءة الجديدة إلى حرية الأديان بكل أنواعها وكذلك كان الدستور يحفظ العدالة والكفاءة بين الأفراد والتي كانت تعني العدالة بين الرجال البيض فقط أصبحت القراءة الجديدة للعدالة بين الأفراد مهما يكن نوعه أو جنسه وليست مغلقة على العنصر الأبيض فقط. أقول إن حركة الهجرة وحركة التحرر دفعت إلى القراءة الجديدة للدستور الأمريكي الأمر الذي وضع الرجل الأبيض من الناحية القانونية على قدم المساواة مع المهاجرين الجدد والملونين في هذه النواحي القانونية تقوم الحكومة الفيدرالية على تطبيقها في مختلف الولايات الأمريكية ، ولهذا السبب نجد أن العناصر البيضاء المتطرفة مثل مليشيا ميشتيغن وغيرها من المليشيات نرى أن الحكومة الفيدرالية تتآمر ضد العنصر الأبيض من أجل القضاء عليه .

كل هذه التغيرات كانت تدور وما زالت مستمرة في المجتمع الأمريكي في أثناء أن الحكومة الأمريكية تخوض الحرب علي جبهاتها الخارجية خصوصاً في الحرب الباردة سابقاً ثم في محاولة خلق نظام عالمي جديد يكون قد صمم ليعطي الولايات المتحدة الأمريكية أطول مدة ممكنة من الهيمنة على النظم الدولي وحيث أن الحكومة الأمريكية تخوض حرباً جديدة الآن ليست فكرية آيديولوجية مصحوبة ومواكبة لقوتها العسكرية فقط بل دخل عليها عنصر هام وهو حرب القوى الاقتصادية حيث دخلت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الحرب والصراع الاقتصادي والمعلوماتي بقوتها وقدراتها الهائلة إلا أنها كذلك دخلتها بمديونية خرافية وتركيبة اجتماعية لم تستقر وتنسق بعد متزامنة مع قوى اقتصادية أخذت بالنمو والتحدي وخصوصاً في جنوب شرق آسيا وبالتحديد اليابان والصين . هذه المنافسة دفعت الاقتصاد الأمريكي على مستوى بعض القطاعات إلى التراجع وخاصة في مجال الصناعات الثقيلة والاليكرونيات والتي تعني مزيداً من البطالة ومزيداً من فرض رسوم الضرائب من أجل سد العجز في الميزانية . ومما جعل السياسة الأمريكية وخاصة السياسية والاقتصادية دخلت فيما يشبه نوعاً من المقامرة في المستقبل هو وضع جميع إمكانياتها في البحوث الفضائية والعسكرية وفي مجال المعلومات والحاسب الآلي ، الأمر الذي يمكن أن ينعكس عليها لتصبح أهم وأكبر دولة في المستقبل ولفترة غير قصيرة أو أنه يمكن أن يشكل خروجاً خطيراً عن المسار ليصبح ويعني انخفاض في ميزان القوى لصالح الدول الناهضة الجديدة وهو ما يعد تغيير في الموازين الدولية أو حتى إعادة مفهوم توازن القوى .

ولكن السؤال كيف يمكن أن يكون حادث مدينة أكلهوما مؤشراً علي مأزق النظام الرأسمالي في الولايات المتحدة الأمريكية نقول كما سبق ذكره هو أن الولايات المتحدة الأمريكية سياسياً واجتماعياً عام ١٩٤٥ م هي غيرها عن الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٥ م وبالتالي إن الدولة الرأسمالية من الناحية النظرية تصل إلى مرحلة المأزق الاقتصادي كما حدث في الكساد العالمي ١٩٢٩م والذي شهدته الولايات المتحدة الأمريكية والتي دفعت ثمنه على شكل فقر مدقع تكبده الشعب الأمريكي وكان المخرج من هذا الكساد هو الخروج والدخول في حرب خارجية هي الحرب العالمية الثانية والتوسع الخارجي من أجل حل معضلة الداخل وكما حدث للولايات المتحدة الأمريكية حدث لبريطانيا وفرنسا وألمانيا حيث كلما تأزم الوضع الاقتصادي الداخلي أرسلت جيوشها للخارج . الوضع الآن في الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يأخذ نفس الطابع حيث المأزق الثقافي والاقتصادي والذي تعيشه بعض القوى البيضاء في الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يقود إلى التحالف مع اليمين الديني المتطرف ويشكل هذا الثنائي أهم دوافع السياسة الخارجية الأمريكية إلا أن النشاط الأمريكي المحتمل يمكن أن يكون في المناطق التي لا تملك القوة النووية للدفاع عن نفسها .

أما في حالة الاصطدام بالقوى النووية الخارجية فإن الحكومة الأمريكية سوف تسعى إلى محاولة ضبط الداخل وذلك بتقوية النظام السياسي على الجبهة الداخلية ومما يعني كذلك صراعاً داخلياً ومزيداً من التفكك السياسي حول الدستور والصراع بين مؤيد ومعارض لتغيير بنود الدستور والذي يعني تغييراً نوعياً في النمط السياسي الأمريكي في المستقبل.

وفي الختام قد يكون حادث أكلهوما حادثاً فريداً لا يصحب تبعات له وذلك راجع للقوة الجبارة التي تتمتع بها الحكومة الفيدرالية الأمريكية من جانب ومن جانب آخر لم يصبح الوضع الاقتصادي الأمريكي من السوء حيث يدفع إلى وضع السياسيين بين خيارات صعبة إلا أن الشيء الواضح أن حادث أكلهوما يعد مؤشراً مهماً على دخول الولايات المتحدة الأمريكية إلى مرحلة ما بعد الحرب الباردة وما بعد سيطرة القيم الرأسمالية البحتة هذا الدخول الذي سوف يبدأ يشكل المنظومة السياسية الجديدة هناك وتحالفاتها الجديدة.

أوروبا التي تتشكّل

عندما أنهار الاتحاد السوفيتي السابق لم يكن انفرط عقد الدول المستقلة التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي ابتداء من استونيا وملدوفيا ولثوينيا الى الجمهوريات في العمق الاسيوى من طاجكستان واذربيجان، أقول لم يكن انهيار الاتحاد السوفيتي السابق فقط معبداً لهذه الدول تحولها الي الاستقلال الذاتي بعد هيمنة روسية وسوفيتية سابقه تعاقبت عليها النظام القيصري ثم السوفيتي الماركسي الليـنيني، بل ان انهيار الاتحاد السوفيتي السابق مازالت ارتجاجاته الدولية وهزاتة ما بعد الهزة الرئيسية مستمرة حتى يومنا هذا. حيث توالت استقلال دول شرق أوروبا عن الهيمنة السوفيتية ابتداء من بولندا والمانيا الشرقية حتي انفصال التشيك من السلوفاك وشاهدنا انفراط العقد اليوغسلافي والحرب الاجرامية التى قادة الصرب ضد مسلمين البوسنة والهرسك والتى تحولت الى حرب عرقية ودينية من الجانب الصربي.

واليوم نشاهد مشاهد الهجرة الجماعية والجوع والمرض وقبل ذلك القتل الجماعي على أسس عرقية ودينية ضد المسلمين الالبان في كسوفو الخاضع للهيمنة الصربية الوحشية منذ سنوات عديدة يمارس بها الصرب من القمع الجماعي والتفرقة العنصرية على أساس من العرق والدين ومع اشتداد الازمة الالبانية وتداعياتها إلى أن ما يعنينا في هذا المقال هو القراءة السياسية للحدث حيث ان هذه الأحداث المتتابعة تنم عن توجه سياسي سوف يفرض نفسه في القرن القادم.

ان المشاهد للاحداث خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والموقف الغربي المنقسم الى توجهين هما الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا من جهة وفرنسا والمانيا من جهة ثانية وعلى الرغم من أن التوجهين يستخدمون نفس المنهجية فى التأثير على الاحداث ويرمون إلى نفس الاهداف تقريباً إلا أن كل طرف يحاول ان يكون الكاسب الحقيقي والكبير من هذه الأهداف. والمتتبع للخريطة السياسية الأوروبية يكتشف ان الاتحاد السوفيتي السابق كان لدية العديد من عوامل التأثير على الشأن الأوروبي منها دول أوروبا الشرقية والقوة العسكرية التقليدية والنووية التى يختزنها الاتحاد السوفيتي السابق وبانهيار الاتحاد السوفيتي ومشاكلة الاقتصادية المتفاقمة التى تعاني منها روسيا فان المسألة النووية موجودة إلا أن مسألة تطويرها أصبحت محل شك وتسائل لكثير من المحللين السياسيين والعسكريين حول العالم. وعلى الصعيد السياسي المتمثل في القوى السياسية التى كانت موالية للاتحاد السوفيتي فانها تجلت عنه بسرعة وتحولت إلى الجانب المقابل في أوروبا الغربية وحلف الناتو حيث بعضها أنضم إلى حلف الناتو والجماعة الأوروبية والبعض مازال يحاول ان يصل الى هذا الهدف المنشود. ولم

يبقي من قوى سياسية تستطيع روسيا الوريثة الحقيقية للقوة السوفيتية ان تلعبة في الشأن الأوربي سوى المسألة النووية والتواجد الصربي السلافي الذي يشترك مع الروس في العرق والدين وذلك لايمان كلا الطرفين بالتعاليم المسيحية المرتبطة بالكنسية الارثوذكسية ومن هذا المنطلق كانت روسيا تحاول استثمار هذا الجانب حتى تبقي مؤثرة في الشأن الاوربي الشرقي وان كان محدود، ومن هذا المنطلق كانت روسيا الدولة المهمة التى وقفت الى جانب الصرب ومخططات الزعيم الصربي مولوسوفتيش الذي أدار الحرب التطهيرية في البوسنة والهرسك بشسكل بشع.

هذه الاحداث والتحولات ينظر اليها في العالم الغربي على انها فرص يمكن التأثير من خلالها على المنطقة بل وإعادة تشكيل مسألة توازن القوى ومناطق النفوذ بشكل جديد بعد حقبة أتسمت بالهيمنة اليسارية تحت فرض القوة السوفيتية السابقة.

ومن خلال الاحداث البوسنية استطاعت الدول الغربية ان تتسابق الى ايجاد مناطق نفوذ لها في هذه المنطقة حيث ذهبت فرنسا الى الدخول لهذه المنطقة ولكن بدون هدف واضح أو بهدف اكبر من امكانيات فرنسا الي ان الدخول الالماني كان علي استحياء وهو حماية كرواتيا الحليفة القديمة التى وقفت مع الالمان في الحرب العالمية الثانية. وكان نصيب الأسد من التأثير للولايات المتحدة الامريكية الدولة الاعظم صاحبة الاستراتيجية العالمية وبريطانيا التى انطوت تحت مظلت العلم الامريكي من اجل جني المكاسب التي تحققها الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالفعل استطاعت الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا خلق دولة البوسنة والهرسك الدولة التي تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية من الحماية الخارجية الى تدريب افراد الجيش البوسني وتسليحة مقابل خروج روسيا من اللعبة السياسية الى حد كبير في هذا الشأن على وجه التحديد وذلك راجع للمشاكل الحقيقية التى تعانيها روسيا سواء اقتصادية أو هيكلية كما أنها حاولت ادارة الصراع دون خطة واضحة فهي اشتركت في القوة الامنية التى دخلت البوسنة ثم اكتشفت خطأ ذلك وسحبت قواتها لترمي ثقلها المتناقص مع الصرب الا أن ذلك لم يكن له التأثير الحقيقي على مجرى الأحداث في هذه المنطقة.

واليوم نشاهد نفس مشاهد الحدث يتكرر مع اقليم كسوفو الذي يدخل حرب دموية مع الوحشية الصربية ونفس المشاهد تتكرر بدخول حلف الناتو الى الصراع بشكل غير مباشر بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل مزيد من أضعاف القوة الروسية في أوروبا بل أن دخول الولايات المتحدة الأمريكية لهذه المناطق هو ايجاد مناطق نفوذ لها سوف يجعل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اكثر اللاعبين الدوليين تأثير في الشأن الأوربي وخصوصاً في منطقة خريطتها السياسية بالتعقيد الشديد مثل منطقة البلقان. والاهم من ذلك ان مسألة الحرب والسلم الصراع في هذه المنطقة سوف يكون تأثير الولايات المتحدة الأمريكية بها موثراً حداً

وهذا شيء يمكن فهمه من الناحية السياسية والعسكرية بحيث ان الولايات المتحدة الامريكية الدولة صاحبة القوة الضاربة والحضور العسكري المؤثر في المنطقة تريد ان تمسك باوراق وضوابط اللعبة السياسية في منطقة البلقان بشكل لا يفرض عليها وضع تجد نفسها مضطرة للاندفاع خلفه دون ان تكون مؤثرة فية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان التوجه الأمريكي هو تشجيع التقارب الاوروبي وتوحيد اوروبا وتشجيع النجاحات الاقتصادية التى تحقق الاستقرار واستمرارية هيمنة القوى الاوروبية التقليدية مثل المانيا وبريطانيا وايطاليا وفرنسا مع اشتراك بولندا يكون هذا التقارب موجه لمصلحة القارة الاوروبية والعالم الغربي ضد الآخر وخصوصاً الصراع المرتقب لهم مع آسيا وخصوصاً الصين في المستقبل.

كانت هزة الاتحاد السوفيتي السابق وانهياره أحدثت تبعات مازال العالم يعاني منها ولعل آخرها هي مسألة البان كسوفو الذين سوف يفتحون المجال من اجل مزيد من التغلغل الامريكي البريطاني والغربي بشكل عام في شأن البلقان وبالتالي محاولة إعادة ترتيب المسألة الاوروبية الشرقية بشكل يخدم المصالح الاستراتيجية للدول الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة الامريكية واخراج روسيا من التأثير الحقيقي في الشأن الاوروبي لتكون روسيا في أضعف أوقاتها في تاريخها الطويل في تأثيرها على الاحداث في أوروبا.

بحر قزوين واستراتيجية النفط

على الرغم من أن التقارير الاقتصادية تفيد بشكل غير قطعي أن هناك مبالغة بالامكنيات الاحتياطية النفيطية لبحر قزوين وأن هذه التقارير تورد تقديرات تتروح بين ٣٪ الى ٩٪ من الاحتياط العالمي موجود في منطقة بحر قزوين ومن هذا المنطلق فإن هذه الكمية لا تعد شيء في نظر الاحتياط العالمي أو حتى الاحتياط العربي الخليجي على وجه الخصوص. ومن جانب آخر فإن هذه الكمية تقارب ما هو موجود من الاكتشافات النفطية في بحر الشمال هذا النفط الذي لعب دوراً اقتصادياً واستراتيجياً كبيراً خلال العقد الماضي.

إلا أن السؤال الذي يبقي مشروع ومفتوح للاجابة هو هذه الكمية هي المحدد الوحيد للأهمية لنفط منطقة بحر قزوين؟ بمعني آخر هل النفط بشكل عام والنفط في بحر قزوين بشكل خاص هو ذو أهمية أقتصادية بحته أم أنه سلعة ذات بعد ومنحى استراتيجي اكثر من كونه أقتصادي.

ان المتتبع للفكر الاستراتيجي العالمي وللسياسة الدولية منذ نهاية الحرب العالمية الأولي وخصوصاً بعد ما أخذت النهضة الاوروبية والامريكية بالصعود بشكل متتابع قائمة على فعل الطاقة خصوصاً على قوى التحكم التى بدأت تأخذ بالقول مع طوي الحرب العالمية الأولى وبدأ مفهوم النفط بأخذ حيز مهم من الطاقة والاكتشافات الجديدة التى تعتمد على طاقة النفط بشكل جعلها تسير الحياة على النحو الذي نشاهده اليوم. ولكون النفط بهذه الأهمية فإنها أخذت تنتقل هذه الطاقة وهذه المادة من سلعة أقتصادية إلى سلعة أستراتيجية وبناء على ذلك يمكن أدراج الحرب العالمية الثانية تحت مفهوم التصادم في أستراتيجية الطاقة.

ان الشيء الذي لم يكن مفهوم لدى الكثير من متابعي التاريخ السياسي العالمي هو لماذا قام هتلر الزعيم الالماني بالهجوم على الاتحاد السوفيتي في الوقت الذي كانت قواته لم تلملم جراحها وقوتها في حربها مع الدول الأوروبية الغربية وان الحرب مع البريطانيين مازالت تدور رحاها. هذا السؤال كان أحد أهم الاسئلة التى طرحها الاستراتيجيون، انه كان من عدم الحكمة فتح جبهه عسكرية قبل أغلاق الجهة العسكرية الأخرى. ويمكن بالنظر الى واقع الحال في ذلك الوقت وان احلام هتلر ومستقبل المانيا كان مرتكز ومرتبط على توفر الطاقة النفطية لهذه القوة وانه بدون هذه القوة لا يمكن أن تحقق المانيا احلامها في العالم. وكان لنفط الجمهوريا السوفيتية في اطراف آسيا هي مقصد القوات الالمانية بحيث كانت تقضي هذه الاستراتيجية هو ارسال قوات عسكرية تدمر القوة العسكرية السوفيتية الآسيوية على جبهة موسكو وستالينغراد في ما تقوم قوة أخرى باختراق الاراضي السوفينتية وصول الى منابع النفط

هناك. إلا أن هذه الاستراتيجية لم تنجح نتيجة للمقاومة الغير متوقعة من قبل السوفيت.

ومن الاسئلة المحيرة كذلك هو لماذا تقوم القوات اليابانية بضرب قاعدة بارهابر الامريكية على جزر الهاواي وعند قرأة الفكر الاستراتيجي الياباني في ذلك الوقت فإن النفط كان المحرك القوي والحقيقي حيث كانت تقضي هذه الاستراتيجية ضرب القوة العسكرية الامريكية المتحركة المتمثلة بالاساطيل من أجل قطع اطراف القوة الامريكية في هذه المنطقة وقطع خطوط الامداد والتموين كل ذلك لفترة زمنية محدودة حسب تقدير اليابانيين يسمح لهم باحتلال مناطق النفط الاسيويه وفي اندونيسيا خصوصاً لفترة تسمح بأحتلال مناطق النفط ونقلة إلى اليابان من أجل تعزيز القوة اليابانية في تحقيق احلامها الامبرطورية.

ومنذ ذلك الحين والنفط أخذ معان استراتيجية اكبر بكثير من توقعات أصحاب النفط ومنتجيه حيث برزت الاكتشافات النفطية الاخرى تلو الآخرى لتكون منطقة الخليج العربية واحدة من المناطق الهامة في هذا المجال وبالتالي فإن الاستراتيجية الأمريكية كانت تطور هذه الأهمية الاستراتيجية. فالاستراتيجية الامريكية تصور النفط داخل الصراع بين المعسكرين في الحرب الباردة. ومرة أخرى تصورة بالاهمية البالغة والاهمية العظمى على أقتصاديات الدول المتطورة ومرة ثالثة تصوره كأهمية أقتصادية واستثمارات مالية عالية التكلفة ومضمونة الأرباح والنتائج.

وبهذا الاطار كانت السياسة الامريكية متواصلة في هذه الذهنيه الاستراتيجية حتي في نفط بحر قزوين حيث ينظر الى هذه الامكانيات النفطية من بعدها الاستراتيجي اكثر من بعدها الاقتصادي. حيث يرى المنطق الاقتصادي أن اكثر المناطق جدوى أقتصادية لاستخراج وأنتاج النفط تبقى منطقة الخليج ولكن البعد الاستراتيجي يدفع الولايات المتحدة الامريكية إلى حيث وتشجيع ما يزيد عن عشرون مليار دولار استثمارات نفطية في منطقة بحر قزوين بل وتتكلف المزيد من الخسائر المادية لكي تختار اكثر خطوط أنابيب النفط طولاً وتكلفة من أجل حرمان الدول الاخرى من أي مكاسب سياسية أو أقتصادية محتملة.

وإذا كان بحر قزوين وما ربط به من مسألة استثمارات واستخراج وتصدير عن طريق أنابيب نفطية فإن الولايات المتحدة الامريكية تهدف في بعدها الاستراتيجي إلى أضعاف المكانة الروسية في الجمهوريات المستقلة وربط هذه الدول المندفعة من ذاتها تجاه الغرب والولايات المتحدة الامريكية بشكل اكبر. كل ذلك فسوف تكون روسيا أقل تأثيراً عنها في السابق في هذه المناطق.

والبعد الاستراتيجي الآخر هو قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على التأثير على مجريات الانتاج والتصدير وبالتالي التأثير على سياسات الدول المستوردة في العالم وخصوصاً فى أوروبا وآسيا واليابان والدول الصناعية الآسيويه الأخرى وأخيراً الصين العملاق القادم.

والنقطة الأخيرة التى يمكن ان تكون عامل مهم هو خفض الولايات المتحدة الأمريكية اعتمادها

الاستراتيجي الاحادي القوة على منطقة الخليج. بمعنى آخر جعل الثقل الاستراتيجي لمنطقة الخليج أقل منها في السابق وبالتالي جعل هذه البدائل متوافرة للسياسة الأمريكية تستطيع من خلالها التأثير على هذه المناطق بشكل قوى وفعال خصوصاً وأن النظام الدولي اليوم يسمح لها بحرية الحركة اكثر من ذى قبل وخصوصاً أن ضعف دولة روسيا هو ضعف يمكن أن يكون مؤقت أو غير مستقر في اسوء الاحوال وبالتالي فإن تعدد مناطق الثقل الاستراتيجي من جانب الطاقة والنفط سوف يسمح للسياسة الأمريكية أن تكون اكثر حرية واكثر قدرة على التحرك والمناورة في المستقبل والتأثير على الابعاد الداخلية للمناطق المختلفة بشكل لا يضر في مصالحها بشكل قوى وعميق.

إذاً هناك توجه من الإدارة الأمريكية إلى جعل النفط والاكتشافات النفطية والاحتياجات النفطية إلى مفهوم أستراتيجي كثر من كونه مفهوم يخضع لألية السوق ومفهوم العرض والطلب. وذلك لكون وضع النفط تحت البعد الاستراتيجي فسوف يسمح للولايات المتحدة على العمل على محاولة توظيف النفط في جميع بقاع العالم ان أمكن ذلك ليواكب وبؤازر استراتيجيتها العالمية خصوصاً وأنها تلعب دور الدولة العظمى المنفردة على الساحة الدولية. ولكون النفط سلعة مهمة لجميع الدول والدول المتطورة منها على وجه الخصوص فإن ذلك سوف يسمح للولايات المتحدة بالتأثير المباشر وغير المباشر على هذه القوى وبالتالي يكون النفط المتواجد في الدول الأخرى حول العالم ورقة وأداة في يد السياسة الخارجية الأمريكية تستخدمها ضد الحلفاء والدول الصناعية الأخرى في حالات الضرورة. بينما تتفرغ القوات العسكرية والمساعدات المالية ومبيعات السلاح والاستشارات الأمنية للعمل على ترسية القوة الأمريكية تجاه الدول الاقل تطوراً والتى لا يؤثر فيها مفهوم أنقطاع النفط أو تقطع أمدادته.

وبالفعل كانت الولايات المتحدة سباقه منذ الحرب العالمية الثانية إلى الهيمنة على المناطق النفطية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ثم بعد ذلك تحولت الى الهيمنة ومزيد من الاكتشافات النفطية بعد صدمة الطاقة الأول عام ١٩٧٣م والتى أقنعت الولايات المتحدة الامريكية ان الهيمنة الآحادية لا تكفي أي أن الهيمنة على مكان واحد ومنطقة واحدة ليست ذات جدوى على المستوى الاسترتيجي فتحولت استراتيجيتها الى تشجيع الاكتشافات النفطية والهيمنة عليها إن أمكن ذلك وبالتالي تحولت الأستراتيجية الى تعدد مصادر النفط ومناطق الاحتياطي منه ومحاولة الهيمنة عليها حتى يمكن أضعاف مناطق الاحتياطي النفطي التقليديه. وكان ذلك بالفعل عندما كانت الاستثمارات المالية الهائلة في بقع كبيرة من العالم قامت على قروض من الولايات المتحدة من أجل التنقيب والاكتشافات النفطية وكان آخر هذه الاستثمارات هي بحر قزوين الذي يمكن القول أن جداوه الاستراتيجية تفوق جداواه الاقتصادية وذلك أن الهدف أستراتيجي أكبر من كونه هدف أقتصادي يخضع للعرض والطلب ومفهوم التكاليف والارباح.

إذا كان هذا هو الوضع القائم فكيف على دول المنطقة الخليجية بشكل عام والعربية بشكل خاص التى صممت هذه الاستراتيجية الامريكية أصلاً من أجل التقليل من الأهمية لمنطقة الخليج وتقليل الأهمية هنا مسألة نسبية كما هو الحال في القضايا السياسية والاستراتيجية. أقول إذا كان الهدف من الاستراتيجية الامريكية هو التقليل من الأهمية الاستراتيجية لمنطقة الخليج فكيف يمكن لدول المنطقة أن تفعل من أجل أن تحظى باهتمام وأن يكون مكانتها الدولية موازية لمكانتها النفطية وتجنيب منطقة الخليج المزيد من الاختناقات وأبعاد المنطقة عن مفهوم الصراع الدولي الذي يضر في هذه المنطقة ويجعلها منطقة توتر ومنطقة سباق تسلح اكثر من كونها منطقة بناء وتنمية.

لكون منطقة الخليج تحتل المكانة الأولى اليوم في أحتياطي وإنتاج النفط فسوف تبقى واحدة من المناطق الهامة في العالم ويمكن القول المناطق المتنازع عليها والمتنافس حولها الا أن دول الخليج يمكن أن تقلل من هذه المخاطر بمحولة نقل الفنط، استخراجا وتكريراً وتصديراً من البعد الاستراتيجي التى تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى إرسائه الى مفهوم أقتصادي أي محاولة دفع النفط إلى مفهوم أقتصادي يخضع لمفهوم العرض والطلب وأن يكون هذه المفهوم الاقتصادي قابل للتعامل مع جميع دول العالم بمعنى آخر يجب أبعاد البعد السياسي عن عملية أنتاج وتصدير النفط والعمل بقوة على تحويلة إلى مادة أقتصادية بحته بعيداً عن السياسة والاستراتيجية. ويمكن الوصول لهذا الهدف بالتالي : ـــ

أولاً : الدخول في مشاريع تكرير وتصفية مشتركة مع دول متعددة في آسيا وأفريقيا وخصوصاً دول مثل الهند والصين الدولتين ذات المستقبل الاستهلاكي النفطي المتعظم.

ثانياً : التعامل مع مناطق جغرافية اكثر من مفهوم الدول خصوصاً مع الدول الصغيرة بحيث يمكن بناء مشاريع ومصافي نفطية تخدم مناطق جغرافية معينة تتكون هذه المنطقة من عدة دول.

ثالثاً : يجب اشراك اكبر عدد من الشركات النفطية العالمية في عملية التجارة النفطية تسويقاً وأنتاجاً وتكريراً حتى يمكن تحييد هذه الشركات من الناحية السياسية ولتقليل من ضغوطها المحتملة على حكوماتها تجاه دول النفط أو حتى تجيير هذه الشركات حتى تكون عامل من عوامل الضغط على حكوماتها لصالح الدول النفطية في القضايا الدولية المختلفة.

رابعاً : توقف الدول النفطية باستخدام النفط كأداة عقاب ضد بعضها البعض وذلك في محاولة من كل دولة أيذاء الطرف الأخر لأسباب سياسية أو أيديولوجية بل يجب التفاهم على أبعاد النفط عن مثل هذه الصراعات السياسية والايديولوجية حتى لا يتم استغلالها من قبل الكثير من الدول حول العالم.

خامساً : تركيز مفهوم على أن النفط أداة ووسيلة من وسائل التنمية وليس هدف بذاته

وبالتالي فـإن الوقت يسير بغـير صـالح الدول النفطيـة حيث أن اكتشـافات بدائل الطاقة تسـير بشكل مبرمج وقوي ولعل أوروبا تعد واحدة من أهم الشواهد على ذلك.

سادساً: التأكيـد على مفهوم التعاون الاقتصـادي النفطي بين الدول المنتجة وليس بالضرورة أن يأخذ مفهوم التعاون السياسي أي أن التعاون في مجال أنتاج وتكرير وتسويق النفط يجب أن يكون ذو بعد أقتصادي لا يخضع للابعاد الاخرى سواء السياسية أو الاجتماعية والايديولوجية أي التعامل مع النفط والسوق النفطي بالمفهوم الاقتصادي.

ومن هنا يمكن جر النفط بعيداً من الصراع الاستراتيجي، هذا الصراع الذي سوف تكون دول النفط اكثر الخـاسرين فيه بحـيث يحول هذه المناطق الى مناطق توتر وسبـاق تسلح وصراعات دولية.

بريطانيا وذهنية لورنس العرب

لا يمكن التأريخ للعالم العربي في العصر الحديث وخوصاً لنشأة الدولة العربية الحديثة دون الحديث عن الدور البريطاني في المنطقة العربية وكذلك لا يمكن أغفال الدور البريطاني القوي والواضح في عملية أستعمار أغلب الدول العربية والتى عاشت مرحلة من مراحل الهيمنة البريطانية وأن كانت العديد من أدبيات المرحلة الاستعمارية كانت تؤكد على نقتطين أهتم بهما الربطانيون عند دخولهم للعالم العربي وهما :

الأول : التأكيد على أستعمار المنطقة وأعادة تشكيلها من جديد وعلى أسس وقواعد جديدة تكون بريطانيا المهندس الحقيقي لمثل هذا التحديد وهذا جرة المفهوم الايدلوجي وهو أستعادة المناطق التى تشكل العالم القديم وكأن بريطانيا تكمل المشروع الاسكندر الاكبر أو أنها تكمل مشروع الحرب الصليبية ولكن بوجه أقتصادي وأجتماعي. وقد تحقق لها العديد من النجاحات الهائلة في هذا المجال.

الثانى : التأكيد على أهمية الوطن العربي على أنه الطريق إلى أهم المستعمرات البريطانية وهي الهند حيث أن المشاهد يرى أن تصميم المكعبات الاستعمارية البريطانية كان أصلاً يدفع بهذا الاتجاه وهذا الفهم حيث نجد أن بريطانيا أهملت الشمال الأفريقي وركزت على مصر وفلسطين وما يعرف بالاردن اليوم والسودان ثم الوصول الى عدن من أجل التزكيد عن الطريق البحري الوصول من أوروبا حتى الهند ومن جانب آخر التركيز على الخليج العربي والعراق من أجل التواصل عن الطريق البري إلى أوروبا وهذا التوجه كان واضح أنه يخدم المصلحة البريطانية من الناحية الاستعمارية وخصوصاً في أهم وأغنى مستعمراتها الهند.

كما أنه لا يمكن الحديث عن بريطانيا والعالم العربي دون الحديث عن أحداث الحرب العالمية الأولى التى دفعت لما عُرف بالثورة العربية الكبرى التى قادها البريطانيون مع العرب الذين وُعدو بأعطائهم الحرية والاستقلالية والوحدة وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك حديث عن هذة المرحلة دون الحديث عن دور ماكمهون ووعودة الكاذبة والتى تمثل قمة الميكافيلية السياسية ولا يمكن الحديث عن هذه المرحلة دون الحديث عن دور لورنس العرب الذي أشعل الخيال الأوروبي بحب المغامرة والقدرة على خداع الآخرين واستغلالهم كيف لا يشعل لورنس العرب والخيال الغربي وهو الذي أثبت لهم مراراً وتكراراً أن الانسان الغربي يتفوق على الانسان العربي لدرجة يمكن تجنيد الآخرين ضد نفسه بل وأن يعمل العربي على تقديم نفسه طائعاً مقيداً راضياً بالعبودية والاستعمار بل ويضرب لورنس العرب أفضل الأمثلة وأقواها على بساطة النظرة

العربية السياسية في ذلك الوقت عندما رضى بمجرد والوعود لا غيرها مقابل أن يقدم تضحيات وخدمات فى مقابلها لا يستطيع أن يثبت أن هذه الوعود قابلة للتحقيق أو حتى أن لدية القدة على التثبت من أن هذه الوعود يمكن أن تكون حقيقية.

والحقيقة أن لورنس العرب فعلاً ألهب الخيال الأوروبي والبريطاني على وجه الخصوص بقدرتهم على المناورة السياسية التى كانت واحدة من أنجح المناورات السياسية في تاريخ الامبراطورية البريطانية خارج أوروبا.

إلا أن الملفت للنظر أن السياسة البريطانية في العالم العربي يبدو أنها لم تتجاوز الخيال اللورنسي أي أنها مازالت تيعد تفريخ مفهوم ومنهج لورنس العرب بشكل جديد ولغة جديدة. وإذا كان هذا وفاء من البريطانيون لهذا العالم السياسي من تاريخهم العريق وكذلك يعكس ذهنية المحافظة إلا أن ذلك يمكن أن يفسر على أنه نوع من البيات الشتوي السياسي وذهاب روح الأبداع والتجديد في المنهج والمضمون.

قاد إلى مثل هذا التحليل والتقليد هو الموقف البريطاني الأخير وخصوصاً المناورة والمسرحية الهزلية التى لم يقوم بها بطل تاجر البندقية في مسرحية شكسبير الشهيرة والتى يمنع عرضها في دول الحرية كلها وخصوصاً قلعة الحرية الولايات المتحدة الأمريكية بل أنها موضوعة على القائمة السوداء وذلك بتصوير بطل المسرحية على أنه يهودي يتاجر بالموت مقابل المال ولأنانية الفردية المفرطة. أقول أن المناوورة التى قام بها وزير الخارجية البريطاني روبن كوك الذي ذهب إلى فلسطين وأراد أن يسجل بعض النقاط الإعلامية لصالح بريطانيا فى العالم العربي خصوصاً بعد الموقف السياسي الغير مفسر في موقف بريطانيا من العراق ومحاولة ضرب العراق بأي شكل وبأي طريقة. وإذا كانت المناورة البريطانية تبدو مبسطة وليست شديدة الذكاء بل هي اقرب الى مناورة السياسة القديمة فأن الملفت للنظر أن جزء كبير من العرب ولا أقول كلهم قد سرة عليه هذه المسرحية مؤكدين أنهم أيضا لم يتجاوز بذهنيتهم السياسية وأنهم مازالو أقل امكانية سياسية وأن عقدة لورنس العرب مازالت تسرى بدمائهم إلى حد كبير.

إذا كان مطلوب من البريطانيون أن يستيقظو من أحلامهم اللورنسية هذة والنظر إلى العالم العربي بعين الفرد المعاصر وأن تعى بريطانيا قدرتها وأمكانياتها والعمل والتصرف على قدر هذة الأمكانيات وأن بريطانيا اليوم لم تعد بريطانيا الماضي وأن علينا التركيز على البعد الاقتصادي بعيداً عن المزايدات على الجوانب السياسية الأخرى التى لا تعود على بريطانيا أو العالم العربي بأي فائدة تذكر. وإذا كان هذا ما يقال للبريطانيون فأن العرب عليهم تفهم الوضع الدولي الحالي وأن بريطانيا لم يبقى منها سوى التاريخ والاسم ولم تعد تلك الدولة التى تلعب المحرك الحقيقي للسياسة الدولية وأن مواقفها الاخيرة لا تعد سوى مناورة سياسية الهدف منها كسب الوقت أكثر من كونة حقيقة فعلية نابعة من استراتيجية بريطانية حتى وأن سلمنا أنه نابع

من استراتيجية بريطانية فأن واقع الحال لن يجعل من بريطانيا دولة ذات فاعلية حقيقية حتى وأن رغبت بذلك وذلك أن بريطانيا لا تستطيع التأثير على الوضع القائم خصوصاً وأن امكانياتها محدودة وهي دولة مرتبطة بالولايات المتحدة الأمريكية وأن أرتباطها الأوروبي لم يدخل المرحلة الجديدة الحقيقية في ذهنية الساسة والناخب البريطاني.

من كل ذكل تبقي بريطانيا دولة محدودة التأثير خصوصاً في مسئلة الشرق الأوسط وعلى العالم العربي أن يفهم ذلك وعدم الاندفاع وتصديق، وإلا كنا نحن العرب أول من يعمل بنصيحة وزير الدعاية النازي الذى كان شعار دعايته الاعلامية هو : (أكذب أكذب حتى تصدق نفسك) وبالتالي فأن العالم العربي عليه استغلال الطرف الاعلامي اكثر منه تصديق للامكانيات البريطانية التى توهم الاخرين أن لديها الامكانيات والقدرة على فعل شيء في القضية الفلسطينية. علينا نحن العرب فهم ذلك وعلينا أفهام البريطانيون بذلك بشكل واضح حتي لا يعيدون المسرح اللورنسي من جديد خصوصاً وأن المسرح نفسه لم يعد موجود إلا في الخيال السياسي البريطاني فقط.

تايوان الهدف الصيني القادم

وضعت عودة مقاطعة هونغ كونغ الى الصين ، الدوله الأم، أهداف السياسة الخارجية الصينيه على مستوى جديد من ترتيب الأولويات من حيث أن عودة المقاطعة من الأستعمار البريطاني وتحت مفهوم دوله واحدة بنظامين سوف يفتح أفقاً جديدة للتعامل مع الأهداف الصينية القادمة وخصوصاً المقاطعات التي لم يتم التفاهم عليها مثل تايوان. تختلف تايوان عن هونغ كونغ وماكاو من حيث مساحتها أكثر وعدد سكانها أكبر بكثير من الأخيرتين كمأن تايوان تحضى باعتراف دولي أوسع على أنها تمثل دولة مستقلة كمأن لها تشابكات أقتصادية ومصالح مشتركة مع العديد من الدول في أنحاء العالم وأخيراً أن الحليف لتايوان هي الدولةالأقوى وهي الولايات المتحدة الأمريكيه. كل هذه العوامل جعلت من قضية تايوان أكثر تعقيداً وأقل يقيناً بالنسبة للسياسة الخارجية الصينية. إلا أنه من الواضح من خلال السلوك السياسي الصيني أن القضية التايوانية قضية جوهرية وتحتل سلم أولويات الأهداف الصينية من حيث سلوك الصين عند زيار ة الرئيس التايواني الخاصة الى الولايات المتحدة الأمريكية والخطاب القوي الذي القاه في جامعة كورنيل بولاية نيويورك والذي دعا فيه بشكل مبطن وصل الى حد الصراحه الى طلب دعم الولايات المتحدة الأمريكية للمسألة التايوانية كما دعا بشكل أكثر وضوحا الى تحالف تايواني أمريكي ضد النوايا الصينيه. هذه الزيارة التي أغضبت الصين وتحولت على أثر هذا الغضب من زيارة رسمية الى زيارة خاصة. كمأن هذه الزيارة أثرت بشكل سلبي مؤقت على العلاقات بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية من هذه الواقعة كأن الأختبار الأمريكي لمدى جدية واللتزام السياسة الصينية للمضي قدماً في أعادة المقاطعات خارج الدوله الأم ومن هذه الزيارة التي وضعت سياسة خارجية جديدة لتايوان التي أخذت تحاول أن تثبت أستقلالها الوطني بكل الطرق والوسائل الممكنة. سواء عن طريق عقدالصفقات التجارية المتعدده من أجل تعقيد علاقتها وتشابكاتها الدوليةوذلك عن طريق عقد صفقات شراء السلاح وخصوصاً من الحليف الأقوى أمريكا، وبذلك تكون تايوان أحد أهم الموارد الهامة للخزينة الأمريكية عن طريق مشتريات الأسلحة وبذلك يكون هناك خلق وتكوين لجماعات ضغط داخل الأدراة الأمريكية وخاصة من قبل القوات المسلحة وشركات تصنيع السلاح لاعطاء تعهدا أمريكي للدفاع عن أستقلال وسلامة تايوان في المستقبل وهو ما توحي اليه تايوان من جملة ما توحي اليه من جراء مشترياتها من السلاح المتطور ورغم أن هذه السياسة تنطوي على دهاء سياسي من جانب إلا أنها تنطوي في ذات الوقت على مخاطر كبيرة من حيث ربط الصراع التايواني

الصيني ونقله من حالتـه السياسية الى حالةعسكرية وهذا مـا شاهدناه من المناورات العسكرية الصينية الواسعة والتي صاحبها ظجة أعـلامية وتغطية أعلامية صينية هذه المناورات التي جرت على مقربة من الشـواطئ التايوانية خلال مرحلة التـصويت في الأنتخابات الرئاسيـة التايوانية الأخيـرة والتي جلبت أكثر السيـاسيين حماسـاً لأستقلال تـايوان وأنفصـالها نهـائيا عن الصين الدوله الأم .

أنه من الواضح للمراقب السياسي أن الصراع على تايوان هو في حقيقته صراع بين الولايات المتـحدة الأمـريكية والصين ولكن الـسؤال هو كـيف سوف تتم أدارة هذا الصـراع؟ ثم مامـدى اللتزام كل من الولايات المتحدة و الـصين باهدافهم الاستراتيجية المعلنه اليـوم؟ ثم مامدى جدية كلا الطرفين وقبول المخاطرة لتـحقيق الأهداف في استراتيجيتـهما؟ أن مثل هذه الأسئله لايمكن الأجابة عليها بشكل سريع وفي مـقال مثل هذا الى أنه لا يمنع المحاولة في تلمس بعض الوسائل والطرق التي من المحتـمل أن تنسجهـا كلا الدولتين من أجل تحيقـق الاهداف المعلن عنها هي من المحتمل أنها تشغل فكر السياسيين والاسترتيجيين في كلا الدولتين.

بالنسبـه للولايات المتحدة الأمريكيـة فلا يستطيع المراقب أن يقطع أن سـياستها الـقادمة هي سيـاسة تحـالف استراتيـجي مع تايوان وأن السيـاسة الخارجـية الأمـريكية والاسـترتيجـية الأمريكية في هذا الجـزء من العالم سوف تضع من تايوان قضيـة جوهرية لايمكن التنازل عنها كمأنه لاتوجد دلائل معلنة أو ملاحظة من أن أمريـكا ماضية قدماً من أجل الدفاع عن تايوان بكل الوسائل والامكانيات وهذا أما أنه يرجع إلى أن أمـريكا ترمي الى الدفاع عن تايوان بكل الوسائل ولاكنها لا تسعى الى اسـتفزاز الصين الدوله الأهم من الناحيـة الأقتصادية والسيـاسية أو أحل وسط يضمن أستـقلال تايوان الكلي أو الجزئي مع أبقاء العلاقـات التجارية المزدهرة مع الصين وتنميتها بشكل متسارع أو أن الهدف الأمـريكي هوتكتيكي بحيث يتم أستقلال تايوان للحصول على مزيد من صفـقات السلاح مع تايوان وتوتر المنطقة ودفع الدول في هذه المنطقـة الى سباق للتـسلح بداءت بوادره في أغلب الدول الاسـيـوية وبالتـالي دفع تايوان والصين الى مـزيد من التسلح والتـسلح المضاد كل هذه العوامل تجـعل من الولايات المتحدة الأمـريكية أكثـرقدرة على التأثيـر على المستقـبل السياسي للمنطقـة عبر القوة العـسكرية أكثر من العـملية الدبلوماسـية والسياسية. وقد يكون كل هذه الوسائل التي تنتهـجها الولايات المتحدة الأمريكية هي في النهاية اكبر بكثـير من تايوان وأنما هدفها الصين ذاتها سـواء بإختراق الجدار الصيني الاقـتصادي أو السعي الي تغـيير طبـيعة النظام السـياسي الصيني وبالتـالي محاولة اضـعاف الصين بالطرق المختلفة خصوصاً وأنها الدولة المرشحه للمنافسة الحـقيقه للسياسة الإمريكية في المستقبل في جنوب شرق آسيا.

ومن الناحية الصينية على الطرف الآخر فإن القارئ والمتابع يشاهد اللتزام صيني كبير بعودة

تايوان الى الدولة الأم وهذا ما نشاهده في التصريحات الرسمية والسلوك العام للدوله في الصين من حيث أن عودة تايوان تأتي في رأس قائمة أولويات السياسة الصينية وهذا ما شاهدناه خلال مواقفها الدولية ومن خلال مناورتها العسكرية على مقربة من شواطئ تايوان، إلا أن الصين من المتوقع أن تنهج المنهج السياسي الاقتصادي في عودة تايوان اكثر من نهجها البعد العسكري وذلك من خلال أن الصين سوف تقوم بسياسة المفاضلة أو التخيير بين الصين وتايوان بحيث تضع الصين الدول الأخرى واحدة تلو الأخرى على الأختيار بين الصين أو تايوان، بين الاستمرار في العلاقات مع الصين الهائلة أو مع تايوان الجزيرة الصغيرة وسوف تكتشف الكثير من الدول أن مصلحتها مع الصين الدولة الأم، الدولة و الهائلة الأمكانيات سواء البشرية أو الاقتصادية الدوله المتوقع صعودها كدولة عظمى في المستقبل الدوله ذات القدرة العسكرية الكبيرةالدولة التي تحتل العضوية الدائمة في مجلس الأمن وبالتالي سوف تختار الكثير من الدول وبناءاً على مصالحها تختار الجانب الصيني على تايوان . وسوف تنتهج الصين في مفاضلتها للدول منهج تدريجي أي أخذ الدول واحده تلوى الأخرى وليس دفعة واحدة وكذلك سوف تأخذها بالتدريج حسب قوتها وعلاقتها مع تايوان وحسب مكانتها الدولية. هذه السياسة هي التي دفعت تايوان ممثلة بوزير خارجيتها الى الذهاب الى أمريكا الجنوبية من أجل توثيق علاقتها الدولية مع دول هي وبعيدة عن التأثير المباشر الصيني وكذلك هذه خطوة تايوانية لتوثيق علاقتها الدولية وإيجاد مبرر دولي للدعم السياسي والعسكري الأمريكي في المستقبل. والصين في ذات الوقت يمكن أن تفتح أسلوب آخر ومشابه لاسلوبها لعودة هونغ كونغ وذلك بالتوصل الى صيغة سياسية واقتصادية لعودة تايوان تعطي بمواجبها شبه استقلال من الناحية السياسية والاقتصادية يسمح لتايوان بستقلالها الداخلي وانظمتها الاقتصادية والقانونية والسياسية و في ذات الوقت يمكن ان يخرج الصين والولايات المتحدة الأمريكية من مرحلة التأزم السياسي. وعلى كل حال كل هذا مرهون بالضروف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي تحكم العلاقات الصينية الأمريكية أكثر من كونها أنتاج للقضية التايوانية أي أن تايوان سوف تكون نتيجة أكثر مما هي سبب في تأقلم أو صراعية العلاقات بين الدولتين الهائلتين ، الولايات المتحدة والصين.

أذاً عودة هونغ كونغ الى الصين وضعت تايوان على سطح أولولايات السياسة الخارجية الصينيه وبالتالي فسوف تشهد هذه القضية بشكل أكثر جدية خلال مرحلة العقد القادم ومن الواضح أن الصين تنتهج سياسة طول النفس خصوصاً وأن تايوان تأتي في خظم أهداف صينية كبيرة ليس أقلها التطور الاقتصادي الهائل وأعادة بناء الصين لتكون دولة عظمى في المستقبل تلعب دوراً مهما في السياسة الدولية.

تحضير المسرح الدولي ... الفصل الاقتصادي

بدون عناء يمكن ملاحظة الاهتمام الدولي والاقليمي بالبعد الاقتصادي اليوم وبدون عناء يمكن ملاحظة الاهتمام بالبعد الايديولوجي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وبدون عناء يمكن مراقبة الاهتمامات القومية الواضحة للمرحلة ماقبل الحرب العالمية الأولى ومع كل هذه الاهتمامات السابقة فإنه لا يمكن الجزم والقطع بعدم وجود أيديولوجيا في مرحلة التوجه القومي أو عدم وجود اقتصاد في مرحلة الحرب الايديولوجية أو عدم جود وطنية وقومية في مرحلة الصراع الايديولوجي السابق ومع ذلك فإن هذه العوامل تعيش وتتصارع وتتفاعل مع بضعها البعض بشكل يدفع الى هذه الديناميكية والحركية التى نطلق عليها تفاعل النظام الدولي.

وإذا كان السابق عصر الدولة الوطنية وعصر الايديولوجية وهما عنصران وعاملان كان لهما الأثر الكبير في تحديد مسيرة الوطنية أو على مستوى الكتل الايديولوجية أو الكتل السياسية فإنه يمكن القول إن التوجه الاقتصادي اليوم لا يخلو من توجه حضاري يمزج بين البعد الايديولوجي والتطور الانساني الذي يعيشه الانسان اليوم.

وعندما نتحدث عن هذا المزج فإن المراقب للنظام الدولي يقر ويعترف بأن البعد الاقتصادي والذي يعد المحرك الحقيقي والمحرك الفاعل للنظام الدولي اليوم بل والصراع الدولي اليوم يحمل في مضامينه صراعاً يمكن أن يطلق عليه صراعاً حضارياً وهو مفهوم أوسع من مفهوم الصراع الايديولوجي بمفهومه السياسي الحركي المعروف. بمعنى آخر إن التطور الاقتصادي هذه سوف يكون له مضامين وعواقب سياسية وحضارية بشكل اكبر بكثير عندما كان التوجه الاقتصادي محروس ومحمي بالآلة الايديولوجية التي شكلت الحاجز النفسي والفكري ضد الانفتاح الحضاري أي أن العالم السابق كان ينظر للاقتصاد بمفاهيم ايديولوجية ذات افكار سياسية تريد أن تبرمج العقل لظاهرة قبول ورفض الآخر وبالتالي أصبحت الايديولوجيا حارسة للاقتصاد وحارسة للقيم الحضارية بمفومها الضيق والعنصري أحياناً.

وإذا كانت العربه هي التى تقود الحصان في المفهوم القائم على الربط بين التوجه الايديولوجي والاقتصادي مع حماية السياسي والعسكري لهذا الايديولوجي وهذا الاقتصادي فإن العالم اليوم بعد الحرب الايديولوجية البادرة يريد أن يقلب المعادلة بحيث

يصبح الحصان هو الذي يقود العربه بحيث يصبح الاقتصاد هو المحرك للبعد الحضاري بدل من البعد الايديولوجي الضيق أي جعل الاقتصاد يتجاوز مفهوم التزواج الفكري والسياسي أي الايديولوجية إلى اكثر عمقاً نحو البعد الحضاري ذاته ومن هذا المنطلق كان توقع ان هذا التوسع والنشاط الاقتصادي الدولي المحموم والغير متقطع أصبح يطلق عليه عامل من عوامل ودافع من دوافع وسبب من أسباب نشوء مفوم صراع الحضارات أي أن هذه المصالح الاقتصادية تجاوزت المفهوم الاقتصادي الى مفهوم حضاري.

وبالفعل فإن المعادلة السابقة تقودنا الى نتيجة مفادها أن البعد الاقتصادي اليوم لا يعني فقط مفهوم التجارة الدولية وحركة المال وحركة الصادرات والواردات بل يذهب الى قلب المسألة الحضارية ليعلن عن سياحة المفاهيم الحضارية بشكل لم يسبق له مثيل ومثلما كانت الايديولوجيا متسلحة بالبعد العسكري والانغلاق الفكري فإن النظام الاقتصادي الدولي متسلحة بمفهوم الاتصالات الهائلة والعوله التكنولوجية الهائلة والتى تعني تزامن الخيار الاقتصادي مع حزمه هائلة من المفاهيم الحضارية ولم يعد بمقدور الدول الأخرى الصغيرة والخاملة حضارياً أن تنغلق على مفاهيمها الحضارية كما كانت مع المفاهيم الايديولوجية السابقة ولم تعد تستطيع هذه الدول الخاملة حضارياً أن يمكن لها أن تختار الخيار الاقتصادي دون البعد الفكري والحضاري بل أصبح الفصل بين هذين العاملين من الصعوبة الشديدة في أحسن الأحوال ومن المتوقع أن هذه الصعوبة سوف تزداد يوماً بعد آخر.

عندما كانت الدولة الوطنية هي المحركة للاقتصاد الدولي كان الربط بين المصالح الوطنية والاقتصاد قوي والربط بين القوى الحلية في آية دولة والمفاهيم الايديولوجية والاقتصادية قوي، كأن نقول الثقافة والقوة الايديولوجية للقوى الانجلوسكسونية في الولايات المتحدة الامريكية أو أن نقول قوة الوطنية الروسية كعصب القوة السوفيتية السابقة أو أن نقول أن الحضارة الكنفشوسية الصينية سوف تكون عصب الحضارة القادمة في الصين ولكن مع هذه الحركة الرابطة بين الابعاد الاقتصادية و البعد الحضاري بمفهومه الشامل والعميق فإن الحديث عن البعد الحضاري المنتصر هو البعد الحضاري الذي يتولى إنتاج وتطوير المنتج الاقتصادي بمفاهيمه العلمية والتكنولوجية وأن الدول الخاملة عن هذا المضمار سوف تكون في وضع حضاري صعب وسوف تضطر الى تقمص مفاهيم حضارية ترتبط وتنتمي الى حضارة المنتصر على المستوى الاقتصادي.

ما يحدث اليوم من إعادة ترتيب النظام الدولي ومن وضع المسرح الدولي لتنفيذ المسرحية الدولية بفصلها الاقتصادي تشبه الى حد بعيد مفهومنا عن الجنين فيَ رحم أمه فإن العديد من الناس لا يعرفون شكل وتقاطيع هذا الجنين إلا أنه في الغالب ومهما أختلفت الآراء

فسوف يحمل الجينات الوراثيـه لوالديه الأصليين وهذا ما يمكن أن يحدث للنظام الدولي في بعده الحضاري والاقتصادي فأن الباحثين يتحدثون عن شكل وتفاعل هذا النظام الدولي إلا أنه في الغالب فسوف يكون شـديد الشبه بالأمة الغالبه الأمة المنتـصرة أي أنه سوف يحمل النظام الدولي الجديد سمات وخصائص وجينات العالم المنتصر حضارياً.

تحضير المسرح الدولي ... الفصل الآسيوي

إذا كان لابد من استخدام كلمة من خلالها يمكن أختصار العقود الخمسة الماضية ونهاية هذا القرن، فإنه يمكن استخدام كلمة العداء للأمريكيين وهذا يعني العداء للسياسة الأمريكية في العقود الماضية، السياسة الامريكية التي كانت تدور داخل محور الحرب الباردة والصراع الايدلوجي وما تابع ذلك من أنقلابات ودعم أنظمة هي أقرب للنظم الدكتاتورية على الرغم من التصريحات التى لا تتوقف عن دعم الديمقراطية ولكن كانت الواقعية السياسية هي المحرك الحقيقي لهذه السياسة وليس الاماني والرغبات النظرية.

وبالفعل فإن العقود الخمسة الماضية كانت عقود التفكير الايدلوجي السياسي وتركيز مراكز النفوذ على المسرح الدولي داخل هذا الاطار الصراعي الايدلوجي. وكان من نتائج هذه الصراع أن تقوم العديد من الدول والتى تعبت من الضغوط الأمريكية المباشرة والغير مباشرة والتى كانت لا تعير الاهتمام للقضايا والخلافات المحلية أو الاقليمية للعديد من دول العالم وذلك أن هذه الخلافات المحلية والأقليمية هي ليست من الأهمية القصوى مقارنة بالصراع مع الاتحاد السوفيتي والحرب الباردة ولذلك ما أن أخذ الاتحاد السوفيتي بالانهيار حتى أندفعت شعوب وحكومات العالم الى التخلص من هذا الحضور الامريكي في مناطق كثيرة من العالم وكانت آسيا واحدة من هذه المناطق حيث شهد العالم خلال منتصف الثمانينات والتسعينات المحاولات المستميته والمتعددة التى قادتها العديد من الدول منها استراليا، الفلبين، نيوزيلاندا، سنغافوره، كوريا الجنوبية (عن طريق المظاهرات الطلابية) وذلك من أجل التخلص من الوجود والتواجد الامريكي سواء تحت مبرر تواجد قوات نووية من خلال الاحتجاج النوزيلاندي والاسترالي أو من خلال مطالبة الوحدة في كوريا الجنوبية أو من خلال الكرامة الوطنية في الفلبين وتايلاند أو من خلال المصالح الاقتصادية لسنغافوره. وتزامنت هذه المطالبات والاحتجاجات بالرحيل الامريكي مع العديد من الدراسات التى كنت تسيطر على الذهنية الاكاديمية في امريكا عن التوسع العسكري وأثرة على انهيار القوة الامريكية وهي الحملة التى قادها استاذ التاريخ الشهير بول كيندي وكل ذلك تزامن مع عجز الميزانية الامريكية ومديونية وصلت الى أرقام فلكية في ذلك الوقت.

ولهذه العوامل الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية أخذت القواعد الامريكية تغلق واحدة تلو الأخرى أو يقلل من حجمها ونشاطها بشكل ملحوظ وعندما دخلت روسيا في

دوامة العنف والضياع السياسي والاقتصادي شعرت الدول في آسيا أن الدور الامريكي أصبح أقل أهمية عن ذي قبل.

إلا أن هذا النظام الدولي أخذ يعمل بديناميكية جديدة وأصبح الوضع الآسيوي يتبلور من جديد وبشكل بطيء وهادي وعلى أعقاب النهوض الاقتصادي الصيني وتجدد أحلامها السياسية بلعب دوراً مهماً وقوياً ليس في اسيا بل وحول العالم وهذا يتطلب تحقيق بعض الطموحات بضم هونغ كونغ ومكاو وتايوان ومزيد من النفوذ في الدول الآسيوية المجاورة ورأى في العديد من القضايا الدولية وهذا يعني الوقوف والاعتراض على السياسية الامريكية في مناطق عديدة من العالم.

وإذا كانت الولايات المتحدة الامريكية معنية بمثل هذه التوجهات وهذه الطريقة من التفكير فإن الدول الآسيوية كانت اكثر من شعر بانفاس التنين الصيني يقترب من أعناق الدول الآسيوية بل الاستغلال الاكثر قوة وبشاعة لهذه الدول الآسيوية من قبل الصين فدفعت العديد من الدول الى طلب العودة للقوات الامريكية في آسيا وتواجدها كعامل أستقرار وعامل توازن قوى في آسيا خصوصاً في عودة القواعد الامريكية في الفلبين وتوسيعها في سنتغافورة وزيادة أهميتها في كوريا الجنوبية وأقرار استراليا بأهمية مثل هذا التواجد ولذلك نشاهد اليوم أن العديد من الدول الآسيوية أصبحت ترحب بمثل هذا التواجد العسكري الامريكي سواء بشكل شعبي واضح كما هو في تايلند أو بشكل ترحيب حكومي كما هو الحال في أغلب الدول الآسيوية الأخرى.

إن أندفاع الصين وتطورها وترجمة هذا التطور إلى مواقف سياسية في المنطاق المحيطة بها ومطالباتها الاقتصادية والسياسية ومواقفها من تدخل الغرب والولايات المتحدة الامريكية في قضايا الأقليات أبتداء من البوسنة والهرسك الى تيمور الشرقية مروراً بكسوفو ورد الفعل الصيني العنيف تجاه هذه التدخلات ومطالبات الصين وخلافها مع اليابان والفلبين حول بعض الجزر ومواقفها السياسية الأخرى المتشددة جعلت جرس الانذار يرن لدى الدول الآسيوية والولايات المتحدة الامريكية من إعادة مفهوم التواجد العسكري المكثف للقوات الامريكية في آسيا وإعادة نباء أنظمة تسليحية هجومية ودفاعية ووضع نوع من الطوق العسكري حول الصين وهذا يعيدنا الى التواجد الامريكي في آسيا ولكن هذه المره برغبة آسيوية سواء حكومية أو شعبية.

يتضح من المواقف والتصريحات والنقاط المطروحة في دوائر الفكر الاستراتيجي أن التوجه الاقتصادي الدولي عبر منظمة التجارة العالمية لن يكون نظاماً كافياً لخلق نظام دولي بدون مشاكل حقيقية بل أن التحول لهذا النظام قد يخلق معه أزماته الذاتيه مع عدم قدرة الأمم المتحدة في حفظ النظام الدولي أو احتمالية لعب دوراً هاماً خصوصاً وأن الخلافات

الدولية تنتقل الى خلافات داخل الأمم المتحدة ومجلس الأمن مما يعني مزيد من الشلل السياسي للمنظمة الدولية. ولذلك فإن بناء نظام دولي يقوم على المعاهدات الثنائية عبر التواجد العسكري الامريكي ويشكل هذا التواجد وهذه المعاهدات الثنائية منظومة متكاملة تستطيع أن تحفظ النظام الدولي وتسعى الي تحقيق نجاح منظمة التجارة العالمية بشكل يخدم مصالح القوى المنتصرة على المستوى السياسي والاقتصادي وبشكل يوجد اليه تسمح للدول القوية العمل على حفظ نظام دولي يعرز انتصاراتها السياسية والاقتصادية.

وإذا كان مصالح الدول القوية واضحة مثل الولايات المتحدة الامريكية فما هي مصالح الدول الآسيوية الصغيرة والجواب هو التقاء مصالح هذه الدول مع مصالح دول مهمة مثل أمريكا بريطانيا واليابان من أجل الوقوف في وجه أبتلاع الصين للعديد من جاراتها وهو قد لا يكون أبتلاع مباشر ولكن ابتلاع غير مباشر وغير منظور.

تصفية الحسابات الداخلية وأزمة كسوفو

إن الدارس والمراقب للسياسة الأمريكية عليه أن يلتفت أول ما يلتفت إليه في السياسة الخارجية الامريكية هو البعد الداخلي ولماذا البعد الداخلي في الحالة الأمريكية ليس فقط لكون النظام السياسي تعددي ومنفتح بل كذلك لكون مستوى التحديث فيه وصل الى مرحلة عالية بحيث أصبح الفصل بين البعد الداخلي والخارجي صعب حتى لايكاد يمكن التمييز بينهما أو أيهما أشد تأثيراً على خيارات السياسة الخارجية وبالتالي أصبحت الاستراتيجية توضع من قبل الخبراء ومراكز الدراسات والبحث وتربط بالقوى والامكانيات المحلية من أجل دفعها الى النجاح والتطبيق.

وإذا كان ذلك كذلك وهو منطق المنطق وطبيعة الأشياء أذاً لماذا هذا الجدل الساخن الدائر داخل الولايات المتحدة الأمريكية اليوم حول المسألة والأزمة الكسوفية والغريب فى الأمر أنه من المرات القليلة في السياسة الدولية والسياسة الأمريكية التى يكون رجال الكونغرس والشعب الأمريكي أي الرأي العام الأكثر تقدماً وأنطلاقاً في حسم الخيارات السياسية والتوجه إلى حسم الوضع في كسوفو من مواقف الرئيس الامريكي وأدارته.

إن رجل الشارع الأمريكي أصيب بالصدمة الهائلة النفسية والحضارية عندما نقلت إليه شاشات التلفزيون وصور الكمرات الفظائع الانسانية التى يرتكبها الصرب ضد مسلمي كسوفو حتى أن هذا الشعب لم يستطع أن يصدق أن حكومته هي التى تمتنع عن الاندفاع في حسم الوضع الانساني المأساوي الذي يعشة الشعب الكسوفي نساء وأطفال وشيوخ ولكن هذه المعضلة يمكن تفسيرها بالجوانب المحتلة التالية : ـــ

إن الادارة الامريكية ترى أنها باستخدام القوة الجوية بمفردها سوف يحقق لها الأهداف وهو وجود موطيء قدم لها ولبريطانيا في منطقة البلقان وبالتالي التأثير على توجه القارة الأوروبية في المستقبل ولكن يجب عدم مناقشة النتيجة حيث نوقشت في مقال سابق ولكن الخلاف الأمريكي الداخلي هو حول كيفية تحقيق الهدف وليس الهدف ذاته حيث أن القوة الجوية سوف تكون كافية في رأي الرئيس الأمريكي وادارته بينما يرى رجال الكونغرس وخصوصاً الجمهوريين وجزء من الديمقراطيين أنه بدون أدخال قوات برية الى مسرح العمليات وحتى أن كانت هذه القوات لا تستخدم. فإن ذلك مهم أي أن أبعاد مشروع طرح قوة برية يرى المنتقدين للرئيس الأمريكي هو خطاء استراتيجي كبير وأعتقد أن هذا الانتقاد

يكتسب وجاهه يوماً بعد يوم بحيث أنه لا يمكن هناك عقل يفكر بطريقة أستراتيجية يبعد خيار القوات البرية حتى من طرحة للمناقشة بل إنه من أجل أنجاح مهمة القوات الجوية لابد من وجود القوات البرية من أجل شل جزء كبير من القوات الصربية لمقابلة القوات البرية الاطلسية، بل إن وجود القوات البرية على حدود كسوفو سوف يعطي القوات الصربية وقت أقل لممارسة التطهير العرقي والديني في كسوفو.

ومع اصرار الرئيس الأمريكي على عدم طرح خيار القوات البرية على طاولة الخيارات العسكرية مع الصرب فإن ذلك يدفعنا إلى أعطاء تفسيرين أو دافعين خلف هذا التوجه هما:ـــ

أولاً : هو محاولة أضعاف يوغسلافيا على مستوى البنية التحتية لدرجة سوف تكون غير قادرة على شن حرب في المستقبل والأهم من ذلك هو أنهاك يوغسلافيا بشكل تدريجي لدرجة أنه لا تستفز روسيا بحيث إذا ما قررت روسيا التوجه الى دعم يوغسلافيا فإن الواقع العسكري والوجستيكي يكون غير ملائم مما يضعف خيارات الساسة الروس في عملية دعم يوغسلافيا فتكون يوغسلافيا بعد فترة طويلة من القصف الجوي مثل المريض الذي يصاب بنقص في التغذية والمناعة وقدراته على المتابعة بحيث أن العلاج له يأخذ وقت أطول واكثر تعقداً.

وإن كان من وجاهه لهذا التوجه فإنه لا يخلو من نقاط ضعف حقيقية وهو أن هل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قادرة على جميع القوى المتحالفة لفترة طويلة من جانب أم أنها تراهن على القوى الأوروبية الشرقية مثل البانيا وهنغاريا ومسدونيا والبوسنة والهرسك اكثر من مراهنتها على اليونان وأيطاليا والمانيا وفرنسا وبالتالي توغل دول شرق أوروبا ودول البلقان اكثر في الوحل الأمريكي والتحالف مع أمريكا وبريطانيا كقطب جديد في دائرة الاستقطاب الأوروبية.

ومن هنا تكون إدارة الاستراتيجية الامريكية اكثر أحكام واكثر منطقية وإن كانت وسوف تكون على حساب الشعب الكسوفي الذي يتعرض للمعنى الحقيقي للأهانة وتدمير الذات.

ثانياً : العامل الثاني هذا يمكن أن يكون أكثر منطقية وهو أن الحرب السياسية داخل الولايات المتحدة الأمريكية هو العامل المحرك لهذة الأزمة بحيث يمكن تفسيرها على النحو التالي : ـــ

إن الرئيس بيل كلنتون يحاول أن يدخل ما يسمي (بحرب دون خسائر) أي حرب دون أن يتكبد أي خسارة وهذا سر أستخدامه للقوة الجوية وذلك خشيته هو أفراد طاقمة السياسي أن يدخل في مستنقع سياسي وعسكري يتم استغلاله من قبل الجمهوريين الذين لازالو يشعرون بالمرارة بعد خسارتهم القوية في الانتخابات التشريعية السابقة وكذلك في

محاولتهم أقصاء الرئيس عن البيت الأبيض التى أخذت صبغة تصفية الحسابات الداخلية اكثر من كونها بعداً قانونياً دستورياً وبالتالي فإن دخول حرب برية سوف تهدد بشكل جدى محاولة نقل السلطة الى الرجل الثاني في البيت الأبيض نائب الرئيس الأمريكي السيد آل غور الذي يتطلع الى خلافة السيد كلنتون في الانتخابات القادمة. بنيما يرى الجمهوريين أن مثل هذا التوجه أي استخدام القوة العسكرية الجوية دون طرح حتى ولو طرح القوة البرية يفتقد اساسيات العمل السياس والعسكري في أبجدياته البسيطة.

ومن هذا المنطلق فإن الشعب الكسوفي يعاني التصفية العرقية والدينية في الوقت التى تشتد فيه المعارك السياسية والانتقام المتبادل داخل السياسة الامريكية والتى مسرحها الاعلام الامريكي. وهنا فإن المراقب السياسي الذي يقودة المنطق السياسي وليس العواطف الجياشة فإنه يمكن أن يقول أنه من أجل معرفة التصرف السياسي الامريكي يجب مراقبة وقرأة العاملين التاليين حتى يمكن فهم مستقبل السياسة الامريكية تجاه كسوفو بشكل خاص والبلقان بشكل عام وأوروبا بشكل اكثر عمومية هما : ـــ

البعد الداخلي الامريكي وتصفية الحسابات الداخلية والثاني هو محاولة تحسس المصالح الاستراتيجية الامريكية في أوروبا القرن القادم ويجب عدم أعطاء البعد العاطفي الوزن الاكبر إلا في حساب التعبئة السياسية والفكرية من أجل الهدف الاستراتيجي.

جدلية القوة العسكرية والاقتصادية

عندما كتب بول كندي كتابه الشهير «قيام وسقوط القوى العظمى» اشغل هذا الكتاب وكاتبه الدوائر الفكرية باطروحته الرائعة الرابطة بين السياسة والاقتصادي وبالخصوص بين الحضارة السياسية والحضارة العسكرية رابطاً وجامعاً العناصر المكونة للحضارة السياسية بمفهومها الشامل حين أدخل البعد الاقتصادي والعلمي في مفهوم الحضارة السياسية وعلاقتها التكاملية والتناقضية مع مفهوم القوة والهيمنة العسكرية. وكان صلب ومفاد أطروحة الاستاذ الامريكي ذو الأصل البريطاني المحاضر في جامعة ييل المحافظة تتلخص بالتالي : يقول السيد بول كندي أن الدول العظمى والأمبراطوريات الكبري بداءً بالامبراطورية الرومانية ثم الاسلامية مروراً بالدولة العثمانية وأخيراً الامبراطورية البريطانية التى لم تكن تغيب عنها الشمس، كل هذه القوى العظمي التى شغلت وأحتلت مساحات شاسعة من العالم ولفترات طويلة كلها يقول السيد كندي أنها عانت من ذات المرض والعضال الذي دفعها إلى الأنهيار وهو أن هذه القوى أندفعت بتطورها الأقتصادي إلى تحويل هذه القوة الاقتصادية إلى قوة عسكرية انتشرت في أنحاء المعمورة رابطة بين البعد الأقتصادي والايدلوجي من أجل دفع قواتها العسكرية للوصول إلى أبعد نقطة يمكن الوصول إليها . ولكون الرجل يتحدث عن الامبراطورية البريطانية بشكل أكثر تفصيلاً وهو في ذات الوقت يوجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأستشراف المستقبل، كان يقول أن بريطانيا أستطاعت الاندفاع لبناء أمبراطوريتها الشاسعة بفعل تطورها الاقتصادي ثم تحول إلي قوة عسكرية هائلة لم تلبث هذة القوه العسكرية التي كانت الوسيلة لمزيد من التطور الاقتصادي والعلمي أن أصبحت غاية بحد ذاتها فأصبحت القوة العسكرية لبريطانيا شغلها وهمها الأول والأخير هو الحفاظ على الامبراطورية وذلك عن طريق تأمين القوة العسكرية والتأكيد على أستثمار تفوقها على دول أوروبا أو دول خارج أوروبا. هذه الحالة دفعت الساسة البريطانيون لا شعورياً وبقوة قاهرة لا أرادية أن ترصد لميزان القوة العسكرية نصيب الأسد والحصة الكبرى من ميزانية الدولة وكان ذلك على حساب التنمية الأقتصادية والعلمية بمعنى آخر أن المخصصات للعسكرة والقوة العسكرية كانت تأخذ نصيب التنمية والتطوير الاقتصادي وكذلك تأخذ نصيب العلم وبناء الجامعات والاهتمام العلمي بالانسان ذاته. ولم تتوقف العسكرة هذه عن هذا الحد، بل دفعت بأفضل العقول والرجال إلى المجال العسكري دون سواه من أجل أثبات

قوة الدولة بشكل لا يحقق عائد حقيقي على الدولة سوى على المستوي النفسي وعلى المدي القصير.

ولهذة الأسباب فإن الدولة التي ليس لديها أمكانيات أقتصادية كافية لتحقيق القوة العسكرية وبالتالي مجابهة القوة البريطانية فإن هذه الدول تستثمر قوتها وامكانياتها بقوتها الاقتصادية والعلمية وبالتالي تكتشف هذه الدول أنها بدأت تأخذ نصيب الأسد بشكل تدريجي وغير محسوس من المنتجات الصناعية والاختراعات التكنلوجية مهيمنين بها على السوق العالمي لتكتشف الدول العسكرية أن قوتها عسكرية محضة ثم تكشف بعد ذلك أن ليس لديها الامكانيات الكافية لدعم قوتها العسكرية تتجة للتفريط الطويل الأمد بالمكانيات الاقتصادية والعلمية والبشرية لصالح القوة العسكرية التى رأت أن القوة العسكرية جزء من مكانتها وأهميتها النفسيه. وبالتالي اكتشفت بريطانيا نفسها بعد الحرب العالمية الثانية على المستوى الأوروبي عندما تعرضت للهجمات الالمانية المتلاحقه وبدون الدعم الأمريكي القوي والفعال لم تكن لتستطيع أن تقاوم القوة الالمانية. ولتكتشف ضعفها على المستوى الدولي بعد حرب السويس أن بريطانيا ليس فقط أنها ليست دولة عظمي بل أنها دولة من الدرجة الثانية أو الثالثة وعليها أن تقترب من الحليف القوى، الولايات المتحدة الأمريكية حتى تستطيع أن تدير سفينتها السياسية في حضم الاحداث الدولية بعدما انكشفت العورة البريطانية التى كشفت الضعف الاقتصادي الذي قاد للضعف العسكري الذي كان أحد مصادر فخر وهيمنة بريطانيا على الساحه الدولية.

بول كندى يقول أن انشغال بريطانيا في بناء قوتها العسكرية جاء نتيجة لفرض قوتها ودعم مواقفها الدولية لا تلبث أن تكون هذه الوسيلة للتوسع الدولي هدفاً بحد ذاته فتبقي القوة العسكرية هي السهم الحقيقي للدولة وتكون الدول الاخرى لا تستطيع مجابهة هذه التطور العسكري فإن دوله مثل المانيا وأمريكا أتجهت إلى بناء القوة الاقتصادية والعلمية حتى جاءت الحرب العالمية الثانية لتكشف العلاقة بين العسكري والاقتصادي.

يخلص بول كندى إلى هذه الافادة والاضافة الهامة في دراسة التاريخ السياسي أو الاقتصادي إلى أنه يسوق هذه الملاحظة إلى الولايات المتحدة الأمريكية محاولاً تنبيه الساسه الأمريكيين إلى الخطأ الاستراتيجي الذي وقعت فيه القوى العظمى السابقة وبريطانيا على وجة الخصوص ومحذراً الولايات المتحدة أن تقع بذات الخطى بشكل لا أرادي. يسوق كندى هذه الملاحظات بعد نهاية الحرب الباردة وذهاب المنافس الكبير للقوة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي من جانب ومن جانب آخر فإنه يلاحظ مرة أخرى عدم قدرة دول مثل المانيا واليابان والصين لمنافسة القوة العسكرية الأمريكية مما دفعهم إلى الأهتمام بالجانب الاقتصادي والعلمي الأمر الذي جعل اليابان والمانيا تدفع أعلي نسبة للبحث العلمي

والتطور الاقتصادي من دخلها القومي من الدول الأخرى. ويسوق كندي ملاحظاته بعد أن رأي الاكتشافات العلمية المتلاحقة والتطور الاقتصادي الذي تحققه كل من اليابان والمانيا والصين والقوى الآسيوية وفي نفس الوقت يري أن القوة العسكرية الأمريكية تجوب المحيطات وقواعدها العسكرية متواجدة في كل مكان هذه القوة العسكرية التى أخذت تلتهم الميزانية الفدرالية، بل وتدخلها في عجز كبير في خلال مرحلة الرئيس رونالد ريغن والسنوات اللاحقه له. هذا الوضع بين المصروفات العسكرية المتزايده والمتزامنة مع التطور الاقتصادي اليابانى والالماني والصيني والآسيوي بشكل عام دفع السيد كندى إلى تحذير الادارة الأمريكية من الوقوع فى نفس الاخطاء البريطانية وبالتالي كانت أهم توصياته تتلخص بأن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تخفض من مصروفاتها العسكرية بشكل كبير خصوصاً وأن المنافس الأيدلوجي قد ذهب وزال الى حد كبير وبالتالي علي الولايات المتحدة الأمريكية التقليل من مصروفاتها العسكرية وأغلاق قواعدها العسكرية والعودة إلى إعادة بناء الاقتصاد الامريكي وإعادة بناء الانسان الأمريكي أبتِداء من مراحل التعليم وكان هذا الشعار هو الذي وصل عليه السيد كلنتون إلى البيت الأبيض حيث رافقه أغلاق للكثير من القواعد العسكرية داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية.

والسؤال يطرح نفسه هل كل ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية من تحفيض من مصروفاتها العسكرية كافي أم أنه مازالت القوة العسكرية تأخذ أكبر مما تستحق من المدخرات وضرائب المواطن الأمريكي؟ ثم هل الوقت مناسباً لهذه الصحوة والردة أم أن الوقت متأخر وما هي إلا صحوة عجوز بقي فيه شيء من رمق الحياة؟ ثم ماهي الدروس المستفادة من التنافسات والآراء الرائعة التي تضمنتها أطروحات السيد كندى للعالم الثالث وخصوصاً الدول التى أنفقت أهم وجل مدخراتها على القوة العسكرية الغير منتجة ؟ ثم ماذا تعني أطروحاته لمنظري ومراقبي العلاقات الدولية في ديناميكية الصراع الدولي وخصوصاً عند الربط بين البعد الاقتصادي والتنمية البشرية والتحديث من جانب العالم الثالث في مستقبل أفضل ؟ ثم ماذا يعني كل ذلك لقادة وزعماء العالم الثالث ؟

حلقات النزف الروسي

إن من يمتهن السياسة عملاً وتفكيراً وأهتماماً يجب أن يكون بعيداً عن العاطفة وبعيداً عن الموقف الشخصي والعواطف الذاتية وأن يكون نظرته للمشهد بمفهومه العقلاني السياسي الذي قد لا يعجب الكثير بل قد يغضب العديد ومن هذا المنطلق سوف تكون نظرتنا لما يجري في الشيشان وهذا لا يعني تبريراً للوحشية التى تنتهجها روسيا ضد ابرياء عزل وهذا لا يعني ابداً أن الموقف الأنساني يبقى عصي وقوي إلا أن للمنطق السياسي منطقة ولمفهوم البعد السياسي أبعادة الخاصة به التى يمكن أن تتصل أوتنفصل عن الأبعاد الانسانية حسب أستغلال وتوظيف الأطراف المتصارعة على قضية معينة هنا أو هناك.

إن وسائل الإعلام تنقل لنا هذه الصور البشعة التى تخلفها الآلة العسكرية الروسية ضد مواطنيهم كما تدعي روسيا في منطقة الشيشان إلا أن المتابع يتعجب من الصمت الغربي الذي يكاد يكون على اتفاق سياسي ومصلحة سياسية من كل ما يجري في الشيشان وهنا نبعد عن مفهوم التأمر الغربي إلى مفهوم المصلحة السياسية الغربية من كل ما يجري في منطقة الشيشان.

إن المتابع لحالة الصراع منذ الحرب الباردة سوف يكتشف إن مسألة تركيع كل جناح للطرف الآخر كانت بدايتها منذ حصار برلين بعد الحرب العالمية الثانية وكانت مسألة الانتقام جاءت مع حرب فيتنام عندما استطاعت الآلة العسكرية الروسية مع الدماء الفيتنامية ضرب التواجد الامريكي في فيتنام وكان ذلك واحدة من اكثر الهزائم التى تلقتها الولايات المتحدة الامريكية في تاريخها ولم تشفي حالة القهر الامريكي حتى كان خطأ السيد برجينيف عندما قرر أدخال القوات الروسية إلى الأراضي الأفغانية والتى استطاعت الولايات المتحدة أثارة الدم الافغاني بل والاسلامي من أجل الانتقام من الروسي أي إن روسيا أستطاعت استخدام البعد الايديولوجي الماركسي من أجل طرد الامريكيين من فيتنام والامريكيين بدورهم أستغلو ووظفوا الدماء المسلمة من أجل الانتقام من الروس في أفغانستان وكان لهم ذلك فقد شفي الغل الامريكي وردت أمريكا الاهانة بالاهانة ولكن على حساب كل الشعب الأفغاني الذي يعاني الذل والفقر والعوز بل وتعداها إلى العالم العربي والاسلامي. ولم تكن هذه المحطة لأخيرة في مسألة تركيع روسيا من قبل الولايات المتحدة الامريكية بل تولت مسألة سباق التسلح الهائلة والتى قادها السيد رونالد ريغان ضد عجائز الكرملين في الاتحاد السوفيتي حتى جاء السيد غرباتشوف متأخراً لينقذ ما يمكن

أنقاذه إلا أنه كان قد تأخر بالعفل فكان أنهيار الاتحاد السوفيتي هو الثمن الحقيقي لمرحلة حكم الركود والتوجه العسكري فقط دون أخذ الابعاد الاقتصادية والانسانية في الحسبان تم تولت كوالب الضغط تحت المفاهيم الديمقراطية وحقوق الانسان والمساعدات الخارجية لروسيا من قبل الغرب وصندوق النقد الدولي ومسألة الحد من التسلح وتدمير الاسلحة النووية والتحول الى القطاع الاقتصادي الحر والنظام الإعلامي المنفتح كل ذلك كانت معاول مهمة أستطاعت بسرعتا أن تهدم ما يمكن هدمه في النظام الروسي خصوصاً وأنها طبقت في مرحلة سريعه وغير مدروسة كان ثمنها أفلاس سياسي وأقتصادي وأزمات دستورية وفساد سياسي قادة السيد يلسن بكل اقتدار.

لم يكن كل ذلك كافي في نظر الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً وأنها المرحلة التى عاشتها في مرحلة الحرب الباردة قد لقنتها درس هو حصر القوة في العالم الغربي فقط إن كان ولا بد من توزع هذه القوة أي أن دخول روسيا إلى مسرح العمليات السياسية الدولية كان خطأ كبير ويجب اخراجها من هذا المسرح واللعبة الدولية ولا يمكن اخراجها الا في محاولة تفكيك أسباب قوتها ويكون ذلك باغراق روسيا بالمشاكل المتتابعة مع أزمات سياسية وأقتصادية كل ذلك كفيل بأن تخرج روسيا عن التفكير الرشيد إلى التخطيط السياسي والاستراتيجي. مما يعني محاولة تفكيك آلتها العسكرية التى هي سبب بقائها وقوتها الحقيقية.

ومن هذا المنطلق يمكن وضع مسألة الشيشان والصمت الغربي حيث أن مسألة استغلال الغرب والولايات المتحدة الأمريكية للأقليات سواء العرقية أو الدينية في أضعاف الخصوم كان حاضراً وقوياً سواء في الصين أو أندونيسيا أو العديد من دول العالم وروسيا اليوم تمثل نموذج لذلك، ولذلك فإن مسألة أضعاف روسيا والزج بها في حرب الشيشان يدفع الى التفكير أن المستفيد من كل هذه الصراعات هو العالم الغربي والولايات المتحدة الأمريكية وكلما كانت الحرب أطول واكثر استنزاف تكون اكثر جدوى واكثر قدرة على تحقيق المصالح الغربية وكلما أتجهت روسيا إلى حسم الحرب بشكل قوي وعنيف فسوف نشاهد الاحتجاجات الغربية تزداد وذلك لكون الحسم ليس في صالح الغرب بل إن روسيا يجب أن تنزف ببطىء وعلى حساب الدم المسلم في الشيشان بمعنى أن الحالة الافغانية يمكن استرجاعها وتطبيقها مرة أخرى ولكن بدل من أن تكون على أطراف الاتحاد السوفيتي فسوف تكون هذه المرة على أطراف روسيا الدولة المركز في التفكير السياسي الروسي.

ومن هنا فسوف يبلع الشيشان وبشكل منطقي الطعم الغربي بناء على الحماس العرقي والايديولوجي والكره للروس بينما سوف تبلع روسيا الطعم الغربي تحت مبرر الوحدة الروسية والتوازنات السياسية الداخلية بل والصراعات السياسية الداخلية وفي نهاية

المطاف فسوف تكون روسيا والشيشان هما الضحيتان لهذه الحرب المسعورة والوحشية كل ذلك يتجدد بفعل اللاعقلانية الروسية أو إعادة الخطأ البرجينيفي في أجتياح أفغانستان مرة أخرى وهذه الفرصة التى اتاحتها روسيا للغرب في الشيشان لا يمكن تفويتها بل سوف تكون حلقة من حلقات اخراج روسيا من محور الدول المهمة إلى الدول الهامشية من على مسرح السياسة الدولية

حول التسامح الثقافي الأمريكي

عندما تبداء السنه الانتخابيه الأمريكيه فإن هذه الدوله الضاربه فى القوة بهياكلها الهائلة وديناميكيتها المتسارعه وقدراتها الظاهرة ومخزونها الهائل. تبداء بالانكفاء على ذاتها والنظر إلى سرتها بشكل أكثر أمعاناً وتأملاً وهي دولة قويه والدول القويه تكون أقل حياءاً وأكثر شجاعةً حيث أنها تنكفي على سرتها وتدعو الآخرين حول العالم للتأمل معها والمشاهده. وكنتيجة لقوتها وجبروتها فإنها لا تعتبر تطفل الأخرين تدخلاً في شئونها الداخليه بل تعتبر معلماً من معالم الاعجاب وهذا يقود إلى مفهوم تنوع القيم الاجتماعيه بين المجتمعات بل يقود إلى ما هو أعمق من ذلك هو تغير وتنوع مفهوم العقلانيه بين المجتمعات حيث ما يرى قمة العقل والعقلانيه في مكان ما يرى اللاعقلانية في مكان آخر وليس أوضح من تغير مهفوم العقلانيه بين المجتمعات حيث أن القناعه والعباده يشكل قمة العقلانيه وأصل الحكمة ومركزها في بعض بقاع الأرض نري أن النجاح والثروة وأجتياح الحياة بطولها وعرضها والاستمرار على البقاء أطول مدة ممكنه هي غاية الغايات وأسمى الأهداف في مناطق أخري وشعوب آخرين. فاذا كانت الشهادة في ساحة الوغى هي قمة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فإن جمع متاع الدنيا والتلذذ بها يبقى أسمى الأهداف لدي شعب آخر.

وأمريكا بدورها وفلسفتها التى اختصرت الكثير من المفاهيم والمضامين الفلسفيه للحضارة الغربية تحدد عقلانيتها بشكل اكثر حده واكثر وضوحاً وان معرفة مضامين الحضارة الغربية والأمريكية بشكل خاص يجعل المراقب والدارس والمتعامل مع هذه القوي اكثر حزماً ومعرفة في تطويع الرموز الحضاريه والبعد الفلسفي للعقلانيه لمصلحة المتعامل معهم اكثر واقعيه وهذا ما يفعلة الكثير من جماعات الضغط والمصالح داخل النظام الأمريكي، بكلمات أخرى أكثر دقه أن النظام الأمريكي لن يسمح بعمليه تطويعه والاستفاده منه فقط بل أن المضامين الفلسفيه ومفهوم العقلانيه التى يؤمن بها الفرد الأمريكي والتى جاءات نتيجة أختصاريه لمضامين حضاريه تلعب دوراً اكثر أهمية في عملية تسخير القوى المختلفه لصالح «أ» أو «ب»من القوي وهذا ما فهمته قوي الضغط مثل اللوبي الصهيوني أو حتى اللوبي الياباني واللوبي الصيني عندما أستطاعت هذه القوي دراسة مضامين العقلانيه الغربيه التى يتحرك ضمن نطاقها الفرد الامريكي وتسيير توجهاته وطموحة نحو الأمام أو الأعلى. وهذه القوي عكس بعض دول العالم الثالث التى تحاول أن تدخل معادلة السياسة

الأمريكية ضمن مضامينها الذاتيه وضمن نظامها ومفهومها للعقلانيه والمنطقيه وبالتالي تأتي محاولتها بنوع من الفشل المتوالي وذلك أنها تتعامل مع الفرد والساسة الأمريكيين بمضامين عقلانيه هي غريبه عليهم بل هي أحياناً مناقضة للمفاهيم والمضامين للعقلانية الغربية.

وتبرز الولايات المتحدة الأمريكيه بجبروتها وعظمتها عندما تنفرد بديناميكيتها وظروفها الحضاريه على جميع الدول الغربيه حيث نشاهد أنها أكثر تسامحاً من الدول الأخري مع الثقافات المختلفه وهذا التسامح النسبي يقود الكثير إلى الحكم على أنها تمثل قمة الديمقراطية وحقوق الانسان إلا أنه بالتفحص الدقيق سوف يكتشف أن هناك عاملان يحددان ويؤثران على مفهوم التسامح النسبي في الولايات المتحدة الأمريكية وهما : ـــ

أولاً : أن مرتكز الدولة الأمريكيه وتركيبه نظامها السياسي والفلسفي قام على الحديث والحديث هنا هو عكس الصمت بمعني آخر أن النظام السياسي الأمريكي قام على تشجيع التحدث والتعبير عن الرأي حيث يري منظرو الفلسفه الأمريكية أن التحدث هو مدعات للكشف وهو مدعات للرأي الجديد وهو مدعات للحوار الذي يقود إلى التقارب والفهم المتبادل. حيث كان الساسة الأمريكيين القدامى الذين لعبو دوراً مهماً في تبلور النظام الأمريكي الحديث يرون أن الحوار والحديث مع الآخر مهما كانت آرائه متطرفه يجب أن يخرج للسطح بعيداً عن أقبية السريه. هذه البعد فى العقلانيه، أي التشجيع على الحديث للتوحيد والانضمام والتجديد يناقض المفهوم الشرقي للحديث حيث يرى المجتمع الشرقي أن الحديث مدعات للبلبله والتفريق وشق العصى وأن الاجدى والاعقل هو ألتزام الصمت والبعد عن الحديث والتحدث بانواعه وبالتالي يأتي المثل العربي مناقضاً لمفوم العقلانيه حسب النظام الأمريكي والقائل إذا كان الكلام من فضه فإن الصمت من ذهب ليكون حسب النظرة الأمريكية إن الصمت من فضه لذلك فإن الكلام من ذهب .

ثانياً : ان مفهوم التسامح بانواعة لا يرجع للبعد النفسي لدى الفرد فإن الفرد الأمريكي والشعب الأمريكي يبدو عليه الطيبه والسذاجه إلا أنه من أكثر شعوب العالم عنفاً وتسلحاً، والتسلح هذا ليس على مستوي الدوله فهذا معروف ومسلم به إلا أنه من أكثر العالم تسلحاً على المستوي الفردي حيث أن تسلح الفرد يعني أمتلاكه للسلاح والتدرب عليه هو حق دستوري للفرد ولا يمكن للمؤسسات السياسية منعه منها. إلا أن مفهوم التسامح السياسي والثقافي الذي نتحدث عنه هنا هو هذه المرونه السياسية والثقافية التى تعيشها الولايات المتحدة الأمريكية حيث أنه باستطاعة المهاجر والمقيم هناك أن يتحدث ويؤمن بقيم في غاية الغرابة والطرافة ومع ذلك يجد أبواب الممارسة والنشاط مفتوحه أمامه بل أن ما يذهل شعوب العالم الثالث عندما يصل إلى هناك هو التنوع الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه

العالم الأمريكي بل أنه يجد من التسامح حول معتقداته السياسية والدينية مالا يجده في موطنه الأصلي وهذا مثلاً ما دفع بعض الجماعات الأسلامية إلى الاندفاع إلى تنظيم مفهوم الهجرة والدعوة الاسلاميه في الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت من أهم وأنشط التجمعات الاسلامية خارج العالم الاسلامي اذا أخذنا الثقل السياسي الذي تتمتع به الولايات المتحدة عالمياً. إلا أن مفهوم التسامح هذا لم يأتي من بعداً فلسفياً توارثته الحضارة الغربية بل كان العكس هو الصحيح حيث توارثت الحضارة الغربية حقداً وضيقاً بالآخر منذ يزوغ فجر الاسلام الذي دفعنا نحن معشر المسلمين للاحتكاك معهم مع رسالة الرسول الأعظم التي أخرجت العرب من اللاشيء إلى كل شيء.

واذا كانت الحضارة الأوروبية هي حضارة غير متسامحة فإن هذا التسامح جاء من مفهوم القوة أكثر من مفهوم أجتماعي فلسفي، بمعني أخر أن الدولة القويه والواثقه من قوتها (والقوه هنا تعني العسكريه والسياسية والاقتصادية الاجتماعيه الفلسفيه) لا تري تهديداً قريباً على قوتها وحضارتها وجبروتها فهي أي القوي الاجتماعيه المختلفة التي تعيش فيها وتختلف معها بالرأي لا تهدد بقائها وكيانها فلذلك فهي لا تشعر بالخطر وبالتالي لا تشعر بالتشنج. يمكن التدليل على ذلك بمقارنتها بالدولة الاسلاميه الاموية والعباسية حيث عرفت هاتين الدولتين التسامح الديني مع الآخر وحفظ حقوقهم ومكانتهم الاجتماعية والدينيه ويرجع ذلك الى قوة وثقة هاتين الدولتين بقوتهما وامكانياتهما وأبتعاد التهديد الخارجي لذلك جر الى الهدوء والتسامح مع الآخر. حتى أن هذه الدول الاسلامية التى عرفت بالتسامح مع الآخر تخلت عن بعضه في أوقات ضعفها وخصوصاً عند بداية بوادر الانقراض. ونقيض ذلك ما يؤكده أيضا أن الدولة العربيه الحديثه خصوصاً في بلاد الشام والعراق عندما أرادت أن تكون أكثر تسامحاً مع الآخر لم تنجح وذلك لضعف هذه الدول وتهديد الخارج لها من جهة وضعفها دفع هذه القوى الاجتماعيه المختلفه التى تعيش بها إلى محاولة السيطرة عليها بمعنى سيطرة الأقلية على الأكثريه وهذا ما حدث في بعض الدول فى بلاد الشام وبعضها حاولت ولم تنجح ومعادلة أو مساواة هذه الأقليات حيث أصبحت مبعثاً لضعف هذه الدول حينا ومصدراً لتدخل ودعم الخارج لها حيناً آخر. نتج عنه عداء وتوجس وخيفه وشك بين الأكثريه والأقلية. والمثل الآخر الذي يجعلنا نعطي بعد القوة والثقه أهمية الى مفهوم التسامح عند الآخر بقيمة الاجتماعيه والدينية هو ما نشاهدة في أوروبا وفرنسا على وجه الخصوص من العلاقه الوثيقة بين انخفاض أهمية وقوة فرنسا ومأزقها الثقافي والديني أي أن فرنسا الدولة القويه في السابق كانت اكثر تسامحاً مع الأقليات التى تعيش داخلها بينما نجد أنها تعيش حالة تشنج فكري واجتماعي مع القوى الاجتماعيه والدينية التى تعيش في فرنسا على الرغم من أن بعض هذه القوي المغايره

حاولت الدخـول في الثقافـة الفرنسيه بكـل قواها من جانب كمـا أنها قدمت أجل الخـدمات للدولة الفرنسيه في أيـام مجدها الغابر ضد دولها الأصليه وخـصوصاً الجزائر ومع ذلك لم تغفر لهم هذه الخدمات والمحاولات لقبولهم كفرنسيين أو مواطنين عاديين .

لعل مثل هذا الحديث والمفاهيم يدعو إلى تأمل ومراقبة مفهوم القيم والعقلانية التى تحكم الشعوب المختلفة حيث تختلف هذه الشعوب بنظرتها للعقل والحكمة وبمفهومنا لهذا المنطلق سوف نكون أكثـر واقعية وكفـاءة ونجاح في تعاملنا مع الآخر وهي دعـوة للتأمل والحوار حول مـفهوم التسـامح والتشنج وعدم ربطها الدائـم بمفهوم الديمقراطيـة فقط بل لابد من بحث عن بعدها النفـسي أو القوة، والقوه هي بعـد نفسي في بعض جوانبهـا وهي دعوة إلى التأمل والحوار حول التسـامح الحضاري المنبعث من مفهوم القوة والثـقة وليس من مفهوم الديمقراطية وحدها حيث أن فرنسا وأمريكا دولتين ديمقراطيتين بمفهومها الحديث والدولة الأموية والعباسية لم تكونا دولتين تعرفان الديمقراطيـة اطلاقاً بمفهومهما الحديث المتداول هذا ويجب أن لا يغيب عن الذهن أن القيم الديمقراطية والبعـد الاقتصادي والسياسة الدولية والصراع الدولـي حاضرة تمام الحـضور أثناء كـتابة هذه الكلمـات إلا أن الهدف كـان فتح نوافذ يبدو أنها مغلقه أو شبه مغلقة من أجل دفع حركة الهواء الفكري للحركة والديناميكية.

على خطى الفلسفة اليونانية

يعد علم السياسة بحق أحد العلوم الإجتماعية التى ترعرعت ونمت بمفهومها اليوم داخل الدائرة الفكرية الفلسفية الغربية وهذا لا يعني أبداً أن الأمم الأخري لم تمارس وتطبق أو تأخذ بالمفاهيم السياسية ولكن القول أن علم السياسة بمفهومه العصري تبلور في المدارس الفكرية والفلسفية الغربية حيث أستطاعت العلوم الإجتماعية مجتمعة والعلوم السياسية بخاصة أن تزود بالحقول المعرفية التى تركها اليونان ومع أن اليونان والحضارة اليونانية كانت تقع في منتصف الطريق بين الشرق والغرب إلا أن هذا الثراء المعرفي والفلسفي جعل العالم الغربي يحاول ضم اليونان إلى حظيرته ومناطقة تاركاً الأنطباع أن ما أنتجته الحضارة اليونانية يعد من أنتاج الحضارة الأوروبية بل على الرغم أنه عندما كانت اليونان تعيش مرحلة الحضارة النبوع المعرفي كانت أوروبا تعيش حالة القبائل الرحل القريبة للتوحش من التمدن ولم يحدث التغيير الحضاري الأوروبي إلا في عصور متقدمة جداً من الحضارة اليونانية ومع كل ذلك لا يتورع الأوروبيون أن يُذكرو أن الحضارة الأوروبية هي أمتداد طبيعي للحضارة اليونانية ويمكن أن يكون هذا الادعاء صحيح عند النظر للبعد المعرفي الفلسفي ويكون أقل وخصوصاً عند النظر للبعد الزمنى الذي فصل بين الحضارتين وكيف أن بعض الحضارات الأخرى تخللت هذه المرحلة وكان أبرزها المرحلة الإسلامية وزيادة المعارف التى وصلت إلى الغرب عن طريق الترجمة العربية عبر المنافذ إلى أوروبا.

إلا أن ما يهمنا بعد هذه المقدمة الطويلة هو كيفية تطور سلسلة مفهوم النظام السياسي الذى تحول من بحر وفكر فلسفي قادته الحضارة اليونانية والذي أرتكز على المشاركة الشعبية المباشرة داخل الحضارة اليونانية في أثينا والتى ربط بها بين المواطنة والاستقرار السياسي كما أكد على ذلك أرسطو، الذي يعد بحق واحد من أفذاذ الفكر السياسي، كما ربط الفكر اليوناني بين التقسيم داخل النظام السياسي من مفهوم العدالة والممارسة السياسية والرقابة الإجتماعية. إن القارىء للفكر السياسي اليوناني سوف يذهلة التقدم الفكري الهائل الذي كان يدور في أورقة السياسية الاثنية قبل أربعمائه عام من ولادة السيد المسيح فيما كان العالم يدب في ظلامية قاتمة من حيث أن المقارنة بين العصر الحديث نجد أن ما هو موجود اليوم لا يكاد يختلف في مرتكزاته الرئيسية عما هو حاصل في دولة أثينا اليونانية أي أن القواعد المؤسسية للنظام السياسي تتشابة الى حد كبير وأن ماهو معروف بالمحاكم

أنتقل اليوم ليكون المحاكم الدستورية العليا خصوصاً وأن أرسطو تحدث صراحة عن أهمية ومكانة الدستور وكيف أنه يعد واحد من أهم الوثائق التى توضح كيفية العلاقة التى تربط أعلى السلم السياسي باسفله وتربط بين قمة الهرم الاجتماعي بالقاعدة وأنه الميزان الفصل في مفهوم الموضوعية من الفردية . وتحول مفهوم مجلس الخمسمائة الذي كان عبارة عن برلمان مصغر يمارس الحكومة والتشريع في نفس الوقت تحول اليوم وأنفصل إلى الهيئة والسلطة التشريعية وهي المسؤولة عن تشريع القوانين الحاكمه للمجتمع وهيئة وسلطة تنفيذية مهمتها إدارة دفة الشؤون السياسية والادارية سواء الداخلية والخارجية.

وبالتالي فإن التطور الذي حدث في هذا الجزء وكان مهماً للغاية بحيث أصبح يدل على الربط بين مصدر القانون ومنفذه أصبح هناك فصل بين هذين العملين من أجل أن يكون هناك فصل في المصالح حتي يمكن أن يأتي سن القانون وتطبيقة أكثر موضوعية وعدالة، أما مفهوم الجمعية في النظرية اليونانية وهي التى تعني اليوم الشعب فهي لم تتغير كثيراً حيث كانت في السابق تمارس المشاركة السياسية المباشرة بينما اليوم يمارسة الشعب عن طريق الصناديق الانتخابية ولكون أعداد الجمعية هو الشعب وكان قليل في السابق فإن أمكانية جمعهم ومناقشتهم حول المواضيع العامه كان ممكناً بينما اليوم فإنه من الصعوبة بمكان أن يجمع الشعوب في مكن واحد لذلك ظهر مفهوم الانتخابات والدوائر الانتخابية ومفهوم صناديق الاقتراع والمرشحين الانتخابيين.

أن المراقب لمحتوى النظام السياسي حسب النسق الفلسفي والفكري اليوناني لا يجد هناك مكان حقيقي لمفهوم الربط بين قمة الهرم السياسي والشعب أي أن مفهوم الاتصال بين القنوات العليا والسفلى غير واردة وذلك بفعل الديمقراطية المباشرة أو بفعل أغفال هذا الجانب والذي يعد بحق قصور في النسق الفكري اليوناني ومن هنا يأتي أمتداد الحضارة الغربية للفلسفة اليونانية وكيفية الاستفادة من هذا الكم الحضاري الهائل. ومن أجل ردم هذا الفجوة بين القمة والقاعدة أختراع وطوَّر لنا العالم الغربي آلية يتم عن طريقها الأتصال بين هذين القطبين المهمين لتسير دفه الشؤون السياسية وكان من أبرزها أنشاء وتطوير مفهوم الحزب السياسي والذي لا يعد عن كونه مؤسسة سياسية قادرة على التغلغل داخل المجتمع بما لها من أمكانية الوصول إلى جميع المناطق الجغرافية وبالتالي التعرف على ما يدور في القوى الاجتماعية المختلفة والمناطق الجغرافية المختلفة وبالتالي رفعة ودفعة الى قمة الهرم السياسي ويكون هذا الرفع والدفع طريق بناء القيادات أو عن طريق المعلومات التى ترتقي داخل سلم هذه المؤسسة الإجتماعية وترجمتها في عمل سياسي. كما أن هذه المؤسسة السياسيسة أصبحت أحد وسائل التعبئة السياسية التى يمكن أختيارها فى أوقات الانتخابات وتطبيقها بشكل كبير في فترة الأزمات حيث يتم التعبئة الاجتماعية عن طريق

المؤسسات السياسية الحزبيه.

ثم أستطاع النظام الغربي أن يطور الاطار النظري الفلسفي اليوناني عن مفهوم ربط القاعدة بالقمة والقمة بالقاعدة عن طريق أنشاء المؤسسات النقابية سواء العمالية أو الحرفية والجمعيات المتخصصة والتى كانت أحد عوامل دفع المشاركة السياسية إلى بعدها القوي وهذا ما توج بمهفوم جماعات المصالح وجماعات الضغط والقوى الاجتماعية الاخرى سواء الخاصة أو الخيرية كل هذه الموسسات الاجتماعية كانت من عوامل الربط بين القاعدة والقمة ومن الوسائل الفاعلة التى تربط الهرم في القمة ونقلة الى القاعدة أو نقل هموم وشجون القاعدة لقمة الهرم السياسي وهذا كان واحد من أهم الاضافات الحقيقية التى أستطاع الفكر السياسي الحديث إضافته للنسق الفلسفي اليوناني الذي يعد بحق واحد من أكثر المدارس الفلسفية تماسك من حيث المنطق والنتائج على المستوى الفردي والجماعي وأن مفهوم هذا التداخل يعد بحق واحد من أركان الاستقرار الرضى الاجتماعي الذي يدفع للتنبيه والاحترام الذاتي.

خفايا الحرب الباردة

الصراع الايديولوجي الذي صبغ الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية والتى جندت له كل أمكانياتها الأقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية يعد من اكثر الصراعات التاريخية توثيق من الناحية المعرفية والسبب بكل بساطة يرجع إلى التطور الكبير في وسائل الاتصالات وتكنولوجيا التصوير والحفظ سواء على مستوى الكتابة أو على مستوى المعدات والتخزين ولذلك أصبح الصراع ومرحلة الحرب الباردة هي صراعات موثقة بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الصراعات القديمة، ولكونه صراعاً بين قوتين هائلتين فإن العالم شهد الازمات المتعاقبة التى كانت تعكس هذا الصراع وتعبر عنه أبتداء من أزمة برلين حتى الازمة الكوبية التى كادت أن تدفع العالم الى حافة الحرب الكونية. هذه الصراعات كانت تدور بشكل واضح بين القوتين العظميين وتداولها الوسائل الاعلامية وذلك لأسباب دعائية من جانب ولاسباب سياسية من جانب آخر حسب نوع وطبيعة الحدث. إلا أن ما كان غير واضح في العديد من هذه الازمات من الناحية المعرفية والتوثيقية هو كيف كان ينظر كل طرف لهذه الأزمة أو تلك وكيف كان يرى أسباب أنبعاثها ونشأتها وسبيل حلها حيث نشاهد أن النظرة السوفتية حول أزمة الصواريخ الكوبية من حيث أسبابها ودوافعها والحلول المقترحة لها تختلف الى حد الغرابة الهائلة مع النظرة الامريكية التى كان لها نظرة مختلفة حول الأزمة أسبابها وكيفية الحلول لها بل ان هذا الاختلاف يصل الى حد أسم الازمة حيث ان ازمة الصواريخ الكوبية التى تهدد أمن وسلامة الولايات المتحدة الامريكية بينما ينظر إليها الروسي أنه حق مشروع لدعم حليف يجاور الاراضي الامريكية ولاختلاف هذه النظرة كان هناك اختلاف في مفهوم بداية ونهاية الازمة ولذلك أصبحت أزمة يمكن ان لا تهدد البلدين فقط بل تهدد العالم بأجمعة نتيجة لاختلاف في طرح وفهم هذه المسألة وهذا درس مهم جداً في مسألة العلاقات الدولية والصراع الدولي ودرس اكثر أهمية في مفهوم المحادثات والمفاوضات الدولية.

إذا كان هذا هو ديدن الصراعات المعلنة خلال الحرب الباردة بين القوتين العظميين في ذلك الوقت فما هو الجانب الأكثر سرية في هذا الصراع. إن أنهاء الحرب الباردة وذهاب الاتحاد السوفيتي عن مسرح الاحداث الدولية اليوم سمح للعديد من الجوانب السرية في هذه العلاقة بين القوتين بحيث أصبحت هذه المواضيع مادة علمية دسمة لطلاب العلوم السياسية والتاريخ السياسي الى حد الذهول ومن الأهمية بأن تؤخذ كنماذج يمكن بناء مناهج بحثية

تقود الى نظريات جديدة في الصراع الدولي وحرب التجسس والتجسس المضاد.

كشفت الادارة الامريكية ضمن بعض وثائقها قبل أيام قصة الغواصة النووية والتى تحمل العديد من الصوايخ العابرة للقارات ذات الرؤس النووية والتى كانت الاحدث والاكبر في الترسانة البحرية العسكرية السوفيتيه خلال نهاية الستينات من هذا القرن أي حوال ١٩٦٨م، هذه الغواصة المسماة k-129 والتى تعد واحدة من احدث اسطول البحرية السوفيتيه في ذلك الوقت عندما أبحرت في المياه المفتوحة فاتحة مزيد من التوجس في حرب التجسس على حركة السفن وخاصة الغواصات وهو الحدث الاكثر أهمية والاكثر أهتمام في ذلك الوقت حيث أصبحت الغواصات في ذلك الوقت البديل الاستراتيجي للردع بعد أن كشفت الاقمار الصناعية امكانية كشف وتحديد مواقع القواعد البرية فإن الغواصات أصبح لها ميزة استراتيجية في ذلك القوت.

بدأت الغواصة k-129 أبحارها حتى أقترابها من حوالي خمسمائه ميل من شواطيء الهاواي الامريكية وهذا يعتبر عمل قوي طالب القوات الامريكية بالتخفز من أجل الرد على أي عمل محتمل إلا أن المفاجئة أن انفجار محرك الغواصة دفعها الى العطب ثم السقوط في قاع المحيط في مناطق تزيد عن ثلاث أميال بحرية عمقاً وهذا عمق هائل تسكنة غواصة يصل وزنها الهائل الى اكثر من الف طن وهو الأمر الذي جعل البحرية الأمريكية تراقب الامر عن بعد حتى ترى مدى ردة فعل السوفيت ومع ان السوفيت على مدى أشهر يبحثون عنها حسب المصارد السوفيتية دون جدوى ويبقي الأمر سراً على البحرية والدولة السوفيتية أمر الغواصة k-129 والتى كانت محملة بصواريخ نووية ورغم خطورة هذا الأمر إلا أن السوفيت تكتمو على الأمر دون علم مسبق عن مكان أو أثر الغواصة وخوف من أن تلفت نظر الولايات المتحدة الامريكية الى هذا الأمر. والولايات المتحدة الامريكية من جانبها كانت تتبع سياسة الصبر والنظر في ردود الفعل وبعد سنتين من الحادث عزمت الولايات المتحدة الامريكية على أخراج الغوصة بعد أن تبين ان السوفيت فقدو الامل في العثور عليها وبالفعل فإن الحكومة الامريكية قامت بتعميد أحد رجال الاعمال لبناء سفيتة هائلة لديها الاستعداد لانتشال هذه الغواصة الهائلة من قاع البحر هذا العمل الذي يعد بحق واحد من اكثر الاعمال جراءات وقوة حيث تم بناء هذه السفينة على شكل قطع في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة الامريكية من أجل مزيد من التضليل وكانت مصممة بحيث تستطيع رفع الغواصة ووضعها في مكان خاص لا يمكن رؤيته من الاقمار الصناعية التى تحلق في الفضاء وبعد أشهر من بناء السفيتة أطلقت الحكومة الامريكية الضوء الاخضر لانتشال الغواصة وبالفعل كانت الغواصة بكاملها بصواريخها الاستراتيجية بكل تكنولوجياتها التى كانت تبحث عن معرفتها الحكومة الامريكية وآخر ما وصلت اليه تكنولوجيا الصواريخ والغواصات

السوفيتية كانت واحدة من أهم أهداف الحكومة الامريكية تجاه السوفيت وعلى الرغم من أن الزعيم برجينيف يلتقي مع الرئيس نيكسون ورغم الحديث الودي عن معاهدات الصواريخ بين البلدين وبداية مرحلة الانفراج إلا أن الحرب السرية والخفية كانت تسير بشكل هائل بين البلدين.

ان الدروس التى نأخذها كل يوم من تاريخ الحرب الباردة تكاد تكون دروس لا تعوض عن الصراع الدولي والسلوك الدولي وتعد هذه الوثائق التى لا تقدر بثمن من الناحية السياسية والدولية يمكن أن تستمر لصالح مزيد من الفهم لهذه الدنياميكية في دراسة وفي فهم الصراع الدولي.

دولة الحضارة والقانون

لا يختلف الكثير من المراقبين أن الحضارة الأوروربية المعاصرة هي حضارة تطور تكنولوجي بالدرجة الأولى وهي كذلك أظهرت مفهوم التطور القانوني وتطور مفهوم القانون والاحتكام الى القانون وهذا يشمل فيما يشمل مفهوم القانون المحلي أو الخاص بفروعه وتخصصاته المختلفة والمتشعبة والقانون الدولي ايضا بفروعه وتخصصاته المتشعبة أقول أن تطور القانون لا يعني عدم استخدام المفهوم القانوني وخصوصاً القانون الدولي لأغراض وأهداف سياسية ان من أبرزها منظمة عصبة الأمم ثم هيئة الأمم ثم بعد ذلك المنظمات الأقليمية السياسية والاقتصادية التى تعمل بروح القانون وكيف استخدم البعد القانوني مثلاً في تفسير الكثير من المعاهدات أو القرارات بشكل يخدم البعد السياسي اكثر من كونه يخدم البعد القانوني.

وبعد الحرب العالمية الثانية ورجوح كفة الدولة الفتية الولايات المتحدة الأمريكية، في تواجدها السياسي والعسكري والاقتصادي في جميع انحاء العالم كوارثه للقوة الأوروبية فإن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن يطلق عليها الدولة الاعظم الوحيدة بعد نهاية الاتحاد السوفيتي السابق وهذا لا يعني عظمتها على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، بل أن الولايات المتحدة الأمريكية ينظر اليها على أنها دولة القانون وتطبيق القانون حيث ان الولايات المتحدة الامريكية كانت الدولة الأولى فى العالم التى تولى رجال القانون بشكل عام أهم المناصب السياسية، بل ان رجال القانون شكل اكثر عدد السياسيين في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية سواء في السلطة التشريعية أو حتى فى السلطة التنفيذية وذهب الهوس القانوني لدى الأمريكيين إلى درجة الاستعانه بالمحامين ورجال القانون حتى عند تصوير الافلام السينمائية أو عند البرامج الترفيهية خوفاً من الخطأ بالقول أو الفعل مما يفسره طرف آخر بدعوى قانونية ضد الشركة المنتجة أو المحطة الباثه لمثل هذاه البرامج.

إذا كانت هذه صورة الولايات المتحدة الأمريكية في أذهان الخاصة والعامة فلماذا تقوم دولة هائلة القوة والأهمية بتصرف غير قانوني وغير سياسي وبعيد عن العقلانية عندما قامت بضرب مصنع أدوية الشفاء بالسودان أو مراكز التدريب في افغانستان. ومهما يكن موقفنا من أهداف الضربة سواء على الجانب الموبد والمعارض فإن تصرف الولايات المتحدة الأمريكية يقود إلى نوع من رد الفعل العكسي على أقل تقدير بل ويقود إلى نوع من التساؤل المشروع عن أسباب مثل هذا التصرف يمكن فهم الغضب الأمريكي والبعد النفسي حول

مسألة تفجير السفارة الأمريكية في كل من كينيا وتنزانيا وهول المفاجئة من عدد الضحايا وعد المصابين إلا أن الشيء وغير المفهوم هو رد الفعل الأمريكي الغير محسوب سواء على المستوى القانوني أو السياسي أو حتى الاستراتيجي. وإذا كانت دولة القانون والحضارة تتصرف بهذه الطريقة فماذا بقى للمنظمات البسيطة والضعيفة والتى لا تأخذ البعد القانوني بالاعتبار بل تتصرف من منطلق ضعفها وقلة حيلتها وعدم قدرتها على المجابهة إلا من خلال أهداف سهلة ويمكن الوصول اليها. إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية سمحت لنفسها بهذا الفعل والتصرف وهي الدولة القائمة على القانون وعلى رصيد حضاري كبير فكيف يمكن نقد المنظمات التى تسعي الى تسجيل موقف سياسي أو أيدلوجي عبر عمل بعيداً عن القانون والروح القانونية.

أن المنطق الامريكي لهذه الضربتين كان ضعيفاً إلى حد كبير ولم يستطع السياسة الامريكيون أقناع رجل الشارع العامي فكيف بالرجل المتخصص حتى وأن تظاهر الكونغرس الامريكي بدعم الضربة فإن هذا الدعم له بعده السياسي اكثر من بعده المنطقي، بل ان الدول التى تعرضت لهذه الضربات طلبت علناً من لجان تحقيق حول الادعاءات الأمريكية فى أسباب الضربة العسكرية وهذا ما يعرى ادعاءات أسباب الضربة من بعده القانوني ويركز على بعدها السياسي الذي يمكن أن يرجع الى الأسباب التالية : ـــ

أولاً : قد تكون فضيحة السيدة لونسكي مع الرئيس الأمريكي عامل من عوامل الضربة بصرف النظر الاعلامي والشعبي للعوامل الخارجية بدل من الخوض والحديث في الشؤون الداخلية. ورغم وجاهة هذه النظرة سواء فكّر الرئيس بها بشكل مباشر أو أن مساعدية قررو مساعدة رئيسهم في وقت الحاجة والضيق وتحملو تبعات مثل هذا التصرف ولم يجد المقاومة من منعهم.

ثانياً : قد تكون عامل البعد النفسي والغضب الداخلي سواء لاركان الادارة الامريكية أو الشعب الأمريكي من البحث عن هدف يمكن ضربة حتى تتم عملية علاج نفسيه وهمية بعد ضرب السفارتين الامريكيتين في افريقيا . وإذا كان ذلك كذلك فإن هذا التصرف يعد سابقة غير مسبوقة تخرج عن دولة القانون والحضارة بشكل غير قانوني أو حضاري.

ثالثاً : ربما يكون هناك شعور لدى مساعدى الرئيس الأمريكي خصوصاً وأن الغالبية منهم من اليهود (وهذا قد يفسر بنظرية المؤامرة) ان هؤلاء المساعدين لاحظوا أن هناك تيارين في العالم الاسلامي تيار ينادى بالعمل السلمي الحضاري والثقافي العلمي المنطقي المسالم بدل من التشنج واستخدام العنف في العمل السياسي فإن هذا الفريق حول الرئيس الأمريكي أراد أن يضرب السفارتين حتي يقطع الطريق قبل نضوج وتبلور وتطور التقارب الامريكي والغربي مع العمل الاسلامي العقلاني المعتدل وبتصرف الولايات المتحدة

الأمريكية الأخير تكون هذه الاخيرة قد ضربت أي تفاهم وتقارب محتمل بين الطرفين يكون اليهود هم المستفيدين الاكبر من هذه العملية وقطع أي تقارب محتمل في المستقبل وتأجيج العداء بين أمريكا والأسلام. وهذا ما يفسر أن اكثر رجال الكونغرس حماساً لاسرائيل كانوا اكثر الذين تحمسوا وأيدو الضربة الأمريكية من الحزبيين الرئيسيين الديموقراطي والجمهوري وكان اعضاء الكونغرس الأقل حماساً للمشروع الصهيوني كانوا أقل حماس لمثل هذه الضربة وشككو في أهداف الرئيس.

رابعاً : أن الرئيس الأمريكي اليوم هو في حالة ضعف داخلياً وخارجياً سواء على المستوى الشخصي أو السياسي لذلك سوف يكون دور المساعدين واركان الادارة الامريكية هم الاكثر تأثيراً على قرارات الرئيس ولذلك فإن فهم من هم السياسيين والخبراء المحيطين بالرئيس قد يؤدي إلى فهم تصرفات الرئيس اكثر من الرئيس نفسه.

ديناميكية الصراع الدولي

عندما كانت القوات المسلحة الاندونيسية تستعد لدخول تيمور الشرقية وضمها للدولة الاندونيسية في مرحلة السبعينيات من هذا القرن، المقبل على الانتهاء، في ذلك الوقت من هذه الاستعدادات كان الرئيس الامريكي الأسبق فورد ووزير خارجيته الاكثر شهرة السيد كيسنجر يتواجدان بالعاصمة الأندونيسية جاكرتا لم يبحثا أويثيرا مفهوم الاجتياح الاندونيسي لجزيرة تيمور الشرقية بل ان غض الطرف الامريكي عن الخطوة الاندونيسية هي بمثابة الضوء الأخضر أو الموافقة الضمنية على الاجراء الاندونيسي. ولكن السؤال هو لماذا هذا الصمت الامريكي؟ الجواب ببساطة شديدة أن النظام الدولي في ذلك الوقت يقضي بهذا الصمت لكونه يصب في المصلحة الاستراتيجية الامريكية والقاضية بالوقوف الى جانب أندونيسيا بعد تولي السيد سوهارتو خلفاً للسيد سوكارنو وهو التحول من اليسار الى اليمين في مفهوم الصراع الدولي في ذلك الوقت أي التحول من اليسار السوفيتي الاشتراكي الى اليمين الامريكي والحرية الاقتصادية وبالتالي كان هذا الصمت يعني هو محاولة جذب أندونيسيا الى المعسكر الغربي في لعبة الصراع الدولي جنب الى جنب مع الصين في مرحلة تحولها الى العالم الغربي أو ما عرف بالانفراج في العلاقات الصينية الامريكية.

ومن هذه المنطلقات فإن منطقية الصمت الأمريكي عن الاجراء الاندونيسي باجتياح جزيرة تيمور الشرقية وضمها للدولة الاندونيسية يعد في منتهي المنطقية ومنتهي العقلانية في ذلك الوقت من تاريخ الصراع الدولي. ومن ديناميكية الصراع الدولي أن الدول المحيطة باندونيسيا ومنها الصين كانت من الدول التى أيدت الاجراء الاندونيسي والصمت الامريكي خصوصاً وان المرحلة السياسية في ذلك الوقت تدفع وتتطلب هذا التأييد وهذا الاجراء.

ومن العلامات الفارقة للنظام الدولي والصراع الدولي هو هذه الديناميكية وهذه الحركة المتواصلة والمتموجة والتى تحتاج الى متابعة شديدة مرتكزة على المعرفة والخبرة والمعلومة حيث نجد اليوم أن هذه المعادلة السياسية التى كانت سائدة في مرحلة السبعينيات من هذا القرن أخذت بالتفكك والتغير بشكل قوي وكبير.

منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وما تبعة من انهيار النظام الدولي السابق ومنذ انضمام أوروبا الشرقية الى العالم الغربي وتفكك الاتحاد السوفيتي والازمة السياسية والاقتصادية الروسية ثم حرب البلقان الأولى في البوسنة والهرسك ثم حرب البلقان الثانية في كسوفو والرئيس الامريكي لم يتوقف عن التصريح والتأكيد عن زعامة الولايات المتحدة الامريكية للعالم ويترجم هذه الزعامة بالتأكيد على أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقف وتتدخل الى جانب الشعوب التى تعاني من

الاضطهاد من قبل الدول الاخرى وهذا يعني فيما يعنيه هو تبرير قوي للسلوك الامريكي القوي والصارم للحملة العسكرية في كسوفو وضد يوغسلافيا من جانب إلا أنها حملت مزيد من الآمال الى الشعوب المسيحية في تيمور الشرقية اليوم والى جمهورية الجبل الاسود في المستقبل والعديد من المناطق من العالم التي سوف تجد من هذه التصريحات أحد المخارج لتأجيج صراعها من أجل الاستقلال أو الانفصال عن دولتها الأم.

ولكوننا نتحدث عن ديناميكية الصراع الدولي فإن قضية تيمور الشرقية تعطينا بشكل مجهري عن نمط هذا التغيير وهذه الديناميكية حيث تأتي التصريحات الأمريكية والتأيد الامريكي لانفصال تيمور الشرقية وأستقلالها بشكل مباشر أو عن طريق أعوانها في الحضارة مثل أستراليا إلى دعم تيمور الشرقية من أجل الحصول على الاستقلال وهذا فيما يعنيه هو الوقوف ضد الرغبات الاندونيسية التي كانت مهمة في السبعينيات وكذلك فإن الاجراء الامريكي هذه سوف يكون محل اهتمام وحسابات قوية ودقيقة من قبل العديد من الدول وعلى رأسها الصين التي تنظر الى هذا الدعم الامريكي والاسترالي بشيء من الحساسية خصوصاً إذا ما وضعنا مسألة التبت في المعادلة الدولية أو الصراع بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية. بل ان الموقف الامريكي سوف يضع روسيا في موقع الشك والخوف خصوصاً وأنها تخوض هذه الايام معاركها الضارية مع الشيشان وفي مناطق داغستان الى جانب دولة مثل الهند سوف تتوجس خيفة من دعم محتمل لقوى سياسية في كشمير هذا الدعم لا يعني ضم كشمير الى باكستان بل يمكن ن تكون كشمير دولة مستقلة في المسقبل وإذا كان هذا الموقف الأمريكي جاء نتيجة للتغير في النظام الدولي ونتيجة لهذه الديناميكية الغير منتهية فإن العديد من الدول أصبحت تتوجس خيفة من الموقف الامريكي ولهذا فإن العديد من مراكز الدراسات في الولايات المتحدة الامريكي والعديد من المفكرين والمتخصصين في القضايا الاستراتيجية وخصوصاً المهتمين بالاستراتيجية الامريكية قد أنتقدو التصريحات للرئيس الامريكي ليس من باب مخالفتها أو عدم الاتفاق معها بل هي في منتهى المنطقية والاتساق مع السياسة والاستراتيجية الامريكية وانما كان الانتقاد هو علانيتها ووضوحها حيث أن مثل هذه التصريحات قد أدت الى استفزاز العديد من الدول بدون عوائد حقيقية على البيت الابيض وأن العوائد التي يمكن أن تعود من مثل هذه التصريحات وهو عامل الضغط على حكومات بعينها منها الصين وروسيا لا تساوي النتائج العكسية وردود الفعل التي يمكن ن تحدثها مثل هذه التصريحات في مناطق أخرى من العالم خصوصاً وأن العالم بما فيها الصين وروسيا والهند يعرف ويعترف أن الولايات المتحدة الامريكية لديها القدرة والامكانيات على التدخل في جميع أنحاء العالم.

لذلك فإن الرئيس الأمريكي قد خفف من حدت تصريحاته حول الدعم الأمريكي غير المحدود وغير المشروط للقوى التى تبحث عن الحرية حسب تعبيره وهذه الخفة للهجة لا تعنى التغير في الاستراتيجية بل تعني الاستمرار فيها بشكل اكثر صمت.

روسيا التي تتحول

إن المراقب السياسي الغير متعمق لسوف يعجب من الوضع الروسي إلى حد الذهول وسوف يزيد عجبة وذهوله عندما يعرف أن هذه الدولة الروسية كانت العامود الفقري للاتحاد السوفيتي السابق الدولة الضاربة بالقوة والأهمية الدولية وأن روسيا كانت العماد الحقيقي لدولة كانت تقتسم العالم على مناطق النفوذ مع الولايات المتحدة الأمريكية وعاشت هذه المرحلة من الاقتسام على مدى زمني يزيد عن الاربعون عاماً وأن ما يحدث لروسيا اليوم هو ضرب من الخيال السياسي خصوصاً ونحن العرب نقراء ونفهم ما عناه أبن خلدون عندما تحدث عن قيام وسقوط الأمم وحددها بأربع أجيال تتعاقب على السلطة قبل أنهيار الدولة حسب التعبير الخلدوني وكان قد حددها بحدود المائة والعشرون سنة ثم بعد ذلك جاء السيد ألسون يتحدث في كتابة الشهير (قيام وسقوط الأمم) مركزاً على البعد الأقتصادي بشكل جذري وكيف أن الضعف الأقتصادي هو مفتاح الضعف الحقيقي لدولة أية دولة كانت ثم توجها السيد بول كندي عندما كتب كتابة الذائع الصيت (قيام وسقوط الدول العظمى) والذي ربط السيد كندى بين التوسع العسكري والضعف الأقتصادي وكيف أن البعد الاقتصادي يلعب دوراً في تعزيز البعد العسكري وأن هذا الاخير يلعب دوراً في تعزيز البعد الاقتصادي اذا كان تحت ضوابط وشروط معينة ويمكن أن يكون البعد العسكري واحد من أهم أدوات فناء الدولة عندما يخرج عن اطاره الصحيح والمنطقي.

ولكن ما حدث للاتحاد السوفيتي كان يفوق كل هذه التوقعات بل ويفوق توقعات اكثر المتشأمين في فعالية النظام السوفيتي في السابق. وان كان انهيار الاتحاد السوفيتي السابق وقدوم السيد يلسين ليكون على رأس السلطة في روسيا قلب وأهم عناصر الاتحاد السوفيتي السابق مدعوماً السيد يلسين بمفهوم أستقلال روسيا وايقاف نزفها الاقتصادي لصالح الجمهوريات الأخرى التى كانت تشكل الاتحاد السوفيتي فإن من الملاحظ هو أن استقلال روسيا لم يكن ليؤدي إلى تعزيز المكانة الروسية في العالم، بل ان روسيا اليوم تعاني من مشاكل حقيقيةوهيكلية كبيرة يمكن أن تضعف روسيا اليوم اكثر وأكثر.

ومما يجب التأكيد عليه هو أن روسيا اليوم واحدة من أكبر دول العالم مساحة وكذلك من أغنى دول العالم من حيث الموارد الطبيعية ومع ذلك فإن وضعها لا يؤهلها إلى أن تكون بنفس هذه القوة والأهمية وإن كان جزء من المأزق الروسى هو الأزمة الداخلية الحقيقية التى بدأة من التحول من النظام الاقتصادي والسياسي القائم على السوق الموجة وسيطرة النظام على العوامل الاقتصادية والتحول إلى نظام ديمقراطي مع التعامل مع آلية السوق التى يتحكم بها العرض والطلب إلا أن هذا التحول لم يكن ليأتي بهذه السهولة والبساطة لانه جاء وروسيا تعاني

من : —

أولاً : مشاكل أقتصادية حقيقيه كانت قد تراكمت أبان فترة الاتحاد السوفيتي السابق قادها التسلح العسكري الهائل الذي قادة سباق التسلح مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً : عندما ورثت روسيا بقايا الاتحاد السوفيتي فإنها ورثت بروقراطية متهالكة وهائلة يصعب تحريكها وأحيائها بشكل دنيميكي بعد مرور ستون عاماً أو جيلين من الموظفين الذين كانو يتعاملون من النظام السياسي والأقتصادي بعقلية النظام الشمولي السابق.

ثالثاً : ذهب الاتحاد السوفيتي بعد تجربة دولية كبيرة خاضها منذ الحرب العالمية الثانية وسيطرته على أوروبا الشرقية وحرب باردة هددت مرات عديدة النظام العالمي كان آخرها أزمة الصواريخ الكوبية وحروب أقليمية عديدة كان آخرها الحرب الأفغانية.

رابعاً : أن تجربة الغرب مع قوة هائلة خارج الاطار الأوروبي والحضارة الأوروبية إلى حد ما كانت تجربة جديدة حيث كان التعامل مع اليابان تجربة قصيرة انتهت بانتهاء الحرب العالمية الثانية. أما التجربة مع السوفيت فكانت أكثر خطورة واكثر مرارة حيث شهد العالم أول مرة في العصر الحديث أن دولة خارج المفهوم الأوروبي التقليدي تهدد النظام السياسي والاجتماعي الأوروبي بهذا القوة وهذه المباشرة ولذلك كانت الزعامة الغربية التى انتقلت من أوربا بقيادة كل من فرنسا المانيا وبريطانيا إلى الجانب الآخر من المحيط الى الولايات المتحدة الأمريكية والتى أخذت على عاتقها محاربة الاتحاد السوفيتي بكل الوسائل الممكنة بما فيها القوه العسكرية.

وبانهيار الاتحاد السوفتي وخروج روسيا إلى الحيز السياسي الدولي كانت مناسبة هامة ولا يمكن التفريط بها لدى الساسة الغربيين حيث أنه هناك تصميم قوي لتحويل روسيا وأهم جمهورياته الاتحاد السوفيتي إلى دولة ضعيفة رغم الامكانيات الهائلة التى تحتويها هذه الدولة. ومن حسن الطالع للدول الغربية أن يأتي شخص مثل السيد يلسن ولا ينتمى الى مذهب سياسي ولا يعرف ماذا يريد على وجة التحديد بمعنى أنه لا يحمل فلسفة أو أيديولوجيا أو فكرة يريد أن يحققها في أرض الواقع سوى أفكار مبعثرة غير مرتبة وغير واضحة من مفهوم الانتقال إلى النظام الحر سواء الاقتصادي أو السياسي وكان الشيء الوحيد الذي أجاده السيد يلسن هو ترك كل شيء يغرق بهدوء حتى إذا ما اشرف على الموت قدم انبوب انقاذ لفترة قصيرة وكان ذلك ليس فقط من تصرفات السيد يلسن بمفرده بل كانت للسياسات الغربية نصيب في هذا الاتجاه وهو ما يمكن القول أنه مشروع أخراج روسيا من قائمة الدول المتطورة إلى دولة من العالم الثالث خصوصاً وأن أنتماء روسيا للعالم المتقدم سابقاً كان لأسباب وعوامل عسكرية بحته ولذلك يبدو أن العالم الغربي قرر حرمان روسيا من هذه الميزة وبالتالي فإنه كلما أوشك الوضع الروسي على الانهيار ثم الانفجار الذي يمكن أن يحقق نتائج أو أوشكت روسيا على التغيير السياسي الذي يمكن أن يقود إلى حلول أخرى نجد أن الدول الغربية تتدخل عبر المساعدات

الأقتصادية أو القروض الاقتصادية التى وصلت في مرحلة إعادة أنتخاب يلسن إلى عشرة بلايين دولار من أجل تخدير الوضع القائم وبالتالي أطالة أمد فترة الترنح الروسي إلى فترة غير محددة.

ورغم أن الزعيم الروسي يعاني من مشاكل حقيقية صحية وأن فترة رأسته تنتهي بعد سنتين من الآن ورغم أن روسيا تعيش حالة تخبط سياسي وأقتصادي إلا أن الغرب لم ينتهي بعد من مشروع تحويل روسيا إلى دولة من دول العالم الثالث حيث تجري الدوائر السياسية والعسكرية والاستراتيجية في الغرب اتصالاتها مع الشخصيات المحتملة لخلافة السيد يلسن ويأتي على رأس هذه القائمة السيد لبيد والذي مرشح بقبوة لخلافة يلسن والذي أمضى السيد لبيد ثلاثة أسابيع في الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة لعرض نفسه وفهم هذه الدوائر السياسية مفاتيح شخصيته وهذا يعيد الاذهان قضاء السيد يلسين نفسه ثلاثة أسابيع متوالية في الولايات المتحدة الأمريكية قبل تسلمه زمام السلطة في روسيا بعد أنهيار الاتحاد السوفيتي.

من الملاحظ أنه مهما يكن الشخص القادم إلى الكرملين لن يكون في مقدورة إلا التعامل مع الغرب بشكل أو بآخر والذي يسعى إلى تحويل روسيا إلى دولة تنمي الى آسيا الوسطي وجمهوريات القوقاز بدل من دولة تنتمي إلى العالم الأوروبي المتقدم.

روسيا التى لا تقول لا

عندما كتب أحد الاكاديمين اليابانيين في النصف الاخير من الثمانينات من هذا القرن كتابه الشهير (اليابان الذي يستطيع أن يقول لا) قامت الدنيا ولم تقعد في الوسائل الأعلامية الغربية وخصوصاً الامريكيه وأصبح مجال للحديث والنقاش والفحص على مدار شهور متواليه ولم يقتصر الأمر علي ذلك بل ذهب الأمر الى الدوائر الفكرية ومراكز الدراسات وأروقة الجامعات للحديث عن مضمون الكتاب والذي يتلخص بشكل عام يقول مؤلفة الياباني، أن اليابان في نهاية القرن الحالي هي غير يابان (الحرب العالمية الثانية وإذا كانت اليابان السابقه لا تملك إلا قول نعم للسياسة والاستراتيجية الأمريكية فإن يابان اليوم دولة قويه وآن الآوان حسب رأى المؤلف الياباني أن تبدي وجهة نظرها فى المسائل المطروحة وتبحث عن مصالحها الوطنية وأن تقف وتحتج على السياسة الامريكيه إذا لزم الأمر، كانت هذه الخلاصه تمثل صدمة قوية للمفكر والسياسي الأمريكي الذي عرف وعمل على التفرد باليابان في منطقة آسيا خصوصاً أن هذا التفرد وهذه السياسة يدعمها كمية هائله من الكره العنصري تجاه اليابان خصوصاً وأن اليابانيون يملكون القدر نفسه من العنصرية تجاه العالم الغربي، بل أن اليابانيون يعتقدون بتفوقهم العنصري وذكائهم المتميز عن غيرهم من الشعوب الأمر الذي دفع رئيس الوزراء اليابانى فى عام ١٩٨٨ الي القول أن اليابانيين اكثر ذكاء من الأمريكيين وذلك راجع لنقاء الدم الياباني على العكس من الدم الغربي الذي تداخل مع الاجناس والعناصر الاخرى مما قلل قدرة الذكاء لديهم هذه العبارة دفعت الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان إلى دفع رئيس الوزراء إلى الاعتذار علناً أمام العالم عن هذه العبارات.

واذا كان اليابان يتململ أمام السياسة الامريكيه ويسعى إلى أن يملك زمام الرأي تجاه الهيمنة الأمريكية تجاه اليابان فإن متابع الأحداث وخصوصاً العلاقات الروسية الأمريكية منذ أنهيار الاتحاد السوفيتى سوف يراقب أن قدرة روسيا تضعف تدريجيا أمام الهيمنة الأمريكية المتعاظمه في تأثيرها على السياسة الروسيه سواء الداخليه وخصوصاً الخارجية. فمنذ أنهيار الاتحاد السوفيتي فالدول الغربية والولايات المتحدة والمانيا على وجه الخصوص تملكان قدرة كبيرة علي التأثير على التقلبات السياسية لروسيا وهنا لا نغفل البعد الداخلى وديناميكيته فى روسيا مثل القوى الجديدة سواء أقتصادية أو سياسية ولا يهمل بعد الوطنين سواء على الجناح اليمينى الروسي المتطرف أو على بقيا فلول الحزب الشوعي السابق وأنما نقول أن السياسة الغربية تجاه روسيا تسري بشكل مضطرد ومتعاظم نحو تحجيم الدور الروسي العالمي واضعاف روسيا على المستوي الاقتصادي تم يتبعه المستوى العسكرى. رغم أن الرئيس

الروسي الحالي لم يقدم شئ مهم أو يذكر لروسيا الحاليه سوى البعد الوطني الروسى الذي كان متذمر من مصروفات روسيا على الجمهوريات السوفيتيه السابقه وما عدى البعد الوطني فإن روسيا اليوم هي أكثر فقراً منها في السابق وروسيا اليوم هي أقل شعور بالأمن منها فى السابق سواء الامن الداخلي اليومي أو الشعور الأمني السياسي الخارجي وروسيا اليوم تعمل على تجميد النجاحات المذهله التى تحققت على مر العقود الماضية ولعل أهم هذه النجاجات هو التطور المذهل والقوى على مستوي صناعة السلاح واكتشاف الفضاء فإن هذين الميدانين الذين يعدان أهم أنجازات المرحلة الشيوعيه في روسيا فإنهما الآن يخضعان لمرحلة تقطع وتوقف قد تلغى أهميتها وفائدتهما فى المدى المتوسط. روسيا اليوم أقل نظاماً منها فى السابق ، بل أن التقارير القادمة من روسيا تقول أن رجال الجيش الروسي وعصب الامن الروسي لا يقبضون رواتبهم لفترة تزيد عن ستة أشهر وهى رواتب ضئيلة على أيت حال مما دفع بعض أفراد الجيش الروسي الى زراعة بعض الخضار في قواعدهم العسكرية من أجل أن تكون قوتهم اليومي خوفاً من الموت جوعاً. بل يذهب بعض التقارير أن هناك جزء كبير من القطاعات العسكرية لا يملك النفط والبنزين من أجل تشغيل والاستفادة من المعدات العسكرية المتطور المكدسه في مخازن القواعد العسكرية، كل ذلك والرئيس الروسي يعاني من فترة مرض وأنقطاع عن المسرح السياسي الروسي أى أن روسيا تفتقد البروقراطية اليوميه وتفتقد الاستراتيجية وهذا هو الموت البطيء والمدمى. وعندما تنتفض روسيا من أجل تصحيح هذا الوضع الغير طبيعي عن طريق انتخابات وأدخال أساسيات نطام الحكم الغربي تذهب الدول الغربية نفسها إلى تعزيز وتكريس الوضع الروسي القائم بتقديم المساعدات الأقتصادية قبيل الانتخابات الروسيه هذه المساعدات البالغه عشرة بليون دولار مقدمة من الدول الغربية هي ليست لعمل مشاريع جديدة أو تنفيذ خطة وأستراتيجية جديدة بل هذه الأموال تدفع للرئيس الروسي فى فترة الانتخابات من أجل دفع رواتب العاملين فى مختلف القطاعات في روسيا وهذا ما دفع الرئيس الروسي إلى أصطحاب وزير ماليته خلال حملته الانتخابية لدفع هذه الرواتب الامر الذى أعاد انتخاب الرئيس الروسي الرجل المريض إلى السلطة مرة أخرى وتكريس الوضع والتدهور الروسي. هذه المساعدات الغربيه لروسيا هي ليست فقط كرست الوضع القائم بل كبلت روسيا بديون أقتصادية سوف تدفع ثمنها باهظاً فى المستقبل وهذا ما يقودنا إلى الاستراتيجية الأمريكية تجاه روسيا.

إنه يمكن القول بشكل لا يرقى إلى المجازفه أن الاستراتيجية الامريكية بشكل خاص والغربية بشكل عام تسعي الي تحويل روسيا الى دولة من الدرجة الثانية ليس على المستوى الاقتصادي فهذا متحقق الآن ولكن على المستوى العسكرى. أى ان الغرب يسعى الى تقليم أظافر روسيا النووية وبالتالي حرمانها من هذه القوة النووية التي تملكها كيف يمكن ذلك ؟

يمكن تحقيق ذلك على ثلاثة أبعاد رئيسية هى : ـــ

أولاً : البعد الاقتصادى : سوف تسعى الاستراتيجية الأمريكية إلى أضعاف الاقتصاد الروسي ولكن ليس إلى درجة انهيار النظام الروسي، بمعنى اخر من الأحسن أن يكون الاقتصاد الروسى ضعيف إلى حد ما من أجل أستمرار الحاجه إلى القروض والمساعدات الغربية لروسيا ومن أجل ابقاء الوضع القائم أطول مدة ممكنه. أى مساعدات قادرة على حفظ النظام الروسى من الانهيار ولكن لا تصل إلى مرحلة إيجادتطوير نوعي أو كمي للاقتصاد الروسي. وبالتالي المديونية الروسيه تأخذ بالتعاظم ولاتساع مما يعطي الدول الغربية قدرة على التأثير على النظام السياسي الروسي وسياساته الداخلية والخارجية تحت مفهوم أعطاء مزيد من القروض والمساعدات أو حتي تشجيع الأستثمارات الغربية فى روسيا والتى سوف تتطور في السنوات القادمة إلى أستخدام فتح الأسواق الغربية للسلع الروسيةمن أجل التأثير على التوجهات السياسية والاقتصادية.

وبهذه الطريقه يمكن وضع أحد عوامل الاستقلال فى القرار السياسي عن طريق البعد الاقتصادي تحت التحكم الغربي وبالتالي تتعاظم الهيمنة الغربية وخصوصاً الامريكية على القرار السياسي الروسي.

ثانيا : البعد الاقتصادي: إن أهمية السيطرة على البعد الاقتصادى وأضعاف روسيا علي هذا الجانب سوف يقود إلى تدخل غربي أمريكي في دواخل السياسة الروسية بشكل غير مباشر بحيث يحفظ الاستقلال القرار السياسي الروسي أمام اليمين المتطرف واليسار المتطرف في روسيا وإن كان في الحقيقة ان التأثير يحدث بشكل يومي. بمعنى أن الدول الغربية سوف تمارس التأثير السياسي عن طريق البوابه الاقتصادية بحيث تسعى إلى أضعاف روسيا ولكن ليس إلى درجة الأنهيار بل سوف تعمل على دعمها بشكل قوى وكبير في حالة تعرض روسيا إلى وضع قد يقودها الى الانهيار وسوف تكون الولايات المتحدة الأمريكية والمانيا الدولتين المعنيتين باضعاف روسيا ولكن ليس إلى درجة الأنهيار بهذه الاستراتيجية يمكن أبقاء الوضع السياسي الروسي الغير فعال وغير منتج أطول مدة ممكنة خلالها يتم ترسيخ القيم السياسية الديمقراطية الغربية في روسيا وكذلك يتم أضعاف روسيا علي المستوى الاقتصادى وبالتالى يقود إلى الضعف العسكري.

ثالثا : البعد العسكرى: غني عن القول أن الأهمية الروسية الحالية تعود لقوتها العسكرية وخصوصاً ترسانتها النووية وصواريخها الهائلة القوة والعابرة للقارات وبدون هذه القوة العسكرية الضخمة فإن أهمية روسيا وصوتها سوف تكون أضعف بكثير مما هي عليه اليوم وبالتالي فإن الاستراتيجية الامريكية سوف تعمل على حرمان روسيا من هذه الميزة وذلك يعني أن أمريكا سوف تكون أكثر أمناً إذا كانت روسيا لا تملك هذه القوة النووية الضاربة. ولكون

المانيا لا تملك القوة النووية فإن توازن القوي الطبيعي فى أوربا من وجهة النظر الأمريكيه هو أن روسيا لا تملك قوة نووية بحيث يحدث توازن قوى فى أوروبا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكيه أن تلعب دوراً أكبر في السياسة الأوروبية ومستقبل أوربا.

إن حرمان روسيا من قدراتها العسكرية الهائلة هو أحد أهم أركان الاستراتيجية الأمريكية وذلك لن يحدث الا من خلال أبقاء روسيا ضعيفه على المستوي الاقتصادي وزيادة مديونتها الخارجية لصالح الولايات المتحدة الأمريكيه والغرب من أجل التغاضى عن هذه المديونية فى المستقبل وإعادة جدولتها أو أسقاط جزء منها مقابل تخلى روسيا عن جزء من ترسانتها النووية وأضعاف روسيا أقتصادياً سوف يسمح بضمان عدم تطوير قدراتها العسكرية في المسقبل بحيث يتم القضاء على القدرات الروسية بمثلث الموت المتكون من الاضلاع التالية :

أ) أضعاف برامج التطوير التسليحي في روسيا وذلك عن طريق أضعاف الاقتصاد الروسي.

ب) الحيلوله دون وصول قيادات قويه مهتمه بالبعد العسكرى لقمة الهرم السياسي الروسي وذلك عن طريق استخدام البعد الاقتصادي والمساعدات الاقتصادية والاعلامية والسياسية للمرشحين الذين لا يعطون البعد العسكري وتطويره ثقل مهم.

جـ) أنها جزء من الترسانة النووية الروسية عن طريق اتفاقيات الحد من التسلح النووي مثل معاهده (ستارت ٢) الموقعه بين الطرفين أو (ستارت ٣) المقترحه والتى سوف تقود إلى خفض قدرات الطرفين من الاسلحة الاستراتيجية والصواريخ العابرة للقارات بما مقدارة ٨٥٪ خلال فترة لا تتجاوز العشر سنوات أي عند حلول ٢٠٠٧ ميلادية وهذا يعني بقراءة أخري أن روسيا خفضت قدراتها النووية دون أن يتم تعويضها أو تطوير بدائل عنها لسبب البعد الاقتصادي والسياسي الذي سبق التحدث عنهما بينما تبقي الولايات المتحدة الأمريكية تطور قدراتها العسكرية للمسقبل وذلك ناتج عن قدراتها الاقتصادية والتكنولوجية الهائلة. والولايات المتحدة الأمريكية في نفس الوقت سوف تعارض التوسع وتطوير السلاح للدول الأوروبية سواء الغربية أو الشرقيه تحت أسم أوربا الموحده. وروسيا التى تضعف وبالتالى يكون مبرر الدول الغربية للتسلح أقل منه فى السابق. من هذا المنطلق سوف تكتشف روسيا الدوله العظمي أنها تحولت إلى دولة أوروبية داخلية تعمل ضمن المنتظم السياسي الأوروبي وأن ما يحدث فى أوروبا من توازن سياسي وعسكري يرتبط مع روسيا، وأن روسيا الاتحاد السوفيتي السابق الدوله الموثرة عالمياً تحولت إلى دولة أوروبية مهتمه بالنظام السياسي الأوروبي وتوازن قوى فيه وهنا تصبح روسيا دولة لا تستطيع أن تقول لا للدوله العظمى ذات الاستراتيجية الدولية المهيمنه على النظام السياسي الأوروبي الند السابق للولايات المتحدة الأمريكيه.

روسيا والعالم العربي

ما ذكرنا في مقال سابق أن روسيا اليوم الوريث الشرعي للقوة السوفيتية السابقة وأهم عناصر قوته أقول روسيا اليوم تعاني من صعوبات أقتصادية وسياسية دستورية حقيقية إلى الحد الذي يصل فيه هذا المأزق الدستورى من ان الرئيس الروسي بوريس يلسن يعاني من أزمات مرضية متوالية وقد ثبت مراراً عدم قدرته الحقيقية على الحكم، بل أن التقارير تتحدث عن أن رئيس روسيا يعمل ما يقارب الساعة في اليوم فقط لمجابهة كل المصاعب التى تواجه روسيا بل أن الزعيم الروسي يقطع زيارته إلى آسيا الوسطى ويعود إلى روسيا تحت ضغط الأعياء والتعب. ومع أن الدستور الروسي يسمح بعزل الرئيس في حالة عدم قدرته على مهام الحكم إلا أن الدستور غامضاً إلى حد كبير عن من هو المسؤول عن عزل الرئيس أو من يقوم بهذا العزل وهذا أحد المشاكل الحقيقية التى تعانيها روسيا ضد النظام التعددي والدستور.

وإذا تركنا موضوع الدستور والرئيس خصوصاً وأنهما قابلين للتعديل والتبديل إلا أن روسيا اليوم تعاني من مشاكل سياسية وأقتصادية هيكلية وحقيقية إلى الدرجة التى تصل بالدولة الروسية الضاربة القوة إلى طلب المساعده الغربية وهذه المساعدة ليست المالية فهذا معروف منذ زمن بعيد بل أن روسيا الديمقراطية اليوم تطلب المساعدات الغذائية من الدول الغربية حتى يمكنها أن تجابه فصل الشتاء الطويل في روسيا وإن لم تحدث مثل هذه المساعدات فإن روسيا المسلحة بترسانة نووية قوية سوف تعاني من المجاعة في بعض مناطقها وبعض شرائح المجتمع في روسيا. ومن سخريات القدر والملاحظة أن يكون الاتحاد السوفيتي السابق يشتري ما يحتاج إليه من الغذاء من الولايات المتحدة الأمريكية وخصوصاً القمح حتى أن الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر اطلق عليها دبلوماسية القمح حيث كان يستخدم مبيعات القمح كأداة من أدوات الضغط السياسي الغربي على روسيا واليوم روسيا التى تمر بتحولات سياسية وأقتصادية جذرية تطلب المساعدات وليس لديها القدرة على دفع قيمتها بل أن الثمن السياسي والاستراتيجي لهذه المساعدات إن تحققت ومن المتوقع أن تتحقق سوف تكون كبيرة.

إذا كانت روسيا سوف تحتاج للغرب حتى في الغذاء في الشتاء القادم فكيف يمكن لروسيا التصريح اليوم وخصوصاً الجناح العسكري والجيش الذي يتحسّر على الايام الخوالي خصوصاً مع شعوره بالذل والمهانة اليوم وهذا الجيش المهيب الجانب أصبح لا يستطيع حتى على إطعام أفراده أقول كيف يمكن للمؤسسة العسكرية الروسية اليوم تصرّح أنها سوف تقف إلى جانب يوغسلافيا ضد حلف الاطلسي بل أن المسؤولين العسكريين الروس يطلقون صيحات

الدعم العسكري اللامحدود لصربيا ضد التحالف الغربي. الملفت للنظر إن مثل هذه الصيحات يطلقها العسكر في روسيا وهي تشابه تصريحات العسكر في جميع أنحاء العالم وهي تبقي جوفاء وغير ذات أهمية حقيقية خصوصاً وأن الواقع السياسي والأقتصادي يقول عكس ذلك.

والسؤال الذي نطرحه هو التالي : ـ إذا كانت روسيا الدولة ذات الأمكانيات العسكرية لا تستطيع سوى اطلاق التصريحات لدعم الحليف التاريخي والعرقي والديني والاستراتيجي في يوغسلافيا ونحن نعلم مسبقاً أن هذه التصريحات لا يمكن أن تتبلور إلى حقيقة خصوصاً وأن الخبز الذي يصل للروس سوف يأتي من العالم الغربي إذا كان هذا هو واقع الحال فإنه من المتوقع أن تكون تصريحات العسكر الروس غير عقلانية وغير منطقية ويبدو أنه يحكمها العقلية العسكرية التى لا قوى في العالم سوى استخدام القوة حتى في حالة الضعف. أقول إذا كان هذا هو مصير روسيا عاجزة حتى عن دعم الحليف فكيف يمكن للعالم العربي انتظار المساعدات العسكرية الروسية أو حتى الوقوف السياسي والدبلوماسي مع القضايا العربية؟.

إن واقع الحال اليوم يحتم على العالم العربي أغلاق الملف الروسي إلا في حالتين رئيسيتين هما : ـ

أولاً : في استخدام روسيا على مستوى التصريحات الدبلوماسية والحملة الاعلامية ولكن يجب التأكد أن هذة الحملة أعلامية دبلوماسية فقط غير ذات تأثير حقيقي على المستوى السياسي الفعلي وإن كان هناك تأثير فسوف يكون محدود جداً.

ثانياً : إن روسيا اليوم يمكن الاستفادة منها في محاولة كسر أحتكار السلاح في الغرب وهنا يجب التنبيه ان السلاح الروسي اليوم على المستوى التقليدي أي الطائرة والمدفع والدبابة لم يعد مجدى لأن مبيعات مثل هذه الاسلحة والقطع العسكرية يحتاج لقوة سياسية من جانب روسيا يضمن استمرارها واستمرار صيانتها قطع غيارها وأن الواقع الروسي اليوم لا يخدم هذه التوجه بل إن روسيا يمكن أن تخضع في حالة بيع السلاح أي أن روسيا عميل لا يمكن الاعتماد عليه في بيع السلاح التقليدي. ولكن ما يمكن أن يستفاد منه من روسيا هو محاولة شراء الخبرة في مجال صناعة الاسلحة الغير تقليدية وواسائل إيصالها مثل الاسلحة الجرثومية والنووية والكيماوية وتكنولوجيا الصواريخ من أجل ايصالها حيث إن مثل هذه المعلومات ونقلها مهم واستراتيجي وهو في ذات الوقت يتطلب التحرك السريع وعدم الالتزام طويل الأمد إلى حد ما.

ومن حسن الطالع أن روسيا اليوم يؤهلها وضعها السياسي والاقتصادي والمحلي للاستفادة من هذا الوضع من قبل الدول الاخرى في مجال هذا النوع من الاسلحة الغير تقليدية.

وإن هذه الفرصه اليوم مواتية وقد لا تتكرر في المستقبل لذلك كان لابد للعام العربي الاستفادة من هذه الفرصة.

وباستثناء البعد العسكري الغير تقليدي فإن روسيا اليوم تشكل عبئ حقيقي على أصدقائها

وحلفائها ولم تعد اللاعب الحقيقي على الساحة الأوروبية ناهيك عن الساحة الدولية. لذلك على الدول العربية معرفة أمكانيات وقدرات روسيا والتعامل معها من هذا المنطلق دون التوقع أو التوهم أن روسيا ممكن أن تقدم حلول سياسية أو دبلوماسية أو أن تشكل ورقة ضغط على واشنطن أو إسرائيل أو أي دولة في العالم الغربي فإن زمن هذا التأثير قد انتهي ولم يعد موجود لذلك على الزعامات العربية اليوم الاستيقاظ من احلام الستينات والسبعينات من هذا القرن والتفكير بشكل اكثر حداثه واكثر تعامل مع المستجدات الدولية.

سوريا والسياسة الخارجية الاسرائيلية

يعد أتفاق الخليل الذي أبرم بين السلطة الفلسطينية وحكومه الدولة العبريه أمتداد لاتفاقية أوسلو حيث قدر لكاتب هذه السطور أن يتحدث عندما جاء حزب الليكود بزعامة السياسي الغض والقليل التجربة بنامين نتياهو على رأس الحكومه الإسرائيلية قادماً من عالم الرفض النظري والتعبئة الأيدلوجية الممزوجة بالبعد الديني اليهودي والعنصري القومي ضد العرب. أقول عندما جاء رئيس الوزراء الاسرائيلي الحالي الى سدة الحكم بكل الرفض لاتفاقية أوسلو والاتفاق مع السلطة الفلسطينية والرفض التام لمعادلة السلام مقابل الأرض إلي السلام مقابل السلام كان يحمل معه تطلعات وأحلام الماضي حيث ذكرت فى حينها أن نتنياهو لا يملك الخيارات العديدة وذلك أنه لا يملك الاغلبية في الكنيست الاسرائيلي من جانب وحكومته من جانب آخر عبارة عن تجمع لاحزاب متعددة يمكن أن يكون عرضة للتفكك ومن جانب ثالث والأهم أن الادارة الامريكيه كانت تبحث بشكل جدي عن فرص السلام وذلك أن السؤال الفلسطيني على قياس المسألة الفلسطينية ليس لها حل من قبل الادارة الامريكيه سواء الاتفاق الذي يجمع الفلسطينين والاسرائيلين مما يحفظ أمن وسلامة إسرائيل وأرض يقيم عليها الفلسطينين تقع في الضفة الغربية وقطاع غزة وأن البديل لذلك هو عدم أستقرار المنطقة العربية وأرتفاع صوت وأهمية القوى المعارضة للأدارة الأمريكية حيث سوف نجد الدول والقوى المعارضة صوت وأهمية كبيرة إذا ما حدث فشل لحل المسألة الفلسطينية والوضع الفلسطيني المتقرح وهذا يهدد الاستراتيجية الأمريكية بشكل مباشر بحيث تنتقل من النظرة الاستراتيجية الشاملة لمنطقة الشرق الأوسط والعالم العربي الى ما يطلق عليه المشكلة والحل وهو الانتقال من حل مشكلة صغيرة الى حل أخري وتتراكم هذه المشاكل لتكتشف الادارة الامريكية أنها أبتعدت عن استراتيجيتها الاصليه كما أنها سوف توصل الدول الصديقه لها الى طريق مسدود في حالة تعثر حل المسألة الفلسطينية. ومن هنا فكاتب هذه السطور سبق أن ذكر عبر هذه الزاويه أن الضغط الامريكي كان قوياً وجوهرياً ضد أدارة نتنياهو وأن هذا الاخير لا يملك إلا المضي قدماً باتفاقيات أوسلو رغم التعنت الذي أبداه أو سوف يبديه في قادم الايام. ومن هنا فإن نتنياهو سوف يري أنه من المصلحة الاسرائيلية استمرار الاتفاق مع الفلسطينيين رغم ما سوف يعتري هذا الاتفاق من انتهاكات كثيرة من الطرفين وذلك أن اسرائيل سوف تساير وتماشي السياسة والاستراتيجية الامريكية في المنطقة ولا تستطيع معارضتها أو الوقوف بوجهها وهذه النظرة تحكمها النظرة الاسرائيلية الواقعيه للوضع الاجتماعي والسياسي الذي بدأ يأخذ بالتشكل داخل

الولايات المتحدة الأمريكية ومن جانب آخر فإن إسرائيل تحاول أن تنهي الصراع الفلسطيني حتي وأن تحول في مستقبل الايام الى دولة فلسطينية وهذا ما سوف يحدث الى حد كبير حيث أن مبدأ قبول اسرائيل لحكم فلسطيني فأنه بدايه حقيقيه لتشكل الدولة الفلسطينية على أرض الواقع حتى وأن لم يري الاسرائيليون ذلك. وإسرائيل ترمي من ذلك أيضاً محاولة حل معضلتها الاقتصادية مع العالم العربي حيث أن اسرائيل ترى أن حل المسألة الفلسطينية سوف تفتح لها أفاق أقتصادية هائلة مع العالم العربي . كل هذه الأهداف التى ترمي إليها إسرائيل قابلة وممكنه التحقيق إلى أن المسألة السورية ــ اللبنانيه تقف حجرة عثرة حقيقيه في طريق الأحلام الاسرائيلية. ومن وجهة نظر الجانب السوري فإن كون سوريا توقف الحلم الاسرائيلي فإن ذلك ميزه تفاوضيه سوف تعطي السوريين القدرة والامكانيه التى سوف تحصل من خلاله على حقوقها من الجانب الاسرائيلي سواء على ساحة الجولان أو على الساحة اللبنانيه. بحيث يكون لبنان دولة حليفه وأمتداد لسوريا وليس دولة تتعاون مع إسرائيل كما أراد لها الحزب الماروني المتطرف تجاه العرب والمواقف العربية للصالح الإسرائيلي. وكون الأهمية السوريه تعطي أهمية تفاوضيه كبري ضد الجانب الإسرائيلي فإن هذه الأهمية في نفس الوقت تعتبر أهم وأضعف الحلقات في الموقف السوري من الناحية السياسية الواقعيه وذلك يرجع أن السوريون يراهنون على المواقف السياسية المتغيرة أكثر من المواقف التفاوضيه الثابته نسبياً. حيث أن اسرائيل تسير على تدبير وتخطيط وتكوين شبكه من التصرفات من أجل الاعداد لضرب سوريا في المستقبل الغير بعيد كان أبرزها هو الاتفاق الاسرائيلي التركي والذي يمنح نوع من التفاهم التركي الاسرائيلي في مسألة الأمن والمياة في الظاهر، والباطن يخفي أن هذا الاتفاق يكون ضد سوريا والعراق بشكل مباشر وأيران بشكل غير مباشر بحيث أن أي عملية عسكرية إسرائيلية ضد سوريا سوف تجد تنسيق وتشجيع تركي وذلك لانهاء الصوت المعارض لإسرائيل في العالم العربي ولبنان بشكل مباشر ومن الجانب التركي ضرب سوريا يعني أنهاء وتأجيل المطالب السوريه في مسألة المياة لمدة تزيد عن عشر سنوات قادمة. وهذا ما تسعي الحكومه التركية الحصول عليه لانهاء مشاريع المياة لديها وأنهاء قوة عسكرية سوريه يمكن أن تهدد هذه المشاريع بالفشل سواء بضربها المباشر أو بدخول تركيا حرب مع سوريا تنهك الاقتصاد التركي مما يؤثر كذلك على الاقتصاد التركي وبالتالي توقف مشاريع السدود لديها والتي تكلف بلايين الدولارات. فمن وجهة النظر التركية هو التنسيق وأطلاق يد إسرائيل لانهاء القوه السوريه هو أرخص الطرق لانهاء الطرف الآخر.

وإسرائيل من جانب وخصوصاً حكومة محافظة قائمة على حزب الليكود لم تخضع للضغط الدولي إلا لتستفيد منه بشكل أو بآخر حيث أنها مضت قدماً سوف تستمر بالمضي باتفاقاتها مع الفلسطينيين وذلك من أجل تعليق الجانب الفلسطيني أطول مدة ممكنة وربط المصالح

الفلسطينية بإسرائيل وذلك عن طريق تمديد مدة الانحساب من المناطق الفلسطينية حتى منتصف ١٩٩٨م الوقت الكافي لضرب القوة السوريه في حالة وقوفها أمام الاستراتيجية الاسرائيلية في المنطقة مع ضمان أن الفلسطينين لن يدخلون لصالح سوريا خصوصاً وأن الفلسطينيون سوف يعملون على مهادنه اسرائيل حتى تستمر فى انسحاباتها من المناطق الفلسطينية دون تأخير. بمعني آخر أن مواقفة إسرائيل على المضي قدماً فى اتفاقياتها مع الفلسطينين هو محاولة الفصل بين المصلحة السوريه والفلسطينية وفك الترابط والالتزام بين الطرفين ومحاولات فك الترابط والالتزام بين القضيتين وهذا ما أعلن عنه المسؤولين الفلسطينيون عند معارضة سوريا لاتفاق الخليل أن مصالح الفلسطينيون وتعاملهم مع إسرائيل شيء منفصل ومختلف عن الموقف السوري وتعاملها مع إسرائيل.

أما الجانب الأردني فإنه من غير المتوقع أن تكون للحكومة الاردنيه مواقف قوية ضد ضرب سوريا وذلك لأسباب سياسية وعسكرية وأقتصادية واضحة لا تحتاج للشرح والتفسير والتبرير. أما الموقف المصري وهو في غاية الأهمية بالنسبة للجانب الاسرائيلي حيث شاهدة إسرائيل أن الشارع المصري كان اكثر القوى رفض لعملية التطبيع مع إسرائيل حيث أُصيبت الدبلوماسية الاسرائيلية بخيبه أمل من جراء الموقف الشعبي المصري من مسألة الاتفاق المصري الاسرائيلي الذي قادة الزعيم الراحل أنور السادات وأن المراقب للاستراتيجية المصرية على المستوى الوطني سوف يلاحظ أن الهم الاقتصادي والتنموي للحكومة المصريه يطغى على جميع الابعاد فأن الاستراتيجية المصريه الحالية هو محاولة بناء أقتصاد قوي وبنية تحتيه قادرة ان تدفع الاقتصاد والتنمية نحو التطور المتسارع وهذا التوجة الاستراتيجي الاقتصادي يتعارض مع مفهوم الحرب والتعبئة العسكرية ضد أي طرف. بمعني آخر أن الهم الاقتصادي والتنموي هو الخيار الأول والأهم للحكومه المصريه وليس الخيار العسكري وهذا ما صرح به الزعيم المصري حسني مبارك عندما قال بصوت مسموع ـ أن الحرب غير واردة مع إسرائيل حتي لو فشلت عملية السلام ـ وهذا يعني أن ما يشغل الادارة المصرية هو الهم الاقتصادي التنموي ولا يمكن أجهاضه في عمليات غير محسوبه وغير مضمونه النتائج.

أما الجانب السوري، أن سوريا تسير والوقت في غير صالحها حيث أن الادارة السوريه وما عُرفت عنه من صبر وقدرة على المناورة وأستخدام عامل الوقت في المفاوضات فإن عامل الوقت هنا قد يكون ليس لصالح الجانب السوري حيث أن سوريا فقدت أهم حلفائها السياسيين والعسكريين بانهيار الاتحاد السوفيتي ومصدراً مهماً من مصادر السلاح، القوة الحقيقيه لصلابة الموقف السوري وبسقوط الاتحاد السوفيتي يعني أن الآلة العسكرية السورية تضعف بالتقادم وتضعف على مستوى نوعية السلاح وقطع الغيار ورغم المحاولات السوريه لبناء قدرة صاروخية، وهذا توجه يفيد الموقف السوري، إلا أنه سوف يجد معارضة ليس من دولة مثل

إسـرائيل بل سوف يجـد معـارضـة من قبل الولايات المتـحـدة الامريكيـه وأوربا وأغلب الدول العربية. والوقت هو ليس لصـالح الموقف السوري كذلك على المستوي السـياسي حيث أن الدول العربية الأخري تدخـل باتفاق مع إسرائيل مما يعني فصل سوريا عن حلفائهـا العرب من جانب وفصلها عن الشارع السوري بشكل أكثر أتساعاً.

بقي موقف باقي الدول العربية وذلك يمكن تقسيمها الى ثلاث أقسام : ـــ

الاول : المغرب العـربي وهذه الدول بعيـدة وسوف يكون تأثيـرها هامشي ومـحدود إلا على مسـتوي الاذاعه والشـجب والتنديد في حالة وقـوع نزاع بين إسرائيل وسوريا. الـثاني : لبنان سوف ينقسم علي ذاته سوف يضعف عن المقاومـة ضد إسرائيل في حالة ذهاب الدعم والحماية السوريه. الثالـث : دول الخليج العربي وهي من الدولة أكثر تأثراً بالنزاع السـوري الاسرائيلي، وأنتهاء القوة السـورية سوف يكشف منطقة الخليج أمام إسرائيل من جـهة وسوف يخل أخلالاً حقيقـياً بتوازن القوى العربية الأمـر الذي يجعل موقف وقوة الدول الخليجيـة أضعف بكثير من السابق.

خلاصة القول أن شـبكة الاعمال السياسيـة والتحالفات الجانبيـه والسلوك الاسرائيلي يبعث على التوجس أن صـدام سورياً إسرائيلياً قابل للـحدوث إلى حد بعيد خـلال المرحلة المقبلة إذا لم يحصل أنفـراج حقـيقي في مسـألة الأتفاق بين الطرفين حـول القضـايا المعلقة بينهـما وأن هذا الصدام سـوف يؤدى الى أنهاء القوة السـورية إلى حد كبـير مما يعني أعطاء قـوة لإسرائيل أن تتحرك على المـستوي السياسي والاقـتصادي خلال العـشر سنوات القادمة بشكل أكـثر حريه ومناورة، وأن الصدام هذا سـوف تختـار إسرائيل قوته وطريقـته ومكانة وزمـانة وخلال هذة المرحلة سـوف تسعي إسرائيـل إلى جمع أكبـر قدر من المعلومـات على الجانب السـوري بشكل خـاص والجانب العـربي بشكل عـام. وسـوف تسعي إسـرائيل أن يكون الظرف مـلائمـاً على المستوي الدولي بحـيث تضمن وقوف الولايات المتحـدة الأمريكية بشكل خاص إلى جـانبها في ضربتها العسكرية الخاطفة وأغلب الدول الأوروبية. ومن جانب آخر سوف تحاول أختيار الوقت التي يتكون فيهـا الدول المحتمل أن تقف الى جانب سوريا في حـالة سياسية وأقتـصادية تحتم عليها الوقوف على الحياد.

سياسات متغيرة

سوف تشهد الأسابيع القادمة المناورة الشرق أوسطية التي سوف تجمع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وتركيا كما أن الأردن مرشح للمشاركة بشكل رسمي أو المشاركة كمراقب لهذه المناورة ولكن السؤال الذي يطرح في مثل هذه الأحداث السياسية أو المناورة العسكرية ذات البعد العسكري هو. لماذا تقام هذه المناورة على المستوى العسكري؟ ثم ما هي أبعادها السياسية في المستقبل؟ هل المسألة مسألة تدريبات عسكريه فقط ؟ لا يمكن أن يكون الأمر كذلك. وأنمامنطق الشيء والقول يقول أن كل من هذه الدول لديها حساباتها الخاصه بها. فعندما تنظر لهذه المناورة من الزواية الأمريكية فإن الأمر يمكن تبريره على أن المناورة الأمريكية الإسرائيلية ليست جديدة وأنما هي ذات بعد عسكري بين الطرفين أمتد منذ نشأة إسرائيل وهي مرشحة للاستمرار طالما أن هناك مصالح سياسية وعسكرية تقتضي ذلك وطالما أن النظام السياسي الأمريكي الداخلي يسمح بوجود قوى ضغط لصالح إسرائيل. إلا أن الجديد في هذه المناورة من وجهة النظر الأمريكية هو أدخال تركيا في سياسة شرق أوسطية. أي أن السياسة الأمريكية مقدمة لتوجيه وإعادة تشكيل تقاربها مع تركيا تجاة الشرق الأوسط بعد أن كان موجه ضد الاتحاد السوفيتي السابق إذاً تركيا يجب (من وجهة نظر الادارة الأمريكية) أن يستمر التحالف معها ولكن تجاه الشرق الأوسط خصوصاً وأن تركيا أكتسبت أهميتها في حرب الخليج الثانية وأستخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقواعد التركية الجنوبية من أجل ضرب شمال ووسط العراق في حرب الخليج الثانية. كما أن تركيا أكتسبت أهميتها للادارة الأمريكية في إعادة توازن القوى في آسيا الوسطى وخصوصاً التنافس مع إيران في هذه المناطق. كما أن الادارة الأمريكية تعطي أهمية كبيرة لدول آسيا الوسطى وذلك راجع الى أحتياطياتها النفطية الجيدة والتى باستغلالها لها يمكن تخفيف الاعتاد القوي على المناطق الغنية بالنفط من جهة وتعدد مصادر النفط من جهة ثانية وزيادة عدد المصدرين لهذه السلعة واكتشاف مزيد من أحتياطي الغاز مما يعني تنويع مصادر الاستيراد وتنويع مصادر الطاقة وكل ذلك يجعل الادارة الأمريكية في وضع يسمح لها باستخدام أوراقها بشكل اكثر حرية وفاعلية.

وعلى الجانب الإسرائيلي فإن من الوضوح كذلك حيث أن إسرائيل كانت الحليف التاريخي للولايات المتحدة الأمريكية وذلك راجع لقدرتها على أختراق السياسة الأمريكية الداخلية والخارجية مما دفع إلى تسخير القوة الأمريكية الى مصالح إسرائيل والتي تتميز بالضيق في وقت من الأوقات. والجديد في المصالح الاسرائيلية أيضاً هو التنسيق مع الادارة الامريكية من أجل تحويل وأستثمار السياسة التركية إلى الشرق الأوسط والتى تتطابق فيه المصالح مع

الادارة الأمريكية حيث تكتشف أن إسرائيل تحاول أستثمار الخلاف التركي العراقي التاريخي والذي جعل المسألة الكردية أحد عوامل الخلاف بين الطرفين ومن جانب آخر أن احتمالية الخلاف الايراني التركي تأخذ مجرى تصاعدي خصوصاً وأن النخب السياسية والقوى الفاعلة في تركيا ترى أنها على أختلاف في وجهات النظر مع إيران مما يجعل تركيا سوف تعمل على محاولة تحجيم أي نفوذ أو تأثير لايران في المنطقة يمكن أن يؤثر على تركيا ذاتها. ومن جانب ثالث فإن تركيا عملت على بناء العديد من السدود المائية وكان أبرزها هو سد أتاتورك الذي سوف تحجب المياه عن كل من العراق وسوريا مما جعل سوريا تدخل في خانة الدول التى ترى في التوجه التركي تهديد لمصالحها البعيدة المدي وخصوصاً بعد تطور تعاونها العسكري والأمني والسياسي مع إسرائيل.

إذاً تركيا تهدد الدول التى ترى أن سياساتها تتعارض معها و هي نفس الدول التى تناصب إسرائيل العداء وبشكل واضح وقوى. مما جعل التقارب الإسرائيلي التركي مسألة تقارب سياسي أملته ظروف المرحلة السياسية. ومن الملاحظ أن الطرف العربي في هذه المعادلة وإعادة التشكل هذه وخصوصاً سوريا ومصر وباقي الدول العربية تعتبر أقل الدول تأثيراً على مجريات تشكل الأحداث في هذه المنطقة من العالم.

أما على المستوى تركيا وما هي أهدافها السياسية والعسكرية المحتملة من الدخول في مثل هذه المناورة العسكرية التى تعكس التقارب السياسي أكثر من كونها مناورة عسكرية بحته فإنه ذلك يرجع إلى تشابك العلاقة التركيه الأمريكية كانت من أكثر العلاقات تقارب وتنسيق خلال الحرب الباردة حيث كانت أهمية تركيا واضحة حتي سقوط الاتحاد السوفيتي مما جعل تركيا تبحث عن دور تلعبة حتى تتمتع بالتقارب مع واشنطن لتكتشف آسيا الوسطى كما ذكر سالفاً والشرق الأوسط اكتشفت من إسرائيل دولة قادرة على أختراق النظام السياسي الأمريكي وبالتالي تسخير وأستثمار التأثير اليهودي على الادارة الأمريكية لصالح تركيا.

كما أن تركيا كانت تطمع بالدعم الأمريكي من أجل الدخول في الجماعة الأوروبية وعلى الرغم من الدعم الأمريكي لدخول تركيا للجماعة الأوروبية إلا أن هناك العديد من الدراسات تؤكد على وجود سياسة أمريكية مبطنه تعمل على عدم دخول تركيا السوق الأوروبية وهذا يقوده المنطق السياسي البسيط المؤدي وهو أن دخول تركيا السوق الأوروبية المشتركة سوف يخفف من الأهمية الأمريكية لتركيا أو بمعنى آخر سوف يقلل من أعتماد تركيا على الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي فلن تكون السياسة الأمريكية ضد ذاتها بالعمل على أدخال تركيا السوق الأوروبية المشتركة. ثم أنه يبدو أن أوروبا عاقدة العزم على عدم أدخال تركيا في أي حال من الأحوال للسوق الأوروبية في المستقبل وذلك راجع لأسباب أقتصادية وسياسية وعرقية ودينية لذلك أنتقلت من الشرط القائم على موافقة اليونان إلى شرط تحسين الوضع الاقتصادي والأهم

الديمقراطي وحقوق الأنسان وهو الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لتركيا خصوصاً وأن أي أنفراج على المستوى الديمقراطي وحقوق الانسان سوف يقود إلى وصول الأحزاب ذات التوجه الاسلامي في تركيا وهو ما يعني أبتعاد عن السياسة العلمانية التى وضع أسسها أتاتورك في بداية هذا القرن. لذلك فإن دخول تركيا للسوق الأوروبية المشتركة يبدو بعيد التحقيق على المستوى الأوروبي وعلى المستوى التركي لذلك كان توجه السياسة التركية الجديد هو البحث عن ادوار أخرى يمكن بها تحصل على التقارب والدعم الأمريكي وكان التنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل هو أحد أدوته في السياسة الخارجية التركية.

أما الدول الأخرى التى يمكن أن تشارك كفاعل أو مراقب فأنها تريد التأكيد على تقاربها مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تعرضت للعديد من النكسات في سياساتها الخارجية. أما ما هو الهدف العسكري من هذه المناورة فإن الأيام سوف تكشف عن طبيعة هذه المناورة ونوعية السلاح المستخدم فيها وطبيعتها التكتيكية والعملياتيه وطبيعة التنسيق على ضوء هذه المعلومات يتحديد الهدف العسكري من هذه المناورة وهل هي موجهة ضد دولة بحرية أو برية وما هي الدولة لهدف من هذه المناورة وعندما تنتهي هذه المناورة أرجو أن تكون موضوع مقال في المستقبل.

سيكلوجيا الحرب

لا يمكن لك أن لا تشعر بالتعاطف مع عجائز ونساء وأطفال الشيشان اليوم وأنت ترى بأم عينك العناء والألم البدني والنفسي الذى يرتسم على تلك الوجوة بشكل يفطر الذات السليمة وبشكل يدمي الجانب العاطفي بالنفس البشرية. وتسأل نفسك نفسها اليست هذه المشاعر هي مشاعر إنسانية أم أنها مشاعر خاصة بك وحدك.

إلا ان الجانب الاكاديمي العلمي دائماً ما يظهر مفسراً ما يحدث وممنطق المنطق وجاعلة اكثر اتساق مع مجربات الحدث وطبيعة النتائج.

إن النظرة الفاحصة للجوانب المعرفية التى يتعرض لها الجندي العادي في الدول التى تمتهن البعد العسكري بشكل محترف ويدعمة بعداً من التنظيم العسكري التاريخي، أقول إن النظرة الى محتويات المعرفة التى يتعرض لها لطالب وجندي المستقبل ينصب على أهداف محددة وواضحة وهي كيف تخوض الحرب وننتصر بها. كيف تنتصر بغض النظر عن النتائج الانسانية وغير الانسانية التى يمكن أن تحدث من خلال تحقيق الهدف وهو الانتصار بالحرب. ومن مفهوم تحقيق النصر يتم غض الطرف عن ما يمكن أن يحدث في الطريق إلى الهدف الأسما والأهم.

إن الدارس لتاريخ الحروب ليصاب بنوع من التقزز عندما يطرح سلوك العسكري في ساحات الحرب عبر تاريخ الصراعات الانسانية وخلال القرن العشرين عبر الحروب المختلفة التى خاضتها الدول بدأ بالحرب العالمية الأولى ثم الحروب الأقليمية المختلفة ثم الحرب العالمية الثانية ثم الحروب الأقليمية الاكثر دموية والاكثر شراسة منها الحروب العربية الاسرائيلية أو الحرب الفيتنامية أو الحرب الكورية أو الحرب العراقية الايرانية أو حرب الخليج الثانية.

إن المتتبع لمثل هذه الحروب على رغم الاختلاف النوعي في السلاح وكيكفية استخدامة وأنظمة التسلح الجديدة التى دخلت نظام القتال إلا أن كل هذه الحروب وإلى حد كبير اشتركت بعامل واحد وهو العامل الانساني أي العامل الانساني الباحث عن النصر والنصر بأي ثمن وأي طريقة حيث أن الجندي أخذ هذه المعلومات من خلال دراسته عندما كان عقله غض وطرىء أن النصر وأطاعة الأوامر هي الهدف الأسما للعسكري المحترف بل إن قتل الطرف الآخر أين كان هذا الطرف الآخر من طفل وتجمعات بشرية تعد أسمى الأهداف وتحقيقها يعد واحد من عوامل النصر. والامثلة على ذلك هي اكثر من أن تحصى حيث استخدمة الاسلحة الكيماوية في الحرب الكونية الأول من أجل بث الرعب بجيوش الخصم وتدمير الروح المعنوية واستخدام مفهوم (كسر الظهر) وكان الشعار الذي رفعته بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من أجل تبرير ضرب المدن والتجمعات السكنية الألمانية بعض النظر عن دور هؤلاء المدنيين بالحرب بل إن

الهدف من ذلك هو كسر الروح المعنوية للجندي الألماني وهو على الجبهة بأن مدنة وأبنائه يتم قصفهم يومياً وأن مدنه ومنزلة يتهدم فيما هو على خط الجبهه في الحرب وقد فعلت هذه الاستراتيجية فعلتها.

والولايات المتحدة الأمريكية استخدمت قنابلها وقوتها النووية الناشئة في ذلك الوقت ضد اليابان تحت مبرر أيقاف الحرب والنصر السريع ووقف نزيف الدم الامريكي والخسائر المادية الأخرى مما أوجد لها المبرر الاخلاقي وهو مبرر الحرب لاستخدام القوة النووية، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بقصف القرى والقرويين العزل في فيتنام وقتل كل كأن حي أين كان نوعة أو طبيعته بالاسلحة الكيماوية فقط حتى يستطيع الجيش الامريكي الانسحاب بدون خسائر كبيرة. أنظر لهذا المنطق العجيب وهو أحراق القرى والمدن والناس والحيوانات والشجر وتلويث الماء فقط من أجل أن يتم الانسحاب الامريكي بدون خسائر أنه فعلاً منطق الحرب. ثم يسوق لنا التاريخ ومنطق الحرب العديد من الأمثلة سواء بالحروب العربية الاسرائيلية والمذابح الاسرائيلية ومن أجل ترويع السكان وحملهم على الهجرة والنزوح أو حتى ما عرف بحرب المدن الذي كان مفهوم خلخلت البعد الداخلي من أجل إيجاد تشويش ضد النظام السياسي كما شهدته الحرب العراقية الايرانية ثم ظهر مفهوم تفكيك النظام وارجاعه للعصور المتخّلفة كما حدث في حرب الخليج الثانية أو بهدفها المحدود في حرب كسوفو.

واليوم ونحن نشاهد الجيش الروسي يحاول أن يعيد الهيمنة والكرامة للجندي الروسي بعد الهزائم الواضحة والمذلة في أفغانستان وبعد الموقف المشين للجيش الأحمر من تفكك الاتحاد السوفيتي دون أن يكون له دور يذكر أو من الدور المشين والمعيب الذي لعبة الجيش الروسي في عدم نصرة الحلفاء بالدين والسياسة في صربيا عندما وقف الجيش الروسي وروسيا كلها تتفرج على قصف حلف الناتو للمدن والعاصمة اليوغسلافية دون أن يكن للجيش الذي أرهب العالم لحقبة زمنية أي دور كل ذلك فإن شرف الجيش الروسي اليوم يتوقف بإقتحام مدينة معزولة يغزوها الفقر والمرض منذ عقود من الزمن بل إن كرامة الجيش الروسي اليوم ينظر اليها أنها تعود بالسحق الغير انساني للمدن الشيشانية وإلي كل ما كان هناك ومزيد من الاذلال والعنف ضد الشيشان والشعب الشيشاني فإن ذلك مدعات الى إعادة الهيبة للجندي الروسي المهدر الكرامة حسب المنطق العسكري.

صحيح أن الحرب الشيشانية لها العديد من العوامل سواء الداخلية (السياسية والانتخابية والامنية) والخارجية إلا أن منطق الحرب والبعد الفلسفي لمفهوم الحرب تغذي هذا التوجه للعنف الغير مبرر ضد أطفال وعجائز الشيشان وهوما يجعل النفس البشرية تشعر بالحرج النفسي الكبير ويجعل منطق القوة وسيكلوجيا الحرب تأخذ مجراها بشكل طبيعي ومنطق عصي على التحول والتغيير رغم قرون من الزمن وعقود من الحروب سنوات من التطور.

شركات تعظيم الربح والبناء الأمبراطوري

عندما صدر كتاب بول كندي (قيام وأنهيار الدول العظمي) في منتصف الثمانينات دخل الاستاذ المحافظ من جامعه ييل الأمريكيه أحد أطول وأشد حلقات النقاش في الدوائر الفكرية الأمريكية خصوصاً وأن كتابه الشهير هذا يدق فيه ناقوس الخطر محذراً السياسيين والاستراتيجيين والمفكرين على حد سواء من أن الهيمنة الامريكية آخذتاً بالزوال بشكل تدريجي داعماً هذه الفرضية من دراسته لتاريخ الاقتصاد السياسي للقوى العظمي عبر التاريخ منذ الامبراطورية الرومانية حتى عهد الامبراطورية البريطانية رابطاً بين الاقتصاد والسياسة أي بين التطور الاقتصادي والتوسع فى التسلح والدفاع عن البعد السياسي والمظاهر التوسعيه ليكتشف ان الامبراطوريات على تعاقب تاريخها كانت تدخل عالم القوة عن طريق الفكر والاقتصاد ثم تتحول الى قوة عسكرية لا تلبث هذه القوة العسكرية ان تلتهم المخزون الفكري والاقتصادي لتكتشف هذه الدول أن قوتها العسكرية لابد منها من أجل بقائها كقوة عظمى وهي في نفس الوقت بتعظيمها القوة العسكرية تفقر وتضعف القوة الاقتصادية والفكريه مما يدفعها الى الزوال والزوبان والانهيار. والسيد كندي أستطاع ان يلمس أهم الجروح أيلاماً لدي الدوائر الفكريه والسياسية الامريكية خصوصاً وأن الصراع مع الكتلة السياسيه والمحور المقابل آخذ بالتآكل فأخذ يحذر الولايات المتحدة الامريكيه من الانفراد في الجانب العسكري وأهمال والابعاد الاقتصادية التعليمية والثقافية والاجتماعيه، وإذا كان السيد كندي أثار بحق مثل هذا الجدل الرائع البناء فإن السيد لسترثرو في كتابه الرائع والذائع الصيت (Head to Head) والذي فيه تحسس وحلل معالم الدنياميكيه الاقتصادية الدولية للمستقبل وهو بهذا الكتاب يعد أحد الكتب التى سلطت الاضواء على العديد من النقاط وإن كانت بشكل أو بأخر جاءت بمثابة دراسة تفصيليه لبعد الاقتصاد السياسي بعد السيد بول كندي. والسيد لسترثرو تطرق للعديد من المعلومات والتحليلات الرائعه إلا أن مايستوقفنا في هذه العجالة هي أهتمامة بمفهوم أقتصاد الشركات حيث دخل إلى أعماق الاختلاف الفكرى بين النموذج الأمريكي من جانب واليابانى من جانب آخر وأختلاف هذين النموذجين من حيث نظرتهم الادارية وفلسفتهم الاستراتيجية البعيدة المدى وأستطاع من خلال تحليله للشركات الامريكيه واليابانيه أن يدخل بنا ثم خفايا التفكير والاسلوب المتبع في كلا المنهجين والطريقتين.

السيد لسترثرو خرج ببعض النتائج من أن الشركات الأمريكيه لديها أستراتيجية وفلسفة أقتصادية يمكن أن تكون وراء انهيار بعض هذه الشركات وخروجها من السوق أو حتي خروج

الولايات المتحدة الامريكيه من بعض الصناعات مثل الاكترونيات على سبيل المثال لا الحصر تاركاً المجال للشركات اليابانية أو حتى الكورية الجنوبية الصاعدة. ويعلل ذلك بأن الشركات الامريكيه تقوم فى الأساس على قواعد ثلاث هى (١)حامل سهم الشركات (٢) العميل (٣) العامل في الشركات. بحيث يرى ان الفلسفه الانجلوسكسونيه قامت على الاهتمام والخدمة الكبيرة لحامل أسهم الشركة والعمل والسهر على حصول حامل السهم على عائد مجزي وكبير من أرباح الشركة بل أن تميز ادارة الشركة يقوم علي هذه الخاصيه بالذات بحيث ان مكانت وكفائه رئيس أو مدير الشركة يتوقف على قدرته تحقيق أرباح لحاملى الاسهم وبهذه العوائد يمكن ان يتحدد راتب رئيس أو مدير الشركة والتي غالباً ما تتميز بالضخامه بشكل خرافي . ويذكر السيد لسترثرو أن العميل الذي يتعامل مع الشركة يأتي بالمرتبة الثانية من أهتمام الشركة وبالتالي فإن عملية التسويق وزيادة المبيعات تأخذ بعداً ثانوياً في هذه الشركات وتهتم بالصفقات المفاجئة والضربات الكبيرة بعيداً عن التخطيط التسويقي بعيد المدى الذي يحقق التوسع والاستمراريه بشكل مدروس ويأتي في نهاية السلم وآخر الاهتمام هو العامل داخل الشركة في الفلسفه الامريكيه بحيث تدفع الشركات الامريكية أقل ما يمكن دفعه في تدريب وإعادت تدريب وتأهيل عمالها وموظفيها بحيث يرتبط مفهوم تدريب وأعادت تآهيل هؤلاء العمال والموظفين على مدى توفر الأموال بعد أن يخصص نصيب الأسد من العوائد لحاملي الأسهم وبالتالي فإن عمليه البناء والتوسع وأعادتة التدريب والتأهيل لعاملي الشركات تعتبر في آخر سلم أولويات الشركات الأمريكيه بل أن بعض الشركات تعمل على تسريح أكبر عدد ممكن من هؤلاء العمال في حالة الضائقة الاقتصادية أو توفر البديل الآلي لهذه العماله مما يدفع هذه العماله إلى عدم الولاء للشركة بل ويدفعهم الى عدم الابداع والتأخر في تبني تكنولوجيا يمكن أن تحقق مزيد من الانتاجية نتيجة لخوفهم من أن إدخال مثل هذه التطورات التكنولوجية سوف يساعد ويساهم ويعمل على تسريحهم من العمل وبالتالي يعمل العامل في الشركات الامريكيه علي غض النظر عن إدخال تكنولوجيا جديدة يمكن أن تحل محله في المستقبل.

وكنتيجة طبيعية لاهتمام الشركات الامريكيه في الاهتمام بحامل السهم وتعظيم مداخيله السنويه بحيث أن الشركات الأمريكيه تحاول أن تعطي العوائد لحاملي الاسهم كل ثلاث شهور وذلك من أجل أبراز اهتمامها بالربح لحاملي الاسهم وهذه الطريقه يقول السيد لسترثرو هي من العوامل التي ساهمت بشكل كبير في انحسار عدد كبير من الشركات الأمريكيه مقابل الشركات اليابانية والالمانية بحيث ان الشركات الأمريكيه التي بقيت علي السطح الآن هي الشركات التي أرتبطت بعقود كبيرة مع الحكومة الأمريكية وخاصة في مجال المعدات العسكرية والطيران المدني أما الشركات التي تعد من شركات الصناعة الالكترونية وشركات الخدمات فإن هذه الشركات قد أنحسرت أهمتيها وقوتها الى حد كبير بما فيها شركة مثل AT & T والتي تعتبر

صغيرة مقارنة بمثيلاتها في اليابان مثل NEC كما أن بعض شرات الحاسب الآلى (الكمبيوتر) أستعانت بالقدرة اليابانيه بتصميم الكمبيوتر الصغير (المحمول) والذي يمكن أن يطلق عليه (كمبيوتر الحجر) أو (كمبيوتر الحضن) ويُرجع المؤلف هذه التراجعات في الشركات الامريكيه الى طبيعه الفلسفة الاقتصادية الانجلوسكسونيه والتي تهتم بحامل سهم الشركة على أنه أهم العناصر ويأتي الاهتمام بالعميل بالمرتبه الثانية ثم يأتي الاهتمام بالعامل داخل الشركة بالمرتبة الثالثه يقول المؤلف أن هذه الهرمية في الاهتمام هي التي قادت إلى الانحدار في الشركات الأمريكيه، وهو ما أطلق عليها شركات تعظيم الربح.

ومن الجانب الآخر فإن الشركات اليابانية تعد النموذج المعاكس في الفلسفة الاقتصادية بحيث تسعي هذه الشركات إلى الاهتمام

أولاً بالعامل داخل الشركة. بحيث أن العامل داخل الشركة يعد هو القاعدة الحقيقيه للشركات اليابانية بل إن نظام الرواتب يتوقف على سنوات الخدمة والاقدمية بحيث يتم ربط الفرد بالشركة مدى الحياة ويشعر أنه يدين بحياتة ومستقبلة لهذه الشركة التي يعمل فيها وإن مداخيله تزيد بعدد السنوات التي يقضيها في هذه الشركة . والعامل في الشركات اليابانية لا يشعر بتهديد التكنلولوجيا الوظيفية بل على العكس فإن التكنولوجيا تعد أحد عوامل تعزيز موقف وقوة الشركة بحيث يصبح أدخال التكنولوجيا المتطوره مطلب من قبل العمال يسعون الى تحقيقه وتطويره على أرض الواقع وهذا لا يهدد مراكزهم وأعمالهم كما يحصل في الشركات الأمريكية بل أن الشركات اليابانية تسعى إلى إعادة تأهيل عمالها كلما دعت الحاجة لذلك بل وإن الشركات اليابانية تعد البيت الحقيقي للفرد الياباني بحيث يشعر أنه مدين لهذه الشركات بكل ما يملك من أمكانيات وقدرة شرائيه وكذلك إستقرار نفسي ووظيفي بل أن الفرد الياباني لا يشعر بالضائقة بأن يدفع الثمن الباهظ للسلع المعروضة في الأسواق وذلك لإيمانه إن عوائد هذه السلع سوف يذهب الى العامل بالدرجة الأولي وليس لحامل السهم الذي يتقاضى أعلى العوائد بدون جهد حقيقي كما هو الحال في النظام الاقتصادي الأمريكي ولذلك نجد الفرد الياباني يدفع قيمة السلعه ثلاث أضعاف مماثلتها في الولايات المتحدة الأمريكية بنفس راضية وبدون أن يؤدي ذلك إلى ما يعرف بالتضخم ثم إلى الفرز الطبقي كما يحد في الفلسفه الاقتصاديه الانجلوسكسونيه .

ثانياً : يأتي في المرتبه الثانية في سلم أولويات الشركات اليابانية هو العميل بحيث يحتل العميل هذه المرتبه بعد العامل في الشركة ويعطي من الاهمية والاهتمام من حيث تقديم التسهيلات اللازمة وتسليم البضائع في الوقت المحدد مع أعطاء ميزات للعميل من أجل تشجيعه على التعامل مع الشركات اليابانيه وبهذه الطريقة أستطاعت الشركات اليابانية أن تكسب العدد الكبير من العملاء داخل وخارج اليابان من أجل زيادة مبيعاتها. والشركات اليابانية بالفعل استطاعت ان تحقق نجاحات ملحوظة في العملية التسويقية الدولية واستطاعت ان تسحب البساط من

تحت الشركات الأمريكيه في مجال تسويق الالكترونيات حتى سلمت الشركات الأمريكيه للشركات اليابانيه في هذا المجال ثم تبعه بعد ذلك تسويق السيارات والسلع الخدميه الأخرى ولقد أستطاعت الشركات الكورية الجنوبية أن تنتهج نفس الفلسفة اليابانية في عملية التسويق حتى أن السيارات الكوريه خلال العشر سنوات الماضيه إستطاعت ان تحصل على نسبه ١٠٪ من السوق الخليجي على حساب حصة السيارات الأمريكية.

ثالثاً : يأتي حامل السهم بالمرتبة الثالثة حيث يعتبر حامل السهم في الشركات الأمريكيه بالمرتبة الأولي ويعود عليه النسبة الكبيرة من الارباح والتي توزع كل ثلاث شهور بعائد عالي فإن الشركات اليابانية توزع الارباح بشكل سنوي بنسب غير مرتفعه والباقي يعاد على رأس مال الشركة من أجل إعادة التوسع وإعادة التأهيل أي أن عوائد الشركات الأمريكيه توزع على شكل أرباح لحاملي الأسهم بينما الشركات اليابانيه تؤخذ الأرباح من أجل التوسع في الشركة وبالتالي فأن الشركات اليابانيه لا تعاني مشاكل حقيقيه في حالة الأزمات الأقتصادية وذلك راجع لمحزونها الهائل وقدرتها على أمتصاص الصدمات بينما تضطر الشركات الأمريكيه في حالة الأزمات الى تسريح مزيد من العمال والموظفين لديها وكذلك الاقدام على بيع جزء من أصول الشركة كما حدث لشركات السيارات الأمريكيه خلال مرحلة الثمانينات من هذا القرن عندما أقدمت أغلب شركات السيارات الأمريكية بنسب مختلفة على تسريح أعداد كبيرة من عمالها وموظفيها وبيع بعض أصول الشركة وهذا يصدق حتى على شركة ((IBM للكمبيوتر عندما تخلت عن ما يزيد عن مائه الف عامل على مدى خمس سنوات بشكل أديى الي ردود أفعال عكسيه قوية داخل عمال وموظفين الشركة. والشركات الأمريكية في نفس الوقت التي تسرح عمالها وموظفيها فإنها تعمل على جلب الأداريين العامين وتعطيهم أعظم المرتبات والميزات التى يحلم بها أي إنسان.

هذا الامر يكاد يكون معكوس في نظام الشركات اليابانية حيث أن القسم الكبير من الارباح يعاد توظيفه في توسع الشركة وهذه المخزون الهائل من القدرة المادية تخصص لعمليه البحث والتطوير داخل الشركة والتي تحظي باهتمام كبير ونسبة عالية من ميزانية الشركة وليس من أرباح الشركة كما هو الحال في الشركات الأمريكيه أي أن الشركات اليابانية لديها أهتمام كبير في عمليه البحث والتطوير ويخصص له جزء كبير من رأس مال الشركه يصل الى ٣٪ من رأس مال الشركة وليس من الأرباح كما يحدث في الشركات الأمريكيه بحيث أنه في حالة الأزمات الاقتصادية لا تتأثر عملية البحث والتطوير في الشركات اليابانية بينما في الشركات الأمريكية فإن عمليه البحث والتطوير يخضع بشكل قوي للعوائد المادية للشركة بحيث في حاهلة نقص في الارباح يعني كذلك نقص في عملية البحث والتطوير للشركة وهذا يعني مزيد من الأزمة لهذه الشركات بحيث يصاحب الأزمة الاقتصادية التي تتعرض لها الشركات الأمريكية أزمة وتوقف

في عمليه البحث والتطوير ونتيجة لهذه المقارنة والمعادلة فإن السيد لسترثرو في كتابة المترجم الى العربية تحت أسم (المتناطحون) يخرج ببعض النتائج التى تشعرك بأن النموذج الياباني في بناء وادارة الشركات يختلف ويتناقض في بعض الاحيان مع النظام للشركات الأمريكيه أو الفلسفة الاقتصادية الانجلوسكسونيه ومن هذه المقارنة نجد أن التنافس بين اليابان والولايات المتحدة الامريكية التى لم يشتد إلا منذ منتصف السبعينات حتى عام ١٩٩٠م عام صدور الكتاب أي ما يقارب عشرون سنه يخرج السيد لسترثرو بالنتيجة التاليه «إذا ما وضع المرء قائمة بالبنوك العالمية حسب حجم موجوداتها، فأن تسعه بنوك من أصل أكبر عشر بنوك في العالم هي بنوك يابانية وليس بينها أي بنك أمريكي ولكن إذا ما صنفت البنوك حسب العائد على الأسهم، فإن سته بنوك من بين البنوك العشرة الاكثر ربحيه في العالم هي بنوك أمريكيه ، ولا يوجد بينها بنك ياباني واحد.

إن اكبر تسع شركات متنوعة الخدمات جميعها شركات يابانية أما الشركة العاشرة هي شركة تي . أند. تي (AT &T) فهي أمريكية. ومن بين أكبر ٥٠ شركة خدمات هناك ١٨ شركة يابانيه (١٥ شركة منها من بين اكبر ٢٥ شركة) و ١٤ شركة أمريكيه (٥ شركات أمريكيه فقط بين ٢٥ شركه) .ولكن إذا نظر المرء الى الأرباح بالنسبه للدولار الواحد من الأصول ، فإن معدل العائد الامريكي ٣٪ أكبر ٤ مرات من معدل العائد في الشركات اليابانيه ٧٠،٪ على الرغم من أن شركتين من الشركات الأمريكيه قد تكبدتا خسائر ضخمه بسبب أعباء الديون المترتبه على حرب الاستيلاء» لسترثرو (ص ١٣٣) حيث يتضح من هذا الاقتباس (مع العذر لأطالته) أن الشركات الأمريكيه تعتني أعتناء كبير بعمليه الربح اكثر من التطوير والتوسع أي أن حامل السهم يأتي بالمرتبة الأولى في أهتمام الشركات الأمريكية بينما يأتي العميل والعامل داخل الشركة في مراتب متأخرة وأن صرف ارباح عاليه لحامل الأسهم يعد أحد أهم أهداف الشركاة الأمريكية حتى وأن كانت الشركة تعاني من أعباء مديونية عاليه. وعلى العكس من ذلك فإن الشركات اليابانيه تهتم بالعامل وتدريبه وإعادة تأهيلة واستقراره داخل الشركة ما يجعل العامل يعمل بكل جد وأخلاص لصالح الشركة وثم بعد ذلك العميل ويخصص الجزء الأكبر من الأرباح للتوسع وتطوير الشركة ولذلك فإن الفلسفة الأمريكيه للشركات يطلق عليها شركات تعظيم الربح بينما الشركات اليابانية هي شركات بناء أمبراطوريه وهذا ما يجعلنا نتحدث عن مستقبل العالم ومستقبل التنافس الأمريكي الياباني تحت مظلة هاتين الفلسفتين في الشركات بكلا البلدين وهل سوف نجد أنحسار للشركات الأمريكيه مقابل الشركات اليابانية أم أن المسألة سوف تأخذ أبعاد أخرى يصعب التنبوء بها مع المعطيات والمعلومات المتوفره لدينا اليوم.

وفي نفس الوقت فإن هذا الحديث عن الشركات الأمريكيه واليابانيه يدفعنا الى التطرق للشركات المساهمه في المملكة العربيه السعودية وعن خططها المستقبلية وهل هي تأخذ بالعقلية

الاقتصادية الانجلوسكسونية أم أنها أطلعت على الفلسفه اليابانية ثم كيف يمكن ان يؤثر أختيار بين هاتين الفلسفتين أو استخدام فلسفة خاصة بهذه الشركات مع التوجه في مفهوم السعوده وبناء وإعادة بناء المواطن السعودي أم أن الشركات السعوديه بشكل عام أخذت مفهوم تعظيم الربح فقط وأرضاء رغبات وأهداف حامل الأسهم اكثر من أرضاء العميل أو العامل بهذه الشركات ولهذا نجد عدد من هذه الشركات تستثمر الكثير من اموالها ببعض الصفقات الخارجية أو على شكل ودائع بنكية مرصودة في بنوك عالمية يتم توزيع العائد من هذه الودائع على حاملى الأسهم ولذلك نرى شركات مساهمة سعودية تم الاكتتاب فيها منذ اكثر من عشر سنوات وهي توزع أرباح دون ان تكون مارست نشاط يذكر داخل الاقتصاد السعودي بينما نرى الشركات المساهمة الاخري تبدو احسن حالاً إلا أنها تعطي لحاملي الأسهم الاهتمام الاكبر دون خطة أستراتيجية مستقبلية وضاحة مما يعني ان اغلب ادارة الشركات المساهمة ليست قائمه على كفائه ادارية بقدر ماهي قائمة على وجاهة اجتماعية أو أن الادارة تملك اكبر عدد من الأسهم ولذلك استطاعت ان تحتفظ بمنصب الادارة أو اماكن حساسة في اتخاذ القرارار دون أي اعتبار للكفائة الادارية أو النظرة المستقبلية للشركة أو مستقبل الاقتصاد السعودي.

ثم أن الشركات المساهمة في المملكة العربية السعودية بحاجة أن تدرس المنهج الياباني في البناء الامبراطوري للشركات وهذا لا ينطلق من الاهتمام بالعميل والعامل ثم حامل السهم ، بل من أجل أن تكون هذه الشركات المساهمه عامل إيجابي في عملية السعوده بشكل صحيح وسليم وذلك من خلال استثمار جزء من مداخيلها وميزانيتها على تدريب وتأهيل وإعادة تأهيل الفرد السعودي الراغب في العمل بهذه الشركات وذلك بأيجاد البرامج المشتركه مع الجامعات والمعاهد الأدارية من أجل إيجاد جيل جديد من الافراد السعوديين القادرين على العمل بشكل منتج وجيد وهذا العامل سوف يصب في صالح الوطن والتخفيف على المواطن السعودي وذلك في توفير فرص العمل وتحقيق جزء من الرفاهية الاقتصادية وبالتالي الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. وهو في ذات الوقت يصب في صالح الشركات نفسها حيث أن تدريب وإعادة تدريب الفرد السعودي سوف يكون مكلفاً ومضنياً في المدى القصير إلا أنه سوف يتم من خلالة توطين الكفاءات أي جعل الكفاءات في هذه الشركات وطنيه بدل من أن تقوم هذه الشركات بتدريب وصقل مواهب أطراف وعمالة أجنبيه ترحل بعد أن اكتسبت الخبرة، يكون نصيب الوطن منها الخسارة في كل الجوانب حيث خسارة هدر الأموال وأخراجها خارج البلاد وخسارة الوقت المضاع في تدريب كفاءات هي مهاجرة لا محاله وخسارة تضييع الكفاءات الوطنيه التى يمكن أستثمارها والاستفادة منها بدل من أن تكون عبء إجتماعي وأقتصادي وسياسي على الوطن.

لعله حان الوقت بشكل جدى أن يكون هناك نظرة جدية للشركات المساهمه والبنوك في المملكة العربيه السعودية بأن تأخذ دوراً تنموياً شاملاً بدل من دوراً ربحياً بحتاً حيث تبدأ تفكر هذه

الشركات والبنوك بشكل بعيد المدى من أجل خدمة الوطن والمواطن السعودي بصرف جزء من مداخيلها الهائله على مدى السنوات الماضية في إيجاد كوارد وطنية مدربة سوف تسمح بايجاد عناصر وطنية مستغلة بشكل اكثر وأفضل، والوقت قد يكون اكثر ملائمة للشركات التي تملك الدوله منها نصيب الأسد أن نبدأ بالمبادرة ودراسة النموذج الياباني في البناء الامبراطوري للشركات مع مراعاة البعد الانساني والاجتماعي والاقتصادي في ذات الوقت كما يحدث في النموذج الياباني .

وإن لم يحدث ذلك فسوف تبقى شركاتنا تستثمر أموالنا في المصارف الدوليه دون أنتاجية وطنيه ثم يتم توزيع أرباحها على المساهمين الذين بدورهم يأخذون هذه الارباح ليسافر بها خلال الصيف أو شراء أصول أقتصادية خارج الوطن وهنا يبقى الوطن هو الخاسر الحقيقي من هذه الشركات حيث تستثمر الأموال في الخارج بدل توطينها وتهمل شباب الوطن بدون فتح الفرص لهم للابداع وكذلك تساهم في هجرة الاموال بتشغيل العماله الاجنبية من جانب وصرف الارباح لمساعدة المواطن على السفر الى الخارج وبالتالي فإن الفوائد من هذه الشركات سوف يبدو للوطن وللمواطن الحقيقي كسراب صحراء الدهناء.

فرنسا والسلام العربي الإسرائيلي

أعُجب الكثير من العرب من مثقفين وأعلاميين وساسة مثل ذهول الساسة ووسائل الأعلام الغربية من الشجاعة الغير مسبوقه التى تحلى بها الرئيس الفرنسى جاك شيراك عندما نزل إلى شوارع القدس الشرقية وتحدث مع المواطنين العرب وغيرهم بشكل مباشر مع أعتراض قوات الأمن الإسرائيليةالتى عملت على التضييق عليه حتى أن الرئيس الفرنسى خرج عن هدوئه الرآسي المعتاد وحاول أبعاد قوات الأمن الإسرائيلية على نمط بعيد عن الحصافه الرئاسيه ولم تتمثل شجاعة الرئيس الفرنسى بهذا الموقف فقط بل تعداها إلى رفض القاء خطاب داخل الكنيسيت الإسرائيلي على الرغم أنه سوف يلقي خطاب أمام المجلس الوطني الفلسطيني بالضفة الغربية وقطاع غزة بل أن الرئيس الفرنسي رفع شعار الدولة الفلسطينية ووجه خطابه إلى إسرائيل بالانسحاب من هضبة الجولان عند لقائه بالرئيس السوري حافظ الاسد .

كل هذه المواقف جعلت من العرب ينظرون لفرنسا على أنها الدولة التي بدأت تتفهم الموقف العربي والمعانات الفلسطينية في المناطق المحتله إلا أن النظرة المتفحصة والتحليلية سوف تلجم هذا التسرع بالحكم وهذا الاندفاع بالتأييد للجانب الفرنسي بل نقول أن النظرة التحليلية سوف تعمل على خلق نظرة صحيحة وتصحيحيه ونظره واقعية وعملية للدور الفرنسي وأهميته وفعله الحقيقي.

إصيبت الدبلوماسية الفرنسيه بنوع من العجز والفشل المركب بعد حرب الخليج الثانية ،حرب تحريرالكويت، حيث اكتشفت فرنسا أنها دخلت التحالف مرغمة عل ذلك خوفاً من عدم اللحاق بالقطار السياسي وهو الأمر الذي تعية وتدركة الثقافة السياسية الأوروبية وغالبا ما يجهلة العرب ولا يقدرون قيمته الحقيقية وأهمتيه السياسية، أقول أن فرنسا وجدت نفسها منقادة إلى الدخول بالتحالف ضد العراق وليس بمبادرة ذاتيه فرنسية بل بتبعيه واضحه ومفرطة للموقف والتوجه الأمريكي البريطاني حتى وأن بد أنها تتصرف بشكل مستقل أبان الأزمة إلا أن ذلك من الضرورات السياسية والدبلوماسية أكثر من كونه أنعكاس للواقع الحقيقي وعندما اكتشفت فرنسا ان الاحداث السياسية والاقتصادية لم تسير أبداً لمصلحتها بعد أنهاء حرب الخليج الثانيه وذلك بحصد الأمريكيين لجميع الفرص السياسية والاقتصادية التى أعقبت حرب الخليج تزامن ذلك مع فتور البدبلوماسية الفرنسيه نتيجة لمرض الرئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران الذى كان يصارع المرض بالأضافة الى تحضير فرنسا وانشغال ساستها للحملة الانتخابية التى

سوف تنهى الفترة الرئاسية الثانيه للرئيس ميتران وتأتي بعمدة باريس السابق جاك شيراك.

عندما جاء شيراك إلى قصر الاليزية وعلى رأس الدولة الفرنسيه وبدأ يتصفح الملفات الدولية شعر أن فرنسا لم تخرج من حرب الخليج بالنتائج والمكاسب التى تتوافق مع مواقفها وتضحياتها، بل أن الرئيس الفرنسي يكتشف لذهوله أنه لا يستطيع حتى أسترداد الديون المستحقه له على العراق وذلك ناتج للحظر الاقتصادي على العراق ويزيد ذهول الرئيس الفرنسى أن فرنسا لا تستطيع الدخول بصفقات أقتصادية مهمة مع إيران وذلك خوفاً من عزلتها الأوروبيه والأمريكية وكذلك عزلتها الخليجية كل هذه العوامل وجمعيها لخصت الموقف الفرنسي بالإفلاس من أي مكاسب يمكن الخروج بها من أزمة الخليج الثانيه مما دفع الرئيس الفرنسي إلى حزم توجهة السياسي وأختياره بدقه، حيث لا تستطيع فرنسا الدخول بعلاقات تجاريه مع العراق بعد الحرب وأستمرار الحظر عليه بقيادة الولايات المتحدة الأمريكيه وهي بنفس الوقت لا تستطيع تطوير تجارتها مع أيران للمواقف الأمريكية الحازمة والصارمة في هذا الشأن وكذلك لان مثل هذه المواقف سوف يسيء للموقف الفرنسي من قبل دول الخليج العربي فلم يبقي للدبلوماسية الفرنسية من بوابة حقيقة تدخلها عالم التجارة مع العالم العربي والتأثير على مجريات الاحداث سوى بوابه الصراع العربي الاسرائيلي.

ودخول فرنسا العالم العربي عن طريق بوابة السلام العربي الاسرائيلي مغامرة دبلوماسية فرنسية تحمل بذور فشلها حيث تتلخص المطالبة الفرنسية بأن تكون أوروبا شريك بادارة دفه المفاوضات بين العرب والاسرائيليين مثل ما تشارك أوروبا بدفع الأموال من أجل أنجاح الاتفاق الموقع وبهذا المدخل تتطلع فرنسا إلى الدخول إلى العالم العربي ومزاحمة الولايات المتحدة الأمريكيه وبريطانيا تجارياً وتأثيراً سياسياً وثقافياً والمغامرة الفرنسيه تحمل بذور فشلها لأسباب التالية : ـــ

أولاً : أن فرنسا تطلب لذاتها دوراً وإن كان تحت مظلت الجماعة الأوروبية فإن فرنسا متزعمة ذلك، أقول، أنها تطلب لنفسها دوراً يفوق الامكانيات الفرنسيه سواء الأقتصادية أو العسكرية وحتى الفلسفيه والثقافية وكان واضحاً ذلك من أن القوت الفرنسيه والبريطانية بهذا الخصوص عديمة الفاعلية والقدرة دون التغطية العسكرية والرادارات والاقمار الصناعية وإدارة دفة الصراع من قبل لولايات المتحدة الأمريكية في حرب الخليج. بل أن من شواهد الهيمنة الأمريكية وأنحتار التأثير الفرنسي هو اضطرار الرئيس الفرنسي ذاته إلى التحدث مع رجل الأمن الإسرائيلى باللغة الانجليزية بدل اللغة الفرنسية.

ثانيا : أن فرنسا تتلكم باسم الجماعة الأوروبية وإن كانت تظن أنه مصدر قوة فأنه كذلك أحد أهم مصادر الضعف للموقف الفرنسي حيث أن الدول الأوروبية ليست كلها متفقه على هذا الدور بل البعض يحبذ تنفيذ وانفراد الدور الأمريكي فى المنطقة حيث أنه سوف يكون لصالح

إسـرائيل وهذا ما عـبرت عنه لجـان الصداقـه بين إسرائـيل وأغلب الدول الأوروبية مـثل لجنة الصداقة الإسرائيلية البـريطانية والتى يرأسها أحد أعضاء البرلمان البـريطاني عندما انتقد بشدة الموقف الفـرنسي على أنه غيـر محـايد وأنه يجب على أوروبا أن تترك المجـال للولايات المتـحدة الأمريكية للعمل على أحـداث السلام الذى يعطى الضمانات الحقيقـية لأسرئيل. بل أن دولة مثل المانيا لا تحـبذ الدخول والخوض بتـفاصيل الموضـوع نتيجة للحـساسيـة التاريخية مع اليـهود ومصـالحهـا التجـاريه مع العرب. ودولة مـثل النرويج تحـبذا أن تتـدخل بطريقتـها الخـاصه ودبلوماسيتها المتميزة على نحو أتفاق أُسلو وليس عن طريق ركب الأحصنه الفرنسيه الجامحه.

ثالثاً : ان المعارضـة الاسرائيلية للدور الأوروبي والفرنسي هي معـارضة حقيقـية ولن تقبل بهذا الدور خـصوصـاً وأن لديها قدرة عـلى التأثير علـى الموقف الأمريكي بهذا الـشأن ويرجع التخـوف الأسرائيلي من الموقف الأوروبي هو النظرة الـتجارية والماليـة الذي تطغى علي الموقف الأوربى حيث عندمـا يطغي الجانب الاقتـصادي المادي على الموقف الأوربي سـوف يكون العالم العربي اكثر جاذيبه من إسرائيل للمصالح الأوروبية.

والتوجـه الاقتصـادي الأوربي في حقـيقتـه يعبر عن انخـفاض الامكانيـات والقدرات للدول الغربيـة بشكل خاص حيث أن التوجـه الاقتصادي يطغي عندمـا تكون الدبلوماسية عـاجزة عن الجمع بين القـوة العسكرية والتـأثير السيـاسي فتتـجة الدول إلى البـعد الاقتـصادي كنوع من التعويض وحشد القدرات.

رابعاً : يبـقى التاريخ الفرنسي وتجـربته مع العـالم العربي والعالم الاسـلامي صراع يؤرق التقارب بشكل أو بآخر حيث كانت فرنسا أعتى واشـد الدول المستعمرة عنجهية وعنصرية حيث شواهدها مازالت مـاثله أمام الأعين على أمتداد المغرب العربى حيث المذابح الهائلة والمذهلة التى ارتكبتهـا ضد الشعب الجزائري منذ أن دخلت فرنسـا الجزائر عام ١٨٣٠م حتى خروجـها منها عام ١٩٦٢م بل أن الذهنية الفرنسية كانت تحمل الجراثيم الثـلاث العنصرية، والفوقية الثقافية، والمسخ الديني للطرف المقابل كل هذا التاريخ يجعل من الميكافيلية الفـرنسية الحالية قد لا تختلف عن الميكافيليـة الفرنسية السابقـة. ثم أن فرنسا هي من أهم الدول التى دعمـت إسرائيل وسعت على تفوق إسـرائيل في المجال النووي على العالم العربي وعندمـا قال بنامين نتياهـو أن فرنسا صديقة للدولة العبرية لم يكن يقول الرجل سوي الحقيقة ولا غير الحقيقة شيء.

وفى الختام لابد من القول والتذكير مرارة وتكراراً أن السياسة فن الممكن واللعبة السياسية لا تتوقف عن الحركـة والتموج وأن المصلحة هي المحـرك للعمل السياسي وأنه لا توجـد صراعات دائمة وأنما هناك مصالح دائمة كما قـال أحد أبرز الساسه البريطانيين في زمن من الازمان واذا كان ذلك كذلك فما عسى أن يكون الموقف العربي من هذا التوجه الفرنسي.

على العـالم العربي بجـميع دولة المتـباينه تشـجيع الدور الفـرنسي بكل الطرق الممكنه وذلك

لتحفيز فرنسا على المضى قدماً بهذا الاتجاه وتشجيع الدول الأخرى سواء أوروبية أو آسيوية وهي مهمة على حذو النموذج الفرنسي. وعلى العالم العربي كذلك الاستفادة من الدائرة الأوروبية لدعم المواقف العربية ولو على المستوي الدبلوماسي والاعلامي وهذا إذا ماستخدم بشكل جيد وفعال فسوف يشكل ذهنية جماعية متحركة وديناميكية سوف تؤثر على وسائل الاعلام والمثقفين الأمريكيين. والمهم من الجانب العربى هو النظر بواقعية مفرطة على امكانيات فرنسا بشكل خاص وعجلة الدول الأوربية البطيئة بشكل عام على اللعب دوراً مهماً وحقيقياً في المستقبل المنظور والأمر الاخر المهم في الموقف الفرنسي ويمكن للعالم العربي استثماره ليس الموقف من المفاوضات على الضفة الغربية وقطاع غزة وتشكيل حكومة فلسطينية مستقلة فقط بل إن الموقف الفرنسي والأوروبي يمكن ان يستثمر من قبل الجانب العربي عند المفاوضات على قضية القدس حيث يمكن أضعاف الجانب الإسرائيلى بقضية القدس بأدخال عامل ثالث وهو مهم وهو البعد المسيحي حيث لا يصبح النقاش بين العرب وإسرائيل، بل يصح النقاش نقاشاً يهودياً، مسيحياً أسلامي حول قضية القدس خصوصاً وأن المواقف التاريخية المسيحيه من قضية القدس كانت أشد وأقسيعلى اليهود خلال مراحل الصراع التاريخي على المدينة المقدسة إذا يمكن استثمار التوجه الفرنسي السياسي الجديد على المنطقة وتشجيعه من أجل الحصول على أفضل النتائج على قضية القدس وإن ادخال البعد المسيحي هنا سوف يكون لصالح المفاوض العربي على حساب المفاوض اليهودي حيث أن العرب تاريخياً لم يعانون من الاستئثار بالمدينة ومنع الأديان الأخرى عن ممارسة حريتها الدينية على عكس التوجه الإسرائيلى الذي يسعي الى تهويد القدس وطمس المعالم الاسلامية والمسيحية فيها وهذا ما تدلل الممارسات العقلية الاسرائيلية بعيداً عن التصريحات الدبلوماسية التى تقال للاستهلاك اليومي والسياسي.

قبرص الأزمة المحتملة

يمكن تصنيف الجزيرة القبرصية تحت مضلة نظرية السيد هنتنغتن القائلة ان خطوط التماس الحضاري هي خطوط ملتهبة أو قابلة للاشتعال وذلك لكونها ملتقى حضارتين متصارعتين. واذا مـاأخذت نظرية هنتنغتن بجدية فإنه يمكن التدليل على قوتها وصحتها في منطقة البلقان وماشهدتة منطقة البوسنه والهرسك أو منطقة الشيشان او الحدود الهندية الباكستانية او حتى جنوب الصحراء الكبرى في افريقيا وشمال افريقيا السوداء واخيراً الصراع الذي نشهده اليوم في اقليم كسوفو بين الصرب والبان كسوفو ويمكن تعميم هذه النظرية على جزيرة قبرص بحيث تكون واحدة من المناطق المهيئه للاشتعال في اي وقت من الاوقات وذلك لكون قبرص فعلاً ملتقى حضاري بين المسلمين من اصل تركي ومسيحيين اوثوذوكسيين قريبين لليونان وصربيا وروسيا في بعدها الديني.

واذا كانت النظرة الهنتنغتونية تعير البعد الحضاري فقط ودون النظر في مسالة بداية واشتعال الصراع فانها تعد واحدة من النقاط الضعيفة في تماسك هذه النظرية حيث تاتي المسائلة القبرصية على ان العوامل الاقليمية ثم الدولية من عوامل اشتعال هذا الصراع ان لم يكن العامل الاقوى . صيح ان بوادر الصراع ذات بعد داخلي من حيث اختلاف الاعراق واختلاف الديانه ألا أن الخلاف اليوناني التركي والخلاف السياسي والحدودي تبها كان واحد من اهم عناصر الصراع في قبرص بل وسبب للحرب بين الطرفين اذا يمكن أجمال العوامل التي يمكن ان تأجج الصراع القبرصي بالعوامل الاقليمية والدولية التالية:-

اولاً:- الخلاف اليوناني التركي حول مسائل تاريخية وصراع تاريخي يرجع الى عهد الدولة العثمانية ويمتد الى العصر الوقت الحاضر من خلاف حدودي وسياسي بين الدولتين لعبت فيها تركيا دور المهيمن في قوتها العسكرية ولعبت اليونان دور المشاغب من الناحية السياسية حيث لعبت دور المحرض ضد تركيا على الساحة الاوربية والعمل على منعها من دخول السوق الاوربية المشتركة وان كانت بعض لدول الاوربية لاتسعى لدخول تركيا الجماعة الاوربية لاختلافها الحضاري والديني وان كانت هذه الدول تتذرع بالموقف اليوناني .

ثانياً :- يبقى العامل الحاسم في المسألة القبرصية هو القوة الضاربة للولايات المتحدة الامريكية المشدودة بالتناقض السياسي والثقافي فهي تعي قربها الثقافي مع اليونان لكونها مهد الحضارة الاوربية واقرب الى المنهج المسيحي منه الى إسلام تركيا إلا أن العامل السياسي البرغماتي الامريكي كان له السلطة واليدالطولا في هذا المجال بحيث فرضت تركيا مكانتها من حيث أهميت موقعها الاستراتيجي لوقوعها مشرفة على جنوب الاتحاد السوفيتي سابقاً

والروس اليوم من مضيق الدردنيل والذي يعتبر المخرج البحري الاهم للسوفيت سابقاً والروس اليوم وهذه ما أعطى تركيا دوراً مهماً في السياسة الامريكية اي دورها الجنوبي في حلف الناتو الذي كان أهم من الدور اليوناني ثم دورها في ربط الولايات المتحدة الامريكية باسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي .وبالتالي كانت مسالة تركيا ولامن التركي ذو حيوية وبعد مهم للولايات المتحدة الامريكية حتى وان كان ذلك على حساب اليونان الدولة الاوربية .

ثالثاً:- كان العامل الروسي عاملاً مساعداً على تأجيج الخلاف القبرصي ومحاولة هذا التأجيج ليس جديد بل يرجع للمحاولة الانقلابية التي قادها الحزب الشيوعي اليوناني المدعوم من الاتحاد السوفيتيفي نهاية الخمسينات عندما أحبطت هذه المحاولة بالقواة البريطانية المدعومة من القوات الامريكية ولم تتغير سياسة الروس عن هذه السياسة السوفيتية السابقة حيث يجمعها البعد السياسي والديني والعرقي مع اليونان ضد تركيا وهذا ما اجج هذا الصراع القبرصي هذه الايام كنتيجة لبيع منصات اطلاق وصواريخ روسية لصالح قبرص اليونانية الامر الذي تدعمه اليونان وتعارضة كل من قبرص الاتراك وتركيا ويبدو ان الولايات المتحدة الامريكية تحاول تهدئة الوضع بمنع وصول مثل هذه الصواريخ الى القبارصة اليونانين وذلك لان اهمية وسيطرة الادارة الامريكية على القرار التركي يضعف ان لم يتلاشى عندما تاتي المسألة القبرصية بالنسبة للسياسة الخارجية التركية .اي ان تاثير الولايات المتحدة على تركيا تكون ضعيفة في المسألة القبرصية.

رابعاً:- ومما يزيد المسألة القبرصية تعقيداً هو دخول عناصر اخرى تريد ان تستفيد من هذا الصراع حيث تاتي اسرائيل لتستفيد من الموقف التركي السياسي الضعيف تجاه اليونان خصوصاً بعد ان خفت أهمية تركيا الاستراتيجية بعد انهيار الاتحادالسوفيتي ولم يكتب لتركيا النجاح في لعب ورقة اسيا الوسطى بشكل جيد فإن تركيا وجدت في اسرائيل ورقة مهمة تفيدها بالضغط على الادارة الامريكية لصالح تركيا مقابل دعم تركيا لاسرائيل ضد سوريا والعراق وايران خصوصاً وان هذه الدول لها خلافات حدودية او سياسية او حول مسألة المياة التي من المرجح ان تزيد وتتظافر مع دخول القرن القادم وبالتالي فان تركيا تريد ان تكسب اسرائيل ومعها الدعم الامريكي ضد اليونان وكذالك طرح تركيا على انها دولة ذات فائدة لاسرائيل وامريكا على الجانب الشرقي الجنوبي لتركيا. وهل سوف تحقق هذه الاستراتيجية التركية مردود جيد ام انها سوف تكون عكسية على تركيا وخصوصاً انها تتقارب مع اسرائيل ضد العرب والمسلمين هذا ماسوف تكشف عنه السنوات القادمة ومقدار الخطاء الاستراتيجي او النجاح التي قامت بة تركيا .

خامساً :- كنتيجة طبيعية للتوجه التركي لاسرائيل فان من المحتمل ان تتوجة الدول العربية ومنها الدول غير العربية المتظردة من التقارب الاسرائيلي التركي الى دعم الموقف اليوناني

سياسياً ويمكن ان يكون عسكرياً وهذا مايمكن أن يكون احد نقاط الضعف بالاستراتيجية التركية خصوصاً وان بعض الدول لوحت بالمساعدات لليونان ضد تركيا في حالة استفزاز تركيا للدول العربية ولاسلامية بتقربها مع اسرائيل.

ان المسألة اليونانية في جوهرها صراعاً حضارياً، دينياً، عرقياً، كأمتداد للمسائل الشائكة في البلقان إلا أن العوامل الاقليمية والدولية ساعدت على تاجيج هذه الخلافات التي كان بالامكان تهدئتها وبالتالي توجة الازمة القبرصية المنذرة بالانفجار في المستقبل من خلاف حضاري داخل جزيرة قبرص الى خلاف اقليمي دولي يتعدى حدود الخلاف التركي اليوناني وهذا مايجعل هذه المسالة اكثر تعقيداً واقل يقيناً في تصور المستقبل او الحلول حولة في الوقت الحاضر على اقل تقدير .

قراءة أولية للانتخابات الأمريكية (الحزب الجمهوري)

الوقت مازال مبكراً جداً للحديث عن معمة الانتخابات الامريكية وأحسب أن رجل الشارع العادي لا تهمة مجريات الانتخابات من قليل أو كثير وإذا كان رجل الشارع ذو أهتمام عام فانه قد يلتفت الى النتيجة اكثر من الاجراءات الموصلة للنتيجة سواء من باب المعرفة بحد ذاتها أو من باب معرفة النتائج المترتبة عليها. إلا أن رجل الشارع ليس مقياس وليس معيار وليس محك في مثل هذه القضايا الغير واضحة النتائج على مستوى الحياة اليومية. ويبقى هناك السياسي شبه المحترف الذي يراقب الحركة الانتخابية حين بدايتها وليس بالضرورة بالمعنى الجدي والاهتمام المنصب وتهمة النتائج الى حد كبير ويهتم بالاستماع الى الاراء المختلفة من المراقبين والمحللين حيث يستطيع من خلالها ان يصل الى الخلاصة التي يراها مناسبة وغالباً ما يكون رجل الشارع والسياسي شبه المحترف يتحرك بواقع رغباته الشخصية بمعنى أن يحاول أن يصور ما يريد ان يحدث انه حدث فعلاً. وبالتالي يحاول ان يسمع ويشاهد ما تطرب له نفسه اكثر من كونه يبحث عن الحقيقة كيفما كانت والفرق ان رجل الشارع العادي يلقي هذه المسألة خلف ظهره بهد انتهائها راجعاً الى حياته اليوميه وهمومه الدائمة أم السياسي شبه المحترف فانه يحاول ان يتعامل مع الواقع الجديد ونتيجة الانتخابات الجديدة سواء كانت لصالحه أم غير ذلك.

ومن هنا يكون دور السياسي المحترف الذي يري أن السياسة حرفته وفيها مصب كل اهتمامة فان النتيجة الانتخابية لا تعدو سوى نتيجة بذاتها وما يهم هو ماذا نرى وماذا نعني أي ماهي الاجراءات السياسية وتوازن القوى السياسية التى دفعت الى هذه النتيجة دون غيرها وما هي آثارها المحتملة على المدى القريب والبعيد.

وداخل هذا الاطار الفكري يأتي مفهوم القرأة المبكرة للانتخابات الامريكية حيث ان المشاهد والمراقب لهذه الانتخابات يشعر ان هناك تغيَّر في تركيبة التوازن السياسي داخل معركة القوى السياسية الأمريكية ، بل ان ما شهدته الولايات المتحدة الامريكية خلال مرحلة الثمانينات هو عكس ما حدث خلال مرحلة التسعينات حيث سيطر الجمهوريون على الساحة السياسية وذلك بقدراتهم التنموية والمد المحافظ مع وجود شخصيات بارزة أي وجود قيادات مهمة في الحلقة السياسية الجمهورية وفي المقابل كان هناك ضياع حقيقي في التوجه داخل الدائرة الديمقراطية حيث ان العديد من الشخصيات التى حاولت الوصول للبيت الابيض من الديمقراطيين خلال مرحلة الثمانينات كانت غير معروفة وكانت تراهن على ما حققته على مستوى ولاياتها المحلية

وكانت استراتيجية واضحة الفشل عندما يكون تحقيق النتائج على مستوى الولاية غير مصحوب مع المكانة على مستوى الدولة ككل سواء من الناحية السياسية التاريخية أو على مستوى الانجازات الوطنيه مثل الاشتراك في خدمة العلم وخصوصاً في المجالات العسكرية أو الدبلوماسية.

وبالفعل كان السيد جورج بوش آخر الرعيل الأول من الجمهوريين حتى جاء السيد كلنتون تحت مظلة مفهوم الجيل الجديد وتحت مفهوم النهوض بالمسألة التعليمية في أمريكا والتي تعاني من ضعف حقيقي وكذلك تحت مسألة تحسين الاقتصاد الذي عانى من العجز الحقيقي في مرحلة المصاريف العسكرية الباهظة التى أنهت الحرب الباردة لصالح القوة الامريكية.

واليوم ونحن نقف على عتبات الانتخابات القادمة فان الوضع أكثر تشويش حيث يلاحظ انقسام الحزب الجمهوري على نفسه وخلوه من أي شخصيات مهمة وبارزة حيث نجد ان السيد دان كويل الذي شغل منصب نائب للرئيس جورج بوش والذي أعلن عن ترشيح نفسه للانتخابات الامريكية فمر على وسائل الاعلام مرور الكرام حيث لم تحتفل به وسائل الاعلام بشكل جدي وكأنها لا تصدق أن له حظ في الفوز في المستقبل.

ومع ترشيح السيد بوش الابن للرئيس بوش السابق والحاكم الحالي لولاية تكسس والذي أظهر قدرة في ادارة الولاية وكذلك بتعاطفة مع الاقليات الاخرى خصوصاً من المنحدرين من الاصول الاتينية. وان كانت هذه عوامل قوة فانها عوامل ضعف حيث ان السيد بوش الابن يفتقد الخبرة في مجال السياسة الخارجية ولذلك فهو قليل الحديث عنها وبخصوصها وكذلك فان التعاطف مع الاقليات الاخرى قد يبعد عنه بعض القوى اليمينية المتشددة من الحزب الجمهوري. ثم تأتي السيدة الليزبث دول زوجة السيد بوب دول السناتور من كانسس الاكثر شهرة والوزيرة السابقة ورئيسة الصليب الاحمر الامريكي وهي امرأة تتمتع باحترام كبير داخل الاوساط السياسية الامريكية إلا أن هناك بعض النقاط لديها هي انها امرأة وأن الكثير من المفكرين لا يعتقدون ان الولايات المتحدة الامريكية اليوم تقبل وجود المرأة على رأس السلطة التنفيذية كرئيسة للولايات المتحدة الامريكية كما ان السيدة دول دخلت في صراع ضبط وحيازة واستخدام الاسلحة داخل امريكا وهو من العوامل اكثر سخونة وحساسية لدى الفرد الامريكي ليس فقط لان أقتناء السلاح يضمنه الدستور الامريكي وليس ان هناك حالة عشق بين الفرد الامريكي والسلاح وليس فقط ان هناك قوى سياسية قوية وراء بيع وانتشار السلاح يتبادل مع الحزب الجمهوري المنافع كل ذلك يجعل السيدة دول في محك حقيقى بين محافظين الحزب الجمهوري الذين لا يريدون ان يشاهدون عنف داخل المدارس الامريكية وبين قوى الضغط التي ترى ان ضبط بيع واقتناء السلاح هي عبارة عن كرة ثلج تبدو بدايتها مبسطة ولكن ليس هناك نهاية واضحة يمكن السيطرة عليها . لذلك فان السيدة دول لديها نقاط ضعفها التى تضعف

الحزب الجمهوري بل وتعمل على تقسيمه.

ثم ياتي السؤال اكثر جدل داخل صفوف الحزب الجمهوري والمحافظين بشكل عام وهو مسألة حق الاجهاض والصراع بين حرية المرأة الشخصية بذاتها وبدنها وحرية حق الحياة للجنين والاطفال هذا الجدل الذي أضعف الحزب الجمهوري وأدى الى تقسيمة وهذا الجدل سوف يطال المرشحين الاخرين والمرشحين المتوقع دخولهم في حلقة الانتخابات الامريكية في المستقبل.

إذاً يبدو ان الحزب الجمهوري سوف يعاني بشكل قوي في السنوات القادمة سواء على مستوى البرنامج أو على مستوى الشخصيات وحتى يتسني له قرأة التغييرات الجوهرية التى حدثت داخل المجتمع الامريكي ويتعامل معها بشكل سياسي وواقعي فان الحزب الجمهوري سوف يذهب في رحلة داخل الذات باحثاً عن دور حقيقي له في المستقبل.

قراءة أولية لمستقبل العلاقات الدولية

عندما فرغ السيد هانس مارجن ثاو (Hans J. Morgenthau) من كتابة الشهير السياسة بين الأمم (Politics Among Nations) لم يكن ذلك الباحث والسياسي المحنك ذو الخلفية الأمانية يكتب كتاباً عادياً عن العلاقات الدولية بل كان بكتابة الذائع الصيت يضع أركان معارف العلاقات الدولية وأركان هذه المعارف تتكيء على خلفية تاريخية واسعة من العلاقات الدولية حيث كانت وإلى حد بعيد ترتكز على الخلفية التاريخية الأوروبية بكل ما تحمله هذه الخلفية التاريخية من ثراء هائل خصوصاً وأن العالم في ذلك الوقت وتحت مفهوم العلاقات الدولية هو العالم الأوروبي واطرافه الى حد كبير وتحت هذا المعيار ركز بعض الباحثون لاحقاً حول مفهوم المركز والاطراف والذي يعد واحد من مناهج الدراسة في مجال العلاقات الدولية وأندفعت للتفرع الى مفهوم دراسات التنمية السياسية والسياسة المقارنة تحت مطرقة الجدل بين المنهج الرأسمالي ومنهج التحليل الماركسي.

وإذا كان الكاتب الأنف الذكر استطاع ان يلخص تاريخاً من العلاقات الدولية أي الى حوالي مرحلة الحرب العالمية الثانية بكل ما تحمله تلك المراحل من بداية المجتمع الدولي والذي أنهى الحروب الأوروبية على أسس من القيم والمنافسة الدينية إلا أنه أرخ كذلك لبداية الحروب على أسس من البعد القومي حيث تحول الصراع من أسس على المباديء والقيم الدينية التى كانت تجتاح القارة الأوروبية والتى كانت تؤرخ لنهاية الدور السياسي الفاعل للكنيسة ولكنها تبقيها كأداة من أدوات الصراع السياسي تتسلح به الدولة القومية لاحقاً وهذا ما حدث بالفعل في مرحلة الحرب الباردة حيث تحولت الكنيسة الى أداة من أدوات الضغط السياسي الذي وضعته الدول الرأسمالية بشكل قوي وهائل ضد خصمها الحضاري على الطرف الشرقي من القارة الأوروبية عندما جاء رجل الدين والسياسي المخضرم يوحنا بولس الثاني على رأس الكنيسة الكاثوليكية في الفاتيكان ليصبح أداة من أدوات الصراع الدولي في القارة الأوروبية وأطرافها الشرقية المتمثلة في الاتحاد السوفيتي السابق هذا المحارب السياسي اللابس العبائه الدينية سوف لن يترك هذا الدور الرئيسي حتى ينتهي من الاتحاد السوفيتي ويحرر أوروبا الشرقية وموطنه الأصلي بولندا ويختمها برحلة دينية الى الاراضي المقدسة في فلسطين مغلق الستار على واحد من اكثر أدوار الكنيسة كفرع من فروع القوة الوطنية فاتحا الباب لمزيد من ضعف الكنيسة وإعادة ترتيبها لمستقبلها بعد رحيلة، هذه الرحلة التى سوف يقدر لها أن تكون رحلة الغفران لكل الشرور التى أقترفتها الكنيسة قبل وبعد الحرب العالمية الثانية.

ولم يكن الكتاب الآنف الذكر اكثر من أطروحة يلفها العمق الهائل على المستوى السياسي حيث نظر الكاتب بشكل رائع لواحد من اكثر المفاهيم غموض ومع ذلك أستطاع توظيف هذا المفهوم بشكل سياسي هائل هذا المفهوم كان مفهوم القوة بكل ما تحمله هذه الكلمة وهذا المعنى من وضوح وغموض. وعلى الرغم من وضوح هذه المفهوم للوهلة الأولى إلا أنه لم يكن هناك تعريف محدد وواضح لهذا المفهوم قابل للقياس والتقييم لدرجة الغموض بل والتناقض . هذا الغموض وهذا التناقض سوف يفرز المجتمع الرأسمالي الى معسكرات من أجل فهم وتوظيف هذا المفهوم بل سوف يفرز مفهوم الليبرالية المحافظة والليبرالية المتطرفة بل سوف يفرز مفهوم المحافظون والليبراليون وما يندرج عنها من تقليدية وتطوير كل ذلك سوف يولد مفهوم المنهج الواقعي لدراسة العلاقات الدولية والمنهج السلوكي لدراسة العلوم السياسية والعلاقات الدولية هذه الدراسات سوف تتفرع الى مفهوم الواقعية الجديدة التى سوف تحاول مزواجة المنهج الواقعي التقليدي القائم على تعظيم مفهوم القوة وفوضوية النظام وأن القوة تدفع الى مزيد من القوة وبالتالي يدفع ذلك الى تأجج الصراع الدولي بحثا عن مزيد من القوة ومع أن هذه الدراسات في مجملها جاءت مكملة من جانب ومتناقضة في المستوى المعرفي والمنهجي مع ما عرف بالمنهج الماركسي للتحليل ثم ما عرف بالمنهج الماركسي الجديد وهي نقطة للالتقاء والاختلاف التى رسمت مدارس العلاقات الدولية بعد الفشل الذريع والهائل التي اكتنف العدد من المناهج البحثية التي كانت منطلقة بسرعة هائلة خلال مرحلة الستينات والسبعينات حتي منتصف الثمانينات من هذا القرن حول نظرية التبعية والاعتماد المتبادل ونظريات الردع والردع المقابل وتوازن الرعب والنظرية الماركسية والنظرية الماوية والعديد من مناهج دراسة العلاقات الدولية التى سقطت تحت مطرقةُ شح المعلومة والفشل الذريع في توظيف الغياب الزمني أو المكاني من الوصول الى نظريات يمكن الاتكاء عليها في تحليل السياسة الدولية والخروج منها بنظريات يمكن فهمها وتفسيرها لسلوك الدول على الرغم أن الدول فقدت بعض مقومات حركتها في الستينات مع الشركات المتعددة الجنسيات ثم بعد ضعف هذه الأخيرة أصبحت الدول مكبلة بالعديد من المنظمات الاقليمية والدولية التى كان من المفترض أن تساعد الدولة على على قوتها إلا أنها أصبحت هذه المنظمات تكبل الدولة في سلوكها الخارجي بل أصبحت هذه المنظمات تنافس هذه الدول على صياغة مستقبل النظام الدولي بشكل أو آخر.

إن المحلل اليوم للعلاقات الدولية ومستقبلها سوف لا يجد عناء حقيقي في الكشف عن أن عنصر القوة الذي أعتمد عليه السيد مارجن ثاو تأثر في تحليله تحت مفهوم السياسة الواقعية بغي قوي وعصي على التقادم إلا أن ما أصابة التغيير وان كان بطيء يندرج تحت عنصرين رئيسيين هما: ـــ

أولاً : أن مفهوم القوة ذاته أصبح مفهوم متغير ومتحول حيث كان يقوم على القوة الوطنية

بمفهومها العسكري والاقتصادي أي مفهوم القوة الامبراطورية وهذا ما تطرق له العديد من الدراسات ذات البعد في مجال التاريخ السياسي من عنصر القوة العسكرية والاقتصادية عوامل القوة الحقيقية من أجل أستخدام القوة الايديولوجية وهذا ما عبرت عنه القوى الامبراطورية السابقة ولذلك كانت تلك الدراسات راقبة بشكل دقيق أن الافراط في البعد العسكري سوف يضعف البعد الاقتصادي الذي بدورة سوف يؤدى الى أضعاف البعد السياسي أو الايديولوجي بما في ذلك المستوي التحديثي الذي ينعكس على المستوى الاجتماعي. وأصبح هناك تلازم واضح في هذه الدراسات أن البعد الايديولوجي مدعات الى القوة العسكرية والنفوذ الذي يدفع الى التوسع الاقتصادي الحضاري وبالتالي تصبح النتيجة أداة من أدوات تدمير البيت أو الذات أو الأمة. بهذه الجدلية قدم العديد من الدراسين جدلية قيام وسقوط الدول العظمي وهذا ما ورج له المؤرخ الحصيف السيد بول كندي في كتابة (قيام السقوط الدول العظمي).

ثانياً : الدول القومية : وهي تعد بحق واحدة من أهم عوامل المجتمع الدولي حيث لبعت واحد من أهم الادوار في نشأة ديناميكية النظام الدولي حيث كُتب لها أن تسعي الى تحقيق القوة والمزيد من القوة من أجل مزيد من التأثير على النظام الدولي وإذا كانت المرحلة السابقة والحالية اليوم أحد نتاج هذ العامل فإن ما يشهدة العالم اليوم من هذا التواصل التقني والتكنولوجي سواء التواصل المعلوماتي أو البشري فإنه نذير في فتح ملف الدولة ذاتها وإعادة صياغة دورها الحقيقي كعامل من عوامل رسم المستقبل وإن ما يحدث اليوم من إعادة ترتيب النظام الدولي وخصوصاً في مجال التجارة العالمية ما هو إلا وسيلة من وسائل إعادة هذا الترتيب. وبالفعل إذا كانت الأمم المتحدة نشأة من أجل ترسيخ واقع انتصار الدولة المتصره في الحرب العالمية الثانية وعززت قوتها العسكرية والسياسية فإن منظمة التجارة العالمية اليوم جاءت لتسجيل أنتصار الدول ذات التفوقات الاقتصادية من أجل ان تلعب الفكرة الاقتصادية دور المحرض الفكري والايديولوجي بدل أن تلعب القوة العسكرية الدور ذاته كما كانت تفعل في السابق. بمعنى آخر أن ما يتم التحضير له اليوم هو أن تلعب القوة الأقتصادية دور المحرض الايديولوجي من أجل مزيد من مفهوم التوسع الاحادي الجانب أي القادم من عالم الانتصار الاقتصادي إلى عالم التخلف الاقتصادي . أي إن الادوات الايديولوجية من أجل تغيير المجتمعات الضعيفة أو الهامشية أصبحت تدار ببوادر وأداوات اقتصادية تحت مطرقة ومفهوم العولمة .

أن أضعاف مفهوم الدولة كعامل من عوامل السياسة الدولية سوف يكون من مصالح الدول المنتصرة بمفهومها الحضاري شريطة أن يكون ذلك تحت مطرقة الانتقال الحضاري بقيم المنتصر أقتصادياً وهذا ما يحدث بالفعل تحت مفهوم العولمة.

إذا كان هناك شبه تفهم على أن مفهوم القوة أخذ يتحول الى مفهوم أقتصادي حضاري بدل من أن يكون مفهوم قمعي كما هو سابقا وإذا كان مفهوم الدولة أخذ أبعاد مختلفة تحت مفهوم

الانفتاح الاقتصادي والحرية الاقتصادية بحيث أخذت الدولة تنكمش نشاطاتها تحت مفهوم التخصيص والقطاع الخاص فهل هذا يعني أننا سوف نشهد ولادة دولة عالمية.

إن الحقائق والادلة لا تدعم ذلك وأن ما تراه اليوم هو عبارة عن تطوير السابق أي تطوير النظام الدولي السابق من أجل أن يكون في خدمة الدول المنتصره أقتصادياً بحيث يضف جهاز مؤسسة الدولة التى كانت حصن منيع ضد الهيمنة الاقتصادية العالمية ومن أجل أختراق هذه الحصون كان لابد من أضعاف هذه المؤسسات ومحاولة التأثير عليها وإعادة ترتيب أولوياتها تحت مطرقة نظام أقتصادي جديد يكتب النجاح فيه للمتحمس له وتعزل الدول والمجتمعات التى نفت نفسها خارجة مع الابقاء على قوة عسكرية ضاربة حارسة للدول التى تدفع باتجاه العولمة الاقتصادية والثقافية إن المراقب اليوم لجدلية العلاقات الدولية لا يستطيع أن لا يفهم ويراقب بوضوح أن الدول الاكثر دفعاً لمفهوم العولمة الاقتصادية والفكرية هي اكثر الدول قوة على المستوى السياسي والعسكري حيث أنها تقوم بمشاريعها الاقتصادية والثقافية تحت حراسة قوة عسكرية شديدة القوة والجاهزية ومهما يكن شكل النظام العالمي الجديد سواء أحادي القطبية كما هو عليه الآن من سيطرة الويالات المتحدة الأمريكية أو ثنائي القطبية كما يحب العديد من الذين يفكرون بطريقة التمني ويرجون أن تصعد الصين كدولة عظمى تنافس الولايات المتحدة الامريكية خلال الثلاثون سنه القادمة وهو ما يدفع العديد من المفكرين باعطاء الصين المكانة الدولية التى لا تستحقها بالفعل تحت مطرقة الاماني والرغبة السياسية. أو أن يكون النظام الدولي متعدد الاقتطاب كما تدفع لة الولايات المتحدة الامريكية ولكن بعد أن تكون قامت بهندسة النظام الدولي أي أن نظام تعدد الاقطاب هذا لن يكون على شكل تعدد الاقطاب الذي ساد أوروبا قبل الحرب العالمية الاولى أو بعدها بل سوف يكون شكل النظام الدولي الجديد بعد مرحلة من هيمنة الولايات المتحدة الامريكية نظام تعدد أقطاب هرمي. أن الواضح من سير الاحداث الدولية هو خلق توازن قوى في مناطق متعددة من العالم متعدد الاقطاب بمعنى آخر على الرغم من العولمة الاقتصادية إلا أن ما يحدث على المستوى السياسي والعسكري هو خلق تعدد وتوازن قوى قاري أو جغرافي حيث نشاهد إعادة توازن قوي اسيوي حيث يتم التحضير لنظام متعدد القوى بين الصين الهند اليابان أستراليا ودول تابعة لهذا النظام هي باكستان وايران واندونيسيا وبنغلاديش ومناطق تعدد أقطاب داخل النظام الأوروبي بين مجموعات بريطانيا وفرنسا والمانيا وروسيا مه الهمينة على مناطق اكثر هامشية في أفريقيا والعالم العربي وأمريكا اللاتينية. هذه القوى الرئيسية سوف تلعب كل منطقة بتهميش المنطقة الاخرى كما أن كل منطقة سوف تشل بعضها البعض في حلقات من التوازن والتعدد القطبي داخل المناطق الجغرافية وبينها. ولكن أين الولايات المتحدة الامريكية من كل ذلك؟ سوف تكون هي اللاعب الحقيقي لتوازن هذه القوى الجغرافية أو القارية أو داخل هذه القوى وبالتالي سوف

تحتفظ لنفسها بالدور الهام والمتعاظم في السياسة الدولية على الرغم من تأرجح النظام الدولي بين تعدد الاقتطاب الجغرافي أو القاري أو تعدد الاقطاب داخل هذه المناطق الجغرافية. والسؤال هل سوف تنجح الولايات المتحدة الامريكية في تصميم مثل هذا النظام الدولي القادم؟ هو ما سوف يدور حول الجدل الهائل في الدوائر الاكاديمية والسياسية وهو ما تحاول الولايات المتحدة الأمريكية ترجمة قوتها وامكانياتها الاقتصادية والتكنولوجية لتحقيق هذا الهدف مستعينة بتقوقها الهائل في مجال التسلح البالغ التقدم ومتستعينة باداواتها الإعلامية ومنظورها الفلسفي الاكثر انفتاح.

قراءة سياسية لمعاهدة الحد من الأسلحة الكيميائية

كان تصديق مجلس الشيوخ الأمريكي علي المعاهدة التى تهدف إلى حظر أنتاج وتخزين ونقل وأستخدام الأسلحة الكيميائية على مستوى العالم والتى يبدأ سريانها يوم الثلاثاء ٢٨ أبريل من عام ١٩٩٧م. وبتصديق مجلس الشيوخ على هذه المعاهدة تُدخل إدارة الرئيس الأمريكي بيل كلنتون حيز تنفيذ واحدة من أهم أستراتيجيات وأهداف السياسة الخارجية الأمريكية ونحن هنا لا نقول الأهم ولكن واحدة من أهم هذه الأهداف السياسة الخارجية . صحيح أن توقيع وموافقة مجلس الشيوخ على معاهدة الحد من أنتشار واستخدام الأسلحة الكيميائية له أبعاد عسكرية وسياسية دولية كبيرة تنقل الصراع الدولي بين الدول الكبري بشكل اكثر تركيز واستبعاد الدول المتوسطة والصغرى بشكل كبير عن الصراع الدولي في مجال البعد العسكري والذي غالباً ما يترجم إلى صراعاً سياسياً نتيجة لهذا البعد العسكري. بمعنى آخر أن الدول الكبرى المتنفذة على المستوى الدولى سوف تعني لها هذه المعاهدة تركيز مستوى الصراع في قضايا اكثر دقة ومحددة منها قضايا التسلح النووي المتطور وكذلك التسلح التقليدي الهائل التطوير والتعقيد والباهظ التكاليف من حيث التصنيع ولأدارة والاستخدام وبهذه المعاهدة يتم استبعاد أحد أهم وسائل الدول المتوسطة والصغرى للعب دوراً في الاحداث الدوليه مستخدمة بعدها العسكرى في تأثيرها السياسي. يحدث ذلك عندما تكون دول متوسطة الحجم والقوة أو صغيرة الحجم والقوة تستطيع ان تقوم بتصنيع وأنتاج أسلحة كيميائيه ويكون لديها الامكانية التكنولوجية لأيصالها إلى الهدف خصوصاً وأن أنتاج وتخزين وإيصال هذه الأسلحة الكيميائية إلى أهدافها لاتتطلب قدرة تكنولوجية متطورة بل ما يحدث هو العكس من ذلك حيث كثيراً ما تدار وتنتج مثل هذا النوع من السلاح بطرق أقرب ما تكون إلى البدائية وبالتالى أصبح لدى الدول المتوسطة والصغيرة القدرة على أنتاج وأستخدام هذا النوع من السلاح ذو الفاعلية الهائلة.

ومن جانب آخر فإن العلاقات الدولية وخصوصاً الحرب الباردة عرفت بما يسمى بنظرية الردع وهو يعني القدرة على ردع الطرف المقابل في حالة أستخدامة القوة ضد الطرف الأول بمعنى آخر فإن دولة(أ) لن تعتدي على طرف (ب) إذا كانت دولة (أ) تؤمن أيماناً حقيقياً أن دولة (ب) سوف تكون قادرة على إيذائها في حالة نشوب نزاع عسكري بين الطرفين . ومن هذا المنطلق فإن امتلاك مثل هذه الاسلحه الهائلة التصنيع والاستخدام سوف يعطي للدولة المصنعة والمالكة له قوة تفوق قدراتها الوطنية بشكل كبير رغم محاذيرة السياسية والدبلوماسية

الحاضرة. ومن هذا المنطلقات تسعي هذه المعاهدة التي تحد من أنتاج وأستخدام ونقل الأسلحة الكيميائيه والتى جاءت بمبادرة من دول غربية متنفذة وعلي رأسها الولايات المتحدة الأمريكيه من أجل حرمان الدول المتوسطة والصغيرة من هذه الميزة العسكرية التى يمكن استثمارها على المستوى السياسي. ومن جانب آخر فإن مثل هذه المعاهدة سوف تعطي إمكانية وقدرة أعلى لجيوش هذه الدول وخصوصاً مثل الولايات المتحدة الأمريكيه وبريطانيا للتعامل مع الازمات الدولية والصراعات الاقليمية دون الخوف من أستخدام الاسلحة الكيميائيه من قبل الطرف الآخر خصوصاً وأن أكثر الجيوش تعقيداً وتطوراً مازال يستخدم الطرق القديمة في تجنب الاصابه بمثل هذا النوع من الاسلحة الكيميائية والغازات السامة ، بما أن مثل هذا النوع من السلاح يخلق نوع من الذعر لدى مقاتلي قوات الجيوش الغربية والامريكيه على وجه الخصوص ونتيجة لخاصية مثل هذه النوع من السلاح ومدى تركيزة وتوجه الرياح وظروف الطقس فإنه من الصعوبة بمكان أن يتم التوقع بكيفية التعامل مع مثل هذا النوع من السلاح وفي أسوء الأحوال فإن أستخدام مثل هذه الأنواع من الاسلحه سوف يخلق حالة أرباك في خطط وأستراتيجية الجيوش المقابلة في حالة النزاع العسكري.

اذا كان الهدف البعيد من الحد من أنتشار وأنتاج ونقل وأستخدام الأسلحة الكيميائية هو الأمعان فى إضعاف الدول التى لم تدخل النادي النووي الدولي وليس لديها التكنولوجيا الكافيه للدخول للنادي النووي الدولي ولم يبقي لهذه الدول للحصول على مكانة دولية وتأثير في السياسة الدولية سوى أنتاج الأسلحة الكيميائية ليس من أجل استخدمها بل من أجل ردع الطرف المقابل وذلك لسهولة وإمكانية أنتاج مثل هذه الأسلحة وإيصالها إلى أهدافها، فإن مثل هذه المعاهدة سوف تفرض طوقاً جديداً على سياسة هذه الدول المتوسطة والصغيرة وعزلها من أي تأثير مهم في السياسة الدولية فى المدى المنظور . وهي في ذات الوقت سوف تخفف الاعباء السياسية على الدول الكبرى بتعاملها مع الدول المتو سطة والصغيرة وذلك بحرمانها من أمتلاك مثل هذه النوع من السلاح وفي ذات الوقت فإن الدول الكبرى كذلك سوف تخفف من أعبائها الأقتصادية الهائلة فى أنتاج وتخزين ونقل نوع من السلاح هي ليست في حاجتة في أي صراع مقبل مع امتلاكها قدرات نووية رادعة وضاربة . وفي ذات الوقت فإن المصالح والمكاسب التى سوف تجنيها الدول الكبري من هذه المعاهده أعلى بكثير مما يتوقعه الكثير من المراقبين السياسيين على المستوى العسكرى والسياسي . كما يعطي ميزة سياسية للدول الكبرى للتدخل في شؤون الداخليه للدول المتوسطة والصغرى من وقت الي آخر حسب ما تقضية مصالح الدول الكبرى.

إذا كان هذ هو أنعكاسات المعاهدة على المستوى الدولى وبشكل مختصر فما هي أنعكاساتها على النظام الأقليمي العربي بشكل خاص حيث يتضح من هذه المعاهده ومن الحوارات التى دارت

حولها خلال الاشهر الماضية أن الاستراتيجية الأمريكية الحالية تتعاطف مع البعد الاستراتيجي الاسرائيلي بشكل كبير وأن مثل هذه المعاهدة تصب في المصالح الاستراتيجية الاسرائيلية بشكل واضح ومباشر.

معاهدة الحد من التسلح الكيميائي لها عدة جوانب أيجابية على دول العالم العربي لعل من أبرزها أن أمتلاك بعض الدول العربية أو دول الجوار لمثل هذا النوع من السلاح مع توتر الوضع الأقليمي العربي والشرق أوسطي فان شعوب هذه المنطقة هي التي سوف تدفع ثمن مثل هذا التسلح وهذا ما شهدناه في حرب الثمان سنوات بين العراق وإيران ومادام الوضع الأقليمي العربي والشرق أوسطي متوتر وغير مستقر بين دولة فإن حرمان هذه الدول من أمتلاك مثل هذا النوع من السلاح يعود على هذه الشعوب بالفائدة الكبرى. و من الجانب السلبي في ذات الوقت فإنه يعني أن هذه الدول في ظل التوتر الأقليمي سوف تسعى إلي تعويض أمتلاك مثل هذه الأسلحة بشراء أسلحة تقليدية متطورة مما يعني سباق تسلح يدور في فراغ ويعني أستنزاف قدرات هذه الدول الاقتصادية في دورات تسليحية لا تتوقف و حلقات مفرغة من التسلح وإعادة التسلح تحت مفهوم سباق تسلح أقليمي.

إذا كانت هذه الجوانب الايجابية والسلبية لامتلاك وحيازة السلاح الكيميائي لدول النظام الاقليمي العربي والشرق أوسطي فإن هذه المعاهدة سوف تكون أحد أهم وأقوى العوامل التى سوف تعطى إسرائيل تفوقاً نوعياً وعسكريا على المدى القصير والمتوسط على الأقل. بحيث أن حرمان الدول العربية من هذا النوع من السلاح يعني تفوق إسرائيل الضارب والقوي على الدول العربية قاطبة ودول الجوار وذلك بامتلاك إسرائيل القوة الرادعة التقليدية وهو السلاح التقليدي المتطور من قوات برية وجوية ومنظومة صاروخية غاية في التطور قادرة على حماية إسرائيل من أي اعتداء في المستقبل وهذه الحماية لإسرائيل من خلال المنظومة الصاروخية تعني ضرب الهدف في أبعد عمق في العالم العربي وكذلك تعني ضرب الخطر المهدد لإسرائيل حتي قبل أن يدخل الاجواء الاسرائيلية والأهم من كل ذلك أن هذه المنظومة الصاروخية تعني قوة ردع هائله تملكها اسرائيل ضد الدول العربية قاطبة لضرب وأحباط أي دوله عربيه وقوة هجومية إسرائيليه قادرة على حمل قوة تفجيرية هائله وكذلك هذه المنظومة قادرة أن تحمل رؤوس ذات أسلحة كيميائيه وجرثومية تملكها إسرائيل منذ فترة ليست بالقصيرة وهي قادرة من خلال هذه المنظومة الصاروخية ضرب أي هدف عربي بالاسلحة النووية في حاله التهديد للبقاء القومي لدولة إسرائيل.

وهذه المعاهدة تعني أن الدول العربية غير قادرة على تصنيع وحيازة القوة النوويه خصوصاً وأن تصنيع وحيازة مثل هذه القوة تخضع لمنظمة الحد من أنتشار الأسلحة النوويه وهذه المعاهدة التى قادتها الولايات المتحدة الأمريكيه ودفعت العديد من الدول للتوقيع عليها سواء

الدول التى لا تملكها أطلاقـاً مثل الدول العربيـه أو الدول التى تملك القوة النووية فإنهـا حاولت الوصول للحد من أسـتخدام الاختبـارات الأرضيه للأسلحه النوويه الوسيله المتـاحه لهذه الدول لتطوير قدراتها النووية وبالتالى حاولت دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكيه أن تغلق الباب أمام الدول الجدد أو الدول التي لديها قدرة نووية متوسطة من تطوير قدراتها، هذه المعاهدة التى وقع عليها في سبتمبر الماضي من عام ١٩٩٦ م باستثناء الهند وباكستان وإسرائيل.

إذا كانت الدول العربيـة حُرمت من قدراتها النووية فـإن المعاهدة الاخيرة سوف تحـرمها من قدراتهـا الكيميائيـه السلاح الأسهل تصنيعـاً واستخدامـاً وردعاً وبالتالى فإن إسـرائيل سوف تكون البطل والرابح الحقيـقي من هذه المعاهدة الجديدة والتى سوف تعطي تفوقـاً نوعياً ضارباً وغير مـحدود على جميع الدول العـربية قاطبة واذا كـانت القدرة الكيماويه العـربيه قادرة على تحيـيد وتهـميش قـوة إسرائيل التـقليدية والكيـميـائيه والنووية وذلـك راجع الى صغـر حجم مساحتهـا وضيق بعدها الاستراتيجي فإن هذه المعاهدة سوف تعطـي إسرائيل تفوق على جميع الدول العربيـة بدون أستثناء. واذا كانت إسـرائيل في السابق لا تستطيع الدخـول في حرب مع الدول العربية على الجـبهات كلها فـإنها الآن بهذه المعاهدة ليس فقط تسـتطيع أن تدخل الحرب على الجبـهات كلهـا بل على كل العالم العـربي ودول الجوار بشكل سهل ومـيسـر عن ذي قبل. وهذه المعاهدة تعني دخول الدول العربيه نفقاً سياسياً مظلماً على المستوى السياسي والعسكري أمام إسرائيل والعالم الغربي وهذا يعني مـزيداً من الضعف للعالم العربي أمام النظام الدولي في المستـقبل ولذلك فإن دور العالم العـربي في التأثير على مـستقبل النظام الدولي الجـديد وتمثيل مصالحه أمام العالم قد ضعف الى حد كبير وتراجع مع هذه المعاهدة الجديدة.

قراءة مستقبلية: شرق آسيا والصراع الدولي

يقول أحد المحللين بحق بأنه إذا كانت دول العالم الثاني أو العالم الشيوعي السابق يتعين عليها أن تتغير وتمحور نفسها وتتقالم مع الأوضاع الدولية بعد الحرب الباردة وأنهيار المنظومة الماركسية بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، فإن دول العالم الأول معنية اكثر بهذا التغيير والتمحور، بمعني أن الدول الرأسمالية المتطورة معنية اكثر بالتغيير والتأقلم مع الوضع الجديد إذا ما أرادت أن تحصد مكاسب الانتصار على المعسكر المنافس السابق. ومن هذا المنطلق فإن الدول المتطورة أخذت تعد العدة كل واحدة من منطلقات مصالحها الوطنية من أن تلعب دوراً ومكاناً يعزز من قوتها وتأثيرها على تحديد الخريطة العالمية. وإذا كانت دولة مثل فرنسا والمانيا قد أختارتا أن تدخلا المركبة الأوروبية من أجل لعب ودراً اكبر على الساحه الدولية عن طريق الدائرة الأوروبيه فإن بريطانيا لاتزال متذبذبه بين أستخدام المركبة الأوروبية أو أستخدام المارد الامريكي. بينما اختارت هذه الاخيرة لأهميتها وقوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية أن تحاول لعب دوراً مهماً فى مستقبل العالم من أجل التأثير على النظام الدولي بشكل يخدم الولايات المتحدة الامريكيه في المستقبل. وإذا كان النظام الدولي حتى عقد السبعينيات لم يعرف قوى سوى أوروبية فإنه منذ السبعينيات من هذا القرن شهد قوة الاتحاد السوفيتي التى نمت خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات ثم وصلت إلى مرحلة الزوال على مشارف التسعينيات وخلال مرحلة السبعينيات شاهدنا قوى مثل اليابان ثم فى مرحلة الثمانينيات بدأت القوى الاقتصادية في آسيا تأخذ بالتطور المضطرد حيث أخذت دول شرق اسيا بالتطور الاقتصادي المتسارع حتى أنه فى عام ١٩٩٥م كان معدل النمو الاجمالى للصين ٨ر١٢٪ وهي ترشح أن تكون من القوى الاقتصادية العظمى في المستقبل وماليزيا حققت ١٠٪ وسنغافورة ٨٪ وأندونيسيا ٦٪ وأن حجم التجارة عبر المحيط الهادى تفوق التجارة عبر الأطلسى بنسبه ٥٠٪ (سنجانا جوشي .. المناخ الأمنى فى شرق آسيا، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ص٧) ومثل هذه النسب العاليه في التطور الاقتصادي لابد أن تتحول الى مكنة اقتصادية هائله الديناميكيه، وهذه المكنة الاقتصادية الديناميكيه في شرق آسيا لا يمكن ان تتحرك بمفردها وفي فراغ حيث لابد بأن تترجم الى جهد وعمل سياسي من أجل نجاح التجربة الاقتصادية وديناميكيتها أى أن التطور الاقتصادي لابد أن يترجم ذاته الى ديناميكيه ونشاط سياسي وعسكري وثقافي من أجل تعزيز وتطوير البعد الاقتصادي ذاته، أي أنه بدون حماية المصالح الاقتصادية في الداخل

والخارج وذلك باستخدام الديناميكية السياسية والتى يمكن تنفيذ هذه الديناميكية باستخدام عسكري من أجل تعزيز التواجد الاقتصادي وتطويره وهنا كذلك يبرز الثقافي كأحد عوامل التطوير الاقتصادي سواء في الداخل والخارج وهذا ويدخل فيه البعد الأعلامي حول التطوير الاقتصادي أو التبرير الفلسفي للاستخدام السياسي والعسكري لحماية الاقتصاد.

وإذا كان التطور الاقتصادي يقود إلى نشاط محموم على المستوى السياسي والعسكري فإن شرق اسيا بدأت تأخذ بالنشاط السياسي المحموم كنتيجة طبيعية لنجاحاتها الاقتصادية ومن أجل ضمان ديناميكية الحركة السياسية للسياسات الخارجية لدول شرق اسيا لابد من ترجمتها الى قوة عسكرية بشكل أو بآخر من أجل أن تأخذ مفهوم الديناميكية السياسية الجدية والمصداقية. ومن المذهل أن هذا التطور الاقتصادي الذي سوف يترجم نفسه الى تطور وديناميكية سياسية ثم عسكرية تزامن مع قناعات فرنسيه المانيه بتركيز النظ والاهتمام على الشأن الأوروبي مع عقد صفقات تجارية هنا وهناك من وقت الى آخر. وتزامن كذلك مع حيرة بريطانية من دخول البيت الأوروبي أو التجول فى غابات السياسة الدولية مع الصديق الحميم القديم الولايات المتحدة الأمريكيه. وتزامن أيضا مع الدراسات الكثيرة والمهمة التى نُشرت فى الولايات المتحدة الأمريكيه عن المستقبل الامريكي مع تغير النظام الدولي وكان أغلب هذه الدراسات تدفع إلى أن الولايات المتحدة الأمريكيه عليها تقليص ترسانتها العسكرية وجعلها اكثر فاعلية وأقل عدد وإعادة الاهتمام بشؤون الاقتصاد والتعليم الأمر الذي جاء بالرئيس بيل كلنتون إلى البيت الأبيض بمعنى آخر أن تغير النظام الدولي هذا وأنهيار الاتحاد السوفيتي جعل الولايات المتحدة تعيد ترتيب أوراقها الاستراتيجية من جديد حيث أصبحت الصين الدولة الحليفة ضد الاتحاد السوفيتي السابق دولة قوية ذات مستقبل هائل وأصبحت اليابان الدولة المحميّة تشكل منافس تجاري أقتصادي دولي هائل وخرجت دول النمور الآسيويه لتشكل هاجس أقتصادي للولايات المتحدة الأمريكيه لابد من إعادة جدول أولوياتها الاستراتيجية من أجل التعامل مع الوضع الجديد.

ولكون النظام الدولي نتاج الفرد والانسان فان هذا الفرد دائماً يميل الى التقريب والقياس في كثير من تفكيره وافكارة الجديدة. والعقل الامريكي مثله مثل غيره لا يخرج عن هذه الدائرة التى تتسع وتضيق من وقت ومكان الى وقت ومكان آخر ومن هذا المنطلق فأن الولايات المتحدة الأمريكية تفكر بمنطقة شرق اسيا مع حقيقه أنهيار الاتحاد السوفيتي ولكن داخل دائرة التفكير القديم وبالتالي فإن الولايات المتحدة الأمريكيه لا يمكن أن تنسف تاريخ طويل من الخبرة والتجربة في العلاقات الدولية هكذا بطرفة عين ولكن من المتوقع أن تحاول الولايات المتحدة الأمريكيه إعادة صياغة تفكيرها وأسلوبها ولكن داخل الأطر الفكرية السياسية الغربية المتوازنة. كيف يكون ذلك ؟

إن من المفاهيم المهمة التى يجب الانتباه إليها أن النجاح الاقتصادي الآسيوي لابد أن يتحول الى نشاط سياسي وهذا النشاط السياسي سوف يأخذ النشاط العسكري سواء باستخدام أو أقتناء السلاح من دول شرق آسيا خصوصاً في غياب تنظيم أقليمي فعال يضمن أمن وسلامة دول شرق آسيا ويضمن تنافسها الاقتصادي بعيداً عن التنافس السياسي والعسكري هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن دول شرق آسيا تعاني من العديد من المشاكل المعلقة بين هذه الدول مثل النزاع بين الصين وتايوان حيث ترى الأولى أن الثانية جزء من ترابها الوطني بينما تايوان تحاول تعزيز علاقاتها وتحالفاتها الخارجية من أجل ردع الصين وكذلك الهدنة بين الكوريتين والنزاع بين اليابان وروسيا حول جزر سخالين وبين اليابان والصين حول جزيرة سنكاكووين وماليزيا وسنغافوة حول بولاوباتوبوتيه والنزاع بين ماليزيا وأندونيسيا حول جزيرة سيبادان وليجيتان ولعل النزاع الأهم هو بين الصين وفيتنام وبروناوي وماليزيا وتايوان والفلبين واليابان على جزر باراسل وسبراتلي في بحر الصين «لمزيد من المعلومات انظر المرجع السابق ص ١٠».

وإذا كانت النزاعات بين دول شرق آسيا هي نزاعات قابلة للاشتعال مع التطور الاقتصادي من جهة وكذلك مع انحسار الأوروبي الى الشأن الأوروبي ومع تركيز الولايات المتحدة الأمريكية جزء من أهتمامها على الشؤون الداخلية الأمريكية مثل الاقتصاد الأمريكي والتعليم والصحة تزامن مع خفض الوجود العسكري الأمريكي في هذه المنطقة من أجل تأمين الموارد لانجاح أهدافها الداخلية فإن النجاح الاقتصادي لدول شرق آسيا قد تزامن مع زيادة فى نسب تسلح دول شرق آسيا بشكل مضطرد حيث أن اليابان تطور ترسانتها العسكرية بشكل كبير بحيث أصبحت اليابان الآن تعمل على تحويل قدراتها التكنولوجية المتطورة الى الاستخدم العسكري سواء لبناء الغواصات أو القدرات العسكرية الجوية وأصبح هناك نقاش طويل داخل أروقه الحكومة اليابانية عما إذا كان أنتاج الاسلحة النووية يعد عملاً دفاعياً أو هجومياً كما أن هذا النقاش أمتد الى القول أن الدستور الياباني لا يحرم انتاح الاسلحة مهما كان نوعها لاغراض دفاعية كما أن اليابان زادت من انتاجها ومشترياتها من مادة البلتونيوم العنصر الأهم فى التصنيع للقوة النووية. واليابان من جانب آخر تكلفت بدفع جميع، وأقول جميع، تكاليف الوجود الامريكي في اليابان ما عدا رواتب الجنود فقط هذه التكاليف لابقاء القوة الأمريكية في اليابان تصل الى ٥ بليون دولار سنوياً. يرى اليابانيون أنها مبلغ زهيد للحصول على حماية أهم وأقوى دولة فى العالم مقابل تشغيل أموالهم في النشاط الاقتصادي بينما يري آخرون ان هذه مرحلة انتقالية مؤقته ريثما تتم بناء القوة اليابانية الضاربة.

والصين من جانب آخر تزيد معدل مصاريفها العسكرية بنسبة تصل الى ١٠٪ سنوياً كما تعقد العديد من الصفقات لشراء الطائرات والغوصات من روسيا من أجل تعزيز قدراتها

العسكرية وماليزيا وأندونيسيا وتايوان في سباق محموم لتعزيز قد راتهم العسكرية.

إن التطور الاقتصادي يقود الى حركة سياسية وديناميكية سياسية والتى تقوم بدورها الى نشاط عسكري سواء تصنيعي أو تسليحي ومع تقلص القوة الامريكية العسكرية في المنطقة لأسباب محلية ومع فقدان نظام أمنى يحكم دول شرق آسيا فإن الاستراتيجية الامريكية في هذة المنطقة يبدو أنها تسعي الى إعادة تقوية وتسليح اليابان للعب دوراً مهماً يمكن أن يكون منافس ـــــ لدولة مثل الصين وبالتالي فإن التوازن بين اليابان والصين وتحالف دول شرق آسيا حول هذه الدولة أو تلك فإن ذلك سوف يعطى ميزة أستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكيه للعب دوراً أكبر بكثير من قدراتها والتأثير على تطور الاحداث في شرق آسيا عن طريق نظام توازن القوى. والولايات المتحدة الامريكيه بذلك تشجع أتحاد الكوريتين وإعادة بناء قوة اليابان من أجل مقاومة الصين الناهضه وكذلك إعادة تشكيل وترتيب مجلس الأمن فى الأمم المتحدة لاعطاء اليابان قوة دولية اكبر في مجلس الأمن كأن تكون دولة دائمة العضوية ولها حق استخدام الفيتو (النقض) مما يجعلها الولايات المتحدة الأمريكية في وضع أفضل للعب دور موازن القوى في شرق آسيا وهذا سوف يعطيها مكانة وأهمية لفترة قد تمتد لعقود من الزمن تستطيع من خلالها المساهمة في مستقبل شرق آسيا، والذي يساهم في مستقبل شرق اسيا في هذا القرن يساهم في مستقبل العالم.

قراءة سياسية للأزمة الكورية

نهاية عام ١٩٩٧ ومطلع عام ١٩٩٨م سوف يُسجل في آسيا على أنه مرحلة الأزمة الاقتصادية الخانقة التى عصفت بالدول الآسيوية على قائمتها ماليزيا وأندونيسيا والفلبين وتايلند ولكن تبقي الضربة الحقيقية الموجة لدولة تعد واحدة من الاقتصاديات الكبرى فى العالم وهي كوريا الجنوبية حيث تعد كوريا بحق أحد الدول التى خاضت تجربة التنمية الاقتصادية بكثير من النجاح حتى أصبحت أحد أمثلة النجاح التى يمكن أن تُعطي مثال لدولة من دول العالم الثالث . وأن كان الكثير من السياسيين يعطي البعد السياسي للنجاح الاقتصادي وخصوصاً البعد السياسي الخارجي حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية سعت أن تدفع كوريا الجنوبية إلى النجاح وذلك على أثر الحرب الكورية عام ١٩٥٠م والتى شكلت أحد المواقف التى بدأت بها الحرب الباردة مع الأتحاد السوفيتي السابق والذي كان يقف إلى جانب كوريا الشمالية مثلة مثل الصين. أي أن الولايات المتحدة الأمريكية حاولت أن تخلق قوة ونموذج في ذات الوقت تخلق قوة أقتصادية قادرة على الحركة والديناميكية يمكن أن توقف الوضع الاقتصادي المتردي في الجنوب وبالتالي إيقاف الاندفاع الجنوبي أو على الأقل جزء كبير من شرائح المجتمع للاندفاع والقبول بسياسات الشمال والانضمام والتوحد مع الشمال ويتم ذلك عن طريق تطوير الجنوب ورفع مستوى المعيشة الاقتصادية حتى يتم سحب البساط من أهم أدعاءآت الشمال في تحسين الوضع الاقتصادي في الجنوب تحت شعار ومبرر الاشتراكية وكان الدافع الآخر للولايات المتحدة الأمريكية كذلك هو خلق نموذج يمكن أن يحتذى به فى آسيا بعد دعم النموذج الياباني ثم خلق من كوريا الجنوبية نموذج يمكن يدفع دول آسيوية آخرى للتقارب والتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية مقابل تطور أقتصادي جيد على شاكلة النموذج الكوري . وكان طريقة ونهج الولايات المتحدة الأمريكية في دعم كوريا على ثلاث مرتكزات رئيسية هي : —

أولاً : تقديم القروض طويلة الأجل بشكل مباشر وغير مبارش من أجل ضخ القوة المالية في الاقتصاد الريفي لكوريا الجنوبية الأمر الذي دفع لتغيير كبير في التركيبة السكانية والاقتصادية لكوريا الجنوبية وتحولها من دولة قائمة على الاقتصاد الريفي إلى دولة قائمة على المدن والمجتمعات الصناعية الضخمة التى سوف تدفع إلى أنشاء المدن الحضرية والمدن الصناعية الضخمة.

ثانياً : فتح الأسواق الأمريكية للمنتجات الكورية حيث ساعدت الولايات المتحدة الأمريكية كوريا الجنوبية في بيع منتجاتها من الصناعات الخفيفة في البداية فى الأسواق الأمريكية

المتعطشة للسلع ذات السعر المنخفض والتى يستطيع السوق المحلي الأمريكي استيعابها بشكل سهل وسريع. فتح الأسواق هذا أعطى دفعة كبيرة وهائلة لحركة المنتجات الكورية بشكل كبير، تطور إلى مفهوم الصناعة الثقيلة والمتطورة والالكترونية فيما بعد .

ثالثاً : راهنت الولايات المتحدة الأمريكية على تنفيذ هذا البرنامج الأقتصادي الهائل ونجاحة على حكومات دكتاتورية متعاقبة من أجل ضبط النظام السياسي وخصوصاً التعهدات العسكرية والسياسية التى تجمع بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الجنوبية خصوصاً في جبهتها مع كوريا الشمالية في مرحلة الحرب الباردة على ما تميزت به الحكومات المتعاقبة في كوريا الجنوبية من فساد سياسي ومالي إلا أنها ابقت على التعهد السياسي والأمني مع الولايات المتحدة الأمريكية وأبقت على حركة التطور الاقتصادي المتسارع وكلا المطلبين كانا مهمين للاستراتيجية الأمريكية في تلك المرحلة. وهذا ما كان يدور في حلقات النقاش التى كانت تدور في أروقة الجامعات ومراكز البحوث في أمريكا حول الربط بين التنمية والاستقرار السياسي وتوسيع الطبقة الوسطي.

إذا كان هذا هو الحال فإذاً ماالذي حدث وتغيرت الحال بالنسبة لكوريا الجنوبية؟ إن الاجابة على مثل هذا التساؤل المشروع له شقة الاقتصادي والسياسي وسوف نأخذ البعد السياسي تاركين البعد الاقتصادي لأصحاب الرأي الاقتصادي. وفي المجال السياسي يمكن القول أنه لاشك أن هناك عامل أقتصادي مهم للأزمة الكورية الجنوبية ولكن لابد من تلمس البعد السياسي حيث ترى أن الأزمة الكورية بدأت بنهاية عام ١٩٩٧م أي بعد ست سنوات من أنهيار الاتحاد السوفيتي الداعم الحقيقي لكوريا الشمالية والمنافس الحقيقي للولايات المتحدة الأمريكية . كما جاءت بعد خمس سنوات من بداية الأزمة الاقتصادية ثم السياسية التى تعاني منه كوريا الشمالية والتى تحدثت التقارير عن حالات من المجاعة ونقص فى التغذية وتزامن موافقه كوريا الشمالية لأسباب أقتصادية أستبدال مفاعلاتها النووية المنتجة للبلتونيوم اليورانيوم العنصر الأهم في صناعة السلاح النووي بمفاعلات ذات أنتاجيه للماء الخفيف بدل الثقيل في محاولة تحجيم قدرة كوريا الشمالية لتطوير قدراتها العسكرية غير التقليدية وخصوصاً وأن التقارير تحدثت عن تعاون عسكري بين كوريا الشمالية مع دول شرق أوسطية مثل سوريا، إيران، مصر تناصب إسرائيل العداء دفعت كوريا الشمالية بفعل الضائقة الاقتصادية إلى بيع أسلحة متطورة وخصوصاً في مجال الصواريخ القريبة المدى كل هذه العوامل تجعل من كوريا الشمالية عنصر قلق للسياسة الخارجية الأمريكية مدفوعة ومدعومة من وجهة النظر الإسرائيلية.

وإن هذا الوضع المثالي إذا جاز مثل هذا التعبير، قبل هذا التغيير للتطور الاقتصادية الكوري الجنوبي مع التطور في صناعة السلاح في كوريا الشمالية فإن ذلك يقود إلى نتيجتين سلبيتين أو سيناريوهين سلبيين من وجهة نظر الأدارة الأمريكية هما : ـــ

الأول : أن التجربة الأمريكية مع اليابان لن تتحقق في كوريا والتي تطالب بتطوير الجانب الاقتصادي والسياسي والتخلي عن البعد العسكري خصوصاً وأن أمريكا بين مفترق طرق حقيقي بين التوسع العسكري وما يعنيه من أنهاك للميزانية الأمريكية التى تعاني عجز في الأصل وبين الانسحاب من التواجد العسكري المكثف في بقاع العالم وخصوصاً في آسيا التي تشهد أنطلاقة لابد من العمل علي ترتيبها في مرحلة أطلاقتها بدل من الانتظار والتعامل مع النتائج التي يمكن أن تكون مكلفة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. ونقصد أن التجربة الأمريكية في اليابان لن تتحقق في كوريا هو أن أي أتحاد بين الكوريتين سوف يعني تزواج القوة العسكرية مع القوة الاقتصادية التقنية وهذا يعني خلق دولة قوية (أوالمانيا آسيوية) يمكن أن تعلب دوراً مهماً لا تضمن الولايات المتحدة الأمريكية أن يسير لصالحها خصوصاً بعد دخول الشمال الأكثر كثافة من الناحية السكانية والعدائية للولايات المتحدة الأمريكية. بل أن الجنوب ذاته باستثناء بعض القوى الاقتصادية والسياسية فإنه يشعر بالعداء تجاه الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً وأنها وقفت ضد أي قوة توحد شبه الجزيرة الكورية فى السابق .

الثانى: وهو أحتمال هجوم كوريا الشمالية على الجنوبية بفعل الضائقة الاقتصادية التى وصلت إلى حد المجاعة فإن هذا العامل سوف يدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحمّيل ميزانية الحرب بكاملها من أجل الدفاع عن كوريا الجنوبية ثم لا تضمن الولايات المتحدة الأمريكية أن الحرب سوف تكون نظيفة وسريعة خصوصاً مع أمتلاك كوريا الشمالية لقدرات تسليحيه وخصوصاً في مجال الصواريخ التى أثبتت الولايات المتحدة الأمريكية عدم قدرتها وكفائتها ضد مثل هذه الأسلحة إذا ما اتسمت بالدقة وبالكثافة.

وأن قرأة الولايات المتحدة الأمريكية للوضع الكوري هو حدوث عدم توزان في القوى بين الكوريتين بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يميل لصالح كوريا الجنوبية أذا أُخذ البعد الأقتصادي في الحسبان وبالتالي فإن سعي كوريا الجنوبية لأستيعاب كوريا الشمالية ببعدها وقوتها العسكري أم وارد مكررتاًه كوريا الجنوبية في ذلك تجربة المانيا الغربية مع المانيا الشرقية إلا أن الوضع في كوريا ليس مثل المانيا وأن أسيا ليست أوروبا وتوازناتها السياسية والعسكرية لذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم ترى أن كوريا الموحدة سوف تخدم استراتيجيتها البعيدة المدى وسوف تكون كوريا الموحدة مختلفة عن اليابان القوة الاقتصادية الكبيرة والنظام الديمقراطي الفعّال وأنما سوف تشاهد أمريكا كوريا موحدة قوية من الناحية الأقتصادية والعسكرية وغير ديمقراطية قد لا تعرف كوريا الموحدة الحدود لطموحاتها في المستقبل وهذا ما يخيف الترتيبات الأستراتيجية الأمريكية في آسيا في المستقبل المنظور.

قيادة أوروبا من الخارج

في مقالين سابقين متتاليين سلط الضوء على أن الأزمة البلقانية ومحنة كسوفو قد أشعلت التنافس المحموم بشكل كبير لتقوية الاستراتيجية الأمريكية لاستثمار التفوق الأمريكي العالمي ووضعه محل التنفيذ في أوروبا وخصوصاً آخر ساحاتها منطقة البلقان. وأزمة كسوفو كذلك أشعلت الانقسامات المحلية الامريكية بين الحزبين الرئيسيين أحيانا وأنهما قد عاشا مرحلة الصدمات التى تخرج أحيانا من بعدها القانوني والدستوري الى أبعاد سياسية غير أخلاقية وأصبح كل طرف يحاول أستثمار أزمة كسوفو من أجل زيادة رصيده السياسي الداخلي.

والجانب الأخر لهذه المنطلقات السياسية التى تدفع الولايات المتحدة الأمريكية مع شريكتها السياسية والاستراتيجية بريطانيا الى الخوض في الازمة البلقانية والتأثير على مستقبل المنطقة في أوروبا القديمة.

بالنظرة الفاحصة يكتشف المراقب السياسي والعسكري أن مسرح العمليات العسكرية يكاد يسيطر عليه الجيش الامريكي سواء على الشواطىء بوجود البارجات الامريكية وحاملات الطائرات التي كانت الرائدة بضرب بعض الأهداف الحيوية في يوغسلافيا وكانت صواريخ كروز وتماهوك والطائرات القاذفة هي الخط الامامي لمثل هذه الضربات الجوية ثم تأتي بريطانيا في المهجود الثاني بعد الولايات المتحدة الامريكية بالتواجد العسكري وحجم ضرب الاهداف داخل يوغسلافيا. ومثلما كان غائب المجهود العسكري الالماني أو الفرنسي فإن المجهود السياسي لهما كان اكثر فتور بل ان سياسة التردد والتمنع التى تمارسها المانيا وفرنسا على وجه الحدود أصبحت سمة من سمات السياسة الفرنسية بحيث أنه يمكن القول وبقليل من الشك والتردد أنه لا يوجد عقل سياسي أستراتيجي فرنسي اليوم وأنما توجد أهداف فرنسية قائمة على الأحلام والاماني وأقتناص الفرص التى يمكن أن تأتي أو لا تأتي ولذلك فان الموقف الفرنسي يشبه سياسة الحرباء التى تتحين الفرص للطعام دون بذل أي جهد أو مجهود للوصول للهدف. ولكن لماذا أصبحت فرنسا والمانيا المحور الأوروبي بهذا الشكل في سياستهما تجاه أزمة كسوفو بل أن الحديث في العاصمة برلين (عاصمة المستقبل) وباريس هو حديث المشردين واللاجئين من كسوفو اكثر منه حديث الاستراتيجية الخيارات السياسية والعسكرية وهذا الضعف في الموقف الالماني والفرنسي يذكرنا بمواقف العالم الاسلامي والعربي من أزمة كسوفو هذه المواقف التى قامت على الحرقة والاحتراق من جانب وعدم الاهتمام الى حد الضحك من قبل الدول الثورية العربية.

أن إزمة كسوفو أعطت مرة أخرى الدليل وراء الدليل والاثبات وراء الاثبات أن فرنسا تنزلق

إلى دولة هامشية في خضم السياسة الدولية وهذا الصراع ليس على أفريقيا أو الهند الصينية بل اليوم هو في قلب القارة الأوروبية نكتشف أن فرنسا تتكشّف للعالم على أنها دولة تابعة بالمعنى الحقيقي للدور الامريكي البريطاني وأن كانت غير راضية بذلك. ومن جهة أخرى تتكشف القوة الاقتصادية الالمانية دون أن تكون مدعومة بأي قوة سياسية أو عسكرية بل أن طبيعية تركيبية وتشكيل الحكومة الالمانية اليوم هي حكومة تردد وعدم حسم الخيارات السياسية والاستراتيجية ولذلك فسوف نشاهد تردد في الموقف الالماني يمكن أن يفهم على أنه اشارة في ضعف حلف الناتو إلا أنه في الحقيقة اشارة واضحة أن قيادة أوربا لن تأتي من أوروبا بل سوف تأتي من القارة الأمريكية والجزر البريطانية التى كانت دائماً ترى نفسها أنها خارج القارة الأوروبية تكشف اليوم أن استراتيجيتها القاضية بالتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية كانت واحدة من اكثر رهاناتها السياسية نجاحاً وكانت من اكثر الاهداف السياسية تم الاتفاق حولها من قبل القوى الحزبية والسياسية البريطانية.

وبالفعل أن التعطش الامريكي لاستثمار القدرات الهائلة والتفرد في سلم القوى العالمية مع تحالف بريطانيا جعل دول مثل فرنسا والمانيا تمارسان الفشل تلو الآخر في عملية أخراج الولايات المتحدة الامريكية خارج القارة الأوروبية مرة تحت المبرر الثقافي ومرة تحت المبرر الاقتصادي ومرة تحت المبرر السياسي .

أن لمبرر الاستراتيجي جاء ليضرب كل هذه المحاولات عرض الحائض ويثبت أن سياسة قصر النفس التى تمارسها فرنسا وعدم الواقعية السياسية كانت أحد الد اعدائها واكثر العوامل ضرب لأهدافها كما أن الاستراتيجية الالمانية التى بدأت تأخذ بالتحول من البعد الاستغلالي في الجوانب الاقتصادية إلى البعد الاستغلالي في الجوانب الامنية أنها مازالت سياسة مبكرة وأن فيها أستفزاز للأخ الاكبر القابع خلف المحيط الذي دفع الكثير من موارده وقدراته من أجل قيادة أوروبا تحت لوائه.

وإذا كانت القيادة الأمريكية لحلف الناتو يدعمها المنطق السياسي وذلك بالثقل السياسي الدولي الامريكي ويدعمها البعد العسكري حيث أن أمريكا هي الثقل العسكري الحقيقي في الحلف والعالم الغربي وخصوصاً في مجال التطور الهائل في الاسحلة سواء في قدراتها أو أمكانياتها العسكرية أو شموليتها أو حتى تطورها التقني وكذلك أن المواقف ترجح القيادة الامريكية للحلف على المستوى عالي والامكانيات المالية التى تتكبدها الخزينة الأمريكية.

كل هذه العوامل كانت اكثر وضوح وتجلي في أزمة البلقان ومأساة كسوفو حينما أثبتت الولايات المتحدة الأمريكية للأوروبيين أولاً ثم للعالم أن الغرب هو أمريكا وأمريكا هي القائد الحقيق للعالم الغربي وأن بريطانيا تعد أحد مستشاري هذا القائد وأن البقية من الدول لا تعدو أن تكون الأخ الاصغر الذى يريد أن يحصل على رضى الأخ الأكبر وخصوصاً الدول الصغيرة

والفقيرة في أوروبا أو أطراف أوروبا إو أخ صغير يعاقب في حالة عدم سماع وأطاعة الأوامر في حالة الدول التي تعد قلب أوروبا النابض ومراكز مرشحة لايجاد البديل عن التحالف الانغلوسكوني في أوروبا. ان أزمة البلقان يجب أن توضع في إطار أكثر عمومية وأكثر شمولية في المستوى الدولي من أجل فهمها وفهم ديناميكيتها فهماً جيداً وأن العقل الفكري الاستراتيجي يجب أن يضع هذه الأزمة داخل إطار الاستعداد للمنازلة الاقتصادية والسياسية والعسكرية المحتملة مع آسيا بقواعدها الثقافية والاقتصادية والعسكرية القادمة وأن دول الدرجة الثانية في أوروبا لن تخرج عن كونها فى أحد المعسكرين ولكن ليست في غرف القيادة الدولية.

مشنقة صندوق النقد الدولي

لا أحد يذكر أي دولة من الدول أقترضت قرضاً من صندوق النقد الدولي وخرجت من مأزقتها بشكل نهائى بل كانت تخرج من مأزق وأزمة قصيرة الأمد الى مأزق وأزمة طويلة الأجل. ولعله من المناسب هنا هو تسليط الضوء على الأزمة الاقتصادية الآسيوية وخصوصاً كل من كوريا الجنوبية وأندونيسيا وهما الدولتان اللتين عصفت بهما الأزمة الاقتصادية الأخيرة من ضمن دول أخرى هي تايلندا وماليزيا. يذكر المحللون الاقتصاديون أن الوضع الأقتصادي بالإضافة إلي الفساد السياسي والمالي الذي كان أحد معالم هذه الدول كان وراء استغلال الوضع الاقتصادي في هذه الدول من قبل أطراف أجنبية بمعنى أن مضاربين العملة الدوليين وجدو وضع مواتياً للاستفادة السريعة والاستثمار والربح السريع على حساب هذه الدول واستقلاليتها. والنتيجة هو ما نشاهده اليوم من أنهيار سعر صرف العملات لهذة الدول أبتداء من تايلندا وماليزيا وأندونيسيا حتى كوريا الجنوبية الدوله الأضخم والأهم على المستوى الاقتصادي.

كان من أسباب تداعي الأزمة الاقتصادية من ضمن أسباب عديدة هو العامل النفسي حيث يسعى المواطن والمستثمر إلى التخلص من عملته الوطنية وشراء عملات صعبه والدولار على وجه الخصوص وأن هذه الدائرة والعامل النفسي يدفع إلى مزيد من أنهيار قيمة العملة المحلية لهذه الدول وهو ما يدفع إلى مزيد من التحويل من العملات الوطنية إلى العملات الأجنبية وتتحول هذه الدائرة إلى أضطراب في أسواق المال واسواق النقد يدفع إلى زيادة الأسعار بشكل جنوني وسريع الأمر الذي يدفع الدول إلى محاولة إعادة الثقة إلى العملة الوطنية ويكون ذلك بأحد الحلول التالية : ـــ

أولاً : أن يقوم النظام السياسي بشراء كميات كبيرة من العملات الصعبة من الخارج ويطرحها فى السوق المحلية حتى يعيد الجانب النفسي إلى توازنه لدى الفرد والمواطن والمستثمر وهذا ما لم تستطع عليه دولة مثل كوريا الجنوبية وأندونيسيا ننتيجة للضائقة الاقتصادية التى تعيشها هذه الدول.

الثانى : هو التوجه إلى صندوق النقد الدولي من أجل توفير هذه الأموال وإعادة الثقة للعملة الوطنية وأحتياجاتها من العملة الصعبة وهذا ما قامت به كل من كوريا الجنوبية وأندويسيا مؤخراً. ولكون العامل الأخير هذا هو جوهر هذا المقال فإنه سوف يكون مجال لتسليط الضوء عليه وأثره على أقتصاديات هذه الدول.

يقول الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران في أحد كتاباته محاولاً أقناع السياسة الفرنسيون والرأي العام الفرنسي بجدوى القروض التى تقدمها فرنسا للدول الأفريقية بالتالي: أن أي فرنك فرنسي تقدمه فرنسا إلى أي دولة أفريقية يعود علينا بعشر فرنكات على أقل تقدير، والرئيس الفرنسي السابق لم يكن مبالغاً بل لم يعطي الموضوع حقه، بل أن الذي سكت عنه هو أهم من الذي قالة.

لنأخذ القروض على سبيل المثال التى أخذتها كل من كوريا الجنوبية البالغه ٦٠ مليار دولار وأندونسيا ٤٠ مليار دولار حيث سوف تدفع كوريا الجنوبية حسب رواية الرئيس الكورى نفسه ١٥ مليار دولار فائدة سنوياً على هذه المبالغ أي أن من المحتمل في ظل هذه الأزمة أن لا تستطيع كوريا الجنوبية وأندونيسيا خصوصاً على تسديد هذه المبالغ في القريب العاجل أي خلال السنوات القريبه القادمة، بل من المحتمل في ظل عدم الاستقرار السياسي في كلا الدولتين وخصوصاً في أندونيسيا أن لا تستطيع تسديد الفائدة على القروض مما يعني أنه خلال عشر سنوات من اليوم سوف تكون كلا الدولتين قد سددت مبالغ أكبر بكثير من القرض الاصلي على شكل فوائد دون نقص القرض الأصلي أن لم يكن قد زاد هذه المبلغ أصلاً. أي أن هذه الدول كما حدث للدول الأفريقية وأمريكا اللاتينية سابقاً سددت مبالغ تفوق القرض الأصلي بعدة مرات وهي مازالت لم تسدد القرض الأصلي وحيث كانت تعمل على تسديد الفوائد السنوية هذا على المستوى الاقتصادي نعرف كيف أن هذا الوضع سوف يؤدى إلى أضعاف الوضع الأقتصادي ويجعلة عرضة للهزات السريعة والمتتابعة، ولكن أن البعد السياسي والاجتماعي هو أبعد بكثير من البعد الاقتصادي حيث أن مثل هذه القروض المقدمة من صندوق النقد الدولي سوف تعمل على أدخال صندوق النقد الدولي في خطط التنمية والمشاريع الاقتصادية بشكل قوي وفعال أي أن الدول المنشأة والداعمة لصندوق النقد الدولي سوف تكون قادرة على التدخل في أقتصاديات وخطط هذه الدول بشكل مباشر وعن طريق صندوق النقد الدولي.

وإذا كانت المكتسبات الأقتصادية التى تجنيها هذه الدول من القرض المقدم من صندوق النقد الدولي جيدة على المدى القصير وهو ايقاف الرعب والفوضى الاقتصادية وإعادة الثقة للاقتصاد الوطني لهذه الدول إلا أن أنعكاساته على المدى البعيد سوف تكون كبيرة ليس فقط على مستوي الضغط الاقتصادي وتدخل صندوق النقد الدولي على مستوي خطط التنمية والمشاريع المستقبلية بل سوف يتدخل صندوق النقد الدولي على مستوي الأسعار المحلية للسلع الأساسية أي سوف يتدخل في معيشة الناس اليومية على مستوى أسعار السلع الضرورية من جانب وعملية الإدارة المحلية من جانب آخر والتى تعني فيما تعني تسريح العديد من العمال والموظفين مثلما ما يحدث لأندونيسيا من تسريح ما يقارب مليون موظف وعامل خلال السنة الحالية وهذا يعني مزيد من الأضطرابات المحلية والتى تعني مزيد من عدم الأستقرار الاجتماعي والذي يقود

إلى عدم الأستقرار السياسي وهذا ما بدأت ملاحظته في بعض هذه الدول.

وبحدوث الاضطرابات الاجتماعية والسياسية فأن النظام السياسي لا يجد مخرج ومجال سوى مزيد من المصاريف على القضايا الأمنية والدفاعية مما يعني مزيد من المصاريف غير المنتجة التى تضعف الاقتصاد بشكل أكثر.

ولعل أهم آثار قرض صندوق النقد الدولي بعد بعدها الأقتصادي والاجتماعي والسياسي فأن قرض البنك الدولي سوف يسمح للبنك الدولي وللدول الداعمة له بالتدخل بالتطور السياسي المحلي لهذه الدول بشكل يخدم مصالح الدول الكبرى بمعنى آخر فإنه من المتوقع في حالة كوريا الجنوبية أن يُؤقلم ويدفع إلى توجه يخدم مصالح الدول الكبرى بشكل يساعد على تغلغل هذه الدول أكثر من أقتصاديات وسياسيات كوريا الجنوبية.

أما على مستوى أندونيسيا فأنه من المتوقع أن تسعى الكثير من الدول الداعمة لصندوق النقد الدولي من أستثمار هذا القرض من أجل التغيير السياسي داخل أندونيسيا بشكل يخدم مصالح هذه الدول والانتقال بالسلطة من سوهارتو إلى أفراد أكثر انفتاح على العالم الغربي وعلى الثقافة السياسية الغربية بحيث يخفف من اندفاع أندونيسيا التطويري وبرامجها الاقتصادية والتطبيقية الطموحة من جانب ومن جانب سوف تكون مسألة أستغلال تيمور الشرقيه والتى تضم الأقلية الكاثوليكية في أندونيسيا. أقول أن مسألة استغلال تيمور الشرقيه مسألة وقت وتيمور الشرقيه المستقلة في المستقبل سوف تكون أحد الدول الهامة والقاعدة للنفوذ الغربي موجه ضد أندونيسيا وخصوصاً على المستوى الأمنى والعسكري.

أن القروض التى يقدمها صندوق النقد الدولي قد تأتي بالحل المسكن السريع للأزمة الاقتصادية إلا أن آثاره البعيدة المدى لا يمكن الأطمئنان لها سواء على المستوى الاقتصادية أو الاجتماعي والأهم آثارها السياسية التى تسلب النظام السياسي المبادرة الداخلية والخارجية ويصبح صندوق النقد الدولي عبارة عن حكومة داخل الحكومة يسعي لمصالح الدول الغربية بعيداً عن مصالح الدول المقترضة.

من مناحيم بيغن إلى نتنياهو

﴿البلاد بأيدي أمينه﴾ بهذه العبارة كان أول تصريح يقوم به رئيس الوزراء الاسرائيلي المنتخب بنيامين نتنياهو زعيم تكتل الليكود اليمني المتشدد وزعيم أجنحه الصقور والمتصلبين فى الدوله العبريه، كان فوزه على شيمون بيريز الوارث المنصب عن زعيمه المخضرم إسحاق رابين بعد أن قتل على يد أحد اليهود المتطرفين المنادين بوقف عملية السلام مع العرب والاستمرار بتحقيق أحلام حاخامات إسرائيل التوراتيه على الأرض. إن كان تسجيل شيء على هذه الانتخابات فهو أستقلاليه القرار السياسي والانتخابي الإسرائيلي الذي سُجل بقوه وذلك بالتصويت لنتنياهو على الرغم من الميل الدولى وخاصه الامريكي للزعيم الخاسر شيمون بيريز.

إلا أن السؤال الذي يواجهنا هو ثم ماذا؟ أو ماذا تعني تحول الحكومه في إسرائيل من تكتيك سياسي الى آخر؟ بشكل أكثر تفصيلى ماذا يعني تحول التكتيك السياسي من محاولة أستثمار فترة الضعف العربي لصالح إسرائيل أي أن السؤال الذي طرح أمام حزب العمل وبنى عليه استراتيجيته هو أن العالم والنظام الدولي شهد تحولاً خطيراً ومهماً جداً حيث أنهار الاتحاد السوفيتي وتفكك الى دولاً أفضلها روسيا التى تعاني من مشاكل أقتصادية وأجتماعية وفراغ أيدلوجي وصراع وأنقسام حول مستقبل البلاد، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكيه بالهيمنه على النظام الدولى بشكل أكثر قوه من السابق خصوصاً وأن دولاً مثل الصين، الهند مازالت بعيدة عن المنافسه ناهيك عن المنافسة الاقتصادية اليابانية والأوروبية والكندية. وتفرد الولايات المتحدة الأمريكيه بقوتها يعني مزيداً من الدعم لاسرائيل، وأنهيار الاتحاد السوفيتي والهيمنه الأمريكيه وضع بعض الدول العربية التى أحتفظت بعلاقات جيده وعلاقات تسليحيه مع الاتحاد السوفيتي في زاوية مغلقه أما التقدم نحو الغرب عن طريق إسرائيل أو الأنهيار ومن جانب آخر. سرق أنهيار الاتحاد السوفيتي الخيارات السياسية والتسليحيه لدى الدول العربية الاخرى وأصبحت البوصلة السياسية والعسكرية تتجه نحو الغرب والولايات المتحدة الأمريكيه بشكل ظاهر عدا بعض الجيوب الاستثنائية في حالات شراء السلاح من الصين.

وأخيراً جاءت الوقعه الحقيقيه باجتياح العراق للكويت التى قسمت وأضعفت الأمن العربي الاستراتيجي والسياسي وذلك بخلق مرحله من الفراغ السياسي والعسكري تعاظم مع مرحله النزيف الاقتصادي التي قادته الحرب العراقيه الايرانيه ثم حرب أخراج العراق من الكويت.

كل هذه الأحداث سمحت للحكومه الاسرائيلية تحت زعامه أسحاق شامير الوريث للزعيم مناحيم بيغن بالتصلب وبناء مزيد من المستوطنات وتوظيف الأحداث الدوليه لصالح إسرائيل

في علاقاتها العربيه. وعندما جاء حزب العمل إلى السلطه على أثر فوز أسحاق رابين على نظيره إسحاق شامير لم تتغير الاستراتيجية إلا أن التكتيك لتحقيق الهدف هو الذي تغير حيث عمد رابين الى توظيف الهدف الدولى من أجل تحقيق أكبر قدر من المكاسب من العرب وخرج لنا بمفهوم العملية السلميه والتى تعني أن العرب هم أضعف ما يكنون الآن والوضع الدولي مواتي بهيمنه الولايات المتحدة الأمريكيه على الساحة الدولية لذلك كله فإن تحقيق مكاسب تفاوضيه هو أفضل ما يمكن تحقيقه لصالح إسرائيل وتكبيل العرب بسلسلة من الاتفاقات تضمن لاسرائيل أمنها وتعطيها مساحة للتحرك على المستوى الاقتصادي والسياسي بعد أن يحيد البعد العسكري من العملية السياسية. بمعنى آخر أن حزب العمل أستثمر البعد السياسي الدولي لصالح المصلحه الاسرائيلية العليا بعيدة المدى.

إذا كان ذلك كذلك وهو توظيف حزب العمل الوضع الدولي من أجل تعزيز المصالح العليا الاسرائيلية فماذا عسى أن تكون سياسة نتنياهو المستقبلية من أجل تحقيق مزيد من المكاسب لاسرائيل؟ وما هي أمكانية نجاحها وفشلها؟

كنت من الذين تابعو بنيامين نتنياهو عندما كان مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة في حكومة إسحاق شامير حيث تميز نتنياهو بالحضور الأعلامي المكثف كما يتمتع بلغة انجليزية قويه سلسلة تستسيغها الاذان الأمريكيه من حيث اللهجة ومخارج الكلمات والحروف على العكس من جميع زعماء إسرائيل السابقين الذين كانت لغتهم الانجليزية ثقيله على المستمع لذلك كان يطغي حضورهم السياسي والدعم من المنظمات على قدرتهم على الأقناع. أقول تألق نتنياهو بحضورة الأعلامي خصوصاً وأن وجوده في الولايات المتحدة الأمريكيه في ذلك الوقت تزامن مع بعض التفجيرات ضد المصالح الأمريكيه حيث أستثمر هذا الرجل هذه المناسبات باخراج كتابه الشهير «كيف يحارب الغرب الأرهاب ويفوز» حيث أصبح نتنياهو بعد هذا الكتاب نجم أهم البرامج الاعلامية في أمريكا متنقلاً من صباح الخير أمريكا، النايت لين وبرنامج هذا الاسبوع مع ديفد برنكلي على محطه ABCإلى برامج قابل أو موعد الصحافه على قناة NBC ناهيك عن العديد من البرامج الاذاعيه والمقالات الصحافيه. وخلال هذه البرامج يؤكد بنامين نتنياهو أصراره وتكراره نفس المعلومات والتوجهات السياسية التى أعلنها في حملته الانتخابيه وأكد عليها بعد فوزة برئاسة مجلس الوزراء. إذن الرجل صاحب نظرة ثابته وليست وليدة اللحظه وهو صاحب قدرة على الاستثمار الاعلامي وصاحب أمكانية التحدث إلى المواطن الغربي وخصوصاً المواطن الأمريكي بشكل أفضل من الزعماء الاسرائيليين السابقين وهو كذلك صاحب معرفة ودراية للنظام السياسي الغربي وتوازنات وصراع الاعلام السياسي في أمريكا وقدرتة على توظيف كل ذلك لصالح إسرائيل في المستقبل حيث سوف تشهد خطاباته المؤثرة على وسائل الأعلام محاولاً أقناع الجاليات اليهودية في أمريكا ومحاولاً أقناع الناخب الأمريكي بسياسته مما يعني

المزيد من الضغط على النظام الأمريكي لصالح إسرائيل.

اذاً من المتوقع أن يمضي بنامين نتنياهو في محاولاته لتحقيق فلسفته السياسية وأحلامه ووعدوه السياسية إلى جعلها حقيقتاً سياسية على أرض الواقع وهنا برز السؤال التالي : ما مدى النجاح والاخفاق الذى يمكن أن يصاحب سياسة نتنياهو؟

إن من أهم النقاط الرئيسية التى يهتم بها المراقب الدارس السياسي هي الظروف الموضوعيه أو دراسة تحليل الواقع. دراسة وتحليل الواقع هنا تعني أنه بغض النظر عن الافراد (مع التسليم بأهمية الفرد) كان من كان فإن الظروف الموضوعيه والدافع يملي السلوك السياسي والاقتصادي على السياسيين بغض النظر عن مواقفة ومبادئة وأيدلوجيته إذا ما أراد أن يكون فاعلا ومتفاعلاً مع الأحداث وتحت هذه النظره ما هو الحال بالنسبة لبنامين نتنياهو؟ الواقع أن نتنياهو جاء إلى سدة السلطه والظروف الدوليه والموضوعيه تختلف عنها في مرحلة مناحيم بيغن أو إسحاق شامير حيث أن الولايات المتحدة الأمريكيه ومن منطلق مصلحتها الخاصه خصوصاً لايجاد نوع من الاستقرار السياسي في الشرق الأوسط حيث يمكن لها هذا الاستقرار الى تغيير الشرق الأوسط بشكل بطيء وتدريجي يخدم مصلحتها البعيدة المدى من جانب وأن الاستقرار السياسي كذلك يمكن أمريكا من سحب الاضواء من تنفذ وتأثير الحركات الاسلاميه في العالم العربي وجعلها أقل قبولاً لدي رجل الشارع العادي. والاستقرار السياسي هو كذلك لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكيه من أجل سلب الاضواء والقبول من الدول الراديكاليه في المنطقة وجعل الاعتدال السياسي هو المنهج الواقعي في الذهنية العربيه. لكل هذه الاسباب وغيرها سعت الولايات المتحدة الأمريكيه إلى تضيق الخناق على حكومه إسحاق شامير حتى تم أسقاطها لصالح إسحاق رابين ومن المتوقع في المستقبل أن الولايات المتحدة الأمريكيه سوف تمارس نفس السياسة مع الحكومه الاسرائيلية الجديدة اذا ما هددت المصالح الأمريكيه العليا للخطر في الشرق الأوسط مع التأكيد أن الحزب الديمقراطي الأمريكي سوف يكون أكثر مرونه مع إسرائيل من الحزب الجمهوري في حاله فوزه في الانتخابات القادمه. ويجب التأكيد أنه حتى في حالة تضيق الخناق على السياسة الاسرائيلية المتشددة فإن الولايات المتحدة الأمريكيه سوف تبقي الضامن الوحيد للأمن الاسرائيلي.

بمعني آخر أن الظروف الموضوعيه والواقيعه الجديدة لا تخدم طموحات وأحلام نتنياهو حيث أنه إذا ما مضا قدما بتحقيق أحلام حاخامات إسرائيل التوارتيه فإنه سوف يجد تضيق من الحليف القوى والوحيد الولايات المتحدة الأمريكية وتجميد العملية السلمية حتى الانتخابات الاسرائيلية القادمه على أمل قدوم زعيم إسرائيلي ذو توجه سياسي يخدم المصلحة السياسية الأمريكيه العليا. وأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تنتظر من الزعيم الاسرائيلي المنتخب ليونه في بعض الجوانب يمكن منها أبقاء العملية السلميه حية وحاضرة في الاذهان وفي ذات

الوقت فإن هذه الفترة يمكن أن تسمح للفلسطينين والعرب باعادة تقييم العملية السلميه وتبين المكاسب التى حققتها السلطه الفلسطينية وجعلها واقع لا يمكن التراجع عنها.

خلاصة الحديث أن الزعيم الاسرائيلي المنتخب بنامين نتنياهو جاء باحلام موشي ديان ومناحيم بيغن وأسحاق شامير وأريال شارون إلا أنه جاء بواقع عالمي جديد لن يسمح للاحلام بالتحقق في حالة أصتدامها مع المصالح الاستراتيجية الأمريكيه حتى وأن كانت الترسانه الاسرائيلية مدججة بالسلاح التقليدي النووي حتى وأن كانت إسرائيل برعت باستثمار العملية الانتخابية. أن شخصية نتنياهو يجب أن تأتي باحلامها وسياستها ممزوجة مع الواقع الدولي وليست موروثه من صقور الوضع الدولي السابق.

مناطق الصراع الجديدة

تعد شبه القارة الهندية اليوم من أكثر المناطق الجغرافية حساسية من الناحية السياسية والعسكرية ولم يكن ذلك جديد حيث خاضت الهند والباكستان الحروب المتلاحقة والتى كانت تدور على مفهوم الانفصال السياسي الذي قاد إلى وجود باكستان ثم الحرب الثانية التى دفعت الى بنغلاديش والتى عرفت بباكستان الشرقية في مراحلها الأولى ثم تطور الصراع حتى يأخذ مفهوم الصراع حول الاراضي الكشميرية دائرة الصراع ليس فقط على مستواها الجغرافي بشكل ما تحمله مناطقها من جمال وأنما تحول الصراع الى صراع الفوز بالمجموعة البشرية التى تسكن هذه المناطق حيث أن خسران هذه المناطق يعد من وجهة النظر الهندية فشل لمشروعها الاستراتيجي وهو إعادة توحيد الهند المشروع الذي فشل غاندي ونهرو في تحقيقة سواء بانفصال باكستان ثم بنغلاديش وخسران كشمير هو حلقه من حلقات هذه الخسائر الهندية من وجهة نظر الساسة الهنود. ومن الناحية الأخري فإن ضم مناطق كشمير الى الباكستان هو تعزيز للمشروع الايديولوجي الباكستاني وضمان أستمرار رئيسة خصوصاً وأن هذا المشروع يعاني منذ قيامه من مثالب حقيقية سواء أقتصادية أو طبيعة تركيبته السكانية التى أصبحت مثار للجدل الداخلي ومصدر من مصادر القلق الداخلي والخارجي.

ضاعف هذه القضايا بين هاتين الجارتين طبيعة النظام الدولي الذي وضع كل من الباكستان والصين في مصاف الدول القريبة من العالم الغربي مقابل الهند القريبة من الاتحاد السوفيتي السابق هذه التحالفات الغير منطقية ولكن أملتها الظروف الدولية حيث تتحالف الدوله الشيوعية الصين والدوله الغير ديمقراطية الباكتسان مع قلعة الرأسمالية والديمقراطية الولايات المتحدة الامريكية. ومن جانب أخر فإن الدولة الديمقراطية وصاحبة الاقتصاد المنفتح الهند تتحالف مع الدولة الشيوعية وصاحبة الاقتصاد المغلق الاتحاد السوفيتي. وكانت هذه التوازنات ضبطت الايقاع السياسي للصراع الهندي الباكستاني بشكل واضح بل زاد هذا الضبط للصراع مع الغزو السوفيتي للاراضي الافغانية والتى تمثلت أهمية الباكستان للولايات المتحدة الامريكية كقاعدة متقدمة لتسليح وتدريب الافغان ومنطقة لجلب المساعدات لهم من العتاد والرجال إلا أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والذي أعقب خروج قواته من أفغانستان اكتشفت الباكستان ضياع أهميتها الاستراتيجية والسياسية الى الدرجة التى دفعت بالامريكيين الى حتى إيقاف مبيعات الاسلحة مدفوعة الثمن لباكستان وهو الأمر الذي دفع الهند لقرأة الوضع السياسي مع مجيء الحكومة الهندية الوطنية المتطرفة التى كانت تحاول دفع باكستان الى مرحلة الافلاس عن طريق سباق التسلح وبالفعل فإن البرنامج التسليحي الهندي أخذ بالتطور والتفاعل توج بالتفجيرات النووية

الهندية حيث لم يكن أمام باكستان التى كانت لديها استعدادات سابقة لمثل هذا الحدث إلي أن تقابل التفجير النووي بالمقابل وهذا يعد من الناحية السياسية البحته والاستراتيجية العسكرية البحته من اكثر القرارات الباكستانية حكمتاً ومعرفة من حيث أنه بدون مثل هذا الرد فإن هيكلة الدولة الباكستانية سوف تتآكل بشكل متسارع. وعلى العموم فإن الصراع هنا أخذ منحى اكثر ديناميكية خصوصاً أن باكستان عادة الى الاطار السياسي الدولي في مثل هذه البرامج التسليحية غير التقليدية ولكن ليس كدولة حليفة للغرب بل كدولة خارجة عن أطر ونطاق التعاليم الغربية ولذلك فإن إعادة الفكر السياسي في منطقة شبه القارة الهندية أصبح ضرورة في مثل نظام دولي جديد.

وبالفعل فإن الرئيس الأمريكي السيد كلنتون اليوم ينتهي زيارته المهمة لدولة بنغلاديش الدولة الفقيرة المتروكة لعقود ماضية نهشاً للمرض والفياضانات والصراع الدموي الداخلي.

ماذا يمكن للسيد كلنتون أن يبحث عنه في بنغلاديش؟ من الواضح أن بنغلاديش أصبحت الدولة ذات المرتكز الهام لمراقبة كل من الهند والباكستان ويمكن أن تكون واحدة من مرتكزات الاستراتيجية الامريكية في شبة القارة الهندية عندما يقتنع الساسة الامريكيون ان بنغلاديش لديها القدرة والاستعداد السياسي والاجتماعي للعب مثل هذا الدور والحاجة السياسية والاقتصادية والعسكرية لذلك وبالتالي فإن الهند وباكستان سوف تكونان داخل دائرة السياسة الآسيوية وهنا الصراع الهندي الصيني الباكستاني الصيني مع الياباني والتقارب المحتمل بين الباكستان والصين. وبنغلاديش هنا سوف تكون مناطق مرقابة وتصنت وكذلك مناطق عسكرية متقدمة محتملة في المستقبل داخل دائرة شبة القارة الهندية.

إذا كان ذلك يعني الأهمية النسبية الجديد لدولة مهملة مثل بنغلاديش فإنه يعني كذلك محاولة تعويض مكانة باكستان مقابل الهند بمعنى آخر أن بنغلاديش تلعب دور باكستان مقابل مراقبة الهند وهذا يعني كذلك مزيد من أهمال وفقدان الأهمية الاستراتيجية لباكستان من وجهة النظر الأمريكية بمعني آخر ان من نتائج الجولة الامريكية في شبة القارة الهندية هو مزيد من الضغط المتوقع على الباكستان ومحاولة جديدة لسحب قوتها في المستقبل بل ان الاستراتيجية الامريكية لحرمان دول من القوة النووية قائمة ومستمرة وسوف تزداد في المستقبل والباكستان تعد واحدة من أهم الدول على القائمة الأمريكية ولكون باكستان قد أجرت تفجيراتها النووية فإن طريقة حرمان الباكستان من هذه الميزة سوف تجري على قدم وساق وبطريقة ومنهجية جديدة ولكون الساسة الامريكية لديهم القناعة بأهمية الهند الاستراتيجية والاقتصادية فسوف تغض الطرف عن قدراتها العسكرية المحدودة ولكن لن يكون كذلك تجاه باكستان التى ليس لها أهمية أقتصادية أو سياسية بل فقدت أهميتها الاستراتيجية مع أنهيار الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الافغانية مع الجيش الروسي.

منظمة حافظي العهود/ والساحة الأمريكية

إذا كانت دولة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية أستطاعت بثرائها الخرافي وقدرتها الأقتصادية الهائلة أن تكون حديث العالم منذ الحرب العالمية الثانية فهذا ليس جديد. وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية أستطاعت أن تضع شروط جديدة لمفهوم الصراع الدولي ومفهوم الحرب الباردة ومفهوم الهيمنة الدولية بواسطة قدراتها العسكرية الهائلة والمعقدة التكنولوجيا والتى بها ومن خلالها أستطاعت أن تضع لها مكان مرموق على الساحة الدولية جامعتاً بين النقيضين، بين أكثر العناصر والدول حماس للدور الأمريكي وبين أكثر العناصر والدول عداء وكره للدور الأمريكي بكل ما تمثل هذه الدولة من قوة وثقافة. وأمريكا لم تستطع فقط أشغال العالم بعالمها السينمائي الذي أصبح الوسيلة العالمية التى ليس لها منافس حقيقى في عالم السينما والتليفزيون وعالم الترفيه وإعلام التعبئة السياسية والأيديولوجية التى عاشته مؤسسات سينمائية أمريكية في هليود، مدينة عالم السينما. ونحن في العالم العربي والاسلامي نعرف أو على الأقل عانينا بشكل لم يحصل سوى لألمانيا النازية من المواقف والأحكام المسبقة التى ترفعها الأفلام السينمائية الأمريكية ضد العرب والمسلمين وضد فكرة الاسلام بذاتها دون نقاشها أو طرحها بشكل موضوعي. وهنا تبرز أشكالية عربية عن دور المؤسسات السينمائية ذات الاسماء اليهوديه أو على الأقل التعاطف مع اليهود حيث اذكر أنني حضرت أحد المحاضرات في أمريكا والتي كان المتحدث فيها أحد الأمريكيين من أصول أفريقية حيث أثبت للحضور بالوثائق والمعلومات الموثقة ملكية أغلب وأهم شركات الانتاج السينمائي والتليفزيوني إلى عناصر ومؤسسات يهودية. وهذا لا يعني أن العربي مظلوم دائماً، بل أن العربي والمسلم كثيراً ما يسيء إلى نفسه بنفسه وهذا ليس مجال حديثنا هنا.

والساحة الامريكية إلى جانب عالم السينما وتعد أحد أهم مصادر الأعلام الأخباري حيث أن أغلب المعلومات والاخبار تصدر عن هذه القارة النائية التى دخلت قلب العالم بفضل التطور التكنولوجي والمالي وتكنولوجيا المواصلات والأتصالات. كل الذين عاشو في كنف القارة الواعدة شاهدو كل هذه المزايا والتطورات ولكن الكل كذلك شاهد الديناميكية الاجتماعية والسياسية التطورية التى تخرج بها الساحة الأمريكية من وقت إلي آخر. ولعل آخر هذه الديناميكيات السياسية والاجتماعية أو مايمكن أن يطلق عليها ديناميكية التحرك الاجتماع السياسي. أقول لعل آخر هذه التحركات التى بدأت تظهر على الساحة السياسية الأمريكية هذه الأيام وأخذة تجد صدى قوي وفعال هي منظمة جديدة أطلقوا عليها أسم ((Promise Keepers أو حافظي الوعود أو حافظي

العهود. وهذه المنظمة أو التوجه السياسي الاجتماعي أخذت تظهر على الساحة الأمريكية بشكل ملفت للنظر في سرعة نموها وما يميز هذه المنظمة أنها ليست من المنظمات السابقه التى تستند علي عنصر واحد أو أنها منظمة ذات صبغة عنصرية حيث تضمم المنظمة بين جنباتها الأبيض والأسود الأمريكيين من أصول للاتينية.

بدأت منظمة حافظي العهود على يد أحد الخطباء المفوهين والذي أنحدر من ثقافة رياضية قاد فريق جامعه كلورادو إلى بطولة كرة القدم الأمريكي على مستوى الجامعات الأمريكية وبعد ذلك يقول أنه شعر بالعبثية وهو ينظر الى الفرد الأمريكي الذي يتوفر لدية جميع الامكانيات الاقتصادية والترفيهية ولكنه يعيش حالة فراغ هائل داخلى مما دفعه الى ترك الرياضة والرياضيين وأخذ يجمع حوله بعض الأنصار حتي أصبحت هذه المنظمة أحد القوى التي بدأت تظهر على الساحه السياسية والاجتماعية الأمريكية هذه الأيام. من الملفت للنظر أن هذه المنظمة لا تضم بين جنباتها العنصر النسائي مع أنها لا تجد معارضة من النساء حيث أن أفكار هذه المنظمة لا تحمل أفكار موجهة ضد النساء وإن كانت بعض الجهات والقوى السياسية وخصوصاً منها اليهودية بدأت تلمح أن منظمة حافظي العهود تحمل أفكار ضد النساء. إلا أن قوت هذه المنظمة تكمن أنها تراهن على عنصر الرجل من جهة ولكن الأهم أن أعضاء هذه المنظمة هم ليسو من الفقراء بل أنها تضم إلى جنباتها أشهر رؤساء الشركات ورجال الأعمال حيث أنه لفت نظر الكثير من المرقبين كيف أن مثل هولاء الرجال يجدون الوقت الكافي للأنضمام لهذه المنظمة والانخرط في نشاطاتها.

يعلل مثل هؤلاء الرجال ذوى المكانة المالية الكبيرة وجودهم في هذه المنظمة إلى محاولة أحياء الثقافة الأمريكية الأصيلة التى أخذة في الانحدار فى الفترة الاخيرة بل يعولون أن هذه المنظمة تدعو الى التكاتف الاجتماعي وتماسك الاسري ورفع شعارات قريبه من النفس البشرية مثل التركيز على مفهوم الأمانة والأخلاق والتحلى بالأخلاقيات العامة ومفهوم الامانة والاخلاص حتى فى الحياة الزوجية هما الذين دفع الكثير من العناصر النسائية الى تشجيع أزواجهن وأبنائهن إلى الانخراط بهذه المنظمة رغم عدم قدرتهن للانضمام إليها.

أن النجاحات الكبيرة والهائلة التى حققتها منظمة حافظي العهود دفع الكثير من المراقبين على المستوي الاجتماعي والسياسي إلى طرح أسئلة كبيرة عن مستقبل هذه المنظمة ثم ما هي التأثيرات التى سوف تدخلها على المجتمع والنظام السياسي الأمريكي أو الحياة السياسية الأمريكية وبالتالي العملية السياسية اليومية في الولايات المتحدة الأمريكية.

يقول أعضاء هذه المنظمة وعلى رأسهم المؤسس وصاحب الفكرة أن هذه المنظمة ليس لها رغبة أن تدخل فى السياسة وأن هدفها أجتماعي ونفسي ولكن المراقب لنوعية أعضائها وأهميتهم ولبعض الأفكار التى تطرحها هذه المنظمة يصل المراقب إلي خلاصة مفادها أن منظمة حافظي العهود أن عاجلاً أو آجلاً سوف تدخل معترك السياسة الأمريكية خصوصاً وأنها تطرح أفكار حول الالتزام

الاخلاقي والروح الدينية في الحياة السياسية والاجتماعية الأمريكية هذه الروح الدينية التى ترى هذه المنظمة أن تكون مستمدة من روح الكتاب المقدس (أو الأنجيل).

ومن جانب آخر فإن العديد من المنظمات السياسية والاجتماعية التى تعج بها الساحة الأمريكية أخذت تراقب هذه المنظمة بشكل دقيق حيث ذكر أحد المدافعين وأعضاء المنظمة اليهودية في أمريكا أن هذه المنظمة تعد أسلحتها بقوة للدخول في المعترك السياسي وهو ما يراه أنه خطر يهدد النظام السياسي الأمريكي حيث يرى أن هذه المنظمة أخذت تضم بعض القيم السياسية الأمريكية التى جلبت القوة لبعض القوى اليهودية.

السؤال يبقي مطروحاً هو عن مصير مثل هذة القوى السياسية الجديدة هل تأخذ بالنجاح والتألق أم أن مصيرها الفشل مثل العديد من القوى السياسية والاجتماعية التى ظهرت ثم خمدت بعد فترة من التألق والتوهج. من خلال مراقبة هذه المنظمة أنها تحمل بذور قوة ونجاح إذا أستطاعت تلافى الصدام المباشر مع قوى كبيرة على الساحة السياسية الأمريكية من جانب، وإذا أستطاعت تلافى الدخول في قضايا قانونية شائكة حيث أن المنظمات اليهودية كانت الابرع والاقدر على أدخال كثير من المنظمات والقوى السياسية المناهضة لها في قضايا قانونية تؤدي الى تفكيك وأفلاس مثل هذه القوى من جراء الدعاوى القانونية التى ترفعها ضد هذة المنظمات الوليدة حيث كان القانون والمحامين البارعين أهم وأخطر سلاح تستخدمة القوى الصهيونية في أمريكا ضد أي معارض للطموح السياسي اليهودي على الساحة الأمريكية بينما تستخدم الاغتيال والعنف ضد أي معارض لها خارج الإطار الأمريكي.

وفي الختام فإن الأيام وحدها سوف تكشف لنا مدي جدية وأهمية وصلابة منظمة حافظي الوعود وقدرتها على لعب دورها في الساحه السياسية الأمريكيه خصوصاً وأن هذه المنظمة سوف تتضح معالمها أكثر خلال مسيرتها التى من المقرر أن تجرى بعد أيام أي قبل صدور هذا المقال وبالتالي فإنه يجب مراقبة هذه المنظمة وأسباب نجاحها أو حتي فشلها ، وهذا ما يهم المراقب السياسي بالدرجة الأولى بعيداً عن الأماني أو التفكير بالأمنيات.

نحو استراتيجية عسكرية جديدة

يصدق القول إلى حد كبير الذي مفاده أن التغيير والديناميكيه للعلاقات الدولية والصراع الدولي يؤدي ويدفع إلى تغيير نمط العلاقات بين الدولة، أي دولة والعالم المحيط بها بمعنى أن هذا التغيير الذي لا يهدء وهذه التحالفات ونقض التحالفات التى لا تتوقف في الصراع الدولى تدفع الدول إلي الحركة المستمره من أجل أعادة ترتيب أوراقها في النظام الدولى حتي يتسني لها الاستمراريه والتأثير حسب مصلحتها كل دوله على حساب حجمها وأهمتيها الاستراتيجية والاقتصاديه والعسكريه والايديولوجية. أقول أن هذه النظره تصدق إلي حد كبير على تغيير نمط الاستراتيجية العسكريه التى تأخذ بها هذه الدولة أو تلك حيث أن الدول تنسق قدراتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية مع نظرة تحليليه لطبيعة العلاقة في النظام الدولي فإنها تحاول أن تستثمر قواها وقدراتها المختلفه لتحقيق أهدافها السياسية. والدولة كذلك تحاول تحديد قدراتها الاقتصادية والسياسية والنظام الدولي والاقليمي من أجل تحديد أستراتيجيتها العسكريه حتي تتمكن هذه الاستراتيجية من تحقيق الاهداف التى وضعت من أجلها ويمكن تلخيصها بالمحافظه على أمن وسلامة الدولة من أي أعتداء خارجي أقول المحافظه على أمن وسلامة دولة ولم أقول الدفاع عن الدولة من الاعتداء الخارجي كما أعتادة أدبيات الدولة في الشؤون العسكرية قوله مع فهمي واستيعابي لأستخدام كلمة دفاع فهي تعني عدم الاعتداء وأنما صد المعتدي من الناحيه النظريه على الأقل. فنظام عسكري هجومي للجيش الأمريكي أو الإسرائيلي يطلق عليه وزارة الدفاع الامريكي في الحالة الاولى وجيش الدفاع الاسرائيلي في الحالة الثانيه مع الإيمان التام بأن الجيشين لهما طبيعه هجوميه أكثر منها دفاعيه.

يُكتب هذا المقال من أجل محاولة تحليل الاستراتيجية العسكرية العربية وعندما أقول عربية لا أقصد الجماعيه العربية وأنما أرمي إلي ما يمكن تطبيقة على الدولة العربية الواحدة وخصوصاً الدول العربية المهمة والفاعله وهي دول لا تتعدى أصابع اليد الواحده على كل حال. فبالنظر الى الاستراتيجية العسكرية للدول العربية المهمة فإن الملاحظه الأولى عليها هو تركيزها على البعد الدفاعى بمعنى آخر أنها جيوش دفاعيه بفلسفتها وقدراتها حيث أن تحليل نمط السلاح المتوفر لديها سوف لا يجد المحلل العناء بالكشف السريع إلى أنها جيوش دفاعيه أكثر من كونها جيوش هجوميه أو أنها تجمع بين الدفاع والهجوم. حتى الاسلحة ذات الطبيعه الهجوميه التى لديها مثل بعض أنواع الطائرات الهجومية والمدافع متوسطه وبعيده المدى فإنها تتحول الى أسلحة دفاعية في حالة نشوب نزاع مسلح وذلك أن المدى لهذه الاسلحه ليس بعيد بحيث يمكن بها ضرب أهداف

بعيده هذا من جانب، وكثيراً ما استخدمت هذه القدرات التى كان من المفترض أن تكون أسلحة هجوميه للهجوم على قوات العدو عندما تكون قد أخترقت قوات الخصم الدفاعيه للدولة وبالتالي تتحول هذه القوات إلى قوة هجوميه ذات صبغه دفاعيه بمعنى أن الهجوم على الخصم الذي هو أصلاً داخل حدود الدولة بعد تحطيم قدراتها الدفاعيه المتقدمه. وبالتالي فإن القدرات العسكرية العربية هي قدرات دفاعية بحته رغم توفر القوات الهجوميه المحدوده التى يشل أهميتها الهجوميه هو قصر مداها وذلك راجع إلي محطات التحكم والتوجيه سواء محطات أرضيه أو محطات محموله جواً على شكل غرفه عمليات طائره أو أقمار صناعيه قادره على التوجيه. نقول ذلك على الرغم من معلوماتنا التى تفيد أمتلاك بعض الدول للصواريخ متوسطه وبعيده المدى ذات الصناعه الشرقيه سواء الصين أو كوربا الشماليه إلا أن أعدادها قليله جداً بحيث لا تشكل نمط هجومي مهم وفعال وبالتالي فإنها لن تشكل قوة ردع مهمة في صراع عسكري مستقبلي.

النقطه الثانية المهمة في نظام الدفاع للدول العربية والتي تعتبر أحد أهم مثالبها العسكرية هو أن النظام الدفاع العسكري يحتاج إلي قدرات بشريه عاليه القدره والتنظيم والتدريب الأمر الذي ليس جزافاً القول أنه لا يتوفر للدول العربية بشكل عام. أي أن النظام الدفاعي يحتاج قدرة تكنولوجيه عاليه جداً وبالتالي يحتاج إلى قدرة بشريه لأدارة هذه الانماط من النظم الدفاعيه الأمر الذي يجعل عدم توفر هذه القدره البشريه إلى الحد من أهمية وفاعلية النظام الدفاعي للدول العربية.

النقطه الثالثه في النظام الدفاعي هو أنه باهظ التكاليف حيث أن مثل هذه الأنظمه العسكرية الدفاعيه يعد هائل التكاليف مقارنه بقدرة ومحدودية بعض الدول العربية.

النقطه الرابعة أن الدول العربية المهمة تمتلك مساحة جغرافيه شاسعه يكاد يكون مستحيلاً تغطيتها دفاعياً سواء من الناحية التكنولوجية أو البشرية أو حتى تكاليف الأنظمة الدفاعية العاليه الكلفه.

أخيراً فإن أي نظام دفاعي مهما كان محكماً يمكن أختراقه من قبل العدو وذلك بالمراهنه على كثافه الهجوم وتعدده وبالتالي فإن كثافه النيران والهجوم وتعدده سوف تخترق أفضل النظم الدفاعيه حصانه.

وبالنظر إلي النظام الدفاعي العربي يصل القارئ والمحلل إلى نتيجة مفادها أن مراهنه الدول العربية على أمتلاك نظام عسكري دفاعي من أجل تحقيق الأمن السياسي وردع العدو هي مراهنه يمكن القول أن تحمل بذور فشلها ويمكن القول أنه كان أختياراً عسكرياً يفتقد النظرة الصحيحه والوجاهه السياسيه والعسكرية. ومن كل ذلك يمكن أعادة صياغه الاستراتيجية العسكرية العربية لتحويلها من نظام عسكري دفاعي إلى نظام عسكري هجومي مع أقرارنا وأعترافنا بأن هذا التحول سوف يأخذ الوقت والجهد والمال وفوق كل ذلك سوف يلاقي اعتراضات سياسية حقيقية من الدول الكبرى المهمة، حيث سوف تسعى هذه الدول الى حرمان الدول العربية من أمتلاك قدرة عسكرية

هجومية يمكن أيصالها للهدف وذلك لأسباب عسكرية. حيث تسعى الدول الكبرى لأستمرار عملية التبعيه العسكريه التي تقود الى تبعية سياسية واقتصادية وكذلك المداخيل الهائلة من صفقات السلاح المتكرره ذات الصبغه الدفاعيه خصوصاً وأن الأنظمه الدفاعيه تفقد أهميتها وفاعليتها العسكرية بشكل أسرع من المنظومه العسكرية والهجومية.

نقول أن تحول الدول العربية إلى نظام عسكري هجومي، مع احتفاظ هذه الدول ببعض الأنظمه الدفاعيه لبعض المواقع الصغيرة والمحددة التى يمكن الدفاع عنها، فإن نظاماً هجومياً سوف يسمح لدول العربية لتحقيق الاهداف التاليه: ـــ

أولاً : توفير الهدف الحقيقي من القدرات العسكرية وهو تحقيق أمن وسلامة الوطن وذلك عن طريق ردع الدولة المعتدية. بمعنى أن أي دولة تريد القيام بالاعتداء سوف تفكر بشكل جدى وحقيقي بأن هجومها سوف يقابل بقدره تدميريه هجومية هائله مما يجعلها ترتدع عن القيام بالهجوم.

ثانياً : أن نظاماً هجومياً سوف يوفر الكثير من الأموال المصروفه على النظم الدفاعيه حيث أنه يمكن تحقيق نفس الهدف بنظام هجومي قليل التكاليف.

ثالثاً : أن النظام العسكري الهجومي يخفف من أهمية الكثافه البشرية المدربه بل والعاليه التدريب الأمر الذي تفتقدة الدول العربية.

رابعاً : أن النظم العسكرية الهجومية لديها القدرة والأمكانيه على استمرارية فعاليتها العسكرية لفترة أطول نسبياً من النظم الدفاعيه.

ولعل من أبرز المثالب التى يمكن أن تعترض وتقف في وجه الحصول على النظم العسكرية الهجوميه هو المعارضه المتوقعه من الدول الكبرى، كما أن الحصول على مثل هذه النظم العسكرية يحتاج إلى مهارة ومناورة سياسية فائقه وبهذه المهارة السياسية يمكن كسر حاجز الاحتكار التى تضربه الدول الكبرى للحصول على مثل هذه الأنظمه.

ولعله من باب المقارنه وتوضيح الفكرة يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكيه وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا تعتمد القوة الهجوميه كأساس لقدراتها العسكرية مع الاحتفاظ بأنظمة دفاعية محدودة لمواقع محددة مثل مواقع صواريخ أو قواعد عسكرية أو بواخر وحاملات طائرات تجوب البحار حيث أن مثل هذه المواقع يمكن حمايتها والدفاع عنها عسكرياً عكس أن تضع نظام دفاعيا يحمي مواقع جغرافية كبيره كما يحدث للدول العربية، وقد أستطاعت الولايات المتحدة تنمية القدرات الفكرية للذهنية العسكرية السوفيتيه السابقه عندما كان روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكي في بداية الستينات في مرحلة الرئيس جون كندى عندما كانت الحرب البادره في أوج حماسها واندفاعها عندما حاول ماكنمارا أن يقنع السوفيت بأن يتوجه الطرفين الى بناء قوة عسكرية هجوميه دون الدفاعيه وذلك لتوفير المال وتحقيق الهدف وهو أقتناع الطرفين بأن الهجوم

من طرف على الآخر سوف يقابله تدمير من الطرف الآخر وبالتالي يتحقق هدف الأمن العسكري بأقل التكاليف وأكثر فاعليه. ولكون الحرب البادره خلقت جواً من عدم الثقة فإن كلا الدولتين سارت على نفس المنهجية الهجوميه مع المراهنه على عدد الصواريخ وكثافتها وقدرتها التدميريه الأمر الذي سار بشكل جيد بين الدولتين حتى خروج رونالد ريغين على هذا التفاهم بنظام) (SDI أو نظام حرب النجوم والذي يعد كسر للتفاهم السابق بين الدولتين والذي كان يهدف من ورائه إلى دفع الاتحاد السوفيتي الى سباق تسلح جديد على مستوي الأنظمه الدفاعلية الباهظ التكاليف والذي يعني دفع الاتحاد السوفيتي السابق الى مرحلة الافلاس الاقتصادي والانفجار الداخلي وهو ما حدث بالفعل.

هونغ كونغ بوابة صينية جديدة

تحدثنا في مقال سابق عن الأحتمالات المتوقعة التي دفعت دولةمثل بريطانيا الى تسليم هونغ كونغ الى الدولة الأم، جمهورية الصين الشعبية، وكيف أن حليفة بريطانيا العتيدة الولايات المتحدة الأمريكية لم تقف بشكل قوي في وجه أعادة المستعمرة الى دولتها الأم وذهبنا في ذلك المقال الى تلمس الفوائد التي من المحتمل ان تحصدها بريطانيا والولايات المتحدة من جراء عودة هونغ كونغ الى الصين وكيف أن هذه المستعمرة سوف تكون بوابة الاستثمارات البريطانية والأمريكية الى الصين كما أن هاتين الدولتين تراهنان على أن هونغ كونغ سوف تلعب الدينمو المحرض على التوجه الرأسمالي في الصين وبالتالي الى الليبراليه الأجتماعيه والسياسية.

هذا المقال هو عبارة عن محاوله تلمس الفوائد التي سوف تجنيها الصين من عودة المستعمرة الى الدوله الأم وبالتالي محاولة رصد توجهات السياسة الصينية في هذه الناحيه، غني عن القول أن دخول بريطانيا هونغ كونغ وأقتطاعها من الأراضي الصينية بعد أهانه حقيقية للصين عبر عنها الزعماء الصينيون قديما وحديثا وخصوصا بعد الثورةالشيوعية عام ١٩٤٩م والتي قادها الزعيم الشهير ماوتسي تونغ وتعاقبت القيادات الصينية على التأكيد على اعادة توحيد الصين واعادة المقاطعات المنفصله عن الأرض الأم من هونغ كونغ الى مكاو وحتى تايوان إلا أن استرتيجية هؤلاء الزعماء أختلفت حتى وصول الزعيم الراحل داو بنغ الذي جلب معه العديد من التكنوقراط والعقول الجديدة الى أروقة الحكومة الصينية كما جلب معه العقول الجديدةالتي قلبت النظام السياسي الشيوعي الخارج من الثورة الثقافية الى نظام سياسي مزدوج يمزج بين السطوة السياسية والأنفتاح الاقتصادي أي يمزج بين الشيوعيةالسياسية والحزبية والنظام الأقتصادي المرن الذي يصل الى حد الرأسمالية في بعض قطاعاته أو مايطلق عليه الزعماء الصينيون النموذج الصيني وهو في الحقيقة دولة يعمل بها نظاميين متزامنين يخدم أحدهما البعد السياسي وهو التمسك بالأطر الشيوعية الوطنيةونظام اقتصادي يسعى الى التوازن والمزاوجة بين تحقيق الحد الأدنى من الدخل ليكفل عدم حدوث مجاعة مع محاولة فتح آفاق اقتصادية تطويرية جديدة تنقل الصين الى دولة صناعية. والصين اليوم تعد بحق دولة تنمو بشكل سريع وقفزات هائله خصوصاً وأن الفرد يعتبر أحد رموز قوة الصين الحاليه.

ومن هذا المنطلق فإن مفهوم الصين حول دولة واحدة بنظامين التي اخترعته حتى تجد مخرج في مفاوضاتها مع البريطانيين في عام ١٩٨٤م من أجل الترتيب لعودة هونغ كونغ من السيادة البريطانيه الى السيادةالصينية ، أقول أن أن هذا المفهوم وُضع ليس فقط من أجل عودة هونغ كونغ

وحدها بل هو أنعكاس الى حد ما لما يجري في الصين ذاتها من جانب وتحضير لعودة مكاو عام ١٩٩٩م والتحضير لعودة تايوان في المستقبل هذا الموضع الذي سوف يُفرد له مقال مستقل في المستقبل أن شاء الله.

ثم السؤال يبقى هو ماهي الفائدة الحقيقية التي جنتها الصين لعودة هونغ كونغ الى الدولة الأم؟ أن الأجابة على مثل هذا السؤال سوف يكون طرح بعض النقاط التي يمكن أن تكون أهم هذه الفوائد وهي على النحو التالي:

أولا – البعد السياسي:-

لايشك أثنان أن اقتطاع هونغ كونغ عن الصين يعد أهانة قومية للصين لايمكن الأتفات عنها أو تجاهلها ولايمكن أن يوجد لها مخرج الا بعودة هونغ كونغ الى الدولة الأم . ثم أن هذه العودة سوف تدعم الموقف السياسي الصيني ممثل بالحزب الشيوعي الصيني والذي بدا وكأنه يفقد شرعيته السياسية بعد أن قاد الثورة الشيوعية ووحد الصين الأم في واحدة من أطول الثورات عناء، أقول بدا النظام السياسي الصيني وكأنه يفقد جزء من شرعيته السياسية وخصوصاً بعد أن ظهرة المظاهرات من قبل الطلبة في الصين في الساحة الرئيسيه في قلب العاصمة بكين عام ١٩٨٩م والتي بدا للعالم وكأن الصين في طريقها للتحول السياسي بعد تحولها الأقتصادي فكان لابد أن يدعم الحزب الشيوعي الصيني مواقفه وشرعيته بالأظافة الى البناء الأقتصادي و التنميه الى السعي الحثيث لتوحيد المناطق الصينية الخارجة عن قبضة الدوله المركزية في بكين فجاءت هونغ كونغ لتعطي النظام الصيني هذه الغاية وهذا ما شاهدناه خلال أحتفالات عودة هونغ كونغ في الساحه الرئيسيه في بكين من أشتراك جميع طبقات المجتمع الصيني في هذه الأحتفالات وتساوى مشاعر المثقف ورجل الأعمال والعامل والطالب في أن عودة هونغ كونغ يعد أعادة أعتبار للكرامة الوطنية في بكين ومن جانب آخر فإن عودة هذه المستعمرة الى الصين سوف يسمح بدفع مفهوم عودة مكاو واخيراً تايوان بشكل اقوى من ذي قبل في أذهان الصينيين والعالم أجمع كما أن النظام السياسي الصيني سوف يبدو أمام الشعب الصيني وكأنه يحمل أنبل الأهداف الأ وهو توحيد الصين بعد قرون من الشتات وكذلك دفع الصين لتكون أحد أقوى دول العالم في المستقبل وهاذين العاملين سوف يعملان على أنهما أحد أهم مصادر شرعية النظام السياسي الصيني خلال مرحلة الثلاثون سنه القادمة من القرن المقبل .

ثانيا – البعد الاقتصادي

إذا كانت عودة هونغ كونغ الى الصين تحمل الكثير من المزايا السياسية فإن المزايا الاقتصادية من المحتمل أن تكون أكثر فائدة وأهمية في هذا الوقت بالذات من التاريخ الصيني حيث تعد الصين اليوم من أكثر الدول التي تعيش تنمية متسارعة تتراوح معدلات التنميه بين ٨٪ الى ١٢٪ ناهيك عن الحركة التصنيعية الهائلة التي تعيشها الصين والأسواق العالمية التي تغزوها المنتجات الصينية

وأن الصين كذلك تكاد تحتفظ بفائض تجاري مع أغلب دول العالم كما أن الصين تعتبر أحد أهم مقاصد الرساميل العالميه من أجل الاستثمار في الصين . وهونغ كونغ بدخلها وأنظمامها الى الاقتصاد الصيني الهائل رفعت الناتج القومي بمعدل ٢٠٪ كما أن هونغ كونغ سوف تكون بوابة جديدة للأستثمارات والأموال العالمية للدخول الى الاقتصاد الصيني وهوالذي رحبت به الصين وذلك من أجل مزيداً من انتعاش الأقتصاد الصيني المتسارع والمتطور وتدفق هذه الاموال من هذه الجزيرة المستعمرة الموجوده فيها أصلاً أو الأستثمارت الجديدة التي سوف تأخذ من هونغ كونغ منطلق لها سوف تلعب دوراً مهما في تنمية الأقتصاد الصيني الى مجالات تصنيعيةأكثرتطوراً وتكنلوجيا أكثر تعقيداً بدلا من الاعتماد على قوةالانسان في الصين.

وهونغ كونغ كذلك سوف تعد أحد مصادر ومخازن المعرفة الأدارية أي القيادات الأدارية وخصوصا في مجال التصنيع والأدارة العامة وأدارة الأفراد سواء في القطاع الخاص أوالعام ولذلك فأن خبرة الأفراد في هونغ كونغ سوف تكون محط أهتمام من قبل الدوله الأم. وهونغ كونغ آخيراً وهو ذو أهمية كبيرة سوف تعد أحد بوابات الصين الأستثمارية والتصديرية للخارج أي أن علاقات هونغ كونغ الاقتصاديةالمتشابكةمع العالم سوف يتم أستثمارها واسغلالها وتطويرها لتصبح أحد قنوات تصدير المنتجات الصينية الى العالم بمعنى أن الصين عن طريق هونغ كونغ سوف تجد مزيدا من قنوات التصدير لمنتجاتها وهذامن المحتمل ان يعزز الأقتصاد الصيني في المستقبل.

هونغ كونغ بداية استراتيجية

لم تكن دموع حاكم مقاطعة هونغ كونغ البريطاني السيد كريس باتن تخفي الحقيقة المرة والواضحة والتى مفادها عودة هذه المستعمرة الى وطنها الأم بعد عقود من الزمن دامت لأكثر من مائة وخمسون عاماً جاءت عقب حرب الأفيون التى قامت بين الصين الضعيفه وبريطانيا القوية التى أغرقت الصين بالافيون من اجل تدميرها من الداخل. وعودة المستعمرة تذكرنا نحن العرب بعودة أسبانيا الى وطنها الأم حيث توافقت الكشوفات الغربية وخاصة الاسبانية البرتغالية للقارة الأمريكية مع رحيل العرب عن الجنوب الاسباني وهذا يعني زيادة القوة الغربية وضعف الجانب العربي وهذا الذي يحدث هذه الايام من عودة هونغ كونغ الى الصين الدولة الواثبة وحرمان بريطانيا الدولة التى تطوي آخر مستعمراتها في جنوب شرق آسيا وتعد عودة هذه المستعمرة خسارة كبيرة لبريطانيا إذا أخذنا أنها تمثل بوابة أستثمار بريطانية تجاة العالم الشرقي وفي نفس الوقت فإن هذه المستعمرة تمثل قدرات أقتصادية هائله تصب في عالم الصين المتعطش لمزيد من الاستثمارات والأموال حتى يزيد من وثوبها الاقتصادي كما أن هذه المستعمرة تمثل أيضاً قاعدة تكنولوجية وأدارية ونخب عاملة وفكرية سوف تكون في غاية الأهمية للصين. وهونغ كونغ سوف تشكل دينمو أقتصادي يزيد من اشتعال المحرك الاقتصادي الصيني كما أن هذه المستعمره في جانبها الايجابي سوف تسمح للصين بمزيد من صادراتها للاسواق الخارجيه. وتسليم بريطانيا لهذه المستعمرة لايعد صحوة ضمير للعقل السياسي البريطاني بقدر ما هو تسليم بالأمر الواقع حيث ردد البريطانيون سراً مراراً وتكراراً ان الجيش الصيني قادر بكل سهولة استرجاع هونغ كونغ وأن القوات البريطانيه ليس لديها القدرة والامكانية والرغبة السياسيه للدفاع عن هذه المستعمرة بكل قوة وقدرة. ولكون أمر تسليم هذه المستعمرة من قبل البريطانين للصين هو تثبيت الأمر الواقع وتعامل مع الواقع السياسي حتى أن الولايات المتحدة الأمريكيه الحليف العتديد للامبراطورية البريطانية العجوز لم تحاول أن تقف وتملىء الفراغ السياسي كما عرفناه وشاهدناه وعايناه وقرأناه في أوروبا الشرقية أو الشرق الأوسط وأنما سلمت الولايات المتحدة الأمريكية بوجهة نظر بريطانيا بتسليم هذه المستعمرة الى الصين. والسؤال الذي يطرح نفسه هو التالي: ـــ

لماذا سلمت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيه بهذه الطريقة والسرعة جزيرة هونغ كونغ للصين ؟ ثم ما ترمي هاتين الدولتين له في المستقبل ؟

جزء من الأجابة قيلت فى معرض الحديث السابق وهو تسليم للأمر الواقع وخصوصاً من بريطانيا إلا أن كلا الدولتين ترمى من جملة ما ترمى اليه الاهداف التاليه : ـــ

أولاً : الصعيد الأقتصادي : أهم استثمارات بريطانيا في شرق آسيا هي أنطلقت من هونغ كونغ والولايات المتحدة الأمريكية لها من الاستثمارات ١٤ مليارات دولار و٢٤ مليار دولار حجم التبادلات التجارية مع هذه الجزيرة وأن عودة هذه الجزيرة إلى الصين يعني بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا هو استثمار هذه الاستثمارات الهائله ليس فقط في هونغ كونغ أو دول شرق آسيا الصغيرة بل الدخول الى سوق الصين الهائلة وهذا الدخول ليس عن طريق أفراد امريكيين أو بريطانيين بل يحدث بعقول وأفراد من أصل صيني يفهمون العقل الصيني والغربي على حد سواء يتكلمون اللغه الصينية والانجليزية، يعرفون خفايا واسرار الثقافة الصينية والثقافة الغربيه هؤلاء هم سكان جزيرة هونغ كونغ الذين سوف يجدون أمامهم عالم هائل من الفرص الاستثمارية داخل الصين وبالتالي فسوف يفسحوون هؤلاء الفرصة الكبيرة أمام الاستثمارات الأمريكية والبريطانية للدخول الى دهاليز الاستثمارات والاسواق الصينية بشكل أقوي، وهنا سوف تكون بريطانيا والولايات المتحدة أفضل المنافسين الدوليين داخل الاسواق الصينية وخصوصاً في سباقهم مع اليابان وأستراليا وكوريا الجنوبية ودول آسيويه أخري. إذاً عودة هونغ كونغ خسارة كبيرة على المدى القصير لكل من بريطانيا وأمريكا الى حد ما ولكن مما يظهر أن فوائدها على المدى البعيد هائلة بالنسبة لهاتين الدولتين اللتين ترميان للدخول للسوق الصيني ليس فقط لأهداف أستثمارية بحتة وهذا مهم بل حتى يمكن من خلالها التأثير وتغيير النمط الاستثماري الصيني في المستقبل ومن خلال البعد الاقتصادي يمكن أستثمار البعد الاجتماعي والسياسي.

ثانيا : البعد الاجتماعي : إن الناظر لعدد سكان هذة الجزيرة البالغ ٦,٤ مليون نسمه سوف يري أن هذا العدد القليل لن يغير من الصين شيئاً خصوصاً إذا نظرنا الى تعداد الصين الذي يزيد عن ١,٣ مليار نسمة إلا أن هذا العدد لشعب هونغ كونغ سوف يلعب دوراً ذو أهمية على مستوى البعد الاجتماعي خصوصاً وأن سكان هذه الجزيرة يتمتعون بمستوى أقتصادي جيد ومستوى تعليمي وثقافي جيد فإن سكان الصين سوف ينظرون الى التجربة الاقتصادية والاجتماعية في هونغ كونغ بشيء من الاعجاب وبالتالي فإن هذا العدد القليل من سكان هذه المستعمرة السابقه سوف يكونون بمثابة مثل أعلى يحتذى به إذ ما رغب الفرد في الصين بالنجاح خصوصاً على المستوي تعلم اللغة الأجنبية وثقافة العمل وهذا يذكرنا مع الفارق الهائل بحالة الجزائر مع فرنسا عندما أنسحبت فرنسا من الجزائر بعد حمامات من الدماء قادتها الرعونة والغطرسة والعنصرية الفرنسية ومع كل ذلك عندما أنسحبت فرنسا فبدلاً من ان يتعلم الذين كانو يعملون لصالح فرنسا من الجزائريين اللغة العربية والثقافة الاسلامية تجد العكس أن العرب يتعملون اللغة الفرنسية بدل من اللغة العربية لانها هي لغة المستقبل في ذلك الوقت والغريب أن دول المغرب العربي لاتزال ترى ان اللغة الفرنسية لغة المستقبل علي الرغم من أن الفرنسى نفسه إذا ما أراد أن يكون شيء مهم في المستقبل عليه تفهم اللغة الانجليزية. أقول ربما أن هذه الاعداد القليلة في هونغ كونغ أن تؤثر تأثيراً

هائلاً في المستقبل على جزء كبير من المجتمع الصيني.

ثالثا : البعد السياسي : أن دولة هائلة التجربة والخبرة مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية تعرفان تمام المعرفة ان البعد الاقتصادي مهماً للغاية وهذا البعد يؤدي الى تحريك البعد الاجتماعي وهذا الاخير سوف يلعب دوراً مهماً في تحريك البعد السياسي ومن المأمول به من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا أن عدد ٦,٤ مليون نسمة في هونغ كونغ سوف ينضمون الى مليون من الصينين الذين تظاهروا في الساحة الرئيسية في بكين عام ١٩٨٩، وعدد كبير من الصينين الذين يرون من الحضارة الغربيه مستقبل الصين. وبالتالى فإن دخول هذة الاعداد بقدرتها الاقتصادية والادارية وتنفذها المرتقب في الصين سوف تلعب دوراً في مستقبل الصين كما تأمل كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية هذا التأثير السياسي يمكن ان يكون تأثيراً مؤسسياً أي يأتي من داخل النظام الساسي الصيني أو تأثيراً خارجياً بمعني يأتي من خارج مؤسسات النظام على شكل جمعيات وأحزاب غير معلنه تتمتع بقدر هائل من الاقناع والتنظيم وبالتالي تؤثر على مستقبل الصين.

هذا ما يمكن قولة حول استفادة الدول الغربية وخصوصاً بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من عودة هونغ كونغ الى الصين الدوله الأم رغم خسائرها الآنيه من خسارة المستعمرة خصوصاً وأن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية داخلة منافسة حادة لكل من المانيا وأستراليا اللتين فضلتا التعامل مع النظام السياسي في بكين بشكل مباشر وكذلك منافسة كل من اليابان والنمور الآسيويه الأخرى على الأسواق الصينية. على أمل تسليط الضوء على فوائد الصين المستقبلية من أنضمام هونغ كونغ وتأثير هذا الانضمام على أولويات السياسة الخارجية الصينية في المستقبل.

صراع الحضارات: قراءة أخرى

عندما كتب هنتغنتون مقالته الشهيرة التى تحدث من خلالها حول مفهومه للنظام الدولي المستقبلي على أثر أنهيار النظام الدولي القائم على القطبية الثنائية والتى كانت تمثل مفهوم الحرب الباردة بين نموذجين سياسيين وأقتصاديين ولا نقول نموذجين حضاريين وذلك بعودة كلا الطرفين إلى ذات النموذج الحضاري والمنبع الحضاري الواحد. أقول عندما ذهب السيد هنتنغتون في مقولته التى يمكن تلخيصها بشكل أرجو لا يخل من مفهومها البعيد: تتلخص بأن النظام الدولي الجديد سوف يتمحور حول خطوط تماس الحضارات أي خطوط نهاية حضارة وبداية حضارة أخرى وهذه الخطوط هي بطبيعتها خطوط جغرافية تحولت بالمفهوم الحضاري إلى خطوط حضارية شكلت مناطق مستقلة حيث لاحظ السيد هنتغنتون في مقولته أن خطوط اللتقاء أو تصادم هذه الحضارات هي المناطق التى تشكل نقطة اللتقاء وأنفصال حضاري سوف تشكل بُئرة صراع. وكان نصيب الإسلام من هذه المقولة نصيب الأسد حيث حدد أن حدود الاسلام الحضارية هي حدود صراع أو حدود دموية كما أطلق عليها البعض بحيث نجد أن الاسلام في حالة صراع حسب مقولة هنتنغنتون في جميع أطرافه بداية من جنوب الصحراء الكبرى فى أفريقيا حيث يقوم النزاع العرقي والسياسي هناك ممتد حتى جنوب السودان ثم يأخذ بالاستمرار حتى خطوط التماس في شبه القاره الهندية والصين حتى يدخل آسيا الوسطي مندفعاً في شرق أوروبا وخصوصاً في مناطق البلقان حتي ينتهي في البحر الابيض المتوسط الذي يفصل الجنوب الأوروبي من الشمال الافريقي الاسلامي.

بهذه الخريطة رسم هنتنغتون نظريته وأن كان ما ذكر هو أخذ الجانب الذي يهم العالم الاسلامي فقط حتى أن هذه التماس الاسلامي تعد أهم حلقات تفسير الفرضية لدى هنتنغتون إلى الدرجة التى أطلق البعض على ورقة وأطروحة هنتغنتون بدل من صراع الحضارات أو صدام الحضارات إلى تغيير وتحريف المسمى إلى (الإسلام ضد الجميع أو الجميع ضد الأسلام). وإن كان جزء من المفكرين المسلمين والغربيين نظروا لهذه النظرية بالنقد فأن الكثير من هذا النقد وجه للبعد المنطقي فيها أي محاولة أبراز تهافتها المنطقي حتى يتم أسقاطها وأن أغلب هذه الاطروحات النقدية التى وجهت لورقه هنتغنتون كانت تستعير المنهج الماركسي في تحليلها وتفنيدها لفكرة صراع الحضارات وان كانت لغايات مختلفة عنه تمام الاختلاف إلا أن هذا النقد كان مُصوَّب تجاه البعد المنطقي وبنائها الاكاديمي خصوصاً وأن هنتغنتون ذاته كان من رواد التنظير الاكاديمي وأعماله الاكاديمية السابقة خير شاهد على ذلك.

إلا أن ما يمكن لمسة في أطروحات هنتغنتون هو التالي :

أولاً : أن السيد هنتغنتون كان يمثل ويتربع على واحد من أكثر مراكز الدراسات أهمية وتأثير وهو (مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعه هارفرد) والأهم أن هذا المركز وشخصية هنتغنتون هي صاحبة سبق وعطاء في المجال الاكاديمي كا ذكر قبل قليل إلا أن تأثير المركز والفرد نفسه كبير على الدوائر السياسية خصوصاً وأن هنتغنتون بالإضافة إلى مكانته العلمية الاكاديمية كان واحد من الذين يؤثرون على متخذى القرار سواء فى جناحها التنفيذي أو في جناحها التشريعي وبالتالي فإن ما يطرحة هنتغنتون لن يكون صادر من فراغ وصاب في فراغ بمعني أن هذه الأطروحات سوف تشكل جدلاً اكاديمي كما عرف ولكن سوف تشكل جدلاً سياسياً أكبر في الدوائر الرسمية يذكرنا باطروحة بول كندي عند صدور دراسته الشهيرة حول البعد الاقتصادي والعسكري في أنهيار القوى العظمي.

وهنتغنتون بهذه الاطروحة وجد مثل هذا الصدى لدى الدوائر الاكاديمية والسياسية على حد سواء. وما يهمنا هنا هو الدوائر السياسية كونها لديها الامكانيات لدراسة وفحص مثل هذه الأطروحة ثم تطبيقها بعد اجراء بعض التعديلات اللازمة بعد وضعها على محك التجربة والمعلومات الهائلة التى تتمتع بها السلطات التنفيذية وما يسمح لها أجهزة المخابرات والرصد وجمع المعلومات من أمكانيات.

ثانياً : أن أطروحة هنتغنتون جاءت في الوقت المناسب جداً بعد أنهيار الاتحاد السوفيتي وتحول النظام العالمي من نظام ثنائي القطبية إلى آحادي القطبية ولسان حال الاطروحة لم تقول أن النظام الدولي سوف يتوجه إلى عملية صدام الحضارات كما فهما طلبه الفكر الواقعي الاكاديمي وانما كان لسان حالة أطروحة السيد هنتغنتون أنه يوجه المؤسسة السياسية إلى خلق حالة الصراع هذه لان الغرب سوف يكون المحرك لمثل هذا الصراع وبالتالي خلق حالة من الصراع الحضاري يكون العالم الغربي هو المحرك والمدير لمفاتيح وأزرار هذه اللعبة الجهنمية الشيقة. وبالتالي فإن الأطروحة لم تعبر عن واقع بقدر ما أرادة أن تخلق واقع جديد تستطيع به ومن خلالة الدول الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية أن تمسك بجزء من خيوط مسرح العرائيس الدولي. وبالتالي كان الوقت السياسي مناسب لمثل هذه الاطروحة أكثر من الوقت الاكاديمي وأن كان الأخير يجد الكثير من التبرير والمنطقية إلا أن البعد السياسي أكثر وجاهه وأهمية في هذه الاطروحة بالذات.

ثالثاً : ان المتابع للاحداث الدولية وخصوصاً في قوس التماس الاسلامي مع الحضارات الأخرى وتسلسل الاحداث فيها وتتابعها يمكن أن يخرج بخلاصة أن مؤداها أن ما يحدث هو ليس من سبيل الاندفاع الواقعي للحدث أي أن الحدث لم يكن أندفع اندفاعاً منطقياً وبالتالي يأتي تحليل هنتغنتون نتيجة لدراسة الواقع وتوصيلة إلى منتهاه المنطقي والحدثي بقدر ما أن الأحداث أصبحت تدار والتخيلات تدار بشكل يوحي وجود استراتيجية فيها شيء ومن المنطقية القائمة على الوقائع

والأحداث المحلية أبتدء من الصراع الدموي على الحدود الاسلامية في أفريقيا حتى الهند وباكستان ثم فى البلقان التى لم تغلق هذه الملفات بعد حيث أن الملف البوسني مـازال مفتوحاً ومرشحاً للتطور بينما أن الملف الألباني آخذاً بالتطور بشكل ينذر بالخطر من جديد.

وأن كانت هذه المناطق هي ساخنة منذ القديم فإن أحدثهـا وسخونتها ليس على الأطلاق بل أن ما يحدث في تسخين أحد خطوط التماس الاسلامي في آسـيا الوسطي خصوصاً مع روسيا حيث يتم تعبئة هذه المناطق بحيث أنها يمكن أن يكون واحدة من أكثر المناطق دموية وحرباً فى المستقبل ليس لأنها مـهمة على المسـتوى الاقتـصادي (النفطي والغـاز) بل لأنها تمثل أحد أهم الاسـتراتيجـيات الغربـية من أجل تقـزيم روسيا الـى الأبد وذلك بخلق قوى حـضارية مـوجودة أصلاً ولـكن اعادة أحيائها من جديد وتفويقهـا حتى يمكنها مقاومة الهيمنة الروسية قيصرية كـانت أم سوفيتية كانت أم هيمنية روسـية جديدة في المستقبل وبالتـالي فإن تأجيج الصراع هذه المرة سوف يكون تعـبئه البعد القومي مـشحون ومعباء بالبعـد الحضاري الديني الذي شكلت خطوط تماس ومن المرجح أن تشهـد المزيد من التصعـيد والتأجـيج وأن ما يحدث فـي المناطق الاسلاميـة المحيطة بالجمـهورية الروسيـة أو حتى داخلها له يعـد من أهم فوائد أطروحـات هنتغنتون على المسـتوى الاستـراتيجي لصانع السـياسة الامـريكية بحيث يسـتمر الحـماس الوطني والديني مدفـوع بالتشجـيع الغربي الأمريكي إلى احـياء التـراث الوطني مصحـوب باحياء الـبعد التـراثي للمسلمين من أجل أضـعاف الروس وهذه الجمهوريات على حـد سواء أو بتعبير هنتـغنتون الذي لم يقله بشكل واضح وصريح الذي مفاده تشـجيع الصراع الاسلامي المسـيحي الارثوذوكسي الذي يمكن أن تستـثمره الولايات المتحدة الأمريكية بشكل يخدم استراتيجيـتها بشكل قوى وعظيم سوف يعطيها اليد العليا على هذه المناطق لعقود قادمة

إسرائيل وتحويل الانتصار العسكري إلى سياسي

يعد العمل العسكري امتداد وحلقة من حلقات العمل السياسي بشكل عام أي أن العمل العسكري هو امتداد لما يمكن أن نطلق عليه المأزق السياسي والدبلوماسي أو أن الحرب هي نتيجة للانسداد الأفق الدبلوماسي والسياسي حيث تصبح الحرب هي المخرج الوحيد وإذا كانت الحرب هي امتداد وافتكاك من البعد الدبلوماسي والسياسي المتأزم فإن الحرب كذلك واحدة من أكثر أدوات العمل الدولي اختصار للوقت من أجل تحقيق الهدف إلا أن الحرب لا يمكن أن تكون مجدية لوحدها وبمفردها أي أن الحرب يمكن أن تختصر الوقت والجهد إلا أنها لا تستطيع إكمال الهدف بأكمله.

ومن هذا المنطلق فإن ما تعمله إسرائيل اليوم هو ما يمكن أن يطلق عليه استخدام القوة العسكرية من أجل كسر حالة الاختناق السياسي التي تعيشها والتي ولدت نوع من حرب الاستنزاف بفعل المقاومة الفلسطينية ولذلك فإن رجل مثل شارون سوف يجد أن الحرب وليس الدبلوماسية هي المخرج لهذا المأزق وهنا فإن الحرب بالنسبة لإسرائيل هو مخرج من أجل كسر حالة الحالة القائمة وبالتالي فإن اليمين المتطرف في إسرائيل يرى أن الحرب هي امتداد لتحقيق ما عجزت الدبلوماسية عن تحقيقه ولذلك فإن الهدف الإسرائيلي هو التحول من حالة العجز الدبلوماسي إلى الحرب من اصل إعطاء البعد الدبلوماسي آلية نجاح جديدة ومهما كان هذا النجاح قوته ومقداره، أي هل النجاح هذا يعني دولة فلسطينية تحت المضلة الإسرائيلية أو دولة فلسطينية عبر تهجير الفلسطينيين إلى الأراضي الأردنية ومهما يكن الهدف فإن إسرائيل فتستخدم القوة العسكرية من أجل تحقيق أهدافها السياسية التي لم تتحقق بالطرق الأخرى.

وإذا كان هذا هو الهدف الإسرائيلي فما هو البعد الأمريكي اللاعب الحقيقي والمؤثر الأكبر؟ هنا يبدو أن النظرة الأمريكية القائمة على فكر اليمين الأمريكي والذي ينظر للعالم الخارجي نظرة نصفها سياسي استراتيجي واقتصادي وجزء منها وخصوصاً في العالم العربي والإسلامي، أيدلوجي خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر والتي أعطت النظرة الأمريكية الأيدلوجية مشروعيتها ولذلك فإن جزء كبير من النظرة الأمريكية أصبحت لصالح إسرائيل سواء على المستوى الاقتصادي والسياسي بعد أن هدأ الاعتماد على المنطقة العربية سواء على مستوى السياسي أي تصفية الخصوم أو على المستوى الاقتصادي بعد تحقيق بدائل جغرافية لمصادر النفط والطاقة كما هو الحال في روسيا وبحر قزوين ومناطق عديدة مختلفة من العالم كل هذه العوامل دفعت اللعبة السياسية في الشرق الأوسط إلا أن تكون لصالح إسرائيل في هذه المرحلة كنتيجة

طبيعية لتفوقها العسكري وديناميكيتها الدبلوماسية والسياسية.

إلا أن أكبر الأخطاء التي يمكن للدبلوماسية والسياسية الأمريكية ارتكابها هو الوقوف بجانب اليمين المتطرف الإسرائيلي أن أكبر الأخطاء التي تقوم بها أمريكا هو تسليم سمعتها ومكانتها في العالم العربي والإسلامي بيد رجل مثل شارون الذي سوف يقوم ما بوسعه وبجهده لتعميق الخلاف والسمعة السيئة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي والإسلامي وأن شارون سوف يلعب كل أوراقه لجعل الشقة والخلاف وعدم الثقة بين العالم العربي والإسلامي من جهة أمريكا من جهة ثانية واحدة من أكبر أهدافه السياسية خصوصاً وأن مثل هذا العمل يمكن تحقيقه بعد السياسات الأمريكية المندفعة بعد أحداث واشنطن ونيويورك.

ولكن أين المعادلة العربية من كل ذلك؟ إن المتتبع للواقع العربي سوف يجد دبلوماسية الوقاية أكثر من دبلوماسية الفعل أي أن الدبلوماسية العربية هي دبلوماسية وقائية تحاول تجنيب الدول العربية الانزلاق والمخاطر إلا أن هذه الدبلوماسية هي دبلوماسية فردية وإن كانت تبدو جماعية أي أن الدبلوماسية العربية ليس فقط هي دبلوماسية وقائية بل كذلك دبلوماسية فردية تسعى كل دولة إلى تجنيب نفسها المخاطر الممكنة والمحتملة.

إن العالم العربي هو أكثر المناطق الجغرافية في العالم حاجة إلى مرحلة سلام حيث الثروات والموقع الجغرافي والذي لم يتحول إلى تنمية أو نهضة بفعل القلاقل السياسية المتعددة والتي استطاعت أن تستهلك كل قدرات وإمكانيات العالم العربي ولم يعد له مكان يليق به من حيث القوة والمكانة بل إن العالم العربي يعد في أسفل السلم العالمي من حيث التنمية الاقتصادية ونوعية الحياة والاستقرار السياسي والقلق الاجتماعي وذلك بتحويل عقود من الصراع مع إسرائيل عقود من الصراع مع الذات العربية سواء الذات الفكرية أو الأيدلوجية و الاقتصادية.

لم يعد خافياً أن العرب اليوم ليس لديهم إمكانية الحرب والصراع بالمفهوم العصري الحديث ولم يعد لديهم نواحي العلم والمعرفة ولم يعد لديهم البينة والآفاق السياسية والاقتصادية للنهضة وما بقي للعرب اليوم هو الحاجة الماسة والملحة لقليل من الهدوء والسلام يمكن بها ومن خلالها ترتيب الأولويات السياسية والاقتصادية للعالم العربي. ولكن السؤال هل يمكن تحقيق حالة الهدوء والسلام مع حكومة إسرائيلية متطرفة وحكومة أمريكية مندفعة؟ إن الجواب تحوم عليه الشكوك ولكن ما يمكن للعالم العربي هو تحقيق حالة الهبوط الاضطراري أي أن الدبلوماسية العربية اليوم معنية ومطالبة في تحقيق أكبر ما يمكن إنجازه في ضل المعطيات القائمة وليس تحقيق النجاح. إذا استطاعت الدبلوماسية العربية أن تخفف من حالة الفشل السياسي والاقتصادي العربي فهذا ما يمكن أن يعد إنجاز للسياسة والدبلوماسية العربية.

وإن أكثر ما يمكن أن تقوم به السياسة الدبلوماسية العربية هو الحد من النجاحات الإسرائيلية عبر متابعة تحولاتها السياسية والعسكرية. إن الدبلوماسية والسياسة العربية يجب أن تعمل كل ما

تستطيع من أجل الحيلولة دون تحويل نجاحات إسرائيل العسكرية إلى نجاحات سياسية ودبلوماسية على الأرض وأن تعمل السياسة العربية على جعل النجاحات الإسرائيلية العسكرية مصدر إزعاج للسياسة الإسرائيلية وأن تجربة حرب لبنان خير دليل على فشل الربط بين النجاح العسكري في اجتياح لبنان وعدم تحويل هذا الاجتياح إلى حالة انتصار سياسي ودبلوماسي. إن الدبلوماسية والسياسة العربية يجب أن تحرم إسرائيل من أي نجاح في تحويل نجاحها العسكري إلى نجاح سياسي ودبلوماسي.

كما أن الدبلوماسية والسياسة العربية يجب أن تعمل بجد ونجاح من أجل انتشال الجهد والعمل لإسرائيل الذي يعمل على إيجاد وزيادة الشرخ ومستوى الخلاف بني الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية ويجب أن تعي الدول العربية أن الخلاف بين الدول العربية والولايات المتحدة الأمريكية سوف تكون إسرائيل الرابح الوحيد منه ولذلك فإن السياسة والدبلوماسية العربية يجب أن تعمق العمل والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل قطع الطريق على إسرائيل من أن تظهر أنها الحليف الوحيد والموثوق للإدارة والشعب الأمريكي وأن طبول التحدي والحديث الملتهب الذي تطلقه بعض الحناجر من داخل الوطن العربي ضد أمريكا ما هو إلا عمل يخدم إسرائيل في هذا الوقت.

التسلح كأداة للسياسة الخارجية الأمريكية

عندما رشح السيد جوج دبليو بوش عن الحزب الجمهوري نفسه للوصول للبيت الأبيض كان يعني نوع من التغير في السياسة العسكرية الأمريكية أي نقلها من فلسفة الديمقراطيين إلى فلسفة الجمهوريين بل واتضحت هذه المعالم عندما استدعى الرئيس الأمريكي المنتخب فريق عملة حيث تكون من نائب الرئيس الأمريكي الرجل الطاعن بالسن ووزير دفاعه أيضاً الذي أخرجه من دهاليز التاريخ السياسي بعد غياب قارب الخمس والعشرون عاماً عن العمل السياسي المباشر بل اكتملت هذه الحلقة بأن سخر اكثر العسكريين احتراف لا ليكون على قمة الهرم العسكري بل على قمة الدبلوماسية الأمريكية وزاد على ذلك إحضار ذهنية الحرب الباردة بأن قرب السيدة رايس المسؤولة عن الملف السوفيتي وإدارة الحرب الباردة مع السوفيت في اكثر المراحل حساسية وقوة في عهد الرئيس ريغان السابق خلال مرحلة الثمانينات من القرن المنصرم .

كل هذه العوامل مع مجمل فلسفة الحزب الجمهوري تدفع الرئيس الأمريكي الجديد إلى استخدام القوى العسكرية وبشكل أدق مفهوم التسلح وسباق التسلح كأحد عوامل تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية . والحقيقة ان الإدارات الأمريكية المتعاقبة والجمهورية منها على وجه الخصوص وان كان الخلاف بين الطرفيين هو هامشي وغير واضح ، أقول أن الإدارات الجمهورية المتعاقبة استخدمت مفهوم سباق التسلح من اجل تحصيل العديد من الأهداف وكانت موجهة ضد الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت واليوم وقد غاب الاتحاد السوفيتي والنظام الدولي لم تتضح معالمه في ضل سيادة الهيمنة القطبية الواحدة التي تتمتع الولايات المتحدة الأمريكية على رأسها أقول في ضل هذه الأوضاع فإن الإدارة الأمريكية الجديدة تطلق العنان لمفهوم استخدام التسلح كأداة من أدوات تنفيذ سياستها الخارجية ولذلك فإن الإدارة الجديدة من المتوقع منها ان تمضي قدماً في تطوير ترسانتها العسكرية وخصوصاً في مجال الأسلحة الجديدة والتي تتمتع بقدرات قتالية هائلة وتطور تكنولوجي مرتفع سواء في مجال سلاح الجو بطائرات F22 المقاتلة الجديدة أو باستحداث أنواع من القنابل والصواريخ ذاتية الدافع قادرة على اختراقات الدفاعات الجوية والأرضية للعدو بل قادرة لاختراق التحصينات الطبيعية سواء جبلية أو تحصينات مصطنعة في مجال الخرسانات المتعددة والتي يمكن ان تكون وضعت من اجل تحصين صواريخ أو مصانع ذات أهمية استراتيجية .

ولذلك فإن معارضة وزارة الدفاع لمشروع إلغاء مثل هذه البرامج التسليحية لن يكون من السهل

طبيعية لتفوقها العسكري وديناميكيتها الدبلوماسية والسياسية.

إلا أن أكبر الأخطاء التي يمكن للدبلوماسية والسياسية الأمريكية ارتكابها هو الوقوف بجانب اليمين المتطرف الإسرائيلي أن أكبر الأخطاء التي تقوم بها أمريكا هو تسليم سمعتها ومكانتها في العالم العربي والإسلامي بيد رجل مثل شارون الذي سوف يقوم ما بوسعه وبجهده لتعميق الخلاف والسمعة السيئة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعالم العربي والإسلامي وأن شارون سوف يلعب كل أوراقه لجعل الشقة والخلاف وعدم الثقة بين العالم العربي والإسلامي من جهة أمريكا من جهة ثانية واحدة من أكبر أهدافه السياسية خصوصاً وأن مثل هذا العمل يمكن تحقيقه بعد السياسات الأمريكية المندفعة بعد أحداث واشنطن ونيويورك.

ولكن أين المعادلة العربية من كل ذلك؟ إن المتتبع للواقع العربي سوف يجد دبلوماسية الوقاية أكثر من دبلوماسية الفعل أي أن الدبلوماسية العربية هي دبلوماسية وقائية تحاول تجنيب الدول العربية الانزلاق والمخاطر إلا أن هذه الدبلوماسية هي دبلوماسية فردية وإن كانت تبدو جماعية أي أن الدبلوماسية العربية ليس فقط هي دبلوماسية وقائية بل كذلك دبلوماسية فردية تسعى كل دولة إلى تجنيب نفسها المخاطر الممكنة والمحتملة.

إن العالم العربي هو أكثر المناطق الجغرافية في العالم حاجة إلى مرحلة سلام حيث الثروات والموقع الجغرافي والذي لم يتحول إلى تنمية أو نهضة بفعل القلاقل السياسية المتعددة والتي استطاعت أن تستهلك كل قدرات وإمكانيات العالم العربي ولم يعد له مكان يليق به من حيث القوة والمكانة بل إن العالم العربي يعد في أسفل السلم العالمي من حيث التنمية الاقتصادية ونوعية الحياة والاستقرار السياسي والقلق الاجتماعي وذلك بتحويل عقود من الصراع مع إسرائيل عقود من الصراع مع الذات العربية سواء الذات الفكرية أو الأيدلوجية و الاقتصادية.

لم يعد خافياً أن العرب اليوم ليس لديهم إمكانية الحرب والصراع بالمفهوم العصري الحديث ولم يعد لديهم نواحي العلم والمعرفة ولم يعد لديهم البينة والآفاق السياسية والاقتصادية للنهضة وما بقي للعرب اليوم هو الحاجة الماسة والملحة لقليل من الهدوء والسلام يمكن بها ومن خلالها ترتيب الأولويات السياسية والاقتصادية للعالم العربي. ولكن السؤال هل يمكن تحقيق حالة الهدوء والسلام مع حكومة إسرائيلية متطرفة وحكومة أمريكية مندفعة؟ إن الجواب تحوم عليه الشكوك ولكن ما يمكن للعالم العربي هو تحقيق حالة الهبوط الاضطراري أي أن الدبلوماسية العربية اليوم معنية ومطالبة في تحقيق أكبر ما يمكن إنجازه في ضل المعطيات القائمة وليس تحقيق النجاح. إذا استطاعت الدبلوماسية العربية أن تخفف من حالة الفشل السياسي والاقتصادي العربي فهذا ما يمكن أن يعد إنجاز للسياسة والدبلوماسية العربية.

وإن أكثر ما يمكن أن تقوم به السياسة الدبلوماسية العربية هو الحد من النجاحات الإسرائيلية عبر متابعة تحولاتها السياسية والعسكرية. إن الدبلوماسية والسياسة العربية يجب أن تعمل كل ما

يأتي فقط من الدول التي من المحتمل اختلافها مع الولايات المتحدة الأمريكية بل العكس سوف يأتي من الدول التي هي قريبة من الولايات المتحدة حيث لن ينحصر رد الفعل فقط في الجانب الروسي الذي يشعر أن رادعة الاستراتيجي من الصواريخ العابرة للقارات سوف تفقد أهميتها الاستراتيجية بل أن الأوروبيين سوف يشعرون بالانكشاف الأمني وتخلي الولايات المتحدة الأمريكية عنهم بل أن الصين الدولة المحدودة القدرات النووية سوف تتوجس الخيفه وتتجه إلى تطوير وتوسيع قدراتها النووية والصاروخية بل يمكن أن تتجه إلى تطوير قدراتها النووية البحرية بشكل يتعدى مناطقها الإقليمية الآسيوية من اجل الحد من قدرة نظام الدفاع الأمريكي القادم . وان تصرف الصين المنطقي هذا سوف يدفع الهند إلى مقارعة الصين بالتسلح وهذا ما سوف يدفع باكستان لهذه الدوامة التسليحية والتي تعني زج العديد من الدول بهذه المعمعة التسليحية وهذا ما سوف يكون مؤشر قادم لنوع وطبيعة الصراع في المستقبل وهو ما تراه الولايات المتحدة الأمريكية رفع لمكانتها إلى مستوى جديد من القوة وترك الدول الأخرى في حالة من التوازن التقليدي والنووي تكون الولايات المتحدة فيه سيدة الموقف والعامل الحاسم في توازن القوى الدولية الأخرى هذا الأمر سوف يخدم الدبلوماسية الأمريكية لفترة طويلة تتعدى نصف قرن قادم .

الجيش الأوروبي

لم تهـــداء أوروبا عن إبـلاغنا الدرس عـن العـــمـل الدؤوب والمستمر والذي يصب في استراتيجية واحدة متكاملة منذ بداية فكرة الوحدة الأوروبية باتفاق الفحم والحديد بين ألمانيا وفرنسا في الخمسينيات من القرن المنصرم منذ ذلك الوقت وهناك عمل جاد صبور وهادي ويتعامل مع الظروف الدولية بشكل عـاقل وهادي وعقلاني سواء في الحرب البـاردة بين المعسكرين أو بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينيات .

وان الحديث عن التوجـه الأوربي الشامل هو حديث لا يتفق مع الحـقيقة بكاملهـا بقدر ما يكون مرتبط بالتوجهات السـياسية لكل من فرنسا وألمانيا الدولتان القويتـان اللتان تبحثان عن دور دولي يناسب تطلعـاتهما الدوليـة حيث انهـما الدولتان الأوربيـتان اللتـان ليس لها حليف حقيـقي على المدى البعيد بقدر ان تحـالفاتهما مؤقـتة أما ضد الاتحاد السـوفيتي في مرحلة من مـراحل أو ضد العوامل الأيدلوجية الـقادمة من الجنوب ولكن لا يمكن مقـارنتها بتحالف القوة الأمـريكية مع بريطانيا التي تأخذ الطابع اللغوي والحـضاري والسياسي هذا التحـالف الذي لم يكن فقط مـوجه للعـالم المفتـوح بقدر مـا هو موجه الى اوربا فـي مرحلة الحرب العالمية الثـانية والحرب الباردة . بل أن العزلة التي عانت منهـا كل من فرنسا وألمانيا حقـيقـية رغم انهـما من أعـمدة الأمن الأوروبي ومع ذلك فـان كل من ألمانيـا وفرنســا كان دورهما مرتبط بالصراع مع الاتحاد السـوفيتي والأمن الأوروبي وهو الأمر الذي قلم قدرة ألمانيا السـياسيـة داخل أوربا وقلم قدرة فـرنسا حول العـالم وخصـوصا في جنوب أوربا وجنوب البـحر الأبيض المتوسط علـى وجه الخصـوص وواجهة فـرنسا منافسـة أمـريكية حقيقية داخل مناطق نفوذها الحقيقية في أفريقيا والشرق الأوسط .

اليوم وقد انتهت التهديدات السوفيتية بنهاية الاتحاد السوفيتي وتهديدات أوربا الشرقية بانهيار حلف وأرسـو بل إنظمام العديد من دول أوربا إلى منظمـة الأمن والتعاون الأوروبي آخرها كان دولة يوغسلافيا فان الدور الحقـيقي لدولة هائلة مثل ألمانيا ومن بعدها فرنسا لم يعد كافيـاً ان تكون منسقاً مع الولايات المتحدة الأمريكيـة فقط في شـأن الأمن الأوروبي بل وان التحالف البريطاني الأمريكي تـعددت جوانبه ليصبح ذو أبعاداً استراتيجـية اقتصادية وحضارية تجاوزت الأبعاد الاستراتيجية العسكرية والآنية .

ان أدوات تنفيذ السياسـة الخارجية الأوروبية ومنها الفرنسيـة الألمانية كانت مشلولة او ناقصـة حيث ثبت ان المواقـف السياسـية الإيجـابية تجـاه هذه الدولة او تلك لا تكفي بل ان المساعدات الخارجية سواء المادية الماليـة او التقنية لا تكفي بل ان حتى تجارة بيع السلاح لا

تكفي دون أن تكون هناك ذراع عسكري قادر على تجميع وبلورة النتائج السياسية والاقتصادية وان الدرس الذي تعلمته فرنسا وألمانيا من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ان الموقف السياسي والاقتصادي غير ذات فائدة وغير ذات فاعلية دون وجود ذراع عسكري قادر على تحويل الأماني السياسية والأدوات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية إلى واقع ملموس هو عمل ناقص ان لم يكن عمل عبثي وبعثرة للأموال والجهد .

أن إعلان الدول الأوروبية لتشكيل قوة عسكرية أوروبية هي عملية تصب في ذات الاتجاه وذات الهدف أي تعزيز القوة الأوروبية بمركزها الحقيقي فرنسا وألمانيا بقوة عسكرية قادرة على بلورة أهدافها السياسية في المستقبل وإذا كانت القوة الأوروبية قوامها ١٠٠ ألف جندي مكونة من ٦٠ ألف لتتدخل في النزاعات المختلفة مدعومة بـ ١٠٠ طائرة حربية وعدد من القطع البحرية مهمة هذه القوة هو التدخل من احلال أصلا السلام والإنقاذ ويمكن تحويله إلى قوة هجومية في جنوب أوروبا وخصوصاً في أفريقيا والشمال الأفريقي على وجه الخصوص ولكن ذلك سوف يأتي في مرحلة لاحقة وهو تحول هذه القوة من قوة دفاعية إلى قوة هجومية في المستقبل ولكن الضعف واضح على مثل هذه القوة الوليدة وهي التي تعكس ضعف فرنسا وألمانيا حيث سوف يستمر الاعتماد على حلف الناتو في مجال النقل واللوجستي والمخابرات والاستطلاع حيث أنها معدات أمريكية في الدرجة الأولى . وهذا يعكس التخلف العسكري الذي لازم كل من فرنسا وألمانيا والدول الأوربية الأخرى في مجال التكنلوجيا العسكرية حيث كشفت حرب البلقان سواء في البوسنة والهرسك أو حرب كوسفو عندما كشفت عن مدى هيمنة القوة الأمريكية والفرق الشاسع بين القوة الأمريكية الضاربة وبين القوة الأوربية المحدودة .

كان الموقف البريطاني من هذه القوة العسكرية الأوروبية متوقع حيث آخذت جانب الحذر بل إلى جانب إحباط هذه المحاولة وذلك راجع ان حلف الناتو يخدم بريطانيا بشكل واضح سواء في تحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية أو إعطائها لقوة وتأثير اكبر من حجمها وقوتها في الشأن الأوروبي خصوصاً عن طريق حلف الناتو .

وبالفعل كان التحفظ البريطاني هو الخوف من ان تكون هذه القوة بديل عن حلف الناتو وهذا ما سوف يحدث بالفعل على المدى البعيد مما يعني ان التمزق السياسي البريطاني سوف يزداد ويتسع ويصبح السؤال البريطاني اكثر خطورة من الخيار بين الانظمام (للعالم الأوروبي) والقارة الأوروبية وهو ما يؤيده جزء من المجتمع البريطاني وخصوصاً في بعض المناطق الفقيرة والنائية أو بين الانفتاح على العالم والتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما يدعمه المحافظون وخصوصاً ذوي الأصول الإنجليزية في المجتمع

البريطاني .

ان إنشاء القوة العسكرية الأوروبية يذكرنا بتطور السياسة الأوروبية والصراع الأوروبي بين القوى النافذة في أوروبا من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا ومن المتوقع دخول كل من إيطاليا وبولندا ثم روسيا حتى تكتمل والقوى السياسية الأوروبية السابقة بل ان هذه القوى سوف تدفع التوجه الأمريكي مأخرى وبشكل اكثر جراءة إلى المحيط الباسفيكي وآسيا في المستقبل .

الحرمان من القوة النووية .. هدف السياسة الأمريكية

منذ البوادر الأولى والمؤشرات الأولية لنهاية الحرب الباردة بين القوتين العظيمتين في منتصف الثمانينات والنهاية الحقيقية في مطلع التسعينات وما تبعها من اتفاقيات أكدت على نهاية حقبت الحرب الباردة وتحويل روسيا الوريث الشرعي للاتحاد السوفيتي إلى دولة من الدرجة الثانية داخل النظام الإقليمي السياسي الأوروبي حتى قمة روما التي أعلنت إدخال روسيا المحيط الإقليمي الأوروبي بل وتنسيقها مع حلف الناتو عقب الاتفاق الأمريكي الروسي حول خفض التراسانة النووية للطرفين بواقع الثلثين هذا الاتفاق الذي أملته الضرورة الاقتصادية والسياسية على روسيا بينما أملاه التغيير الاستراتيجي والتغيير في نوعية الأسلحة على الجانب الأمريكي. ولكن ما يهم من ذلك هو أن هذا الاتفاق هو تتويج لنهاية روسيا كدولة ذات أهمية عالمية إلى دولة ذات أهمية إقليمية في منطقة أوربا بعد أن نزلت القوات الأمريكية في جمهوريات آسيا الوسطى من أجل خلق نوع من الحاجز بين هذه الدول الجديدة والدولة المستعمرة السابقة روسيا كهدف من ضمن أهداف الاستراتيجية الأمريكية في ذلك الجزء من العالم.

إن النجاحات الهائلة والمذهلة للسياسة الأمريكية التي تحققت خلال العقد الماضي كانت بمثابة حوافز هائلة للسياسة الأمريكية من أجل المضي قدماً في هذا الاتجاه فمنذ عام ١٩٩٠م فإن الولايات المتحدة حققت نجاحات هائلة بفعل العمل الدءوب وبفعل الاستعداد الدائم لاستغلال الفرص الماثلة أو البارزة حيث أنهار الاتحاد السوفيتي فأمعنت أمريكا في تفكيك الجبهة السوفيتية السابقة سواء داخل أوروبا الشرقية أو آسيا الوسطى أو حلفاء السوفيت حول العالم بل إن الإمعان في التفكيك وصل إلى روسيا ذاتها عندما أصبحت تهديد تماسك روسيا ذاتها على المستوى الوطني الجغرافي أو المستوى السياسي من حيث الانتخابات أو على مستوى التحول الاقتصادي إلى اقتصاد السوق. وخاضت حرب الاحتواء خلال الحرب العراقية الإيرانية ثم توجتها بإرجاع العراق ثلاثون سنة إلى الخلف بعد الاجتياح العراقي للكويت ثم قدرتها على ضبط الإيقاع السياسي في منطقة الشرق الأوسط.

إن الفشل النسبي في السياسة الأمريكية اليوم هو قدرتها على ضبط التسلح النووي في شبه القارة الهندية والتأثير على الصراع بين الطرفين حول قضية جامو وكشمير، والنتائج

غير الواضحة حول السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الصين وأن بوادر هذا النجاح تبدو قوية إلا أنها غير مؤكدة اليوم، خصوصاً وأن الصين تدير اللعبة السياسة بشراء مزيد من الوقت.

إن هدف السياسة الخارجية الأمريكية اليوم ليس في إيجاد سلام في الشرق الأوسط فإن العملية السلمية في الشرق الأوسط ليست ذات نهاية معينة كما يعتقد العديد من الساسة العرب بل هي عملية متواصلة ومتتابعة وليس هناك نهاية واضحة ومحددة وأن التنمية الاقتصادية أو السياسية ليست هدف السياسة الأمريكية كما يحلم العديد من المفكرين والأيدلوجيين العرب وأن التنمية بكل أشكالها هي فعل ينبع من الذات ومن المنطقة ثم يتم توظيف الخارج لهذه التنمية بكل أشكالها وأنواعها.

إن هدف السياسة الأمريكية اليوم وللسنوات القليلة القادمة هو ضمان أمن إسرائيل وتوازن قوى عربي إسلامي يضمن عدم هيمنة طرف عربي أو إسلامي على طرف عربي أو إسلامي آخر وأن يكون الكل بحاجة للطرف الأمريكي بشكل من الأشكال وهذا ليس عيب في السياسة الأمريكية بل هذه ميزة ومن العمل السياسي الحقيقي من الوجه النظر السياسية البحتة والتي ليس للعاطفة دخل فيها.

والسؤال هو كيف تتمكن الإدارة الأمريكية اليوم من تحقيق الأهداف السابقة الذكر؟ إن تحقيق مثل هذه الأهداف ليس في خلق حالة من الضائقة الاقتصادية في الوطن العربي كما يعتقد البعض أي ليس باستنزاف المنطقة اقتصادياً بل العكس أن الاستقرار الاقتصادي هدف من أهداف السياسة الأمريكية للمنطقة العربية بنسب متفاوتة. وليس هدف السياسة الأمريكية خلق نزاعات عسكرية بينية بين الدول العربية لأن ذلك يخلخل حالة توازن القوى الموجود في الوطن العربي.

إن هدف السياسة الأمريكية اليوم والذي يحقق أهدافها خلال السنوات القريبة القادمة هو ضمان عدم إخلال بحالة التوازن العربي والإسلامي أي ضمان عدم بروز دولة ذات قوة مؤثرة وأن امتلاك السلاح غير التقليدي أي السلاح النووي أو الأسلحة البيلوجية يعد خط أحمر للسياسة الأمريكية اليوم حيث أن امتلاك أي دولة عربية أو إسلامية لمثل هذه الأسلحة يعد بمثابة ضربة قوية للسياسة الأمريكية وأن فرصة ترويض الدول العربية وتحطيمها هي في أفضل الأوقات حيث هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي وأن فرصة إبقاء القوة العربية قوى تقليدية وتحت مضلة وهيمنة القوة الإسرائيلية الضاربة يحقق للإدارة الأمريكية أهدافها السياسية للعقدين القادمين على أقل تقدير ومن هذه الأهداف:

١. ضمان أمن إسرائيل وتسوية مؤقتة للصراع العربية الإسرائيلي مرحلية تحقق أهداف إسرائيل المرحلية سواء السياسية أو العسكرية.

٢. تحجيم الدول العربية والإسلامية من أجل ضمان عدم بروز قوة عربية أو إسلامية خلال العقدين الماضيين مما يعني مزيد من حاجة دول المنطقة للولايات المتحدة الأمريكية ويمكن لهذه الأخيرة الإلتفات إلى نقاط ساخنة من العالم مثل آسيا وخصوصاً الصين والهند وباكستان وظاهرة الإرهاب الدولي.

٣. ضمان تأثير قوي على مصادر وسوق ومنتجات الطاقة لمدة عقدين قادمين على أقل تقدير وهذا سوف يسمح للإدارة الأمريكية في استخدام الطاقة كسلاح وأداة من أدوات تنفيذ سياستها الخارجية في المستقبل تجاه مناطق عديدة من العالم منها آسيا وأوربا. بل أن قدرة تأثير الولايات المتحدة الأمريكية على دول أمريكا اللاتينية تبدأ من التأثير على مصادر الطاقة في مناطق أخرى من العالم.

إن ارتكاز السياسة الأمريكية اليوم على سياسة واستراتيجية حرمان القوى الجديدة العربية والإسلامية من القوة النووية. هذه القوة النووية إذا ما تحققت سوف تقلب أهداف السياسة الأمريكية ولذلك فإن المنطق السياسي الأمريكي يقضي بأن خوض حرب مكلفة ضد هذه الدول الساعية إلى امتلاك قوة نووية أقل تكلفة وضرر من خوض حرب بعد امتلاك هذه الدول قوة نووية بل إن التكاليف السياسية بعد امتلاك هذه الدولة القوة النووية سوف تكون عالية حتى وإن لم تكن هناك حرب حقيقية. وفي الوقت التي سوف يكون هدف هذه الدول الخروج من عنق الزجاجة السياسية بامتلاك قوة عسكرية ضاربة فإن هدف السياسة الأمريكية المعلن والحقيقي هو حرمان هذه الدول من أن يكون لها صوت أو قوة قادرة على التأثير على النظام الإقليمي في العقدين القادمين وحرمان هذه الدول من استخدام ترسانتها العسكرية كأداة من أدوات تنفيذ سياستها الخارجية وفي الوقت الذي تكون هذه الدول تلعب اللعبة السياسية الخطرة تبقى الدول الأخرى على خط ساخن انتظار عما تسفر عنه نتائج الجولات السياسية والعسكرية المحتملة القادمة.

الذراع الإعلامي للسياسة الخارجية الأمريكية

أن من الافتراضات الواسعة الانتشار حول العالم هو استقلالية المؤسسات الإعلامية الغربية عن المؤسسات الرسمية والحكومية وان من إنتاج النظم السياسية الغربية هو خلق بيئة إعلامية فاعلة ومستقلة عن المؤسسة الرسمية للدول الغربية وخصوصاً في الدول الأكثر عراقة في مجال الديمقراطية هذا من جانب وعلى الطرف الآخر من المعادلة يسود الاعتقاد أن الدول في العالم الثالث تجعل المؤسسة الإعلامية جزء من المؤسسة الحكومية وبالتالي فإنها جزء من العمل السياسي اليومي . ومع أن هذا الاعتقاد سائد وشديد الحضور ألا أن هناك جمله من العوامل تجعل المتفحص والمحلل يمكن أن يقبل الثاني ويشكك بكامل مصداقية الأول أي أن المحلل يشكك بأن المؤسسات الإعلامية الغربية هي مؤسسات ليس لها أي تفاعل أو ارتباط بالنشاط الخارجي لدولها .

وإذا كان المحلل المنصف سوف يشاهد الحيادية والاستقلالية للإعلام الغربي في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية المحلية والداخلية في دولهم بشكل يجعله يعمم هذه الحيادية على السلوك الإعلامي الغربي في مجملة والحقيقة أن درجة الحساسية والحيادية الإعلامية الغربية حول القضايا الداخلية لدولهم تكاد تكون عالية ومرتفعة ومن هذا المنطلق فإن الأعلام الغربي كسب الحضور والنفوذ بهذا الشكل الذي نشهده اليوم .

وعند الحديث عن السلوك الإعلامي الخارجي للدول الديمقراطية فإن إخضاع مثل هذا السلوك على محك التحليل والمراقبة يجعل مفهوم الحيادية الإعلامية وأنفصالها عن المؤسسات الرسمية والحكومية أمر يمكن نقاشة ونقده وتفنيده في بعض الأحوال والأزمات التي تطغى على الساحة من وقت إلى آخر .

وهنا يمكن تسليط الضوء على بعض الجوانب التي يمكن بها ومن خلالها تقوم المؤسسات الرسمية الحكومية في الدول الغربية والأمريكية على وجه الخصوص في توظيف المؤسسات الإعلامية لصالح تنفيذ سياساتها الخارجية حول العالم .

أولاً : أن مفهوم المواطنة هو مفهوم فاعل وحاضر بحيث يطغى مفهوم المصلحة العامة على مفهوم مصلحة الفئة او الفئوية ومن هذا المنطلق تتقارب روي الإعلامي والمفكر ورجل الدولة الرسمي حول المصالح العليا التي يجب تثبيتها او تحقيقها على المستوى الدولي وان أي تهديد لهذه المصالح هو تهديد وشرخ لهذه المواطنة وداخل هذه الدائرة المصلحيه للوطن

بالمفهوم الدستوري الغربي يدخل دائرة اختلاف وجهة النظر حول المصالح الوطنية وكيفية تحقيقها في بعض الفروع والتفاصيل الأمر الذي أعطى الأعلام الغربي هذه المساحة حول اختلاف الرأي حول كيفية تحقيق المصالح الوطنية وهذا المفهوم انسحب من اختلاف فلسفة الأحزاب السياسية من اجل تحقيق المصالح الوطنية ولذلك اختلفت الاطروحات الإعلامية من اجل المصالح الوطنية في النظام السياسي الغربي . ومن هذا المنطلق فإن اختلاف الاطروحات الإعلامية لا يعبر بالضرورة عن الخيانة العظمى أو الخروج عن الخط المرسوم والمحدد .

ثانياً : على الرغم من الاستقلال بين المؤسسات الإعلامية والمؤسسات الرسمية في النظام السياسي الأمريكي ألا أن العلاقة بينهما علاقة تواصل وتكامل بشكل لا يمكن الفك بين الطرفين حيث أن النظام السياسي يمنح جملة من العوامل أو المغريات أو أدوات الضغط غير المباشر تجعل من الإعلام المستقل مساعد للإدارة الأمريكية في سياستها الخارجية ومن أهم هذه العوامل هي :

١- تكاد تطغى العلاقات الشخصية بين السياسيين والإعلاميين ورجال الفكر بشكل هائل حيث نجد العلاقة الحميمة بين الطرفين والتدليل على ذلك ما عليك ألا مراقبة لغة السلوك الجسدي إذا كان يمكن استخدام هذه العبارة وهذا المفهوم على الرئيس الأمريكي خلال إلقائه خطاب وأخذ أسئلة الصحفيين حيث لا يهداء أن يلوح لهذا بيده ويغمز لذلك في عينة ويعطي اهتمام حقيقي للفرد الجالس على اليمين او على اليسار وكل هذه الحركات يريد أن يعبر من خلالها على العلاقة الشخصية التي بدأت تتنامى ومرشحة للزيادة بين أفراد الأعلام والمؤسسة الرسمية الحكومية بشخصياتها الجديدة .

إذاً هنا الهدف هو تنمية علاقة إيجابية بين المؤسسة الإعلامية والمؤسسة الرسمية وليس علاقة قائمة على الشك والريبة أي علاقة قائمة على تبادل المنافع والمصالح وليس علاقة قائمة على النبذ والأبعاد .

٢- تغذي المؤسسات الرسمية وسائل الأعلام المختلفة بطرق رسمية عن طريق الوسائل المعروفة في المؤتمرات والمقابلات الصحفية أو عن طريق العلاقات الشخصية بين أعضاء المؤسسات الإعلامية وأعضاء المؤسسة الحكومية وبالتالي تجعل جزء كبير من مادة الأعلام ومصادرها على مصادر حكومية تحقق العديد من التكامل المصلحي بين الطرفين بل تخدم الطرفيين من المؤسسات الإعلامية والمؤسسة السياسية في النظام السياسي الأمريكي .

٣- دفاع النظام السياسي عن المواطنين أين ما يكونون بما فيهم الصحفيين ولذلك فإن العديد من الصحفيين الغربيين يقتحمون العالم ومعهم أيمان حقيقي أن هناك دول تدافع عن

مصالحهم وحياتهم ولذلك فإن الإعلامي يشعر بالمسئولية تجاه نظامه السياسي ومصالحة العليا .

ويبقى السؤال هو كيف يمكن أن يكون الأعلام في دولة ديمقراطية تتميز مؤسساتها الإعلامية بالاستقلالية عبارة عن أداة من أدوات السياسة الخارجية مثل ما هو الحال في السياسة الخارجية الأمريكية أن الأمر هو لا يخرج عن استخدام أعلامي هائل من اجل إنجاح السياسة الخارجية الأمريكية و تبداء هذه الطريقة وهذا الاستقلال الإعلامي من اجل إنجاح سياسة خارجية بفعل العوامل التالية :

أولاً : تسريب العديد من المعلومات حول قضية معينة سواء تجاه دولة كوبا على سبيل المثال أو الإرهاب كمثال آخر وذلك عن طريق مؤسسة الاستخبارات المركزية ويتم تداول مثل هذه التقارير إعلامياً إذا كان للأمر أن يزيد فيمكن أن تصدر وزارة الخارجية تصريح أو وزارة الدفاع أو أن يعقد وزير الخارجية أو وزير الدفاع مؤتمر صحفي حول الموضوع وإذا كان الأمر أهم يعقد الرئيس الأمريكي مؤتمر صحفياً بعد ان يلقي خطاب يدور حول نقطة محددة يراد بها تعبئه الأعلام و تجيشه خلفها وبالتالي فإن حوارات الرئيس وأسئلة الصحفيين سوف تدور حول الموضوع المراد أثارته سواء ضد دولة آسيوية أو أفريقية أو شرق أوسطية أو أمريكيا اللاتينية . وما عليك ألا أن ترى وسائل الإعلام المختلفة ولمدة أسبوع تدور حول هذه القضية من الوسائل الإعلام المختلفة وإذا ما كان يراد لها أن تستمر فإن إطلاق التصاريح والخطاب الأسبوعي عبر الراديو والزيارات تدور حول هذا الموضوع وبالتالي فإن التعبئة الحقيقية تتحقق ويمكن بها تحقيق الهدف إذا كان هذا الهدف قريب المدى وتكتيكي ومرهون بعمل وزمن معين محدود .

ثانياً : في حالة أن يكون الهدف هو هدف استراتيجي وبعيد المدى مثل الحرب الباردة أو الصراع الدولي أو التنافسي الأيدلوجي فإن القضية تأخذ أبعاد كثر جذرية حيث تبداء في تجيش البحوث العلمية والجدل الفكري حولها وكذلك إبقائها حية على المستوى الإعلامي بالطرق المختلفة من المؤتمرات الصحفية واللقاءات والتعليقات وتسريب العديد من المعلومات التي تطغى عليها مفهوم السرية ولكن يراد منها إبقاء هذا الحدث أو هذا الضغط حيا ومستمرا بل قد يمكن استفزاز ولفت نظر المجتمع إلى المخاطر المحتملة والمدمرة مما يخلق رأى عام متابع لهذه القضية أو تلك بل لا تستبعد إجراء مناورات عسكرية أو دفاع مدني يتم من خلالها إرسال رسائل للمجتمع حول هذه القضية وتعبئته حولها بل يمكن أن تلعب أفلام هوليود السينمائية دوراً في تحقيق التعبئة الاجتماعية خلف الهدف السياسي .

وبالتالي فإنه من خلال الإعلام يمكن تحويل دولة أجنبية إلى اشد أعداء الولايات المتحدة الأمريكية بل ومهددة للحياة الأمريكية حتى وان كانت هذه الدولة من الضعف والتخلف

الأمر الذي يسمح للسياسي الأمريكي استخدام جميع وسائله الممكنة لتحقيق هدفه في السياسة الخارجية في خظم من الدعم الداخلي أن لم يكن من الدعم الدولي وكذلك عن طريق الإعلام يمكن تحويل دول بعيدة عن الفلسفة الامريكية إلى دولة مسالم لئن المصالح الأمريكية تقتضي ذلك ومن هذا المنطلق فإن الإعلام الغربي والأمريكي على رغم الحريات الظاهرة فإنه يشكل إلى حد كبير أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية في المحيط الخارجي .

الذراع الاقتصادي للسياسة الخارجية الأمريكية

عندما أعلن السيد كولن باول وزير الخارجية الأمريكي الجديد والعسكري السابق أقول عندما أعلن أن هناك نظرة جديدة للسياسة الاقتصادية الأمريكية تتلخص في إعادة الفهم والتنفيذ في سياسة العقوبات الاقتصادية التي تنتهجها السياسة الأمريكية في مناطق عديدة من العالم ولكون المنطقة العربية كانت من أكثرها حظوظ ونصيب من هذه العقوبات فلقد تلقت الصحف ووسائل الأعلام العربية هذا التصريح وكأنه تحول جوهري في السياسة الأمريكية حول العالم والعالم العربي على وجه خاص .

والحقيقة أن الاستخدام السياسي للاقتصاد لم يكن جديداً ولن ينتهي في هذا المضمار حيث كان استخدام الأدوات الاقتصادية في تنفيذ السياسة الخارجية غير جديد بل وأثبتت النجاح تلو الأخر حيث تراوح بين تقديم المساعدات الاقتصادية والتقنية والمعلوماتية والأمنية إلى فتح الأسواق الأمريكية لمنتجات هذه الدولة أو تلك بغية مكافئتها على سياستها وخدماتها للسياسة الأمريكية .

ألا أن الشيء الجديد هو استخدام لغة الحصار الاقتصادي والمقاطعة الاقتصادية والتي كانت ترمي منها السياسة الأمريكية .

أولاً : إعطاء درس للطرف المتلقي بأن سياسته الخارجية غير مقبولة من قبل الإدارة الأمريكية سواء هذه السياسة غير مقبولة في بعدها الداخلي أو بعدها الخارجي سواء غير مقبولة في جملتها أو في بعض التفاصيل هنا أو هناك الإدارة الأمريكية لمحاولة الحصار الاقتصادي الجزئي وغير الدقيق أو حصار اقتصادي على جزء من النشاط الاقتصادي لدول التي يراد تغيير سلوكها السياسي الخارجي أو الداخلي .

وبالفعل فقد استخدمت هذه المنهجية مع العديد من الدول التي لا تشكل خطر حقيقي أو خطر ملفت للنظر على الولايات المتحدة الأمريكية و إنما الهدف هو تأديب مثل هذه الدول وتلقينها درس في الطاعة وعدم الخروج عن الخطوط العريضة .

ثانياً : هو المقاطعة والحرب الاقتصادية التي تشنها الإدارة الأمريكية على الدول التي تشكل اختلاف جوهري وحقيقي مع الإدارة الأمريكية وسياستها الخارجية خصوصاً الدول التي تعلن صراحة أو لديها خطط استراتيجية لتزويد ذاتها بقدرات عسكرية غير تقليدية وهو الأمر الذي حسمته الاستراتيجية الأمريكية بشأنه والذي يقضي بأن تحرم الدول التي لم تدخل النادي النووي بعد بعدم الوصول لهذا النادي بل إن هذا المبدأ يكون أكثر وضوح وأكثر صرامة عندما

يكون مرتبط في مناطق هي من الأهمية والحساسية للسياسة الخارجية الأمريكية كما هو الحال في الوطن العربي حيث يجتمع البترول وإسرائيل الثنائي الحقيقي الذي يشكل الخيال السياسي لراسم السياسة الخارجية الأمريكية وان كان البعض يطرح المصالح الاقتصادية كأحد المعايير التي أخذت تستجد في هذه المرحلة وهو الأمر الذي دفع وزير الخارجية الأمريكي السيد باول الإعلان عنه وهذا ما سوف نتحدث عنه بعد قليل .

ألا أن الأمر هو أن هذا الصنف الثاني من الحصار والمقاطعة الاقتصادية ليس هدفها تغيير في سياسة هذه الدولة أو تلك و إنما هدفها هدم البناء الاستراتيجي والإمكانيات الاقتصادية والبشرية التي تحاول هذه الدولة أو تلك استخدامه من اجل بناء قوة عسكرية غير تقليدية أي أن السياسة الخارجية الأمريكية هنا ليس هدفها تغيير النظام السياسي في هذه الدولة المقاطعة أو تلك و إنما هدفها تفريغ قدرة هذه الدول من الإمكانية الحصول على قدرات تصنيعية عسكرية غير تقليدية بداء بالإمكانيات المالية والاقتصادية مروراً بالتفريغ البشري من العقول المفكرة أما بدفعها على الهجرة الخارجية أو الداخلية عن طريق قطع الإمدادات الاقتصادية اللازمة للبحث وقطع الإمدادات الجانبية الأزمة للحياة الطبيعية الكريمة وبالفعل فإن مسألة إسقاط النظام في هذه الدولة المحاصرة أو تلك ليس من أولويات السياسة الأمريكية بل العكس هو الصحيح هو يجب العمل على استمرارية النظام السياسي المحاصر من أجل تبرير استمرار الحصار والمقاطعة من اجل مزيد من الإفقار والتخلف لهذه المنطقة أو تلك ولم يكن غريب على العديد من السياسيين الأمريكيين في العديد من المناسبات التصريح هو أن هدف الإدارة الأمريكية إرجاع دولة (أ) أو (ب) خمسون سنة إلى الخلف بل بعض العسكريين يصرح إلى إرجاعها إلى ما قبل العصر الحجري وهذا تصوير عن الهدف الرامي إلى إعادة زرع التخلف في الدول التي تقاطعها الإدارة الأمريكية والتي هي على خلاف استراتيجي معها .

يبدو أن الجزء الثاني من هذه السياسة هو مازال قائم ومرشح للاستمرار مع إدارة الرئيس جورج بوش الجديدة والتي تقضي بالاستمرار في الموقف الصلب من هذه الدول التي ترمي إلى الخروج من الطوق السياسي الأمريكي ولذلك فإن هذا التوجه والإستراتيجية مرشحة للاستمرار .

أما على البعد الأول وهي الدول التي ليست على خلاف استراتيجي واضح مع الإدارة الأمريكية وتتعرض إلى حصار جزئي ومقاطعة اقتصادية جزئية فإن توجه الإدارة الأمريكية الجديدة وعلى لسان وزير الخارجية السيد باول هو تغيير هذه السياسة بحيث يتم تغيير هذا الحصار الخارجي إلى ما يمكن أن يعرف بالتشجيع الداخلي أي محاولة الانفتاح الاقتصادي على هذه الدول لأسباب عديدة منها : -

أولاً : أن هذه الدول لا تشكل خطر حقيقي أو منافسة حقيقية على الخطوط العريضة للسياسة

الخارجية الأمريكية وأهدافها الاستراتيجية .

ثانياً : أن مقاطعة مثل هذه الدول يكلف الخزينة الأمريكية عشرات المليارات من الدولارات دون أدنى عائد حقيقي على المستوى الرسمي ناهيك عن الخسائر التي يتكبدها القطاع الخاص الأمريكي

ثالثاً : أن هذه المقاطعة تقطع الطريق أمام التأثير الأمريكي المباشر على السياسة الخارجية لهذه الدول و أعاده توجيهها ولذلك فإن الأدوات الاقتصادية التي يمكن استخدامها بشكل سلبي يمكن استخدامها من الداخل من اجل التأثير والتغيير في السياسة الخارجية والتأثير في مواقف هذه الدول دون دفع تلك المبالغ المالية أو الخسائر المالية المتوقعة من جراء المقاطعة الكاملة أو الجزائية .

رابعاً : أن عدم التأثير على هذه الدول يفقد الإدارة الأمريكية الإمساك في أطراف اللعبة السياسية للمنطقة أي منطقة على سبيل المثال أن المقاطعة الأمريكية لدولة مثل فيتنام أو دولة في وسط أفريقيا فإن هذه المقاطعة تجعل أوراق اللعبة في المنطقة الآسيوية أو وسط أفريقيا غير كاملة في يد السياسي الأمريكي تتيجة المقاطعة الاقتصادية الكلية أو الجزئية مما يجعل منفذ وراسم السياسة الخارجية الأمريكية يستخدم الأدوات العسكرية أكثر مما ينبغي في مناطق يمكن حلها على المستوى السياسي والاقتصادي .

خامساً : أن سياسة المقاطعة هذه حرمة الشركات الأمريكية والمتوسطة منها العديد من الفرص الاقتصادية المتعددة مما يعني تكبيل سياسة وتوجهات هذه الشركات تحت مطرقة المقاطعة الأمريكية .

سادساً : تسعى العديد من الدول والشركات المنافسة للإدارة الأمريكية على المستوى الاقتصادي إلى تصيد أخطاء الإدارة الأمريكية وخصوصاً في عملية سياسة المقاطعة الاقتصادية حيث شاهدنا ونشاهد العديد من استغلال الفرص الاقتصادية والصفقات العسكرية التي أبرمتها العديد من الدول المنافسة اقتصادياً للولايات المتحدة الأمريكية مع الدول التي تعرض لحصار أو عقوبات الاقتصادية من قبل الإدارات الأمريكية المتعاقبة .

لذلك فإن توجه الإدارة الأمريكية الجديدة هو حرمان هذه الدول من اقتناص مثل هذه الفرص على حساب أخطاء السياسة الخارجية الأمريكية بل للأسباب السابقة الذكر بأن الدبلوماسية الأمريكية تحاول أن تعيد تقييم هذا النمط من الحصار والمقاطعة الاقتصادية التي مارستها الإدارات الأمريكية المتعاقبة من اجل خلق أجواء أكثر تأثير في السياسة الدولية.

السياسة الأمريكية تدفع إلى انتشار الأسلحة النووية في العالم

منذ عقد اتفاقية نزع السلاح العالمي التي كانت قد عقدت بين الدول النووية ثم معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية التي وقعت عليها أغلب دول العالم باستثناء إسرائيل كانت هذه المعاهدتين كفيلان بضبط انتشار القوة النووية لمدة تزيد عن أربع عقود ومن الزمن وبقيت الدول الحاصلة على القوة النووية هي ذاتها. حيث كانت تقوم بالإضافة إلى الاتفاقية الموقعة على مبدأ الردع المتبادل أو التدمير المتبادل مما جعلها ذات آلية ضبط ذاتي بين الدول النووية بحيث أن هذه القوى النووية لا تستطيع استخدام قواتها النووية لأن ذلك سوف يؤدي إلى تدميرها ذاتياً بفعل رد الفعل والهجوم المقابل. واستطاعت الدول الغير نووية الانضمام لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية بفضل تهد الدول النووية بعدم استخدام قوتها النووية ضد دولة غير نووية.

وكان ذلك عامل مطمئن للعديد من الدول الغير نووية مع أن بعض الدول حاول الحصول على مثل هذه القوة نتيجة لصراعات إقليمية أكثر منها دولية مثل الصين الهند وباكستان لاحقاً. وقد استطاعت هذه المعاهدة ليس فقط تحقيق الأمن الدولي وعدم سماح الدول لامتلاك القوة النووية بل ساهمت هذه المعاهدة في الحد من انتشار الأسلحة الكيماوية والحد من استخدامها بشكل قوي وفاعل.

إن تقرير الوضع النووي الذي أصدرته الإدارة الأمريكية ليضع تصور وخطة لمدة أبعون عاماً قادمة أي إلى عام ٢٠٤٠م. والذي فيه اعتمد هذا التقرير على قرار الولايات المتحدة الأمريكية الانسحاب من معاهدة نزع السلاح العالمية ومعاهدة عدم الاعتداء حيث أوضح التقرير أن مثل هذه الاتفاقيات تتعارض مع مرونة الولايات المتحدة الأمريكية في تحديث واستخدام قدراتها النووية وأن هذه المعاهدات تقف حجر عثرة أمام انطلاق الولايات المتحدة في تطوير قدراتها النووية وحريتها في حرمان ومعاقبة الدول الأخرى أي أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت الانسحاب من معاهدة انتشار الأسلحة النووية ومعاهدة الحد من الصواريخ البالستية المتوسطة والبعيدة المدى وبالتالي تدمير نظرية الثقة المتبادلة والتهديد المتبادل بين القوى النووية العالمية. بل إن الدول الغير نووية عندما طلبت توثيق المعاهدة بعدم الهجوم على دولة غير نووية إلا بقرار من مجلس الأمن رفضت الولايات المتحدة الأمريكية هذا التوجه.

إن الملفت للنظر وبشكل قوي هو أن الدول التي رأت الولايات المتحدة الأمريكية أنها دول

تحاول امتلاك القوة النووية والتي منها ليبيا وإيران وسوريا والعراق وكوريا الشمالية كل هذه الدول سبق أن وقعت على معاهدة عدم انتشار القوة النووية.

إن انتشاء الولايات المتحدة الأمريكية بالقوة الهائلة على الساحة الدولية والتي جعلتها تتمتع بقوة عسكرية وتأثير قوي على الساحة الدولية دفعها إلى التخلص من المعاهدات التي تحد من انتشار الأسلحة النووية أو استخدامها من أجل أن تكون أكثر حرية في تطوير ترسانتها النووية حيث يرى التقرير الذي يدرس الوضع النووي للولايات المتحدة الأمريكية على مدى أربعون عاماً قادمة ومنها يتم على مراحل ثلاث لزيادة الترسانة النووية الأمريكية وزيادة عدد الأرصفة الجوية والبحرية والأرصفة على مراحل ثلاث ٢٠٢٠م، ٢٠٣٠م، ٢٠٤٠م، وبطلب التقرير اعتمادات جديدة من أجل إجراء لاختبارات النووية. بل إن الولايات المتحدة الأمريكية بانسحابها من الردع المتبادل وعدم استخدام القوة النووية من طرف واحد كان عامل تهديد للعديد من الدول سواء منها النووية اليوم وغير النووية بحيث يصبح تهديد الولايات المتحدة الأمريكية لعديد من دول العالم تهديد حقيقي بل ومسلح بقوة نووية لم يعد هناك رادع عن استخدامها في أي وقت تراه الولايات المتحدة الأمريكية.

إن العديد من الدول حول العالم سوف تجد أن سلوك السياسة الخارجية الأمريكية وتوجهاتها العسكرية القائمة على المنطلقات الذاتية والانسحاب من المعاهدات الدولية من جانب واحد نذير وتهديد واضح للعديد من دول العالم ولن يكون ذلك تهديد للدول الغير نووية التي وضعتها أمريكا على قائمة محور الشر بل إن العديد من الدول النووية ابتداء من روسيا والصين سوف تجد أنها معنية ومسئولة في كبح جماح الطموح السياسي الأمريكي وبالتالي فسوف تشعر خلال العقد والعقدين القادمين بتهديد حقيقي لمصالحها القومية بشكل كبير مما يدفعها ليس فقط إلى تقوية قدراتها النووية الذاتية بل يمكن أن يدفعها إلى مساندة العديد من الدول حول العالم في مجال مساعدة للحصول على القوة النووية من أجل تشتيت الجهد السياسي والعسكري الأمريكي وبالتالي فإن العديد من القوى النووية العالمية مثل فرنسا والصين وروسيا سوف تكشف أن من مصالحها الاستراتيجية البعيدة المدى هو تشتيت الجهد السياسي والعسكري الأمريكي عبر مساعدة العديد من الدول للحصول على تكنولوجيا القوة النووية وهذا سوف يدفع العديد من الدول حول العالم للحصول على قوة نووية ضاربة وأن هذه المسألة تكون حياة أو موت، بقاء أو فناء وبالتالي فإن الولايات المتحدة الأمريكية تكون قد استخدمت استراتيجية من أجل تعزيز مكانتها الدولية عبر تطوير ترسانتها النووية والانسحاب من المعاهدات الدولية ولكنها في نفس الوقت استطاعت أن تشعل فتيل الشك للعديد من الدول حول العالم حول النوايا السياسية الأمريكية هذه النوايا سواء منها العسكري أو السياسي وبالتالي فإن العديد من الدول سوف تبحث عن ضامن لها من هذا الانكشاف السياسي والاستراتيجي.

بل إن السياسة الأمريكية اليوم بتلويحها باستخدام القوة العسكرية فقط وبجهد فردي فإنها تثبت للعالم سواء النووي منه والتقليدي أن ردع الولايات المتحدة الأمريكية سوف يكون عبر نشر القوة النووية في أكبر كمية من دول العالم من أجل إرباك المخطط الاستراتيجي الأمريكي وإن كانت السياسة الأمريكية مطمئنة لقدراتها العسكرية وبعد التهديد الحقيقي عن الأراضي الأمريكية خلال العقد القادم فإن بعد عقد من الزمن سوف يكون جهد العديد من دول العالم ليس امتلاك القوة النووية والقوة الصاروخية القادرة على إيصالها إلى أهدافها بل سوف تنصب جهود الدول النووية المتوسطة حول العالم سواء من الصين وغيرها إلى الوصول إلى مقاربة وهدف من خلالها يتم تهديد الأراضي الأمريكية ذاتها من أجل ردعها وإيقاف التهديد الأحادي الجانب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية.

إن الولايات المتحدة الأمريكية بسياساتها النووية ولاتي تبدو أنها منطقية لعقد أو العقدين القادمين إلا أنها سياسة تحمل بوادر خطورتها بذاتها ليس في مستوى الاستخدام الفعلي والحقيقي للقوة النووية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل ردع العديد من الدول بل سوف يكون العالم أكثر خطراً وأقل أمناً وذلك بسبب أن سياسة انتشار امتلاك القوة النووية للعديد من الدول يصبح هدفاً مهماً واستراتيجية حاسمة وقد تلجم الولايات المتحدة الأمريكية بعض الدول خدمةً لإسرائيل ولكنها لن تكون ناجحة كل الأوقات وأن أي إخفاق سوف يكون ثمنه باهضاً على السلم والأمن الدولي.

السياسة الأمريكية والبيانات الانتخابي

على الرغم من أن الدراسات الأمريكية او ما يمكن تحديده بالدراسات السياسية الأمريكية التي تعج به الجامعات على امتداد الولايات المتحدة الأمريكية من شمالها الى جنوبها ومن الغرب الى الشرق والتي تعد هذه الدراسات واحدة من اكثر البرامج تطور وتكرار ولا يمكن لطالب العلوم السياسية دراسة هذه المعارف دون دراسة النظام السياسي الأمريكي وتعتبر من اكثر الحقول تحليل للمعلومات والبيانات وذلك لتوفرها وتعدد مصادرها ومشاربها ومع كل ذلك فان هذه الدراسات لم تفشل فقط في التنباء بما يحدث اليوم من ارتباك انتخابي أدخل الولايات المتحدة الأمريكية في دوامة الشك في نظامها الانتخابي وطريقة التصويت فيه . بل ان هذه الدراسات لم تتنباء عن المأزق الدستوري الذي وضعت النظام السياسي كاملة رهينة له أي انه لا يوجد مرجع دستوري او قانوني يفصل بشكل حقيقي في مثل هذه المسائل وكل ما سوف يحدث هو اجتهادات شخصية وضغوط الرأي العام من أجل ثني هذا المرشح أو ذاك وان هذه الضغوط بدأت تتراكم على السيد آل غور المرشح الديمقراطي والذي يمكن أن ينشر هذا المقال بعد ان يكون السيد بوش الأبن قد أعلن كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية عن الحزب الجمهوري .

ومهما يكن نتائج فان هناك جملة من الحقائق يجب طرحها ونقاشها كان من أهمها :

أولاً : ان الازدهار الاقتصادي الذي عاشته الولايات المتحدة الأمريكية طوال العشر السنوات الماضية وخصوصاً في المرحلتين الرئاسيتين للسيد كلنتون كانت من اكثر المراحل ازدهار على المستوى الأمريكي مما دفع الى الرضاء الشعبي الهائل عن البعد الاقتصادي وما يتبعة من تدني في البطالة والتضخم وزيادة في العمل والأجور وهذا ما خلق حالة من عدم الاكتراث بالانتخابات بذاتها او حتى بنتائجها من بعد ذلك بل ان هذه الحالة اللاوضوح لم تشكل حالة إزعاج للمجتمع الأمريكي .

ثانياً : ان شبة الاكتمال لمفهوم المجتمع المدني في الولايات المتحدة الأمريكية من حيث انفصال حركة المجتمع عن القرارات السياسية والاقتصادية الحكومية جعل المجتمع يجد ان محركات السوق من العرض والطلب والاستثمار هي المعنية الحقيقية بالحياة الجيدة وليست القرارات السياسية بل ان الأمريكي مدعومين بتشابه الحزبين من حيث العقل والفلسفة والسياسات قاد الى عدم الاكتراث أي الحزبين يصل للسلطة والبيت الأبيض وهذا سر من أسرار انقسام الناخبين أمام سياسات متشابهة وهامشية في ضوء الاقتصاد المزدهر .

ثالثاً : لقد تزامن وجود جيل جديد من السياسيين بعد ان ذهب جيل الحرب العالمية الثانية والذي كان جورج بوش الأب أخر فلولهم أقول تزامن ذلك مع تغير هائل وحقيقي في النظام

الدولي كان أبرزها اختفاء الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وهو ما يعني نهاية العدو الخارجي مما أعطي هدوء على مستوى القرار والسياسات لدى الولايات المتحدة الأمريكية خلق لديها عدم استعجال في العديد من القضايا ومنها البعد التصويتي والانتخابي كأن تكون المضلة الدفاعية اقل أهمية بعد الحرب الباردة عنها أثناء الحرب الباردة ولذلك لم تجد لها أهمية حقيقية في البرنامج الانتخابي للسيد بوش الأبن .

رابعاً: كشفت الانتخابات الأخيرة عن أهمية وحضور الاقليات العرقية في الولايات المتحدة وتتنامي أهميتها الانتخابية والسياسية حيث تجد أن الاقليات لعبة دوراً حاسماً في هذه الانتخابات وشاهدنا ان المرشحين الجمهوري والديمقراطي ليس فقط يقتربا من هذه الاقليات بل يسعي الى ادخلها في برنامجه الانتخابي مستخدماً لغتها سواء الأسبانية أو المفاهيم الاجتماعية للسود والقادمين من أبعاد دينية مختلفة .

خامساً : مهما يكن الفائز في هذه الانتخابات سواء الجمهوري وهو الغالب او الديمقراطي فان السياسة الخارجية الأمريكية سوف تدخل في مرحلة من البيات الشتوي والغياب لفترة يمكن ان تصل ستة أشهر من نهاية نوفمبر الحالي وهذا يعني ان السياسة الأمريكية الخارجية سوف تتحول الى سياسة طوارئ خارجية أي أنها تتحول الى سياسة ردود أفعال لما يحدث في الخارج سواء في سلوكها السياسي الدبلوماسي او حتى في ردود أفعالها العسكرية في حالة حدوث حدث عسكري حول العالم .

أي انه أي من المرشحين سوف يدخل هذه الفترة بطاقم جديد يبدأ بدراسة هذه الملفات السياسية ثم يستوعبها ويكون فكرة عنها حتى يمكنه ان يتصرف حيالها واذا كان هذا الكلام صحيح على المستوى الجمهوري فانه كذلك يصدق على السيد آل غور على الرغم أنه نائب الرئيس لثمان سنوات وديمقراطي الا ان لديه روئيه مختلف عن السيد كلنتون في العديد من القضايا وان كانت لا تخلف جذرياً سواء للحزب الديمقراطي أو الجمهوري.

وما يهم في هذه الحالة ان السياسية الخارجية الأمريكية في الشهور القادمة هي سياسة ردود أفعال كنتيجة للتغير في الإدارة الأمريكية وهذا ما يمكن ان تستغله إسرائيل في سياستها تجاه العالم العربي وهذا ما يجب على الدول العربية الالتفات إلية أخذ بالحسبان سواء في بعده السلبي أو بعده الإيجابي .

صحيح ان هناك جملة من الحقائق في السياسة الخارجية الأمريكية غير خاضعة للتغيرات في مراكز اتخاذ القرار الى ان هناك العديد من السياسات التكتيكية والمرحلية يمكن استغلال حالة الغيبوبة المؤقتة للسياسة الخارجية الأمريكية أقول يمكن استغلال هذه السياسات التكتيكية وتراكمها من أجل خلق واقع جديد تتعامل معه الإدارة الأمريكية بعد أن تفيق من غيبوبتها الانتخابية.

السياسة الخارجية الأمريكية والملف العسكري

في خضم الحرب الباردة كان الخيار العسكري الأمريكي خياراً صعباً ومكلفاً ألا انه كان واضحاً ومحدداً حيث تمثل في دراسة القوة العسكرية السوفيتية ثم كيفية الرد على هذه القوة بل والانتصار عليها وكان ذلك واحد من الأهداف الواضحة المحددة من ضمن الخيارات الاستراتيجية الأمريكية في خضم الخيارات الاقتصادية والسياسية والثقافية والأيدلوجية حيث مثلت القوة العسكرية أحد أهم عوامل تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية في تلك المرحلة .

صحيح ان هذه الاستراتيجية كتب لها النجاح ليس بفضل هذه الاستراتيجية بذاتها او تماسكها فقط بل بفضل الجمود والثبات عدم الفاعلية التي اتسمت به الاستراتيجية السوفيتية في ذلك المرحلة ومع ذلك فان الاستراتيجية الأمريكية في استخدام القوة الأمريكية كعامل من عوامل تنفيذ سياساتها الخارجية كان مكلف إلى نقاط هائلة الخطورة شهده مرحلة الرئيس الأمريكي السابق ريغان هذه الحالة من ارتفاع المديونية الهائلة لم ينقذها سوى انهيار الاتحاد السوفيتي الغير متوقع والحروب الإقليمية وخصوصاً حرب الخليج الثانية التي عززت الرصيد السياسي والاقتصادي للاستراتيجية الأمريكية بل ووفرت مرحلة التقاط أنفاس سمحت للسياسي الأمريكي محاولة أعاده ترتيب أوراق اللعبة السياسية الدولية لتكون في خدمة الاستراتيجية الأمريكية بل سمحت هذه المرحلة للأمريكيين الى محاولة جذب البعد الأيدلوجي والعسكري الدولي وتحويلة إلى بعد اقتصادي وثقافي استطاعت من خلاله الإدارة الأمريكية تحت زعامة الرئيس كلنتون أن تجير الانتصارات في الحرب الباردة وما أعقبها في الحروب الإقليمية إلى انتصار اقتصادي وسياسي دولي تمثل في محاولة إثبات الهيمنة الدولية وتجيرها إلى هيمنة اقتصادية تمثلت في الحصارات الاقتصادية وحرب التكنلوجيا المتطورة وصراعات ومساومات الانظمام لمنظمة التجارة العالمية التي حاولت الإدارة الأمريكية استخلاص اكثر الفوائد منها ومساومة الأعضاء المحتملين والمرشحين للدخول في هذه المنظمة تحت مطرقة وحزمة من الشروط السياسية والاقتصادية والثقافية ابداء من نشر مفهوم الديمقراطية والانفتاح الاقتصادي والسياسي والثقافي على النمط الأمريكي والفلسفة الأمريكية .

وخلال هذه المرحلة سجلت الدبلوماسية الأمريكية والاستراتيجية الأمريكية النجاحات المتوالية على المستوى النفسي والحقيقي ألا أن هذه النجاحات الاقتصادية الهائلة والسياسة الدولية كانت نجاحات غير تراكمية بمعنى انها غير ثابتة وغير واضحة بل وقابلة للتحول حيث أن التفوق الأمريكي كان ومازال واضحاً وفاضحاً للقريب والبعيد سواء في آسيا أو أوروبا وأمريكا اللاتينية

والشرق الأوسط ألا أن هذه الاستراتيجية على الرغم من جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية فإنها تفتقد عامل الاستمرارية والتراكمية حيث نجد أنها مهددة بتململ أوروبي واضح حيث نجد رغم الانتصارات الأمريكية في أوروبا سواء في حرب البوسنة والهرسك وكسوفا فان هناك توجه أوروبي إلى ترجمة القوة والتقارب الأوروبي من بعده الاقتصادي والسياسي إلى تقارب عسكري يمكن ان يتحول إلى قوة ضاربة منافسة ان لم يكن للقوة الأمريكية فإنه سوف يضعف الهيمنة الأمريكية على أوروبا وان كان ذلك ليس متوقع الحدوث في القريب العاجل فإن قاعدة التوجه السياسي للاستقلال الأوروبي قد وضعت وأخذة بالحركة ابداء بتكوين الجيش الأوروبي وانتهاء بالنشاط الأوروبي المحموم سواء الاقتصادي او الدبلوماسي او المعرفي في وضع مواطئ أقدام أوروبية جديدة في مناطق النفوذ والصراع السياسي والاقتصادي حول العالم سواء في آسيا او أفريقيا او الشرق الأوسط وهذا ما تشهد به النشاطات المنبثقة من الجماعة الأوروبية وان كانت اليوم هي محظ أفكار ومحاولات فإنها يمكن ان تتحول إلى حقيقة بفعل النظام الدولي الأحادي القطبية او التقاعس الاستراتيجي الأمريكي الذي يمكن ان يسير تجاه المحافظة السياسية رغبة منه في إبقاء الوضع القائم أطول مدة ممكنة ولكن العارفين في طبيعة العلاقات الدولية وتشابكاتها يعرفون ان ذلك ممكن لفترة محددة ولكن لا يمكن ضمان ان لم يكن استحالة استمراريتها .

هذا التململ لم يكن فقط اوروبياً بل انه آسيوي التوجه أيضاً حيث نجد ان المتابع للسياسة الصينية ومحيطها السياسي سوف يكشف أن الصين تنسج خيوط إستراتيجيتها المستقبلية والتي ان كتب لها النجاح والانطلاق فسوف تكون ثقل لا يستهان به على المستوى الآسيوي بل وعلى المستوى الدولي ومن بين أوروبا والصين فإن الهند تسعى أختراق طوقها البيروقراطي المتشعب من أجل انطلاقتها بل وان روسيا اليوم تحاول تحديد هويتها الاستراتيجية ومحورة إمكانياتها حتى يمكنها تحديد أولوياتها السياسية وهذا التحول يحتاج الى فترة زمنية للسياسي الروسي من اجل ان تتأقلم مع الوضع الروسي الجديد في النظام السياسي الحاضر حتى يمكن للسياسي الروسي تحديد قدرات روسيا وأهدافها القابلة للتحقيق في ظل النظام الدولي المتغير حتى يمكنها ان تضع كل إمكانياتها وقدراتها في خدمة الأهداف التي لم تتحدد بعد إذ انها حددة بعيداً على الوضعية المعاصرة التي وجدة روسيا نفسها في خضمه .

ومرحلة التحول والتغير وعدم الثبات هذه تعد مأزق للدول كلها كبيرها وصغيرها ألا أن الدول الكبرى تجد هذا التحول هو تحديد ويمكن ان يكون تهديد لمستقبلها النفوذي وهذا ما تشعر به الإدارة الأمريكية الجديدة بقيادة الرئيس جورج دبليو بوش والذي جاء بدون خبرة سياسية دولية ولكي يغطي على هذا الجانب أحاط نفسه بفريق سياسي مخضرم منذ الحرب الباردة وهذا الفريق حدد أهدافه وسياساته قبل حتى ان يدخل البيت الأبيض بناء على خبرته السابقة بل وفضل هذا الفريق ان يلعب اللعبة التي كان دائماً يتقنها وهو توظيف القوة الأمريكية من اجل إضعاف الآخرين

بل والمزيد من إضعافهم . وإذا كانت الإدارة التي انتهت مدتها إرادة التعايش مع الآخرين فإن ذهنية الإدارة الجديدة هو التعايش مع آخرين ولكن يجب ان يكون ضعفاء وهذا سوف يرفع مستوى التحدي بل واشتعال الحماس الحقيقي او المصطنع من اجل إيجاد هدف حقيقي للاستراتيجية الأمريكية او بلغة أخرى محاولة إيجاد عدم تمحور الإدارة الأمريكية استراتيجيتها حوله ولكون البعد الاقتصادي غامض التوجه وبطئ النتائج مثله مثل البعد الثقافي والأيدلوجي فإن الإدارة الجديدة اختارت البعد العسكري ليكون عنوان التحدي الجديد وبالفعل فإن الفريق الجديد القديم ذهب إلى ما يعرفه جيداً وهو إشعال حرب التسلح وتفليس الآخرين امعان من هذا الفريق أن التفوق الأمريكي هائل يفضى هذا التفوق الاقتصادي والعلمي والثقافي إلا إلى مزيد من التفوق العسكري الواضح والغير قابل للنقاش والجدل أي خلق قوة عسكرية أمريكية يمكن ان يطلق عليها قوة عسكرية فوق العظمى تستطيع فرز القوة الأمريكية بعيداً عن المستوى النووية التقليدية بل وجعل هناك نظرة جديدة للقوة الأمريكية تبعدها عن القوى النووية التقليدية ناهيك عن القوى العسكرية التقليدية . ما هي ردود الفعل المحتملة وكيفية تأثيرها على رسم وتنفيذ السياسة الأمريكية هذا ما أرجو أن يكون موضوع مقال قادم .

المأزق الإسرائيلي

عندما أنطلق المشروع الصهيوني من أجل إقامة دولة عبرية في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر كان مشروع طموح وكان ممكن التنفيذ حيث أن العالم في ذلك الوقت هو أوروبا بحضارتها القادمة واليهود في ذلك الوقت جزء من الحضارة الغربية الواعدة والقادمة وفي المقابل فإن العالم العربي والإسلامي كان يتمتع بدرجة من التخلف والضعف يصعب وصفها ويكفيك أنها تشهد إحكام الدولة العثمانية قبضتها عليها وإفقارها بل وتتريكها في ذلك الوقت وبالتالي فإن لسان حال الطموح اليهودي هو شعب متقدم يمكن أن يأخذ ما يستطيع من شعب متخلف مثله مثل دولة مستعمرة تأتي من العالم الغربي إلى دول العالم الثالث الضعيفة ومن اجل إنجاح المشروع غلف ببعد ديني وتاريخي وكذلك أعطي أبعاد سياسية ودولية وذلك لان هذا المشروع على خلاف من مشاريع الاستعمار الغربي هو مشروع استيطاني اكثر من كونه مشروع اقتصادي أو تنافسي مع قوى أخرى .

الملفت للنظر أن العالم العربي في ذلك الوقت يكاد أن يكون شبة مفتوح للطموح اليهودي ولذلك لا تستغرب أن يكون طموح اليهود هو من الفرات إلى النيل والذهاب إلى أبعد نقطة ممكنة في تحصيل الأراضي العربية التي تجتاز ارض فلسطين اليوم إلى الدول العربية الأخرى وبالفعل فإن هناك العديد من الخرائط التي تتحدث عن أرض إسرائيل الكبرى التي تكاد تضم العديد من المناطق من العديد من دول المشرق العربي اليوم .

إن خيال المفكر اليهودي كان واسعاً وطموحاً ألا أن ذات الخيال وذات الطموح يخضع تحت مفهوم اليوم وعندما نضع هذا المفهوم و نطبقه على اليهود فإنهم تصور أن العالم العربي في ذلك الحقبة التاريخية انتهي أو أوشك على الانتهاء وأن الساحة قد فتحت لليهود في العالم العربي ولم يكن يدر بخلد اليهود أن تقوم حركة الاستقلال وأن الدول العربية سوف تزداد قوة وأهمية على المستوى الحضاري والسياسي والاقتصادي وخصوصاً النفطي بل أن الخيال اليهودي في ذلك التاريخ نظر إلى الانتصار الغربي أنه أبدي ونهائي ليس فقط على العالم العربي والإسلامي بل على العلم أجمع ولم يكن يدور في خلد مؤسسي الدول العبرية الحرب الباردة التي سوف تكون روسيا جزء منها أو أن يكون هناك ثقل آسيوي في المستقبل وبالتالي فإن مشروع إسرائيل قائم على فرضية الضعف العربي والإسلامي الكبيرة والتفوق الغربي الضارب فإن أي خلل في هذه المعادلة سوف يضعف إسرائيل وبالفعل فإن نهوض العالم العربي النسبي على المستوى الدولي وبداية توزع القوى الدولية النسبي أيضاً أربك وسوف يربك المشروع الصهيوني وأن الحلم الصهيوني اليوم تحول من دولة من الفرات إلى النيل إلى دولة

تحتل الأراضي الفلسطينية بكاملها وهي قوية على المستوى العسكري تتفوق على الدول العربية مجتمعة وإذا كان ذلك ممكنا في نهاية الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة فإن حتى هيمنة إسرائيل على كافة الأراضي الفلسطينية أصبحت محل جدل وآخذ ورد حيث أثبتت إسرائيل أنها أمام مأزق حقيقي يقودها تطرفها وأحلامها الغير قابلة للتحقيق حيث يتمسك اليمين الإسرائيلي بتحقيق حلم إسرائيل على كافة الأراضي الفلسطينية وفي ذات الوقت فإن ضم هذه المناطق هو يعني مجزره أو تهجير للمواطنين الأصليين وهذا ما لا تستطيع إسرائيل القيام به وأن ضم هذه المناطق بسكانها يعني نهاية المشروع الصهيوني أي أن يكون اليهود أقلية في دولتهم وبالتالي فإن مأزق اليمين الإسرائيلي المتطرف مأزق حقيقي حيث أن كل خياراتها غير قابلة للتحقيق ويبقي الحل هو محاولة إبقاء الوضع على ما هو علية أطول مده ممكنة وهذا ما لا تستطيع إسرائيل الدفاع عنه فترة طويلة ليس فقط داخل الشرق الأوسط بل حتى في الأوساط الشعبية والسياسة الغربية خصوصاً مع الهجرة العربية الإسلامية لدول العلم الغربي ومع الانفتاح الإعلامي الهائل الذي لم يعد يعطي مساحة للتضليل الإعلامي الإسرائيلي الذي كانت تمارسه لعقود طويلة ماضية . إذاً إسرائيل مراهنتها الحقيقية هو عدم الاستقرار العربي والخلافات العربية العربية أو الغربية الإسلامية وهذا ما تراهن علية إسرائيل من أجل تفريغ طاقة العالم العربي والإسلامي في خلافات وحروب بينية تسمح لإسرائيل بالتفوق الحقيقي على دول العلم العربي .

وعلى الطرف الثاني فإن الجناح المعتدل في إسرائيل يرى دمج إسرائيل في محيطها العربي مع تزعم إسرائيل لهذا المحيط وهذا الاقتراح يرى ويحلم ويتخيل أن اليهود سوف يكونون بوابة العالم العربي تجاه العالم وتجاه الغرب على وجه الخصوص وأن الدول الغربية لن ترى العالم العربي إلى من خلال النضارة الإسرائيلية وهذه مغالطة حقيقية يعيشها التيار الإسرائيلي الذي يدعو إلى الاندماج مع العالم العربي و تزعمه والحقيقة أن العالم العربي تجاوز مرحلة الاتصال بالآخر وكذلك الظروف الدولية وتشابكها خلقت نموذج للاتصال سمحت بالزج بالعالم العربي الى الحدث السياسي والاقتصادي الدولي وتجاوز بذلك تخيلات إسرائيل التاريخية عن العالم العربي .

أن المخرج الإسرائيلي هو العودة إلى السياسة التقليدية القائمة على زعزعة الاستقرار لدى الخصم وهذا جمود سياسي يعاني منه الخيال السياسي الإسرائيلي هذه النظرة التقليدية السياسية متزامنة و مرتبطة ببعد اقتصادي منفتح على العالم المتقدم وهذا محاولة خلق ذهنية سياسية تقليدية محافظة مع انفتاح اقتصادي يؤمن استمرار هذه النظرة السياسية التقليدية و تجذرها في إسرائيل .

إلا أن تحرك العالم العربي نحو الانفتاح الاقتصادي والسياسي بشكل اكبر سوف يضع

إسرائيل مرة أخرى في الخيال التاريخي حيث أن الانفتاح السياسي سوف يفتح المجال القوى للحور العربي وحل جميع الخلافات العربية بالطرق السلمية والحضارية ولا يوجد مجال لإسرائيل المتاجرة وتضخيم مثل هذه الخلافات وأن الانفتاح الاقتصادي سوف يدفع التعاون الاقتصادي العربي والغربي والعربي الدولي إلى أبعد مدى ممكن وهذا ما سوف يضع إسرائيل في حجمها الطبيعي الصغير والعالم العربي يجتاز مرحلة التفوق والتخوف ويذهب إلى تعزيز المصالح الدولية مع العلام الخارجي وبالتالي فإن هذا السلوك السياسي والاقتصادي العربي سوف يضع إسرائيل مرة أخرى في مرحلة من التشيك في جدوى المشروع الصهيوني برمته وبالتالي فإن الخيال الاستراتيجي العربي اليوم يجب أن يعمل من أجل تعظيم الإمكانيات العربية الهائلة واستثمارها ومن أجل التقليل من الإمكانيات الإسرائيلية التي تسعى إلى استخدامها من أجل إنجاح المشروع الاستعماري الصهيوني على أرض العرب والمسلمين .

المسرح السياسي الأوروبي

هذه القارة الأوروبية التي شغلت المسرح السياسي الدولي منذ بداية نهضتها إلى اليوم عندما استطاعت أن تصنف نفسها بكتابها ونهضتها الفكرية والفلسفية ثم التقنية العلمية أقول أخذت تصنف نفسها على أنها مركز العالم بل أن العديد من جهابذة السياسية والفكر السياسي وعلماء التنمية كانو ينضرون الى هذه القارة على أنها المركز العالمي وبقية العالم لا يعدو أطراف لهذا المركز وتعزز ذلك بفعل الأحداث الدولية المتتابعة والمتلاحقة منذ عصر النهضة مروراً بحركة الاستعمار ومتزامنه من سباق سياسي وعسكري محموم بين القوى الأوروبية على قارات العالم مع سباق سياسي وأيدلوجي على القارة الأوروبية تنتج عنه الحروب ذات البعد الديني والقومي ثم حروب الهيمنة منها الحرب العالمية الأولى والتي هي في الحقيقة حرباً أوروبية صرفه ثم الحرب الثانية والتي هي أوروبية الأصل وآسيوية وأمريكية الفروع ومنذ الحرب العالمية الثانية والمسرح السياسي الأوروبي لم يهدئ له بال حيث كان المسرح السياسي الأوروبي في حالة من التحول وان كان بطئ في مرحلة الحرب الباردة عندما كانت كماشة الحرب الباردة بين كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية جاثمة على المسرح السياسي الأوروبي حيث كانت أوروبا الشرقية خاضعة برمتها تحت مطرقة الأنظمة اليسارية الغير شعبية مدعومة بشكل هائل بالقوة العسكرية والسياسية السوفيتية على المسرح الدولي فيما كان الجانب الغربي عن المسرح الأوروبي يموج بالتطلعات و الإصلاح والطموحات من الموقف البريطاني الذي كان واحد من اكثر الأطراف استفادة من الحرب الباردة حيث أعطت الحرب الباردة دوراً للجزر البريطانية قوة اكبر بكثير من قدراتها الحقيقية ودوراً مؤثراً على المستوى الأوروبي والدولي مستثمرتاً علاقاتها الحميمة مع القارة الأمريكية الشمالية رامية بكل ما لديها من تنازلات من اجل الفوز بالثقة والدعم الأمريكي مستثمرتاً هذه الثقة من اجل لعب دوراً أقوى تجاه ألمانيا وفرنسا ومن ثم القارة الأوروبية بذاتها مستفيدة من مرونتها في التعامل مع الأطراف المتعددة داخل وخارج إطار الحرب الباردة .

وعلى الطرف الأخر نجد فرنسا القابعة في أحلامها ومجدها السابق على المسرح الدولي حالمتاً أن تعيد هذه المكانة وهذه الأمجاد إلى المسرح الدولي ولكونها عاشت مفهوم الحرب الباردة فان السياسيين الفرنسيين وجدوا أن التنافس الدولي والأيدلوجي وجد ليخدم فرنسا كبديل ثالث ألا أن الإمكانيات الفرنسية سواء على المستوى المالي أو التقني أو المرونة السياسية لم تسعف فرنسا في لعب الدور المطلوب مما دفعها مرة أخرى إلى التقارب مع العدو التاريخي المانيا حيث بداء مشروع التقارب الأوروبي ثم الوحدة الأوروبية لتكشف فرنسا ان هروبها من

الدولتين العظميين دفعها إلى التقارب مع العدو التاريخي ليس إلى حل مرحلي ولكن غير مضمون النتائج ان لم يكن مدمر النتائج وبالفعل فان المانيا الدوله التي دفعت ضرائب وثمن الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة و أدارتها بشكل ينم عن نظرة استراتيجية هائلة تعزز المتعارف علية من القدرة الالمانيه على النظرة الاستراتيجية الطموحة والواقعية في ذات الوقت حيث استطاعت المانيا ان تجعل من نجاحها الاقتصادي الهائل وعلاقتها السياسية ان تكون محط اهتمام وتنافس الدول العظمى في الحرب الباردة بدل من ان تكون محط أطماع هذه الدول فقط .

وإذا كانت نهاية الحرب الباردة هي فرز للقوى و إعادة تشكيل للمهام الدولية على المسرح الأوروبي وبالتالي الدولي فان الولايات المتحدة الأمريكية أثبتت بجبروتها وقوتها ومرونتها وتأثيرها السياسي والاقتصادي سواء على السياسة الأوروبية من خلال الأزمات الأوروبية وخصوصاً في تحول دول أوروبا الشرقية الى المعسكر الفردي وانضمام العديد منها إلى حلف الناتو بل وان العديد من هذه الدول سعت إلى تعزيز علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية بحثاً عن أموال الاستثمار و التكنلوجيا المتطورة والمرونة الإدارية والسياسية التي تتمتع بها الذهنية الأمريكية بدل من أحقاد وتعقيد الذهنية الأوروبية بل ان الموقف والقوة الأمريكية لم تكن بتلك الوضوح مثلما كانت عليه في حرب البوسنة والهرسك وحرب كسوفا عندما جاءت الآلة العسكرية الأمريكية لتكشف للعالم والأوروبيين على وجه الخصوص عن التقدم والتخلف الذي تعانيه القوى الأوروبية تجاه القوة الأمريكية وكشفه للعالم اجمع من هو سيد القوة الدولية في اكثر المناطق تحضر وتكنولوجيا .

ان نهاية الحرب الباردة فعلاً وضعت الموقف البريطاني في موقف حرج وممزق بين الخيار بين استمرار التحالف مع القارة الأمريكية أو التوجه إلى القارة الأوروبية وأعاد على البريطانيين السؤال الأولى هو كيف يمكن الاختبار بين المسرح الدولي عبر البحار المتوجة والمسرح الأوروبي خصوصاً وانه مع التقارب الأوروبي ونهاية الحرب الباردة وحالة السلم الذي تعيشه القارة الأوروبية فان السؤال يكون اكثر إلحاح على الساسة البريطانيون بل واكثر إحراج واكثر صعوبة . ومن الواضح ان البريطانيون لم يحزموا أمرهم بين الخيارات السياسية والاستراتيجية المطروحة أمامهم تاركين الباب مفتوحاً أمام احتمالات عديدة راغبين في سياسة الانتظار ومدى جدية الأحداث والتحولات سواء على المسرح السياسي الأوروبي أي التقارب الأوروبي ومشروع العملة الأوروبي والمشاريع الاقتصادية والصناعية الأوروبية المشتركة بل ومفهوم التوحد الأوروبي الحقيقي السامح بالاستقلال الذتي لبعض مناطق النزاع التاريخي الأوروبي مثل المناطق المتاخمه بين المانيا وفرنسا وأسبانيا والتي تعد بحق أحد مختبرات التجربة الأوروبية .

بل ان البريطانيون ينتظرون عن ما ستسفر عنه مشروع الجيش الأوروبي العمل الذي سوف

يعزز الموقف الألماني بدرجة هائلة ويعطي فرنسا دوراً اكبر طالما حلمت به في ظل نهاية الحرب الباردة ويعطي فرنسا دوراً ابرز على المستوى الأوروبي والمحيط الأوروبي في البلقان وشمال أفريقيا . الا ان إنشاء الجيش الأوروبي والذي كان يعد إحراج للبريطانيين ودفعهم الى الإسراع في طرح خياراتهم الا انه كان من وجهة نظر الفرنسيين انه خطوه تعزز المكانة الفرنسية لم تدم فرحة الفرنسيين بها طويلاً حتى خرجت المانيا في اجتماع نيس المقاطعة الفرنسية طالبتاً دوراً اكبر لها يتناسب مع حجمها السياسي والاقتصادي بل وحجمها السكاني هذه التحول في التفكير الألماني يدفع كل الأطراف إلى التوجس من الطموح الاستراتيجي الألماني بل ويطرح فكرة العودة الألمانية إلى المسرح الدولي عبر المسرح الأوروبي مذكرة العالم بمحاولات المانيا للعب هذا الدور في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ومنصف القرن العشرين عندما قاد الطموح الألماني إلى نزعات مسلحة هائلة .

ان السؤل المطروح هو هل التوقيت الأماني هذا سوف يكون جيد لطرح مثل هذه الأفكار وهل تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دوراً في تعزيز هذا التوجه من اجل تقزيم روسيا وفرنسا والعديد من الدول الأخرى بفضل وجود توازنات أوروبية تكون لصالح الاستراتيجية الأمريكية أم أن المعادلة مقلوبة بحيث تشهد حماس أوروبي لزعامة ألمانية في أوروبا مما يدفع إلى تمحور دولة قوية في القارة القديمة تكون تحت المضلة ألمانية قادرة على تقزيم القوى المحيطة في أوروبا وند للقارة الأمريكية والقوة الآسيوية الصاعدة .

الصين وخلق التنافس

يسجل للصين منذ ١٩٧٨م النجاحات المتوالية في مجال الاقتصاد والتحول الهادئ والبطئ نحو التنمية الاقتصادية هذا التحول الذي قادة الزعيم الصيني الراحل السيد بينغ والذي هدف من ورائه إخراج الصين من جمودها الاقتصادي وحماسها الأيدلوجي الذي كان كثيراً ما يوصف باللاواقعية . ومنذ ذلك الوقت والسيد بينغ يردد المقولة الشهيرة (لنتحدث عن الاقتصاد بدل من التحدث في السياسة) وبالفعل فأن الصين منذ ذلك الوقت وهي تحاول الانتقال من النظام الاقتصادي الشمولي الجامد إلى النظام الاقتصادي الحر والديناميكي وكانت البداية في التحرير الجزء للإنتاج الزراعي والذي جاء بعد الإلغاء التعاونيات الزراعية ثم بداء المشروع بالفكرة الهائلة والتي ترى فتح بعض المناطق الساحلية أمام الاستثمار الأجنبي والحرية الاقتصادية وكان ذلك وأحد من أكثر النجاحات الصينية على المستوى الداخلي رغم ما شابة من نزعة استقلالية دفعت هذه المناطق الساحلية إلى الرغبة العارمة بالاستقلال أو الاستقلال الذاتي والتخلص من فكرة الارتباط بالمركز أو الريف سواء على المستوى المادي أو السياسي ألا أن قوة ومركزية النظام السياسي استطاعت لجم هذه الطموحات ـ بشكل لا يخل بجوهر الفكرة وأهدافها حيث كان هدفها هو أن تكون هذه المناطق مجموعة تجريبية يمكن من خلالها إدخال التعديلات اللازمة ومعرفة الأبعاد السلبية دون المغامرة بالصين ككل خصوصاً المناطق الريفية التي تعد بحق قلب الصين النابض ومخزن بعدها الحضاري ومستودع قدرتها على البقاء أطول مدة ممكنة . ولم يكن ذلك فقط الهدف من فتح المناطق الساحلية بل كان الهدف منه وضع نموذج مرحلي يمكن من خلاله إثبات أن مناطق منسلخة عن الدولة ألام يمكن لها العودة على غرار هذه النماذج الساحلية وكان ذلك مما خلق مفهوم دولة واحدة بتضامين هذه المنهجية التي سوف تسمح للصين بإدخال هونغ كونغ عام ١٩٩٧م . وماكاو عام ١٩٩٩م ثم سوف تضع الأرضية لعودة تايوان المنطقة الأكثر أهمية والأكثر ثروة وتطور . إذاً أن مسألة فتح هذه المناطق يجعل الصين في الحقيقة ثلاث مناطق رئيسية منها الريف والذي يخضع للسلطة التقليدية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ثم المناطق الساحلية والتي تتمتع باستقلال اقتصادي واسع مع هيمنة سياسية ضاربة من قبل المركز ثم المناطق خارج الصين ألام مثل هونغ كونغ وماكاو وتايوان وهي ذات الاستقلال الاقتصادي والسياسي الواسع عن المركز . وبهذه المنهجية فإن السلطات الصينية تضع الشروط أكثر سهولة لمسألة العودة إلى الدولة ألام وهي من الأهداف الرئيسية والحيوية التي لا يمكن التنازل عنها حسب تعبير ومواقف الساسة الصينيون ألا أن الهدف السلمي لهذه العودة مهم

ويصب في مصالح الصين بعيدة الأمد .

وبهذه الحزمة من الأفكار والأهداف التي وضعتها الصين لنفسها أخذت الصين في الانفتاح على العالم .

وإذا كان البعد السياسي هو الذي قاد الصين للانفتاح على الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٠م فإن البعد الاقتصادي هو الذي أعطاه استمرارية وإن المغريات الصينية للإدارات الأمريكية المتعاقبة هو الذي أعطى أهميته وأهمية الصين الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية تعززت هذه الأهمية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي حيث أخذت الولايات المتحدة الأمريكية تمنح الصين بعداً جديداً يمنحها الدولة الأولى بالرعاية لسنوات عديدة رغم الانتقادات التي تسجلها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الصين والتي كانت تهدف إلى محاولة نقد النظام السياسي ومحاولة إعطائه مرونة سياسية هذه الانتقادات الأمريكية كانت مدعومة بأسباب داخلية وتنافسات سياسية داخلية خصوصاً في مرحلة الانتخابات الرأسية أو حتى انتخابات الكونغرس وكثيراً ما كانت مرتبطة بأبعاد خارجية منها محاولة الضغط على الصين لتقديم تنازلات سياسية أو الضغط عليها على المستوى الدولي .

إلا أن الصينيون استطاعوا أن يديروا اللعبة بشكل جيد حتى الوصول للاتفاق الأخير حول الانظمام لمنظمة التجارة العالمية وموافقة الولايات المتحدة على هذه الرغبة الصينية .

قامت الصين بعد أن رتبت الملف الاقتصادي مع الدولة العظمى إلى الالتفات والاستفادة من الملف الأمريكي واستثماره في محاولة الخروج بأكثر التنازلات الأوربية حيث كان الاوربين أكثر تشدد في الأبعاد الاقتصادي مع الصين خصوصاً وأن الاوربين لم يكن لديهم دوافع سياسية قوية وأهداف ذات بعد أيدلوجي أو إستراتيجي غير اقتصادي ولذلك فإن المكاسب والخسائر الاقتصادية كانت الهاجس الحقيقي للمفاوض الأوربي ومع ذلك فإن الصين استطاعت الخروج بأفضل النتائج من الاوربين رغم طول وعناء مثل هذه المفاوضات الاقتصادية من أجل فتح الطريق أمام الصين للدخول لمنظمة التجارة العالمية .

ومنذ تلك الاتفاقات الهامة والهائلة والصين تسعي الى ترتيب أوراقها مع الدول الأكثر إنتاجاً للطاقة رغم محدوديتها الاقتصادية الا أن الطاقة ومصادرها أصبحت هاجس مهم لدى القيادة الصينية من أجل خلق أمن يمكن تستند إليه الصين في رحلتها نحو القوة العالمية ولذلك ركزت أهميتها على منطقة الخليج العربي وإيران وكذلك على منطقة آسيا الوسطى . بل وذهبت الصين الى ترتيب أوراقها الآسيوية سواء مع اليابان الورقة الأصعب في المعادلة الصينية ومع الجيران المحيطين بالصين وهي الأوراق الأكثر حساسية واكثر إمكانية استغلالها من قبل القوى العالمية خارج القارة الآسيوية .

أهمية الفصل بين أمريكا وإسرائيل في الخطاب السياسي العربي

إنني اعرف مسبقاً حجم المعارضة المحتملة لمثل هذا المقال على كل المستويات بل إنني أكاد أجزم أن العديد من العرب بكل فئاتهم لن يعرفون في هذه المرحلة سوى الكره الشديد لإسرائيل وأمريكا خصوصاً وأن الأولى ترتكب ما ترتكب من مذابح وأهانه ليس لفلسطيني غزة والقطاع والضفة وليس لفلسطيني الشتات بل أنها توجة الإهانة ولإذلال لكل ما هو عربي وكل ما هو مسلم وهذه الإهانة والإذلال والتركيع التي تمارسها إسرائيل تفهم من العرب والمسلمين أنها مدعومة بالنظام السياسي والدبلوماسي الأمريكي والحماية العسكرية والدعم الاقتصادي الأمريكي ولذلك يتجه الخطاب السياسي العربي سواء الرسمي أو الشعبي الى الربط بين إسرائيل وأمريكا .

ومع أن أمريكا نظام سياسي منفتح وذو قوى متصارعة ومتوازنة ومع علم العرب أن اليهود وإسرائيل تدخل في آلية القرار السياسي الأمريكي وتؤثر وتتأثر به بشكل أو بآخر ومع علم العرب والمسلمين أن القرارات الرسمية الأمريكية هي نتاج لحزمة من القوى السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإعلامية داخل المجتمع الأمريكي والنفوذ الى هذه القوى مهم لأي قوة تريد أن تؤثر في السياسية الخارجية الأمريكية سواء اليهود أو الصينيين أو الهنود او التايوانيون أو البولنديون أو الطليان وغيرهم فإن أبواب اللعبة السياسية الأمريكية كانت ومازالت مشرعة للعمل السياسي داخل أمريكا وان مهاجرون أمريكا الجنوبية المنحدرون من أصول لاتينية هم آخر هذه القوى التي فهمت اللعبة السياسية الأمريكية واندرجت بها ولذلك فهي تحصل على المكاسب بعد الأخرى خلال العقد المنصرم.

ويضاف الى هذا التأثير السياسي على القرار في السياسة الخارجية الأمريكية هو أيمان هذه القوى بالمصالح الأمريكية و تمثيلها أي أن كل هذه القوى تبرهن على أن المصالح الأمريكية هي الأهم وارتباطها بأهداف هذه القوى السياسية حيث أن اللوبي الصهيوني او التايواني يربط بين مصالح أمريكا والمصالح السياسية لهذه القوى وهذا عنصر مهم جداً من اجل النجاح في أي ضغط سياسي – فعال .

أن العالم العربي فشل مرة بعد أخرى منذ الخمسينات من القرن المنصرم وهو يمارس الفشل في التأثير على السياسية الأمريكية تجاه العالم العربي وهناك العديد من الأسباب الجوهرية

والهامة لهذا الفشل سواء منها ما هو الخارجي أو الداخلي عن الولايات المتحدة الأمريكية والجهل و الأمية السياسية التي يمارسها العالم العربي .

ولكنه خلال العشرون سنه الماضية كان الفشل العربي واضح وشديد في التأثير على السياسية الخارجية الأمريكية حيث توالت الخلافات بين إسرائيل وأمريكا لم تستطع الدول العربية أن تستفيد أو تغذي هذا الخلاف على كل المستويات حيث كان خلاف بين أمريكا وإسرائيل في حرب ١٩٥٦م ولم تستثمره الدول العربية وخلاف عام ١٩٧٣م ولم تستثمره الدول العربية وخلال مهم خلال عام ١٩٨٢م عند اجتياح إسرائيل للبان ولم تستثمره الدول العربية وخلاف بين إسرائيل مع إدارة الرئيس بوش الأب عام ١٩٩٠م ولم تستثمره الدول العربية وحتى خلاف في بعض مراحل إدارة كلينتون واليوم هناك خلاف بين وزارة الخارجية من جهة والدفاع والمخابرات الأمريكية من جهة ثانية مع إسرائيل لم ولا تستثمره الدول العربية لماذا ذلك كذلك ؟

أن مثل هذا السؤال مشروع والجواب يمكن أن يطول ألا أن جزء من الإجابة تكمن في .

أولاً : الخطاب السياسي العربي سواء الرسمي أو الشعبي حيث نجد دائماً هناك خطاب شديد اللهجة من الدوائر الرسمية العربية حيث نجد أن جميع الخطابات الرسمية والمحطات الرسمية تندد بالعدوان الإسرائيلي والدعم الأمريكي وكأنهما شئ واحد وفي الحقيقة يجب الفصل بينهما حيث يجب التنديد بالسلوك الإسرائيلي ولكن يجب العمل الدؤوب على تغيير السلوك الأمريكي وان يكون ذلك خلال خطط سياسية وإعلامية واقتصادية وقوى اجتماعية تؤيد الاتصال مع أمريكا سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي مما يعني مزيد من التواصل والتفاهم وهذا يحقق للعرب المزيد من التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية وربطها بجانب الدول الصديقة بدل وضعها في خانه إسرائيل .

أنني أقول أن افضل ما يمكن أن تهديه وتخدم به الدول العربية إسرائيل هو ما تفعله اليوم من الربط بين الإرهاب الصهيوني والدعم الأمريكي حيث يكشف مثل هذا الخطاب السياسي مدى ارتباط المصالح الإسرائيلية والأمريكية في العالم العربي بدل من توعية الجانب الأمريكي إن اكثر الخلافات الأمريكية الإسرائيلية تحدث وكان عامل أزالت هذه الخلافات كان الخطاب السياسي العربي سواء الرسمي او الشعبي الذي يربط بين أمريكا وإسرائيل .

ثانياً : دئب العرب خصوصاً في الخطاب الشعبي سواء لاحتجاجي الفلسطيني داخل المدن الفلسطينية أو حتى المظاهرات التي تحدث من القوى السياسية العربية الشعبة وخصوصاً الدينية في بعض دول الطوق على إحراق العلم الإسرائيلي والأمريكي جنب الى جنب وهذا وأحده من اكبر الأخطاء التي يرتكبها العرب في حق أنفسهم حيث أن إحراق العلم الأمريكي الى جانب العلم الإسرائيلي لا يمكن يوصل ألا الى نتيجة وأحده هو أن أمريكا وإسرائيل هم في

خندق واحد وحلف واحد ضد العرب والمسلمين وهذا يتناقض مع محاولة الفصل بين الطرفيين بل يتناقض مع المبداء المهم هو أن أمريكا مناطق يمكن العمل من خلالها وبداخلها لصالح العالم العربي والإسلامي .

أن الخطاب الشعبي السلمي و العنفي الذي يجمع أمريكا وإسرائيل والذي يتبناه العديد من العرب هو من أقوى الأسلحة و أمضاها في يد إسرائيل حيث يرى المواطن والسياسي الأمريكي أن الحليف الحقيقي والذي يمكن ان يوثق ويعتمد عليه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية هو إسرائيل ولذلك كان مثل هذه المظاهرات والاحتجاجات اكبر عوامل تجاوز الخلافات بين إسرائيل وأمريكا في العديد من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي .

انه من اجل تأثير عربي على الإدارة الأمريكية يجب إعادة النظر بالخطاب السياسي والإعلامي والشعبي العربي رغم صعوبة ذلك بحيث يفصل بين ما هو إسرائيلي وما هو أمريكي وان الخطاب السياسي الذي يجمع بين هذين الطرفيين هو ليس في صالح العالم العربي أو الإسلامي بل العكس فإن العالم العربي علية مهمة إعادة صياغة خطابه السياسي والشعبي تجاه أمريكا سواء داخل فلسطين أو خارجها بحيث يكون اكثر جذب للأدارة الأمريكية وليس منفر لها بل أن خطابها التهديدي الذي تنتهجه بعض القوى العربية هو خطاب سياسي سلبي اكثر منه إيجابي وهو يصب في صالح إسرائيل على المدى القصير والمتوسط والبعيد ولذلك فإن إعادة تشكيل الخطاب السياسي مع خطط سياسية وإعلامية واقتصادية وشعبية مهمه جداً من اجل النفاذ داخل السياسة الخارجية الأمريكية وان دعم مزيد من الهجرة والمهاجرين الى أمريكا قد يكون أحد المداخل للنظام العربي لفهم النظام السياسي الأمريكي والتعامل معه .

أوروبا والتغير الديموغرافي

لا يمكن وصف ما يحدث اليوم وبشكل صامت منذ العقدين من الزمن هذا التحول الديمغرافي في أوروبا ألا واحد من اكثر عوامل التغيير والتحول العالمي اليوم . أن ما تشهده أوروبا اليوم من تحول وتغير في التركيبة السكانية لا يقل بحال من الأحوال عن الثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا أو حتى الثورة في مجال العلوم التكنلوجيا والاتصالات والمواصلات .

صحيح انه بفعل هذا التطور الهائل في وسائل الاتصالات والمواصلات أصبحت المعرفة والهجرة ممكنة ألا أن ما يحدث في أوروبا سوف يخلق عالماً جديداً في نصف هذا القرن . لم يحدث أبداً في تاريخ أوروبا أن يكون أعداد سكانها في تناقص حيث أن هناك نزول في عداد المواليد وذلك لتغير طبيعة ونمط الحياة الأوروبية حيث أثبتت اكثر الدراسات تحفظ أن معدل الأطفال كان في تناقص واضح منذ أربع أجيال مضت حيث اصبح المعدل من المواليد اليوم ينذر أوروبا بأعداد متناقصة في عدد الأطفال وبالتالي أعداد الشباب في المستقبل وهذا يعني أعداد متزايدة من كبار السن والهرمين في المجموعات البشرية الأوروبية . هناك تكون الصورة اكثر وضوح إذا وجدنا أن أعداد الأطفال القادمين للحياة يتناقصون بأعداد متزايدة في اكثر الدول الأوروبية أهمية خصوصاً في إيطاليا وفرنسا وألمانيا والدول الاسكندنافية بشكل خاص ومع أن هذه النسب ليست بعيد في الدول الأخرى من أسبانيا وبريطانيا والبرتغال .

عندما بدأت معدلات التزايد السكاني بالتناقص في نهاية الحرب العالمية الثانية ولكن بصورة مبسطة مع قيام ثورة صناعية وتوسع اقتصادي هائل تلتفت أوروبا الى مصادر تعويض بشري حيث وجدة أن أوروبا الشرقية كانت مغلقة الأبواب تحت حماية ذراعي الدب الروسي ولم يكن للدول الأوروبية من خيار سوى الالتفات ألا الى مستعمراتها القديمة حيث التفتت فرنسا الى الجزائر والمغرب العربي وأفريقيا من اجل ضخ القوى العاملة من هذه الدول الى معامل ومصانع فرنسا لم تلبث إيطاليا أن تلحق بالركب في استقطاب القوى العاملة بعد أن نفضت غبار الهزيمة في الحرب العالمية الثانية . ومما ميز وشجع تلك الهجرات من العالم الثالث هو الوضع المتردي في الدول الحاصلة على استقلالها من الجوانب الاقتصادية والفكرية والاهم هو الشعور بالدونية مما جعل هذه الهجرات تقبل بالعمل دون إبداء أي نشاط أو اهتمام بقيمها الثقافية والدينية أي أنها كانت تشعر بروح الانهزام ولذلك لم تشعر بمسئولية نقل ثقافتها وبنشرها في بلد المهجر ألا أن هؤلاء المهاجرين الأوائل كونوا القاعدة التي وضعت قواعد ثقافة المهجر والهجرة وبالفعل تدافعت العديد من الهجرات العربية الإسلامية والعالم ثالثية إلى دول أوروبا

مدفوعة ببريق النجاح الاقتصادي للدول الغربية وللمهاجرين وكذلك مدفوعة بالإخفاقات السياسية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن ألام أين كان هذا الوطن ألام .

وبالفعل فإن تزايد أعداد المهاجرين الى أوروبا اصبح ذو طبيعة علنية واضحة بل واصبح نقل الثقافة الدينية والاجتماعية هو عمل من أعمال الالتزام الأخلاقي والعمل الجهادي للمسلم في نظر الإنسان المسلم واصبح رؤية المساجد والتجمعات البشرية المسلمة أمر مألوف وطبيعي في مدينة مرسي ثاني أكبر المدن الفرنسية ومنظر التواجد الإسلامي في باريس أو روما أو برلين الدول الاسكندنافية أو لندن شئ هو في غاية الطبيعة . وفيما كان المسافرين الأوائل في بداية و منتصف القرن يذهبون الى أوروبا وينقطعون عن جذورهم الاجتماعية والثقافية والدينية اليوم أصبحت هذه الأحوال وهذه الثقافة تسير معك أين ما ذهبت وأين ما حللت ز وان نسب المهاجرين تتراوح بين ٢٥٪ في فرنسا الى ٣ الى ٤٪ في ألمانيا وهذه النسب تتراوح بين القبول والرفض في المجتمعات الأوروبية ويمكن لها أن تتأزم بين رافض لهذه الهجرات والمهاجرين في حالة الأزمات الاقتصادية والسياسية وبين قوى راغبة في مزيد من هذه الهجرات على أنها مصدر من مصادر الثراء ومزيد من القوة . وإذا كانت بعض هذه الهجرات يتم إقفال الأبواب في وجهها فإن اغلب الدول الغربية تفتح أبوابها للهجرات في وجه الأفراد ذوي الكفاءة العالية الذين يضيفون مزيد من القدرة الاقتصادية على الدول المستقبلة للهجرة بل أن العديد من الدول ومنها ألمانيا وضعت نظام يسمح بالهجرة للأفراد أو ذوي الكفاءة العالية وتحولت إيطاليا الى بلد مهجر لأول مرة في تاريخها الطويل .

وإذا كان يمكن سد ثغرات الحاجة الأوروبية اليوم من الهجرات البشرية من أوروبا الشرقية بعد انهيار المعسكر الاشتراكي وهذا سوف يجعل أوروبا تشدد في قضية الهجرة من دول العالم الثالث فإن القاعدة البشرية العربية والإسلامية أصبحت اليوم هي واقع حقيقي داخل الدول الأوروبية وأن هذه القاعدة الثقافية والاجتماعية والدينية مرشحة للزيادة والانتشار وان الدين الإسلامي اليوم هو الدين الثاني على امتداد القارة الأوروبية وهذا يعني أن قواعد التغيير في قواعد اللعبة السياسية يمكن أن تشهد بعض التحول في أوروبا سواء بالجانب التشددي أو الجانب التغيير البطيء وعلى مدى المرحلة القادمة تجاه الاعتدال والتسامح وقبول الأخر والثقافة الأخرى .

ويبقى ماذا يمكن للدول العربية والإسلامية فعلة لهؤلاء المهاجرين هو محاولة إعطاء هؤلاء الفرصة للاندماج في المجتمعات التي هاجروا إليها مع احتفاظهم بالقيم الروحية والبعد الاجتماعي والثقافي مع ثقافتهم الأصلية حيث يستطيع التفاعل مع مجتمع المهجر ونقل ثقافته الأصلية الى هذا المجتمع الجديد ويكون ذلك عن طريق تزويد هؤلاء بأدوات البقاء الثقافي والروحي دون التدخل المباشر بسير الحياة اليومية ويكون بدعم أعلامي قادر على ربط هذه

القوى بثقافتها العربية والإسلامية دون ربطها بمنطقة جغرافية معينة أو دولة معينة وبالتالي فإن الهجرة الإسلامية والعربية هي في مجملها جيدة للعالم العربي شريطة أن يتم ربط هذه التجمعات البشرية في أصولها الدينية والثقافية دون الربط الجغرافي أو الخصوصية الإقليمية أي محاولة طرح عالمية الثقافة والحضارة الإسلامية عبر مجموعات بشرية تحمل هذه العالمية دون ربطها جغرافياً وإقليميا في مكان محدد .

وعلى المراقبين السياسيين والاجتماعيين أن يرصدوا هذه التيارات والتحولات البشرية في أوروبا وأثرها المحتمل على التفكير السياسي والاجتماعي على العالم الأوروبي وبالتالي العالم بأجمعه مع طرح أثر الهجرات من جنوب آسيا أو شبة القارة الهندية وإدخالها في معادلة التغيرات الاجتماعية والسياسية المحتملة على العالم .

وهذه المراقبة لهذه التجمعات والتحولات البشرية يمكن وهي بالفعل أخذت حيز التفكير أن تجعل موضوع الهجرة البشرية واحد من العوامل الهامة الحاسمة في التغيرات السياسية والأيدلوجية التي يمكن أن تغير وجه وشكل التوازنات السياسية الدولية في المستقبل .

حرب البلقان والتحول في العقيدة العسكرية

عندما فتحت الترسانة الأمريكية الباب على مصرعيه بعد أن طوت الحرب العالمية الثانية آخر فلولها العسكرية لم تكن هذه الخاتمة وهذه النهاية للمجد العسكري الياباني والألماني الذي سيطر على القارة الأسيوية في الحالة اليابانية وعلى أوربا في الجانب الألماني بل إن الترسانة النووية التي كانت تحت شعار (مشروع منها تن) الاسم السري لمشروع القنبلة النووية التي كانت تحت التطوير في الترسانة العسكرية الأمريكية ، أقول أن الترسانة النووية هذه لم تكن فقط أحد عوامل أقفال الحرب العالمية الثانية بالشكل السريع والدرامي ولم تكن فقط سبب إعادة ترتيب أولويات القوي الدولية ولم تكن فقط أيذاناً بدخول العالم الجديد حيز النظام الدولي بل وقيادته ولم تكن فقط بوابة للحرب الباردة التي قدر لها أن تستمر أكثر من ستون سنة بين القوي الماركسية اليسارية بقيادة الاتحاد السوفيتي وقوى اليمين الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، أقول لم تكن القنبلة النووية كل ما تقدم فقط بل كانت أحد أهم الفتوحات في العقيدة العسكرية التي غيرت مجرى تاريخ الصراع العسكري بشكل جذري وقوي وكذلك أنها أللهبت الخيال العسكري والاستراتيجي لمزيد من التفكير والبحث والتجديد في عملية الصناعة العسكرية والعقائد العسكرية والخطط العسكرية برمتها .

وكان واحد من أهم الدروس في العقائد العسكرية التي خرجت بها المخترعات الجديدة في مستوي القوة النووية هو التحول والانتقال القوي من مفهوم الدفاع والتحصينات الدفاعية إلى مفهوم الهجوم والضربة القوية والخاطفة هذا التحول كان يقضي بالانتقال من مرحلة مفهوم التحصينات الدفاعية القاضية في إعطاء البعد الدفاعي أهم العوامل وأهم الركائز وبالتالي عليك انتظار الخصم حتى يهجم عليك وبالتالي يتم أنهاك المهاجم حتى يتم الانتصار علية .

وكانت مثل هذه العقائد العسكرية هي التي تعتبر أهم الخطط والعقائد العسكرية عكسها نوع الأسلحة المستخدمة والمهام المناط بهذه الأنواع من الأسلحة وما هي الأهداف التي يراد تحقيقها من هذا النوع من السلاح أو ذاك .

وبالفعل كان المفهوم التكنولوجي البسيط للأسلحة واحد من أهم العوامل التي لعبت دوراً مهماً في اختيار وتطبيق العقائد العسكرية عبر مراحل الصراع المختلفة وبعد اختراع الإمكانيات النووية بحد ذاتها ثم القدرة الجوية وخصوصاً الطائرات التي كانت الوسيلة القادرة والوحيدة لإيصال القنابل النووية إلى أهدافها حتى تم اختراع الصواريخ القادرة على حمل الرؤس النووية إلى أهدافها عابرة جميع المناطق الجغرافية الشاسعة وكذلك الظروف الجوية المختلفة من

أجل ضرب الهدف .

كل هذه العوامل اللهبت خيال الباحثين في الشؤون العسكرية والعقائد القتالية كما الهبت خيال الصناعة العسكرية ومن هنا أصبح الخيال العسكري يرزح بين مفهومين متكاملين متناقضين في ذات الوقت .

أولاً : أن مفهوم الدفاع في العقيدة العسكرية أخذ بفقد معناه الحقيقي وأهميته الحقيقية ليس فقط أنه مكلف على المستوى العسكري والمالي بل أن تكاليفه السياسية غالية وباهضة الثمن حيث لم يعد الدفاع دليل القوة بل أصبح دليل الضعف وأصبح الهجوم هو دليل القوة والنفوذ على المستوى السياسي بمعنى أن الدولة التي تقوم بالهجوم تكسب المكانة السياسية العالية وأفضل النتائج العسكرية والسياسية بينما الدول المرتكزة على البعد الدفاعي فإنها تفقد الكثير على المستوى السياسي والعسكري سوء على المستوى المحلي والدولي .

وبالتالي فإن التحول هذا كان ذو ضرورة سياسية وعسكرية في ذات الوقت واصبح التحول إلى المفهوم الهجومي بدل من الدفاعي أو استخدام الهجوم كوسيلة للردع ووسيلة للدفاع هي العقيدة العسكرية الجديدة وأصبح مفهوم الدفاع من مخلفات الماضي ومن نصيب الدول الراكدة فكرياً على مستوى تطوير العقائد العسكرية وخصوصاً دول العالم الثالث حيث أن اغلب الدول في العالم الثالث مازلت تأخذ بالعقائد الدفاعية كمعنى للقوة العسكرية مع أن هذه العقائد أصبحت من مخلفات ما قبل القوة النووية .

ثانياً : المفهوم الآخر المناقض للمفهوم الأول وهو من العوامل التي أشعلت لهيب الخيال العسكري لتغيير العقيدة العسكرية في العصر الحديث هو أن استخدام القوة النووية كوسيلة للهجوم أي الدفاع والردع أي ردع الخصم يحمل بذاته تكاليف سياسية وبشرية عالية حيث أثبت السلاح النووي قدرته على الردع بشكل قوي إلا أنه رادع خطر ومكلف على المستوى السياسي والبشري .

وبالتالي أصبحت المشكلة هي آلاتي :- مفهوم العقدة العسكرية القائمة على الدفاع لم تعد فعالة بعد الحرب العالمية الثانية وحسم القوة الهجومية للحرب بشكل سريع وقوي وفي نفس الوقت هذه القوة الهجومية أصبحت ذات ثمن سياسي وبشري كبير يجعل استخدامها بالفعل عملية خطرة وغير مضمون النتائج وبالتالي فإن استخدام القوة النووية كعامل رادع وكسلاح آخر الحلول هو ذو فائدة كبيرة وفعال إلى حد كبير بل واستخدام الرادع النووي من أجل استخدامه من أجل عدم الدخول في حروب منذ البداية أثبت فاعلية خصوصاً بين الدول المتطورة وجزء كبير من الدول الأقل تطور وبالتالي أصبح هناك مأزق حقيقي يعانيه العقل الفلسفي العسكري ومأزق حقيقي تعانيه العقائد العسكرية المعمول بها بعد الحرب العالمية الثانية وهي أنه لا يوجد نص أو ربع نصر بل أما النصر كاملاً وساحقاً او الهزيمة كاملة وساحقة وإن كان

هذا جيد لرجل الجيش فقط فإنه غير منطقي وغير عقلاني للسياسي العسكري أي السياسي الذي ينظر للقوة العسكرية على أنها وسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية و ليست القوة العسكرية نهاية بذاتها ومن هنا كان لا بد من تطوير عقائد عسكرية جديدة عمل عليها المتخصصون في شؤون الاستراتيجيات العسكرية والاستراتيجية السياسية من أجل تحقيق الهدف الأول أي صنع قوة هجومية وفي ذات الوقت يمكن التحكم بكمية الهجوم ومكانه وزمانه بشكل قوي ومؤكد بل والتحكم بنسبة الهزيمة والنصر بل ومحاولة تطوير عقائد عسكرية جديدة قابلة أن يكون مفهوم الهجوم مفهوم مقبول لدي الرأي العام الدولي وكذلك لدي الرأي العام داخل الدولة المهاجمة والدول التي وقع الهجوم عليها

ان التغيير في العقيدة العسكرية خلال هذا القرن والذي تمثل في الحرب العالمية الثانية والتي ودعت بها القوى الرئيسية في لعالم مفهوم الدفاع الى مفهوم الهجوم ووصل ثمالتة وأوجه في القوة النووية في مفهوم استخدام الهجوم كأفضل طريقة للدفاع وفضل طريقة للنصر وترك مفهوم الدفاع للدول الأكثر ضعفاً وخصوصاً دول العالم الثالث . وكان من منطق المنطق أن يكون هذا التغير في العقيدة العسكرية له أخطائه ومنها أنه حاسم وقوي ولكنه مدمر لدرجة لا يمكن التحكم به على الرغم من اختراع الأسلحة النووية التكتيكية التي يمكن ان تضرب أهداف محدودة مثل المدن والتجمعات البشرية ولكن رغم ذلك فإن الثقافة السياسية الحالية لا يمكن أن تقبل او تسمح بمثل هذا الهجوم ناهيك أنه مستفز للطرف الأضعف للعمل على امتلاك القوة النووية وهو الأمر الغير صعب أو عمل يمكن القيام به والحصول علية إذا توفرت الإرادة السياسية .

ولكل هذه المشاكل كانت نهاية النصف الثاني من هذا القرن بداية لمعرفة وفلسفة جديدة للعقيدة العسكرية والتكتيكات العسكرية وكان من أبرزها :-

أولاً : أن تكون ذات طبيعة هجومية بحتة وتكون بحيث أن مفهوم العقيدة العسكرية القائمة على الدفاع قد ذهب بدون رجعة خصوصاً للدول الكبيرة والمتطورة . بل وترك مفهوم الدفاع في المسائل العسكرية للدول الأكثر تخلف في وسائل الحرب والعقائد القتالية .

ثانياً : أن تكون العقيدة العسكرية الهجومية من التعقيد والتكلوجيا المتطورة الى حد كبير بحيث تصاب الدول التي ترمى الى حذو الولايات المتحدة الأمريكية بنوع من الإحباط جراء القدرة التكنلوجية العالية المستخدمة في عملية الهجوم وأن هذه الإمكانيات المتطورة من التعقيد لدرجة أنة لا يمكن لدولة محدودة الموارد مجارتها . فعلى سبيل المثال أن الهجوم على يوغسلافيا يتطلب قراءة دقيقة للأهداف عن طريق الأقمار الصناعية بشكل متطور وإن كانت هذه الوسيلة مازالت بحاجة لمزيد من التطوير بحيث أنه لم يستغنى بعد عن المراقبة على الأرض لتحديد الأهداف ومع ذلك فإن مسألة الحركة والتحركات العسكرية كانت مزمنة بشكل قوى من

الأقمار الصناعية في تحديد موقع الهدف ثم تقوم بتوجيه طائراتها وصواريخها لضرب مثل هذه الأهداف بشكل دقيق ومنسق لم يسبق في التاريخ العسكري أن مثل هذا التعقيد في مسألة اختيار الهدف وتدميره .

كل هذه القدرة تجعل الكثير من الدول تشعر بنوع من الإحباط للوصول لمثل هذه القدرة الهائلة من الإمكانيات وإن مسألة الإحباط هذه لم تشعر بها دول العالم الثالث بل إن حرب البلقان أشعرت الأوربيين (الألمان والفرنسيين) بالإحباط نتيجة للتفوق الأمريكي الهائل في مسائل التحديد وضرب الأهداف وظهرت القوة الأوربية وكأنها من بقايا العصور الماضية .

ثالثاً : أنها عقيدة عسكرية هجومية ذكية إن صح هذا التعبير وذكيه هنا تعني أنها تنتقي الأهداف بعناية أي لديها القدرة على أضعاف جانب دون أخر لذلك يمكن أضعاف البعد العسكري بضرب مؤسسات واجنحة القوة العسكرية أو أضعاف النظام الأمني للنظام السياسي عن طريق ضرب مؤسساته الأمنية أو حتى صوت النظام السياسي عن طريق ضرب مؤسساته الإعلامية أو حتى أحداث ارتباك اجتماعي عن طريق ضرب المؤسسات الحيوية التي تربك الحياة اليومية وبالتالي أن هذه العقيدة تلافت وتخطت الشمولية الدميرة للنووية .

رابعاً : أنها عقيدة عسكرية أكثر ذكاء من الناحية السياسية بحيث أنها تدمر عسكرياً وتكسب من الناحية السياسية أي أن هذه العقيدة تدمر الهدف سواء عسكري أو مدني تحت مبرر سياسي بأهمية ضرب مثل هذا الهدف أو تلك بل وتحصل على دعم عالمي بل ومحلي من الدولة المضروبة خصوصاً إذا كان النظام السياسي المضروب لا يتمتع بشعبية واسعة في الداخل لذلك تعتبر هذه العقيدة العسكرية واحدة من أكثر العقائد العسكرية ذكاء سياسي حتى اليوم .

خامساً : أنها عقيدة ذات ميزه تدريجية بمعني آخر أنها ذات انتقال مرحلي من ضرب أهداف تحذيرية ثم ضرب أهداف بهدف إيصال رسائلها السياسية وحتى تصل أهداف يمكن أعلان الاستسلام بعدها أي أنها عقيدة متدرجة وفعالة الى حد كبير في هذا التدرج ولذلك كانت تأخذ البعد الزمني في الحسبان من أجل أن تصل الى نتائجها المرجوة .

سادساً : أنها عقيدة عسكرية تستثمر البعد النفسي والحرب النفسية الى أبعد مداه بل وتشكل ضغط نفسي هائل على متخذ القرار من أجل تقديم تنازلات واحد بعد الآخر بشكل لم يسبق له مثيل من قبل وتستطيع تؤثر من الناحية النفسية على أكثر الزعماء صلابة وقوة وصبر وتحمل وتحمله من الضغوط النفسية لدرجة أنه لا يستطيع مقاومتها لفترة زمنية طويلة مما يدفعه للتسليم بشرط الدول المهاجمة .

سابعاً : أنها عقيدة عسكرية لا ترتبط بالقيادة وهذا أكثرها أهمية وذكاء وأنها لا ترتبط بالقيادة يعني أنها عقيدة عسكرية هجومية تضرب دولة مثل يوغسلافية على سبيل المثال بغض

النظر من يقود يوغسلافيا وأنما هذه الضربات تستطيع أن تقيس وتحدد قوة يوغسلافيا في المستقبل من خلال تحديد الأهداف المراد ضربها .

على سبيل المثال فأنة كان من أهداف ضرب يوغسلافيا واستخدام القوة الجوية هو أضعاف قدرة يوغسلافيا على القتال وقواتها العسكرية لدرجة أنها تستطيع الدفاع عن نفسها ولكن لا تستطيع الهجوم على جيرانها أو تهديدهم وكان هذا الهدف واحد من أهم الأهداف التي سعت الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيقه خلال العقدين الماضيين في أماكن كثيرة من العالم .

ثامناً : أنها عقيدة عسكرية أثبت نجاحاً منقطع النضير حيث كان الهجوم مرتبط بعدد كبير من الضحايا في الحرب سواء الجرحى أو القتلى حتى حرب فيتنام إلا أن الحرب الحديثة وهذه العقيدة العسكرية الهجومية أعطت ميزت الهجوم وتلاشت مشكلة عدد الضحايا لدرجة أن حرب تخوضها أكثر من نصف مليون جندي يكون عدد الضحايا أكثر من مائة جندي فقط وحرب البلقان التي لم تسجل حالة وفات واحدة وهذه واحده من أكثر نجاحات هذه العقيدة القتالية التي أصبحت من أكثر الخطط العسكرية نجاحاً على المستوى العسكري وأكثرها نجاحاً على المستوى السياسي .

إن هذا التغير في العقيدة العسكرية وهذا النجاح الباهر يدفع للتفكير ماذا يمكن لدول العالم الثالث فعله وخصوصاً دول العالم العربي خصوصاً أن الدول العربية مازلت تفكر بطريقة تقليدية تعدها الزمن في مجال التسلح والعقائد العسكرية .

سيناريو الانتصار المخيف

تضع الولايات المتحدة الأمريكية كل ثقلها السياسي والعسكري على حربها في أفغانستان حيث يرى الساسة الأمريكيون أن الوضع الأفغاني هو اقصر الطرق واسهل الحلقات من أجل إعادة الهيبة السياسية لها بعد أن انكشفت أمام العالم اجمع بعد أحداث نيويورك وواشنطن وكيف أن أهم رموز قوتها الاقتصادية والعسكرية والأمنية تعرضت للضرب بكل قوة وبشكل ملفت للنظر من حيث الدقة والإنجاز لم تستطع أن ترى الإدارة الأمريكية التي صدمت بالحدث من التفكير المتوازن سوى إخراج ملفات قديمة ضد أفغانستان وقوى سياسية داخل أفغانستان ولكن لماذا أفغانستان ؟ ببساطة شديدة لان الأهداف الأخرى اكثر تعقيد وتحتاج الى وقت و أعداد وهذا الوقت والأعداد غير متوفر للإدارة الأمريكية و للرئيس بوش الذي وصل الى البيت الأبيض تحت مضلة من الشك حول النظام الانتخابي وليس فقط ذلك فان عدم عمل شيء ماء أي شيء من قبل الإدارة الأمريكية هو الانتحار السياسي ونهاية الإدارة الحالية. إذاً العمل العسكري السريع هو من الضرورات السياسية للإدارة ذاتها و للمكانة السياسية والدولية للولايات المتحدة الأمريكية وكان لابد من البحث عن هدف وكان الهدف الأفغاني هو اسهل الأهداف في هذه المرحلة وبالتالي كان لابد من القيام به و إنجازه .

إن الإدارة الأمريكية اليوم لا يمكن لها أن لا تكسب الحرب إن عدم كسب الحرب هو الهزيمة بعينها ولذلك فإن الانتصار بالحرب هو وحدة الخيار الوحيد أمام الإدارة الأمريكية وليس هناك من خيار آخر ولكن المأزق الأمريكي اليوم هو أن الإدارة الأمريكية لا تعرف على وجه الدقة ما هو الانتصار وما هي حدوده ناهيك عن أن حلفائها لا يعرفون ما يدور في ذهن الأمريكيين ولذلك فإن التكهنات بدأت في أروقة الإدارة الأمريكية وتوزعت على أطرف المعمورة حيث تراوح مفهوم الانتصار الى تحقيق الأهداف الأمريكية والتي أخذة تتطور وتتوسع حسب تطور الأهداف والخيال السياسي لدى الساسة الأمريكيين ويمكن أجمال هذه الأهداف بالتالي :

أولاً : هو القبض على زعيم تنظيم القاعدة وتفكيك هذه المنظمة ثم توسع الى

ثانياً : حرب حركة طالبان وإسقاطها بصفتها تحمي منظمة القاعدة ثم تطور الى

ثالثاً : أيجاد نظام بديل لنظام طالبان يكون قريب من النظام السياسي الباكستاني ثم تطور آلي .

رابعاً : نظام سياسي أفغاني يمثل جميع شرائح المجتمع الأفغاني ثم تطور آلي .

خامساً : أيجاد نظام سياسي موالي للولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة التي تعد

بمثابة فراغ استراتيجي في الاستراتيجية الأمريكية وهذا يعني دخول أمريكا الى منطقة آسيا الوسطى والقرب من مناطق غنية بالموارد النفطية والغاز مما يعني مزيد من الضغط على روسيا والصين ومنتجي النفط في منطقة الخليج على ضفتيه العربية والفارسية .

أن المراقب السياسي المحايد لا يستطيع أن يسلّم بشكل مبسط أن كل هذه الحملة الأمريكية هي مجهزة من أجل القبض على رجل واحد وحتى أن كان الهدف وهو ذلك فإن آلية تحقيق الهدف غير فعالة بل غير ذكية

وإذا كان الهدف هو الإطاحة بحركة طالبان في أفغانستان فإن الآلية كذلك غير فعالة وكان بالإمكان توظيف ودعم الجيران الذين يكنون العداء للحركة الأفغانية دون الدخول بشكل مباشر في الضرب العسكري الجوي العشوائي وجر الجيوش الهائلة الى هذه المنطقة . ولذلك فإنه لا بد من البحث عن هدف معقول وفيه معقولية من اجل تبرير السلوك السياسي الأمريكي والذي يمكن تلخيصه بالنقاط التالية :

أولاً : الوصول الى المناطق النفطية والغاز في آسيا الوسطى وهذا الوصول سوف يترتب علية انعكاسات هائلة على دول النفط في منطقة الشرق الأوسط وخصوصاً ضفتي الخليج وهذا ما يجعل دول النفط مطالبه بالتيقظ والحذر من انعكاسات الأحداث عليها على المستوى المتوسط والبعيد .

ثانياً : حرمان روسيا من مناطق نفوذها القديمة وإنهاء أحلام روسيا من نفوذها الآسيوي التاريخي بل ووضع منطقة عازلة بين الصين والهند وروسيا .

ثالثاً : ضرب البعد الاستراتيجي للصين والهند من اجل الاستفادة من المناطق النفطية الآسيوية التي شكلت التحرك الصيني والهندي والباكستاني خلال العشر سنوات الماضية وأجهاض مثل هذه المحاولات وهذا ما يفسر قفز المشاغب البريطاني من اجل ركوب الخيل الأمريكي الجامح من اجل الاستفادة من المغامرات الأمريكية الاستراتيجية كما فعلت بريطانيا في حروب الخليج الأولى والثانية وذلك بتوظيف القوة الأمريكية لصالحها ولمصالحها .

رابعاً : أن نجاح السيناريو الأمريكي في منطقة آسيا الوسطى والذي بداء في أفغانستان هو إعطاء مزيد من التحكم للإدارة الأمريكية ليس فقط بأسواق النفط بل والتأثير على منتجيه ومستهلكيه أي أن تأثير الولايات المتحدة الأمريكية سوف يتعاظم على منتجي النفط ومستهلكيه بشكل اكبر بكثير عما كان في السابق أن سيناريو انتصار أمريكا الساحق في أفغانستان يعد اكثر السيناريوهات كآبة على السياسة الدوليه وسوف تكتشف العديد من الدول منها القريبة من أفغانستان والبعيدة في المحيط الآسيوي سواء منها الدول المهمة وغير المهمة الدول المنتجة أو المستهلكة للطاقة أقول أن هذه الدول سوف تكتشف أن عدم انتصار الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الحرب سوف يكون أفضل الخيارات السياسية والإستراتيجية المطروحة أمامها لان عدم

انتصـــار الولايات المتحدة الأمريـكية سوف يبقي على أهمـية هذه الدول وان لها دور تلعـبه وأن الانتصار الـساحق للولايات المتحدة الأمـريكية يعني إضعاف العـديد من الدول من دول المنطقة الآسيوية و إضعاف تأثيرها وأن انتصار الولايات المتـحدة الأمريكية سوف يسمح لها بنقل هذه التجربة الى مناطق عديدة من العالم من الجل خدمة ذاتها وخدمة إسرائيل وهذا ما يمكن أن يطلق عليه سيناريو الانتصار المخيف .

قراءة أولية للانتخابات الأمريكية (الحزب الديمقراطي)

كان موضوع المقال السابق هو تسليط الضوء على حضوض الحزب الجمهوري في الانتخابات الأمريكية القادمة وخلص المقال إلى أن الحزب الجمهوري يعاني وبشكل حقيقي من انقسامات داخلية حقيقة سواء على مستوى الفلسفة أو المواقف حيث وصلت الخلافات بين المرشحين لهذا الحزب الى المسلمات وعلى غير العادة لم تكن هذه المسلمات تمس عملية تشدد وليبرالية أو عمليه تشدد واكثر تشدد بل إن هذه الخلافات مست جوهر فلسفه الحزب الجمهوري بشكل لم يسبق له مثيل سواء في الخلاف حول قضية الإجهاض أو عملية السيطرة على اقتناء السلاح أو حتى على مستوى رفع وخفض الضرائب أو على مستوى معاشات التقاعد وخصوصًا وأن المجتمع الأمريكي يزداد فيه عدد كبار السن بشكل كبير ومتسارع .

واخيراً وليس آخراً يفتقد الحزب الجمهوري أهم مقوماته وهو وجود شخصية قيادة قادرة على جذب الجماهير بل إن اكثر الشخصيات بروز هي السيدة اللزبيث دول وهي اكثر المرشحين معرفة بخبايا الحكومة الأمريكية وأكثرهم دراية بشؤون القضايا الخارجية إلا أن المجتمع الأمريكي حسب ما يراة الكثير من المراقبين غير مستعد في هذا الوقت لوجود زعيمة نسائية على قمة الهرم في البيت الابيض .

كما أن السيد بوش الابن والحاكم لولاية تكساس هو الأكثر حضاً في الرآسة على المستوى الجمهوري حتى هذه الساعة إلا أنة يفتقد الخبرة الخارجية بشكل قوي ولذلك لن يكون مفاجئه أن يذهب السيد بوش الابن للانتخابات الرئاسية ومعه السيدة دول كنائب للرئيس لدخول الانتخابات الأمريكية في المستقبل من أجل أن يجمع بين الخبرة المحلية بشخصه والدولية بشخصية نائب الرئيس وكذلك يجمع بعض الولايات المهمة في الوسط والوسط الجنوبي .

إذا كانت هذه هي حالة الحزب الجمهوري فكيف هي حالة الحزب الديمقراطي في المستقبل ، إن المراقب للخريطة السياسية الأمريكية وعلى مستوى الانتخابات سوف يجد بدون عناء أن الحزب الديمقراطي اليوم هو أكثر حضوراً وحضاً من الحزب الجمهوري وذلك لكونه جمع بين النجاح الاقتصادي الكبير الذي حققه الحزب تحت زعامة السيد كلينتون وكذلك أنه جمع في قوسه السياسي تحالفات وتجمعات لم يكن ممكن الجمع بينها من السود إلى الاقليات الأخرى حتى الشاذين من الجنسين إلى موضوع المرأة ولذلك لم يكن مفاجئة أن يحدث صدمة قوية للحزب الجمهوري من جراء النجاحات المتوالية والقوية التي حققها الحزب الديمقراطي خلال

الثمان سنوات الماضية والحزب يطمح أن يستمر هذا الطموح في الاستمرار ولكن يجب أن تكون هناك بعض الشخصيات القادرة على الاحتفاظ بمثل هذه النجاحات . وعند النظر إلى الشخصيات التي سوف يكون لها القدرة على خوض الانتخابات فإن هناك العديد من الشخصيات في الحزب الديمقراطي التي تتمتع بعقل منفتح وخبرة اكتسبتها من العمل في لجان الكونغرس سواء في لجنة الشؤون الخارجية والجان المراقبة العسكرية إلا أن الحزب الديمقراطي لن يبحث بين هذه الشخصيات للحصول على مرشحه للرئاسة في الانتخابات القادمة ولذلك فإن الشخصية الاكثر حضاً من الناحية المنطقية هو نائب الرئيس الحالي هو السيد آل غور وهو الذي حاول العمل على الحصول على الرئاسة سابقاً ولم يفلح وهو من الشخصيات المولية للوبي الصهيوني ولديه خبرة جيدة وقوية في الشؤون الخارجية وهو صاحب اهتمام خاص في قضايا البيئة وقوى الضغط المتخصصة ولذلك يبدو أنه أكثر المرشحين حضوض على المستوى الديمقراطي حتى هذا اليوم .

ومع أن السيد آل غور يعاني من بعض الفضائح المالية تخص جمع تبرعات للحزب الديمقراطي من مصادر غير مشروعة وعلى الرغم أن مثل هذه الفضائح سوف يتم استغلالها من قبل وسائل الأعلام والحزب الجمهوري إلا أنه سوف يستطيع تجاوزها بشيء من الصبر والتركيز على الجوانب الإيجابية ومحاولة تجاهلها .

إن ما ينقص الحزب الديمقراطي اليوم هو تمثيل الاقليات وخصوصاً المرأة ولكي يستطيع الحزب أن يقابل هجوم الحزب الجمهوري الذي يمكن أن يرشح السيدة دول كنائب الرئيس في الانتخابات القادمة فإن الحزب الديمقراطي يمكن أن يطرح السيدة هلري كلينتون كمرشحة لنائب الرئيس وتدخل الانتخابات كنائبة للرئيس مع السيد آل غور خصوصاً وأن السيدة هلري كلينتون تتمتع باحترام كبير على المستوى الشعبي والرسمي خصوصاً بعد مواقفها القوية والذي كسب تعاطف واحترام الجميع خلال مرحلة الفضائح التي عصفت بالرئيس كلينتون .

والسيدة هلري كلينتون تتمتع بشخصية سياسية قوية ورؤية قانونية وسياسية جيدة استطاعت إبرازها وأثباتها خلال الزيارات العديدة التي قامت بها للعديد من دول العالم في السنوات الثمان الماضية وبالفعل كانت أكثر حصانة سياسية وأكثر حضور ذهني ومعنوي وكانت تتمتع بوعي سياسي جيد خلال المقابلات والرحلات المتعددة التي قامت بها.

والسيدة هلري كلينتون تصبح هنا خياراً منطقي للعمل مع السيد آل غور في المستقبل وخوض الانتخابات القادمة كونها قادمة من ولاية أركنساس القابعة في وسط الولايات المتحدة الأمريكية ولكنها تطرح نفسها على أنها قادمة من ولآيه نيويورك الولاية القوية والهائلة وبالتالي فإن الحزب الديمقراطي في هذه الحالة سوف يجمع بين آل غور من ميزوري وسط الولايات المتحدة وجنوبها وكذلك هلري كلينتون تجمع بين القوة النسائية والاقليات العرقية

وولايات الوسط والوسط الغربي وولية الشمال الشرقي .

ومن هذه المنطلقات فإن حضوض الحزب الديمقراطي اليوم تبدو أكثر وضوحاً إذا ما استمرت علية الحال اليوم وإذا لم يحدث مفاجاءات سياسية قد تقلب المعادلة رأس على عقب وعملية التغير والمفاجاءات وهي ديدن السياسية والممارسة السياسية ولكن يجب القول إن حضوض الحزب الجمهوري اليوم غير واضحة حتى تحدث المعجزة التي يمكن أن تخدم الحرب الجمهوري وكثيراً ما تحدث بالسياسة اللا توقع والمفاجاءات .

قراءة في الانتخابات الأمريكية

بعد أن هدأت الجولات الأولى من حمى الانتخابات الأمريكية والتي فيها تحدد المرشحين الرئيسيين من الحزبين الوحيدين في الولايات المتحدة الأمريكية وهما الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي لم تكن إلا استراحة فقط قبل أن تشتعل من جديد بعد أن أفرزت هذه الجولة الأولى عن سقوط العديد من الشخصيات من كلا الطرفين من أجل خوض الانتخابات الأولية إلا أن ما يميز هذه الانتخابات للقرن الجديد هو خلو الساحة السياسية من المشاكل الاستراتيجية التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية بل أن التحديات الخارجية التي تعاني منها الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد ذات بعد قصير المدى بل تتطلب خطة بعيدة المدى تمتد لفترة زمنية تتعدى الرئيس الواحد أو الاثنين على الأغلب ولكون الانتخابات ذات طبيعة تصويتية جماهيرية آنية فلن تكون الخطط المستقبلية هي الحافز للجماهير للتصويت لصالح هذا المرشح أو ذاك بل أن العوامل الداخلية وهي غير ذات أهمية قصوى كذلك لم تعد ذات حساسية هائلة بالنسبة للناخب الأمريكي .

أن معدلات النمو الاقتصادي لم تكن أبداً بهذا المستوى العالي وان معدل البطالة لم تعد بهذه المعدلات المنخفضة بل ولم يحدث أن تحققت معالم الحلم الأمريكي بهذه الواقعية بالنسبة للفرد الأمريكي على ما هي عليه اليوم ولذلك فان القضايا التي تشغل الناخب الأمريكي إلى حد اليوم هي قضايا غير جوهرية على الإطلاق باستثناء بعض القضايا التي يمكن أن تعد مهمة لبعض الناخبين مثل مسألة التأمين الطبي ومسألة العنف وتعاطي المخدرات التي يعاني منها المجتمع الأمريكي .

أن من أسباب جنوح بعض المرشحين القدامى لمنصب الرآسة مثل السيد مكين من ولاية أرزونا والسيد آل غور المرشح الديمقراطي بإطلاق الدعوة إلي مفهوم الشفافية المالية للأحزاب السياسية والتي بها يمكن طرح كيفية ومصدر الدعم الذي يحصل علية المرشح من قبل الداعمين له سواء من داخل أو خارج البلاد ويهدف مثل هذا الإجراء قطع الطريق أمام المرشحين التي تستطيع جمع الثروات بدون أن تكون من القدرة والإمكانية السياسية الحقيقية وإنما الاعتماد على قوى اقتصادية وصناعية من أجل الوصول إلى منصب رئيس الجمهورية .

وإذا كان السيد مكين قاده الحماس والإخلاص لبلاده فان هدفه في البداية سحب البساط من تحت الأموال الهائلة التي استطاع المرشح السيد بوش الابن من جمع الأموال الطائله والهائلة دون الكشف بدقة عن مصدر هذه الأموال . أما السيد آل غور فانه تحمس لمثل هذه الفكرة حتى يستطيع أن يبعد نفسه عن الشائعات التي تلاحقه حول جمعه أموال من مصادر خارجية لدعم

الحملة الانتخابية التي قادها السيد كلنتون للفترة الثانية وبهذا التوجه يريد السيد آل غور إثبات مدى نزاهته بدعم وطرح مثل هذه الأفكار وهذه الأفكار اليوم تأخذ طريقها اليوم للنفاذ والتطبيق . وان دل ذلك فإنما يدل عن أن بعض القضايا الإدارية والقانونية التي كانت تشكل خلل حقيقي في مفهوم العمل الحزبي والتصويتي في السابق هذا الصمت السابق عن هذه الممارسات يرجع من أسبابه العديدة هو دخول الولايات المتحدة الأمريكية في قضايا شائكة في مرحلة الحرب الباردة جعلت طرح مثل هذه القضايا من العمل الهامشي .

بل أن اكثر ما يثير الانتباه في هذه الانتخابات هو توقف الجدل الذي يمكن أن يكون مؤقت على الأقل أقول توقف الجدل عن حجم الحكومة ومدى تدخلها في القضايا المختلفة هذا الجدل حول حجم الحكومة تدخلها في القضايا الاقتصادية والنشاطات المختلفة يعد بحق واحد من اكثر عوامل الاختلاف بين الحزبين الرئيسيين في السابق حيث كان الخلاف بين نكسون وكارتر وكارتر وريغان وريغان وكلنتون هو الجدل بلا منتهى في مسألة حجم الحكومة ومدى تدخلها في القضايا الاقتصادية حيث كان يذهب الجمهوريون إلى الميل إلى تحجيم دور الحكومة بشكل يسمح للقطاع الخاص والمستفيد منه من فرض شروطه الاقتصادية باسم الحرية الاقتصادية وحرية العمل الاقتصادي ويسري ذلك على النشاط الاقتصادي الخارجي . وعلى الجانب الآخر نجد الديمقراطيين يجنحون إلى زيادة دور الحكومة في عملية النشاط الاقتصادي ومسألة العدالة الاجتماعية والاقتصادية بل والدفع بالتزاوج بين النشاط الحكومي الخارجي وزيادة التجارة الخارجية حيث اصبح وزير الخارجية ووزير التجارة عبارة عن مسوقين على المستوى السياسي والاقتصادي .

هذا الجدل لم تعد تشهد حيويته وفاعليته بين المرشحين كما كان يحدث في الماضي وذلك راجع أن الوضع الاقتصادي الهائل والجيد الذي تعيشه الولايات المتحدة الأمريكية والذي يجعل طرح المرشح لمفهوم تغيير نمط النشاط الاقتصادي وسلوك القطاع العام أمر فيه شيء من المجازفة السياسية أن لم يكن انتحار سياسي وذلك فان المرشحين اليوم يطرحون قضايا هي في الغالب تحتل مرحلة ثانوية في سلم الأولويات السياسية ولذلك سوف يكون مثير للانتباه مدى الحماس الذي سوف نشاهده من الناخبين سواء للمشاركة بالجدل أو حتى بالحماس للذهاب والتصويت في يوم الانتخابات ولذلك فإن الحماس للتصويت سوف ينصب على القضايا اجتماعية وأخلاقية أكثر من القوى السياسية والاقتصادية التقليدية ولذلك فإن القوى الاجتماعية المختلفة والمتعددة سوف تكون ذات حضور وأهمية في الانتخابات المقبلة .

كوريا التحول الصراعي

إن نموذج الصراع على شبة الجزيرة الكورية يعد واحد من معالم التغيير الجزئي في نمط العلاقات الدولية إلى حد ما بل وتغير في نمط السلوك بين القوى الدولية والإقليمية في ذات الوقت على الرغم من امتداد الصراع على المستوى الكوري المحلي بنفس الأبعاد التي كانت راسخة علية لاكثر من نصف قرن من الزمان .

كان الدفاع عن كوريا الجنوبية من الهجمة العسكرية والأيدلوجية الشمالية بمثابة خطوط الدفاع الأولى للولايات المتحدة الأمريكية ضد التوسع الشيوعي في منطقة جنوب شرق آسيا حيث خاضت القوات الأمريكية معارك شرسة بعد خمس سنوات فقط من انتهاء الحرب العالمية الثانية ولذلك فإنه رغم شراسة تلك الحرب إلا أنها تعتبر الحرب المنسية في الذاكرة العسكرية والشعبية الأمريكية . إلا ان الأهمية الاستراتيجية لتلك الحرب هي في غاية الأهمية حيث أصبحت أحد قواعد ضبط وردم التوسع الشيوعي والهيمنة السوفيتية وكذلك لجم الطموح الغير عقلاني للحكومة الصينية في ذلك الوقت والتي كانت تتسم باللاواقعية السياسية والخيال الأيدلوجي وذلك كانت الصين تزج بنفسها في المسألة الكورية ثم الفيتنامية والكمبودية من أجل متابعة النشاط السياسي الأمريكي ومحاولة أفشالة . إلا أن التحول الكبير في السياسة الصينية بعد الصراع السوفيتي الصيني ثم الانفتاح الأمريكي على العالم الصيني المغلق بعيداً عن الأحكام الأمريكية الأيدلوجية المنسقة كل تلك العوامل دفعت الصين إلى الخانة الغربية مما يعني أبعاد أحد القوى المهمة التي كانت داعمة لكوريا الشمالية وبالتالي كان الاتحاد السوفيتي هو القوة الوحيدة الداعمة لكوريا الشمالية حتى سقوطه في مطلع التسعينات الأمر الذي ترك كوريا الشمالية في العراء والضعف والعزلة عن الدعم الدولي جعلها تتخبط بين المزايدة الأيدلوجية ومحاولة تعزيز هذه المزايدة بالتسلح النووي معزز بقوة صاروخية يمكن ان تصل إلى مناطق ممتدة من المحيط الإقليمي .

إن العزلة التي كانت فيها كوريا الشمالية دفعتها إلى محاولة بيع منتجاتها من السلاح إلى السوق العالمية وهو الأمر الذي دق ناقوس الحذر من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وهو الأمر الذي يعني تحدي حقيقي للإستراتيجية الأمريكية الغاضبة والمؤمنة بأهمية حرمان الدول الغير نووية من الوصول إلى ان تكون قوة نووية سواء في آسيا أو الشرق الأوسط أو أمريكا اللاتينية وبالفعل فإن الدبلوماسية الأمريكية أخذة باستخدام أدواتها المتعددة

بالضغط السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والتفاوض من أجل حرمان كوريا الشمالية والدول المحتملة الأخرى من الحصول على قوة عسكرية غير تقليدية .

انتجهت الولايات المتحدة الأمريكية سياسة التجويع الاقتصادي والعزلة السياسية ضد كوريا الشمالية من أجل أضعافها وأضعاف مقاومتها لأغراءات كوريا الجنوبية للانظمام وأن سياسية التجويع والعزلة سوف تسقط الشروط المحتملة التي تريد أن تفوز بها كوريا الشمالية مقابل صفقة الوحدة مع كوريا الجنوبية ولكن النيه هي ذوبان كوريا الشمالية بكوريا الجنوبية مثلما ذابت المانيا الشرقية مع المانيا الغربية .

إلا أن سقوط الاتحاد السوفيتي وبروز الصين كخلية صراع اقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية وتطلعات الصين للعب دوراً بارزاً على الساحة الدولية وامتلاك الولايات المتحدة الأمريكية أدوات ضغط ضد الصين سواء عن طريق استخدام الورقة التايوانية أو الصراعات بين دول آسيا أو التكنلوجيا المتطورة أو حقوق الإنسان أو التحالف مع اليابان أو الهيمنة الأمريكية على مصادر الطاقة العالمية دفع الصين للبحث عن أوراق يمكن أن تستثمرها كأوراق ضغط ضد الولايات المتحدة الأمريكية لذلك سوف تكتشف قدراتها الاقتصادية وأسواقها المحلية وأهميتها الإقليمية وتنافس الدول الكبرى على الفوز بالصفقات والدخول إلى السوق الاقتصادي الصيني وسوف تصنف الصين اكتشاف أهمية كوريا الشمالية ولكن ليست على الطريقة السوفيتية أي على مستوى البعد الأيدلوجي والعسكري بل محاولة استثمار الحالة الكورية على المستوى السياسي والاقتصادي حيث تطمح الصين إلى توحد الكوريتين ولكن بشروط اقل إجحاف ضد الشمال أي وحدة ولكن لا تذيب التقارب الكوري الشمالي الصيني بمعنى آخر أن الصين تريد كوريا شبة جزيرة كوريا موحدة وقوية ومفيدة على المستوى الاقتصادي والتكنولوجي للصين ولكن كوريا موحدة تتمتع باستقلالية سياسية ولا تدخل داخل دائرة توازن القوى الآسيوية التي تطمح الولايات المتحدة تحقيقه من خلال وحدة كورية تكمل دائرة الأطباق السياسي والعسكري والاستراتيجي ضد الصين من خلال اليابان ، كوريا ، استراليا ، الفلبين ومستقبلاً تيمور الشرقية واحتمال بنغلادش وفي ذلك الوقت حتى وان تم التنازل عن تايوان فإن أثرها السياسي والاستراتيجي سوف يكون قد حجم إلى حد كبير .

إن الصراع حول كوريا اليوم هو بالفعل تحول كبير من أدوات الصراع العسكري والأيدلوجي إلى مفهوم صراع حول ترتيب القوى السياسية وتوازن القوى الإقليمية والأهم من ذلك هي الصراع على ذلك المخزون الهائل من القدرة والتكنلوجية والديناميكية الاقتصادية التي يمكن أن تعطي الصين اكبر قفزاتها الاقتصادية والتكنلوجية في هذه المرحلة أو أن تعطي الولايات المتحدة الأمريكية أحد أوراق ضغطها ضد الصين بحرمانها من

هذه الكعكة والتكنلوجية والاقتصادية التي تسمي شبة الجزيرة الكورية وخصوصاً في محركها الحقيقي في كوريا الجنوبية .

ولكن أين الكوريين من كل ذلك هو استثمار الوضع الدولي والإقليمي لصالح القوة الكورية والنمو الكوري مما فعلت لمرحلة خمسون عاماً مضت من استخدام و الصراع الدولي من أجل تنمية قدرات دولة كانت أقرب إلى المجتمع الريفي البسيط ونقلة إلى بلد بالغ التعقيد في المرحلة الراهنة .

الرأي العام والسياسة الخارجية

بفضل الاتصالات وخصوصاً أهم وسائله الإذاعة وخصوصاً التلفزيون والذي تزاوج بشكل زمني مرادف مع أهم حدثين شهدتهم الدولة البارزة القوة في ذلك الوقت والتي خرجت منتصرة من الحرب العالمية الثانية ليس فقط عزز هذا الانتصار قوتها العالمية بفضل تفوقها الداخلي بل لان الحرب ساهمت بشكل فعال في تدمير قوة الخصوم وقوة الأصدقاء المنافسين المحتملين . وبالفعل فإن الولايات المتحدة الأمريكية عندما خرجت من الحرب العالمية الثانية كانت منتشية بالنصر الحقيقي . أقول تزامن التلفزيون والإذاعة مع أهم حدثين داخل الولايات المتحدة الأمريكية وهما بداية حركة الحريات العامة أو الحريات المدنية والتي كان يقودها مارتن لوتر كنج الثاني والذي كان يسعى إلى رفع مستوى معانات السود على سطح الاهتمام الشعبي الأمريكي وبدل من اتهامه بالعمل ضد الولايات المتحدة الأمريكية وبدل من تسيسي الهدف والوسيلة سعى السيد كنج إلى محاولة جعل عملة في الخانة النفسية والاجتماعية مستفيد من الوسيلة الهائلة التأثير والناشئة وهي التلفزيون . حيث أستخدم هذه الوسيلة ضد المؤسسات القائمة ولكن ليس لهدف سياسي بحت بقدر ما هو صراع على البعد الاجتماعي وصراع على قلوب الناس وعواطفهم وهذه المرة الأولى التي يخرج منها مفهوم الرأي العام الداخلي كعامل من عوامل الأبعاد السياسية وبالفعل حيث عمل على محولة تنمية ومراقبة وبناء مفهوم رأي عام مؤثر ولم يأخذ هذا المفهوم بعده الحقيقي كعامل من عوامل السياسة الخارجية ألا في حالة حرب فيتنام والتي قادة الشعب الأمريكي إلى الاحتجاج على هذه الحرب بعد أن طالت الحرب مصالح الناس اليومية بل وحياتهم اليومية حيث تحول التلفزيون إلى ساحة حرب وصراع بين القوى المختلفة من أجل الفوز في روح واهتمام المجتمع .

وعلى الرغم من أن العديد من المحللين يرجع استخدام وسائل الأعلام إلى النظام النازي ألا أن استخدام النازية للأعلام هو وسيلة من وسائل صنع الرأي العام وقيادته اكثر من مفهوم تنميته وترشيده واستخدامه . وبالتالي فإن ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية يعد بحق عمل مختلف عما عملة الأعلام النازي في المرحلة الهتلرية . بل إن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها تنبهت إلى هذا العامل وهو تزاوج الرأي العام والأعلام مما جعلها اكثر حذراً وحنكة في استخدام الأعلام والرأي العام في العديد من مشاريعها السياسية والإستراتيجية بعد حرب فيتنام حيث استطاعت استخدام الأعلام استخداماً يخدم

سياساتها الخارجية سواء تجاه الدول الأخرى التي كانت تحاول بناء رأي عام محلي ودولي معادين لهذه الدولة أو تلك بل أن قائمة هذه الدول لا يمكن حصرها منها العديد من الدول العربية والآسيوية والأمريكية اللاتينية يعد عمل أعلامي دعائي ضد الاتحاد السوفيتي ثم حرب الخليج الثانية ثم الإسلام واليوم نجدها ضد الصين كل هذه الاستخدامات كانت دليل واضح على عملية تسخير الأعلام للمصالح السياسية والاستراتيجية والتي بها يمكن تسخير الرأي العام لذات الأهداف وذات المغزى .

إن المراقب اليوم لمفهوم الرأي العام يصاب بنوع من الفهم الحقيقي لذات المجاميع البشرية حيث يغلب عليها البساطة والعفوية والجهل حتى في اكثر الدول تطوراً حيث نجد أن الشعوب التي تري بأمريكا الدولة الطاغية سواء في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي أو حتى في الصين قبل عام يرشقون السفارة الأمريكية بالحجارة اليوم هم اكثر الشعوب حماس لمصافحة أمريكا بل والتقرب منها وسوف يجد من خلال هذه الملاحظة أن المعايير التي تحكم سلوك الشعوب هي في الحقيقة معايير هلامية وعاطفية وغير واضحة وأكثرها وضوحاً هو قدرة الأعلام في صناعة وصياغة رأي عام اكثر من كونه رأي عام راشد ويعي ما يريد أو ماذا يريد أن يحقق .

وإذا أبعدنا النظر عن الأعلام الغربي المجتمعات الغربية وأمعنا النظر في دول العالم الثالث والعالم العربي جزء من هذا العالم نجد أنة لا يوجد رأي عام بالمفهوم الحقيقي ، الرأي العام الذي يمكن أن يؤثر في رؤيا سياسية معينة بل أن راسم السياسة يضع أهدافه السياسية ويضع صناعة الرأي العام الداعم والمتحمس لهذه الأهداف كجزء من الخطة لتحقيق الهدف أي أن عملية صناعة الرأي العام هي في الحقيقة الهدف وليست عملية الاستجابة أو تمثيل الرأي العام ولذلك نجد أن شعار (بالروح والدم نفديك يا .....) تعد أحد شعارات العالم المتخلف وشعار الشعوب في بعض الدول العربية وهو شعار ينم ويعبر عن مجتمع مريض محطم مسلوب الإرادة إلى درجة الازدواجية الشخصية ومرض نفسي لدرجة تعدد الشخصية في الفرد الواحد .

أن مثل هذه الشعارات تلح على الدارس والمراقب للسياسة في دول العام الثالث على أن أطباء علم النفس والاجتماع سوف يكون لهم دوراً بارزاً في المستقبل من أجل أعاده تأهيل المجتمع في بعض الدول العربية إلى الحالة الطبيعية بعد سنوات تدمير الذات وسنوات من الاحتقار الذاتي وسنوات من انعدام الخلل النفسي حتى يمكن للفرد العربي أن ينظر لنفسه بنوع من الاحترام ويستطيع أن يربي الجيل الجديد بشيء من الكرامة ناهيك عن دوره في ترشيد القرارات سواء الشخصية أو العامة . وبعد أن يخضع الإنسان لأعاده تأهيله نفسية فأنه عند ذلك يمكن الحديث عن رأي عام عربي .

معالم الصراع

عندما ينهي السيد كلنتون رحلته الى أوروبا وروسيا والتي يقابل فيها السيد بوتن الرئيس الروسي الجديد سوف لن تكون هذه رحلة التوديع للسيد كلنتون بل يمكن أن تصنع خطوط ومعالم السنوات القليلة القادمة وما هي أهم القضايا التي سوف تشغل الرئيس الأمريكي الجديد عند وصوله للمكتب البيضاوي على المستوى الدولي والسياسة الخارجية والتسلح وخصوصاً على المسرح الأوروبي وروسيا والذي له انعكاساته على المستوى العالمي .

يأتي السيد كلنتون الى موسكو محمل بالعديد من النجاحات الباهرة والهائلة والمتواصلة . يأتي السيد كلنتون ودولته تتربع على قوى العالم بدون منافس حقيقي على المستوى السياسي والاقتصادي والتسلح وعلى مستوى التأثير على سوق الطاقة حول العالم . وإن كان ذلك لا يكفي فإن المنظرين الاستراتيجيين أو بعبارة أدق أن المحللين للنظام الدولي من وجهة النظر الأمريكية فإن هذه النجاحات لا تكفي ولا تضمن المستقبل بل لا بد للتأكيد على التفوق الأمريكي على مستوى العالم يكون هذا التفوق ظاهراً وبارزاً وغير قابل للشك فيه سواء على مستوى العالم أو على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا كان التفوق الاقتصادي من الميوعة والديناميكية بحيث لا يمكن الجزم ولأقرار بالتفوق الواضح بل ان البعد الاقتصادي هو من الضخامة بحيث لا يمكن مراقبة حركته بسرعة ولذلك لا يمكن الحكم عليه بالدقة وكون معايير الحكم عليه متغيرة ومتفاعلة فإنه يصعب الجزم به على وجه الدقة خصوصاً ارتباطه بالبعد الإنساني الذي يجعله اكثر غموض .

وإذا كان التفوق السياسي الأمريكي أرتبط بمفهوم الهيمنة ولأمركة فإن هذا البعد يجد مقاومة هائلة من كثير من دول العالم بل إن أقرب حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية يشعر بعدم الرضاء التام من الهيمنة الحضارية والثقافية الأمريكية والتي تترجم نفسها الى تفوق سياسي في بعض الأحيان .

ولهذه الأسباب ومجتمعة فإن الرئيس الأمريكي والسياسي والاستراتيجي الأمريكي سوف يركن الى اكثر العوامل وضوح في مسئله التفوق الأمريكي العالمي وهي مسئله التسلح والقوة العسكرية هذا العامل يرضي الغرور السياسي للبيت الأبيض ولردهات الكونغرس كما يرضي غرور شركات صناعة السلاح ويزيد من ديناميكيتها ويبقي مفهوم الديناميكية الصناعية العسكرية حية وملتهبة كما أن الخيار التسلحي والعسكري يرضي القوى المحافظة والقوات العسكرية ناهيك عن الروح النفسية والمعنوية للشعب الأمريكي

الذي أعتاد التفوق العسكري عبر تاريخه القصير . وعلى الرغم أن التوجه الى الجانب العسكري يتعارض مع العديد من الدراسات التي تحذر الأفراط في هذا الجانب على حساب البعد العلمي والمعرفي والاقتصادي إلا أن الساسة والخبراء الأمريكيون يعتقدون أن لديهم من القدرات والديناميكية ما يمكن تغطية هذه الجوانب كلها .

ويكمن بعد التسلح الأمريكي الجديد في بناء منضومة دفاعية ضد الصواريخ العابرة للقارات التي من المتوقع أن تغطي القارة الأمريكية الشمالية والتي تشمل كندا وهو الذي دفع الكنديون الى الخيار الصعب بين القطيعة مع أوروبا وبالذات فرنسا والمانيا والتوجه الى أمركة السياسة الكندية أو الإبقاء على كندا كجسر ثقافي بين أوروبا وأمريكا الشمالية . ومهما يكن من الأمر فإن هذه المنضومة الدفاعية بدأت تهدد بشكل قوي وتضغط على متخذ القرار في روسيا حيث الزعيم الروسي يشعر بهذا البعد السياسي والعسكري الضاغط خصوصاً وأن روسيا اليوم ليست في أحس أحوالها للدخول في أي منافسة عالمية ومهما تكن نوع وشكل هذه المنافسة وناهيك عن بعدها العسكري ولذلك نجد الروس اليوم يميلون الى تذكير الأمريكيين و أحياء نظام الصواريخ المصمم لضرب الأقمار الصناعية هذا المشروع الذي احبطة السيد نكيتا خرتشوف في مرحلة الستينات والذي كان يهدف الى إطلاق صواريخ قادرة على ضرب الأقمار الصناعية الأمريكية ويرى الروس أن هذا المشروع قادر على أحباط نظام الدفاع الأمريكي المزمع أقامته وذلك بضرب الأداة المحركة والموجهة لهذا النظام المتمثل بالأقمار الصناعية .

والسؤال الذي يمكن طرحة هو هل أن تكنولوجيا الصواريخ والأقمار الصناعية اليوم ذاتها عند الستينيات ؟ الجواب بالقطع لا . ولكن السؤال هو هل الأقمار الصناعية الأمريكية اليوم قادرة على الدفاع عن نفسها بمحطاتها الجوية أم بدفاعاتها الأرضية ؟ الجواب يكمن لدى خبراء التسلح في هذا المجال ورجال الاستخبارات الذين لا بد ان يجدو جواب لمثل هذه الاسئله .

إلا أن العوامل السياسية والعسكرية الظاهرة اليوم والتي يمكن دراستها وتحليلها تقول إن القوة الروسية مجتمعة ببعدها السياسي والاقتصادي والعسكري والداخلي لا تدلل على إمكانية منافسة روسية اليوم على إن الوضع الداخلي الروسي اليوم غير مستعد لاتخاذ قرارات حاسمة وفاعلة ولذلك فإن أداة الضغط الأمريكي اليوم والتي يحملها الرئيس الأمريكي إلى موسكو هائلة وفاعلة. بل إن الحلفاء الأوروبيون سوف يشعرن بعظم مثل هذه الضغوط من الإدارة الأمريكية .

إن الرسالة التي تحملها زيارة الرئيس الأمريكي تعد رمزية قوية للصين والتي سوف تدفعها الى حزم خياراتها المستقبلية بين التطور الاقتصادي والاستثماري وهذا ما تحبذة

الولايات المتحدة الأمريكية بإعطاء الصين مكانه خاصة وفتح أسواقها للمنتجات الصينية أم أن الصين سوف تعزز هذه الطموحات الاقتصادية بقوة عسكرية وهذا يعني سباق تسلح جديد يمكن ان تكون بوادره الاختبارات التي تجريها الصين على الصواريخ المضادة للصواريخ بل إن توجة الصين هذا سوف يعزز سباق التسلح في شبة القارة الهندية والتي أن بدأ تفاهم هندي صيني فإنه لا يمكن لهذا التفاهم أن يلجم سباق التسلح المحموم بين القوتين الإقليميتين اليوم . وهذا ما سوف تشكل معالم الصراع الدولي للسنوات القادمة على المستوى السياسي والعسكري .

نظام الدفاع وتشكيل العلاقات السياسية

تحاول الإدارة الأمريكية في هذه المرحلة وفي المستقبل القريب أي مع نهاية السيد كلنتون ومع الرئيس الجديد ومهما يكن شكل أو فلسفة الرئيس القادم فإنه سوف يدخل في معمعة الفلسفة الاستراتيجية الجديدة والقاضية بإنشاء نظام دفاعي ضد الصواريخ الطويلة والمتوسطة المدى التي يمكن أن تحمي القارة الأمريكية من العدوان عليها من جراء الصواريخ النووية . وبالفعل فإن الرئيس الأمريكي أراد تهيئة الرأي العام الأوروبي والسياسيين الأوربين لمثل هذا التوجه خلال زيارة الرئيس الأمريكي الى أوروبا . بل ذهب الرئيس الأمريكي الى مخاطبة الدوما او البرلمان الروسي حول هذا المشروع هذا البرلمان الذي ما يزال ينزف بشدة من جراء التغييرات المفاجئة والمتلاحقة والخلاف القوي داخل هذا البرلمان ولذلك يمكن أن يطلق عليه برلمان وقف النزيف الروسي سواء في الداخل او الخارج ولكن هذا البرلمان ليس من القوة والمعرفة والخبرة لمناقشة مشاريع استراتيجية على جانب كبير من الأهمية على شاكلة مشاريع استراتيجية تخص الجوانب الدفاعية والاستراتيجية هذا وأن كان هذا البرلمان صادق على معاهدة الحد من التسلح (Start 2) ومعاهدة حضر التجارب النووية أن هذا التوجه كان الهدف منه محاولة تعزيز موقف الرئيس المنتحب في ذلك الوقت وهو السيد بوتن بل أن الدوما الروسي وروسيا رأت أن المصادقة على هذا المعاهدة هو محاولة سحب البساط من تحت مشروع الدفاع الاستراتيجي الذي تعتزم الإدارة الأمريكية القيام به.

هذا القلق الذي تشعر به أوروبا بكاملها وحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية بل أن فرنسا والمانيا تكاد ان تكون أول الدول التي تنضر لهذا المشروع بعين الريبة والشك من حيث أنه إذا كان قاصراً على حماية الولايات المتحدة الأمريكية فإن ذلك يعني زيادة الهيمنة الأمريكية على أوروبا من حيث أنها سوف تكون اكثر أمن واكثر حرية في الحركة مما يدفع بعض الدول الأوروبية الى الاستفادة من النظام الدفاعي الأمريكي وهذا يقسم أوروبا سياسياً بل ويضعف الجانب الفرنسي والألماني الدولتان آلتان تطمحان الى وجود قوة أوروبية تكون تحت مضلتيهما .

أما إذا رغبت الويالات المتحدة الأمريكية تعميم النظام الدفاعي على حلفائها كما ذكر ذلك السيد كلنتون عندما أعلن أن هذا النظام سوف يأخذ حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في

الحسبان هذا يعني بكل جلاء إدخال أوروبا برمتها تحت التأثير الأمريكي المتعاضم وذلك مما سوف يخلق سباق تسلح تكون أوروبا جزء منه وبالتالي فإن أوروبا سوف تكون أقل قدرة على مجارات المغريات الأجنبية الأمريكية وأن لم يكن كل الدول الأوروبية فان الغالبية سوف تتسابق للانظمام للنظام الدفاعي الأمريكي والاستفادة من تقنيته المتطورة وهذا يعني ربط هذه الدول بالولايات المتحدة الأمريكية أمنيا وسياسياً على أمل الحصول على الفوائد الاقتصادية من هذا الارتباط . وما يدفع هذه الدول للمسارعة لقبول مثل هذا النظام ليس فقط الجانب الأمني في أوروبا ، المنطقة التي لم تتشكل بعد خصوصاً في جزئها الشرقي والبلقاني وأنما اعتراف هذه الدول بالتأثير السياسي والاقتصادي الذي تشكله الولايات المتحدة وترغب هذه الدول بالاستفادة منه .

يبقي السؤال الأكبر هو هل الجولة الأوروبية للرئيس كلنتون والاعتراضات الخجولة من الزعماء الأوروبيون والمشاريع المناقضة التي بطرحونها الساسة الروس على الرئيس الأمريكي أقول هل يكمن لهذه الاعتراضات على النظام الدفاعي الأمريكي الجديد أن تلغي المشروع أو تثني الإدارة الأمريكية عن القيام بهذا التوجه الاستراتيجي الجديد ، إن الاجابة يكمن بالنقاط التالية :-

اولاً : إن الرئيس الأمريكي والإدارة الأمريكية تطرح مشروعها الجديد وليس هناك خطر استراتيجية حقيقي يهدد الولايات المتحدة الأمريكية سواء منافسة سياسية أوعسكرية أوحتى ينافس تفوقها الهائل في مجال السلاح والتسلح بل أن المشروع جاء من أجل تعزيز هذه الهيمنة لمرحلة ليست بالقصيرة أي الى مرحلة ما بعد اختراع أو وجود طريقه هجومية جديدة لا تقوم على تكنلوجيا الصواريخ وهذا لن يحدث في القريب العاجل مما يعني تفوق عسكري أمريكي على العالم في المستقبل المنظور .

ثانياً : ذهب الرئيس الأمريكي والسيد ساندي برغر الى التأكيد على المضي قدماً بهذا المشروع وأنه وموجه ضد الدول الأخرى مثل العراق وكوريا الشمالية وهنا إشارة الى عدم أدراج دول أخرى اعتادت ألا داره الأمريكية أدراجها بمثل هذا التصريحات وهذا المنطق على الرغم من ضعفه حيث ان هذه الدول من الضعف والجوع والفقر بحيث لا تشكل تهديد على الولايات المتحدة الأمريكية اليوم ولا في المستقبل القريب والبعيد ولذلك فإن السيد كلنتون والسيد برغر ذهبو الى الحلفاء والأصدقاء في إمكانية المشاركة في مثل هذا النظام الدفاعي أما ما هو شكل او مضمون او ثمن هذه المشاركة مادياً وسياسياً وعسكرياً وحضارياً فهذا الذي لم تطرحه الإدارة الأمريكية على حلفائها وهذا هو جزء مهم الى درجة كبيرة في توجيه السياسية الأمريكية مع حلفائها أو حلفاء المستقبل .

نظام دولي متعدد الأقطاب تحت المظلة الأمريكية

إن المتابع للأحداث خلا هذا الصيف وقبله على المستوى الدولي فإنه يشاهد تشكل حزمة من الاحداث من شأنه تحويل النظام الدولي أو على الأقل سوف تشاهد هذه الأحداث في تلمس ملامح النظام الدولي القادم. ليس سراً أن انهيار الاتحاد السوفيتي فتح المجال للولايات المتحدة الأمريكية أن تلعب دور القطب الواحد في عالم ضعيف الى حد بعيد حيث انحدرت روسيا بشكل سريع ومتسارع نحو دوله من الدرجة الثانية لم تستطع دولة مثل الصين الصعود الى قمة الهرم الدولي ومع أن كل التوقعات تشير الى هذا الصعود فإن ذلك مربوط بالعديد من الشروط والعوامل التي لا بد من تحقيقها وتوفرها من اجل هذا الهدف حتى أن الصينيين أنفسهم رمزو لعام ٢٠٣٠م كحد أدنى للانطلاقة الصينية نحو القوة الضاربة . بل أن العديد من الدراسات كانت تدخل في عالم التمني والتشفى من الولايات المتحدة الأمريكية عند طرح القوة الصينية . ومن جانب آخر فإن الأوروبيين على الرغم من سيرهم في خطى حثيثة ألا أن الوقت ليس قريب جداً لهذا الاتحاد الحقيقي بل أن هذا الهدف سوف يوجد في حاله ذوبان الشخصية للدول الأوروبية وهذا العامل يأخذ وقت طويل وهو بالفعل ما تحتاجه القوة الأوروبية .

درجة الذهنية السياسية سواء الأكاديمية أو السياسية التطبيقية على تشكيل النظام الدولي أو النظام العالمي الى ثلاث أنماط الأول هو نظام متعدد الأقطاب كما هو حال العالم قبل وبعد الحرب العالمية الأولى والثاني هو نظام ثنائي القطبية كما هو الحال النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية حتى ١٩٩١م عند انهيار الاتحاد السوفيتي . والثالث هو عالم أحادي القطبية كما هو حالة النظام الدولي اليوم منذ بداية التسعينات حتى اليوم .

إن نمط التفكير السياسي الأمريكي اليوم هو اكثر تطور بكثير من التاريخ السابق من حيث محاولة الاستفادة من هذه القطبية الواحده أطول مده ممكنة بل والعمل على تحويلها الى نظام دولي ذو رقابه ذاتيه يشل بعضه بعض على المستوى السياسي والعسكري ويسمح للولايات المتحدة الأمريكية أن تكون ذات القدرة والإمكانية أن تشرف على هذا النظام : أي أن الولايات المتحدة الأمريكية اليوم من خلال العديد من السلوكيات السياسية وسياستها الخارجية ونمط تكتل سياساتها التكتيكية والإستراتيجية تحاول أن تعمل على تحرك دولي بدفع النظام الدولي صوب نظام عالمي جديد يدفع مصالحها الى الأمام ويثبت

قوتها أطول مدة ممكنة وهذا يمكن تحقيقية من وجهة النظر الأمريكية بتحقيق عناصر رئيسية للاستراتيجية الأمريكية مقرونة ومربوطة بحزمه من الخطط والمراحل التكتيكية تعمل في تداخل وترابط يمكن من خلالها أن تحقق الولايات المتحدة الأمريكية نظام دولي جديد بمفهوم ومواصفات أمريكية وهذا النظام العالمي الجديد هو نظام دولي متعدد الأقطاب ولكن تحت المظلة والأشراف الأمريكي . أي ان تعدد القوى والأقطاب يكون بين مجموعة دول العالم القوية التي لا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية إيقاف قوتها ألا بثمن باهظ جداً ولذلك يمكن تحييد هذه القوة بقوة أخرى.

أن الولايات المتحدة الأمريكية اليوم تهدف الى صنع نظام دولي متعدد القوى ومتوازن القوى تكون الولايات المتحدة الأمريكية ليست جزء من هذا التعدد أو هذه القوى و إنما مشرفة عليه وتقوم بإدارته بطرق ووسائل مختلفة .

ويمكن فهم السياسية الإستراتيجية للولايات المتحدة وطموحها لخلق مثل هذه الإستراتيجية عن طريق سياساتها واستراتيجيتها التي تعمل على تحقيقها عن طريق العوامل التالية :

أولاً : إنشاء وتطوير الدرع الصاروخي الذي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية على إنشائه وكل المؤشرات تدفع الى إمكانية الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق هذا الهدف وان كان نسب مختلفة بين النجاح الكامل والنجاح النسبي وهذا سوف يدفع الولايات المتحدة الأمريكية الى التفرد بالقوة الهجومية والدفاعية في ذات الوقت وهذا البرنامج سوف يضع روسيا والصين في الدرجة الثانية من القوة العسكرية حيث أن هذا الدرع الصاروخي سوف يعمل على تحويل الصين في المدى البعيد الى قوة إقليمية يمكن تحييدها بالهند وروسيا وأوروبا واليابان وكوريا وهذا الدرع سوف يعمل على إحباط الروس في محاولتهم المستميتة من اجل الإبقاء على قوتهم العسكرية إذا كان ذلك شبة متحقق اليوم فان وضع روسيا سوف يكون اضعف بكثير بعد عقدين من الزمن عند تقادم القوة العسكرية الروسية مع ضعف اقتصادي يؤدي الى عدم تجديد هذه القوة العسكرية .

هذا الدرع الصاروخي سوف يجعل اليابان وكوريا وأوروبا اكثر اعتماد على أمريكا في المسائل الأمنية خصوصاً وان العديد من أركان الاتحاد الأوروبي هم حلفاء أقوياء للولايات المتحدة الأمريكية اكثر من ولائهم للقارة الأوروبية .

ثانياً : أن سماح بتوسع حلف الناتو الى الشرق وإدخال بعض دول أوروبا الشرقية في مجال الوحدة الأوروبية من شانه أن يضاعف الضغط على روسيا ليس لمعادات هذا التوجه بل وبفعل ضعفها الاقتصادي الى الانضمام الى منظمة الوحدة الأوروبية وهذا ما سوف يكبل روسيا بالدائرة السياسية الأوروبية الغير قادرة على تحقيق الوحدة بل و القريبة

بالعديد من عناصرها من الولايات المتحدة الأمريكية . بل أن دخول روسيا هذه المنظومة الأوروبية سوف ولأول مرة في التاريخ يحور النظرة الاستراتيجية الروسية تجاه أوروبا مما يربك الأولويات السياسية والاستراتيجية للسياسي الروسي . أي إدخال روسيا ضمن منظومة اقتصادية أوروبية .

ثالثاً : أن تقارب الولايات المتحدة الأمريكية المتسارع مع الهند وارتباطها الوثيق مع اليابان وكوريا سوف يحد من حرية وحركة الصين السياسية حتى وان حاولت الخروج من هذه الدائرة عبر النافذة الباكستانية المكلفة والغير مستقرة أو حتى النافذة الروسية عبر لقاء القمة مع الرئيس الروسي بوتن الى أن هذه اللقاءات تحكمها ذهنية الماضي اكثر من المستقبل بل أن هذا التقارب عامل من عوامل التشتت الاستراتيجية لهذين الدولتين روسيا والصين . أن المراقب السياسي اليوم لا يجد عناء كبير في فهم استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية بالذهاب الهروب الى الأمام في تكوينها نظام دولي متعدد الأقطاب تكون الولايات المتحدة الأمريكية خارج هذا التعدد بل مشرفة على بقائه واستمراريته و تماسكه وهذه المرة الأولى في التاريخ الذي سوف يكون النظام الدولي نظام متعدد الأقطاب تحت أشراف قوة عليا تحاول أن تسوق لمفهوم التعددية السياسية والتسامح الثقافي والسياسي ولكن من منطلق مفهومها ومنطلقاتها الخاصة وهذا ما يدفع الولايات المتحدة الأمريكية اليوم لطرح مفهوم الانفتاح الاقتصادي والسياسي والقبول بالتعددية الفكرية والتسامح الفكري كل هذه الشعارات من اجل نظام دولي يقوم على الأسس المعرفية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص هذا النظام سوف يعطي آلية للتدخل و إدارة شؤون النظام الدولي عن طريق نظام متعدد الأقطاب يراقب بعضة بعض وتكون القوة الأمريكية هي الحكم والمرجع فيه .

الأزمة الخليجية والموقف الأوروبي

شكلت الأزمة بين العراق من جانب والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من جانب آخر أحد أهم الامتحانات الصعبة للموقف الأوربي وهو الامتحان الذي فرز وقسم الموقف الأوربي بشكل يضفي مزيد من الشك والريبة على توجه ومظاهر التخلي عن المواقف والمصالح الوطنية الضيقة حيث يمكن فرز الموقف الأوربي إلى المواقف أو الأجنحة التالية :

أولاً . . . موقف بعض الدول الأوربية التي رأت مصالحها التامة مع الولايات المتحدة الأمريكية حيث أعلنت بصراحة وقوة وقوفها القوي لجانب الولايات المتحدة الأمريكية وأنها سوف تعمل مع الولايات المتحدة الأمريكية إذا ما قامت الحرب وسوف تفتح أجوائها وقواعدها للاستخدام العسكري الأمريكي ضد العراق بل أن زعماء بعض هذه الدول أخذوا يذهبون إلى واشنطن من أجل خطوة استباقية يعلنون فيها الموقف بكل صراحة وعلى طريقة دول العالم الثالث حيث ذهب رئيس الوزراء الإيطالي إلى واشنطن رغم موقف حزبه والشعب الإيطالي من عدم الدخول في هذه الحرب إلا أن الزعيم الإيطالي رأى أن الوقوف مع أمريكا يمكن أن يجلب بعض المصالح الاقتصادية للدولة الوطنية الإيطالية. ورغم أن أسبانيا اتخذت الموقف نفسه إلا أنه لم يذهب الزعيم الأسباني إلى واشنطن بل اكتفت بحضور توني بلير إلى مدريد وهو في طريقه إلى واشنطن من أجل أخذ الموافقة الأسبانية التامة للدخول في الحرب.

ثانياً . . . عن بعض الدول المرشحة للدخول في الوحدة الأوربية مثل بولندا وهنغاريا، ومن أن الثانية لديها موقف شعبي ينادي بعدم دخول هذه الإشكالات السياسية فإن بولندا كانت أكثر الدول الأوربية المرشحة لدخول الوحدة الأوربية موقف إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية على الرغم أن بولندا كانت واحدة من أكثر الدول قرباً من العراق في مرحلة وجود المعسكر الاشتراكي، ومع ذلك فإن المصالح الوطنية البولندية كانت وراء التوجه البولندي حتى وإن كان على حساب موقف دول أوربية هي في غاية الأهمية لبولندا مثل ألمانيا.

ثالثاً . . . يبدو أن الموقف الألماني كان أكثر المواقف الأوربية وضوح في موقفها من رفض الحرب حتى وإن كان على مستوى الموقف والتصريح وليس على المستوى العملي والفعلي، وأن الموقف الألماني ينطلق من نظرة استراتيجية بعيدة المدى، حيث رأت ألمانيا أن الموقف الأمريكي والبريطاني، ما هو إلا حلقة من حلقات إحكام السيطرة على أوربا، بل إن ألمانيا

ترى في السلوك الأمريكي البريطاني هو عمل استراتيجي من أجل جعل أوربا برمتها تحت مطرقة النفوذ الأمريكي البريطاني، وأن بذور الخلاف التاريخي بين ألمانيا وبريطانيا كان أكثر وضوح وتجلي في هذه الأزمة، حتى وإن كان الحديث عن هذا الخلاف لم يكن موجود حيث رأت بريطانيا أنها سوف تعمل كما عملت تاريخياً على إبعاد ألمانيا عن أي نفوذ محتمل ليس فقط خارج أوربا بل وحتى داخل أوربا وأن الكماشة البريطانية البولندية المدعومة بالقوة السياسية الأمريكية الهائلة سوف تُحجِّم أي قوة مستقبلية محتملة لدولة هائلة مثل ألمانيا في أوربا، ولذلك فإن الموقف الألماني كان مدفوع ببعداً انتخابي استراتيجي قاده شرودر في مرحلة حملته الانتخابية إلى موقف ألماني يرى أن السلوك البريطاني الأمريكي ما هو إلا تقويض وإخفاق للموقف الألماني المستقبلي خارج وداخل أوربا.

إن الموقف الألماني المغلف بمفهوم السلام أو مفهوم شناعة الحرب يعبر عن موقف استراتيجي ألماني يمكن أن يكسب ألمانيا مزيداً من الدور، ويمكن أن يكشف الموقف الألماني الحقيقي الباحث بكل قوة وصلابة عن موقف سياسي واستراتيجي داخل وخارج أوربا طالما حرمت منه دولة ذات قوة وديناميكية هائلة بحجم وأهمية ألمانيا.

رابعاً . . . يعد الموقف الفرنسي هو واحد من أكثر الدول الأوربية يختلط فيه الموقف الاستراتيجي بالموقف الرومانسي حيث أنه يمكن أن نعتبر الموقف الفرنسي على طرفي نقيض في موقفها من الحرب الأمريكية البريطانية على العراق. ويمكن تلخيصها أو فهم الموقف الفرنسي على النحو التالي :

١ـ يمكن فهم الموقف الفرنسي أنه موقف باحث عن دور رئيسي في هذه الحرب وهذه الأزمة وأن فرنسا سئمت وتعبت من الدور التابع حيث أن الموقف الفرنسي كان دائماً يأتي متأخراً ومتناقض في نفس الوقت، حيث يرى المتتبع للموقف الفرنسي خلال العقود الماضية هو موقف المتردد المتصنع الاستقلالية، ثم يتبعه انجراف وتبعية مفرطة كان ذلك واضح في مواقفها في حرب الخليج الأولى والثانية، ومن المحتمل أن يكون موقفها من الحرب الخليجية الثالثة ضد العراق. حيث أنه إذا ما حلل الموقف الفرنسي اليوم فإنه يمكن فهمه وتحليله على أنه باحث عن مزيد من المصالح أي رفع سقف ثمن الموقف الفرنسي حيث أن تجربة الموقف الفرنسي في حرب الخليج الثانية كانت مخيبة للآمال الفرنسية على مستوى العقود والمصالح الاقتصادية، ولذلك فإن الفرنسيين لا يريدون أن يبيعون موقفهم في الحرب إلا بعد ضمان قبض الثمن عبر الصفقات الاقتصادية الفرنسية. إلا أن الموقف الأمريكي والبريطاني اليوم ليس مثل موقفهم في حرب ١٩٩١م ضد العراق وتحرير الكويت، حيث كان البحث عن تحالف دولي يشكل الغطاء الشرعي للحرب أو التراجع وأن القوة الأمريكية الضاربة اليوم تملك شرعية قوتها بذاتها وليست بحاجة للموقف الفرنسي

اليوم، ولذلك فإن الفرنسيين يحاولون استثمار موقفهم من أجل مكاسب سياسية

٢ – الجانب الآخر وهو الجانب الرومانسي أو الذاتي في الموقف الفرنسي هو إحساس فرنسا بالمهانة وفقدان المكانة السياسية والثقافية العالمية بشكل متزايد وأن موقفها التابع للولايات المتحدة الأمريكية في حروب الخليج السابقة كان ذو أثر سلبي واضح على المكانة التاريخية والثقافية الفرنسية، وهي بهذا الموقف تحاول الإثبات للجميع أن الصوت الفرنسي ما زال يسمع وأن الجثة الفرنسية لم تصبح هامدة بعد، ولذلك فإن الموقف الفرنسي يحاول أن يعبر عن الوجود الفرنسي الدولي أكثر من أنه يعبر عن وجود منطق فلسفي استراتيجي فرنسي.

إن أزمة الخليج الحالية سوف يكون لها بالغ الأثر السلبي على التماسك الأوربي والوحدة الأوربية بل أن هذه الأزمة إذا ما قادتها الإدارة الأمريكية إلى نهايتها المنطقية حسب المنظور الاستراتيجي الأمريكي البريطاني، فإن أمريكا سوف تكون في وضع أقوى لتأثير وقيادة أوربا من الخارج، كما أن الدور البريطاني سوف يتعاظم ويقوى لقيادة أوربا من الداخل وهذا بعد أن يكون الموقف الفرنسي والألماني آخذ بالضعف والتآكل التدريجي.

صراع المصالح من جديد

مضى أكثر من خمسون عاماً على الدول الغربية ذات التوجهات الليبرالية على ضفتي الأطلسي أي من القارة الأمريكية إلى الجنوب اليوناني، ومن حدود ألمانيا شرقاً وحتى سواحل البرتغال ....

أقول مضى أكثر من خمسون عاماً وهذه الدول تتصرف وكأن مصالحها متناسقة وسياساتها متسقة ومتضامنة مع بعضها البعض، وكان هذا التوافق والتناسق يقوده عاملان هامان وهما :

١ – التهديد السوفيتي القوي والصارخ وخصوصاً في وسط أوربا الغربية وكان هذا التهديد السوفيتي من القوة والوضوح بطريقة لا يدع مجال للعمل الغير جاد بل أن هذا التهديد كان من الوضوح والصراحة ما جعل هذه الدول الغربية تؤمن فيه إيماناً حقيقياً، مما جعلها تبحث عن عمل يمكن أن يوقف هذا التهديد وأن وصل إلى درجة التنازل عن العديد من مقومات المصالح الوطنية، وبعض أجزاء السيادة الوطنية من أجل صيانة والإبقاء على الجزء الآخر من هذه السيادة الوطنية، ولذلك فإن هذه الدول تنازلت عن جزء من هذه السيادة من أجل إيجاد تحالف غربي قادر على إيقاف التهديد السوفيتي القديم، ولذلك كان الناتو وكانت القيادة الأمريكية له.

٢ – العامل الآخر هو : أن الولايات المتحدة الأمريكية وفرت عنصر القيادة للعالم الغربي عندما دخلت الحرب الثانية واستطاعت بقوتها الهائلة تغيير نتائج الحرب لصالحها وصالح العالم الغربي، ثم قامت بإعادة بناء أوربا على المستوى الاقتصادي عبر مشروع مارشال وعبر حضورها العسكري الدائم والكبير في مناطق أوربا، كل هذه العوامل الاقتصادية والعسكرية وفر الغطاء السياسي والأيديولوجي من أجل محاسبة الدول الغربية التي لا تسير في ركاب الفكر والفلسفة الأمريكية للقارة الأوربية حتى فرنسا التي انسحبت من هياكل الحلف العسكرية لم تجد مجالاً في أي وقت من الأوقات من عدم التعاون التام مع الحلف سواء داخل أوربا أو حتى في حرب الخليج الثانية.

واليوم فإن أزمة الخليج الثالثة والتي تعلن عن احتمال حرب قادمة وهي الأزمة الحقيقة الأولى التي تأتي في أعقاب الحرب الباردة والنهاية الحقيقية للمعسكر الاشتراكي والنهاية الحقيقة للاتحاد السوفيتي، وحتى وريثته الحقيقية روسيا فإنها مكبلة بضعف اقتصادي هائل وديون خارجية تتعدى المائة والستون بليون دولار مع تنامي وخلافات داخلية سواء على مستوى الدولة ذاتها أو على مستوى أقاليمها مثل الشيشان على سبيل المثال لا

الحصر.

أقول هذه الأزمة الخليجية الثالثة هي الأزمة الأولى التي تأتي والدول الغربية مثل فرنسا وألمانيا ودول أوربية صغيرة خارج التهديد السوفيتي وبالتالي خارج دائرة الحاجة الماسة للتنازل عن جزء من المصالح الوطنية من أجل القيادة الأمريكية ولذلك فإن المصالح الوطنية والاستراتيجية الفرنسية والألمانية أصبحت واضحة وأن الجشع الأمريكي والبريطاني كان من القوة والوضوح في استثمار نتائج الحرب الباردة من أجل وضع الدول الغربية في حالة من الحاجة والاعتماد على القوة الأمريكية. وبدل من الاعتماد على القوة الأمريكية العسكرية والاقتصادية في أوربا من التهديد السوفيتي فإن أمريكا تريد هذه المرة وضع أوربا بكاملها تحت مطرقة الاعتماد على أمريكا في مجال النفط والتزود به وتأمينه وتوفيره أي أن الإدارة الأمريكية راغبة في استبدال مفهوم التهديد السوفيتي من أجل جعل أوربا تحت القيادة الأمريكية إلى جعل أوربا تحت القيادة الأمريكية ولكن تحت مبررات تامين المناطق النفطية والسيطرة عليها وعبر استعداد أوربا لصراع طويل محتمل مع آسيا وخصوصاً الصين ومحيطها الإقليمي.

إن ما يحدث اليوم من انطلاقة أوربية حول التمرد من التبني والهيمنة الأمريكية على المصالح الغربية يعيد إلى الذاكرة مرحلة أوربا ما قبل الحرب العالمية الثانية مع بعض الاختلاف ولكن الجوهر يبقى كما هو حيث أن أوربا أخذت تشكل قوى منها ألمانيا وفرنسا وروسيا مع بعض الدول الصغيرة في شمال أوربا، وتبقى كل من بولندا وبريطانيا من الدول التي ترغب في أن تعمل خارج الدائرة الأوربية بل أن هاتين الدولتين تعملان لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ترى بريطانيا أنها لا تنتمي للقارة الأوربية بالمفهوم الكامل سواء من الناحية الجغرافية أو الثقافية، لذلك فإنها أقرب إلى القارة الأمريكية، ومن جانب آخر فإن بولندا لم تستطيع التحرر الحقيقي من تهديد وهيمنة الشرق أو الغرب عليها سواء من الاتحاد السوفيتي السابق أو من ألمانيا، ولذلك فأنها تعمل من أجل الخروج من هذه الدائرة الذهنية القديمة. وبدل من أن تعاملها مع محيطها الإقليمي قررت أن تكون خارج هذه الدائرة وتكون قريبة من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتأخذ بأهمية التحالف الخارجي القوي لتخفيف ضغوطها الجغرافية والخروج من مأزقها التاريخي الذهني القديم.

إن العامل الجديد في هذه الحالة الأوربية والدولية هو أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة والقوة الهائلة الوحيدة في العالم بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ البشري، وأن لديها من أدوات العمل السياسي والعسكري ما لم يتوفر لدولة سابقة وبشكل متفرد.

إن هذه القوة الأمريكية الضاربة يقابلها توحد أعداء قدامى هم فرنسا، ألمانيا، روسيا. كل هذه العناصر تجعل من المشهد السياسي قسمين غاية في المتعة للمراقبة والملاحظة

وخصوصاً للدارسين والعاملين في المجال السياسي، حيث أن هذه التطورات يمكن أن تفرز لنا نتيجتين واحتمالين وهما :

أولاً : انتصار أمريكي قوي وساحق يستطيع هذا الانتصار أن يدرج هذه القوى الجديد في دائرة الهيمنة الأمريكية الطويلة المدى، وهنا لنا أن نتوقع أن تعترف كل من فرنسا وألمانيا وروسيا أن تحديها للولايات المتحدة الأمريكية كان سابقاً لأوانه وأنه كان تحدي متعجل ومتسرع، ولذلك فإن ها الانتصار الأمريكي سوف يدفع إلى هيمنة بعيدة المدى أو إنتظار أوربي طويل المدى.

ثانياً : أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تكتشف إذا لم تحقق نتائجها المرجوة أن القوة مهمة وضرورية إلا أن هناك حدود لهذه القوة وأن النظام الدولي أصبح من التعقيد والتطور ما يجعل التصرف المتفرد وسياسة القوة وسياسة إهمال مصالح الآخرين هي جزء من إرث الماضي، ولم تعد هذه العقلية التي تسير أعضاء وإدارة الرئيس بوش قابلة أن تعمل وتعيش مع بداية الألفية الثالثة الميلادية، وإلى أن تتضح وتتكشف هذه القضايا تبقى حالة المراقبة والترقب هي العامل الأساسي.

السياسة المرحلية الأمريكية في الشرق الأوسط

نحن هنا لا نناقش الاستراتيجية الكونية الأمريكية والتي يأتي النفط والشرق الأوسط حلقة من حلقاتها، وجزء من تكوينها هذا سبق أن نوقش ويمكن أن يعاد طرحه مرة أخرى ولكن ما سوف يكون موضوع النقاش اليوم هو الخطط المرحلية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط والتي بها ومن خلالها يتم استثمار الانتصار الساحق في العراق ولذلك سوف تسلط الضوء على هذه السياسة المرحلية الأمريكية في الشرق الأوسط على التركيز على النقاط التالية :

أولاً : تثبيت الوضع في العراق، وتثبيت الوضع في العراق يعني البقاء الأمريكي القوي والمنتشر بكثافة في جميع الأراضي العراقية من أجل تدمير أكبر قدر من السلاح المتواجد على شكل مستودعات أو مخازن ذخيرة وبنية تحتية لمصانع أسلحة ثم سوف يتم التعامل مع جمع الأسلحة المنتشرة لدى الناس عبر جمعها وتدميرها من أجل ضبط الأمن الجماعي في العراق، ومن جانب آخر سوف يتم ترك القوى السياسية تعبر عن ذاتها وعن مفاهيمها السياسية ولكن ليس لدرجة تهديد الوجود الأمريكي هذه الحالة من التعبير سوف تعمل على إفراغ الشحنة السياسية المكبوتة لدى العراقيين حيث سوف يتم التعامل مع هذه القوى المختلفة بعد فرز قوتها وقدراتها وتوجهاتها وآلية عملها إن كانت قريبة من المنهجية الأمريكية فسوف يتم التعامل معها أما إذا كانت ذات توجهات شمولية فإن العمل ضدها عبر استخدام القوة والترغيب هو الحل النهائي ، ولكن في المحصلة النهائية فإن العديد من العراقيين الذين تم تدريبهم من قبل الحكومة الأمريكية سوف يكون لهم دور مؤثر جداً على عراق المستقبل من حيث الإدارة المحلية أما السياسة العراقية الخارجية ومواقفها فإنه من المتوقع أن يكون للولايات المتحدة دوراً كبيراً فيها عبر إشرافها المباشر وغير المباشر على الأمن الخارجي العراقي، عبر مجموعة من القواعد العسكرية الأمريكية التي سوف تتواجد في العراق لفترة زمنية بعيدة عبر اتفاق بين أمريكا وحكومة عراقة سوف تقوم بتأثير ورؤية أمريكية.

ثانياً : سوف تعمل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل إرضاء وتهدئة مخاوف رسمية وشعبية عربية إلى العمل على إحراز تقدم غير جوهري ومتقطع وبطيء على القضية الفلسطينية، وذلك للعديد من العوامل التي سوف تحول دون تقدم سريع أهمها الانتخابات الأمريكية المقبلة وتأثير إسرائيل على السياسة الأمريكي الهائل. إلا أن الإدارة الأمريكية

سوف تضغط على الطرف العربي الأضعف من أجل تهدئة مخاوف إسرائيل ومن هذه الضغوط هو إبعاد سوريا عن لبنان وتحييد وإضعاف حزب الله في جنوب لبنان، وإبعاد الفصائل الفلسطينية عن سوريا وتحييد أي معارضة سورية للمقترحات الأمريكية المقبولة من قبل إسرائيل.

بهذه السياسة سوف تحقق تقدم بطيء على مستوى القضية الفلسطينية عبر الضغط على الجانب العربي والفلسطيني دون الضغط على الجانب الإسرائيلي والذي يهدد ويؤثر في الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

ثالثاً : سوف تزداد مفاهيم محاربة الإرهاب بالمفاهيم السياسية الأمريكية إلا أن هذه الزيادة سوف تكون أقل عمومية وأكثر تركيز أي أن مفهوم حرب الإرهاب سوف تكون مركزة حول قوى سياسية معينة، الهدف منها هو تشكيل ضغط سياسي هائل عليها وتجفيف قدرتها المالية من أجل تحقيق انتصارات سواء بالضغط السياسي أو الإضعاف الاقتصادي.

رابعاً : إن الهدف الهائل والهام في السياسة الأمريكية في هذه المرحلة هو نزع أسلحة الدمار الشامل ونزع الإمكانيات العلمية والبشرية لصناعتها أي أن السياسة الأمريكية اليوم هو إفراغ العالم العربي والإسلامي من أي قدرة على التسلح في المستقبل وهذا يتطلب خطط مرحلية وضاغطة كان العراق على رأسها وقد تم التعامل معه ويبدو من خلال التسلسل المنطقي وقراءة السياسة الأمريكية بشكل فاحص فإنه يمكن الحديث عن أن هناك اهتمام سياسي أمريكي في مسألة التسلح الإيراني في هذه المرحلة.

إن القراءة المتأنية للسياسة الأمريكية يدفع إلى أن السياسة الأمريكية اليوم وفي هذه المرحلة وفي هذا الوقت تندفع إلى إيقاف البرنامج التسلحي الإيراني وخصوصاً إيقاف البرنامج النووي الإيراني حيث أن مسألة التسلح النووي هو بمثابة الخط الأحمر للسياسة الأمريكية في هذه المرحلة وفي هذا الجزء من العالم.

وبالقراءة نجد أن هناك ضغوط هائلة على روسيا بعدم تزويد إيران بهذه المفاعلات النووية وعدم تزويد إيران باليورانيوم إلا أن جزء من هذا الضغط كتب له النجاح ولكن في المقابل فإن الدخول الأمريكي في العراق يعني أن الإدارة الأمريكية قررت أن تضع هذه السياسة موضع التنفيذ وتنفذها بيدها ولذلك فإن القراءة الأمريكية هو أن المجتمع الإيراني مجتمع مكون في مجمله من الشباب الراغب والساعي للتقارب مع أمريكا بشكل كبير ، وهذا يعني أن هناك استراتيجيتين سوف يتم استخدامهما مع هذه الحالة بشكل تبادلي وتناوبي يتم تبديل واحدة بالأخرى عند الحاجة وهما :

١ – سوف يشكل التواجد الأمريكي العسكري عبر القواعد العسكرية الأمريكية في

العراق بالإضافة إلى الانتصار الأمريكي الساحق مع حماية وإعادة ترتيب تنظيم مجاهدي خلق في العراق هذه القوات التي لم تضرب في القصف الجوي الأمريكي بل وتم نقلها إلى معسكرات الحماية الأمريكية، كل هذه العوامل وعبر القدرة الإعلامية الضاغطة سوف تعمل على تجريد وإيقاف البرنامج النووي الإيراني في أحسن الأحوال أو سوف يعمل على إضعاف الجبهة الداخلية من أجل فك أي ارتباط قائم بين المجتمع والسلطة في المستقبل وهذا يعني عمل سياسي ضاغط ومستمر سوف يجبر الطرف الضعيف على قبول التنازل المستمر. وفي حالة عدم تحقيق هذا المنهج أهدافه فإنه سوف يتم الانتقال إلى المرحلة التالية :

٢ – إذا لم تتحقق النتائج السياسية عبر إيقاف البرنامج التسلحي فسوف تعمل على ضرب هذه المفاعلات عبر عمليات عسكرية محدودة يشل الطرف الضعيف عن الرد خصوصاً وإن الرد سوف يقابل بقوة عسكرية ضاربة متواجدة على الحدود وهذا يعني السؤال يبقى مطروح هو إما التخلي عن البرنامج التسلحي الغير تقليدي سواء نووي أو كيماوي أو التخلي عن النظام السياسي بكامله وهذا في نهاية المطاف سوف يكون الهدف النهائي من أجل إعادة ترتيب خريطة الشرق الأوسط من أجل أن تكون إسرائيل هي عموده الفقري وقوته العسكرية والسياسية والاقتصادية الضاربة.

تحييد أمريكا وإسرائيل يكمن في تهديد إسرائيل

أصبح اليوم من الوضوح تأثير المصالح المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على جعل المنطقة العربية ومحيطها الإسلامي تحت مطرقة عدم الاستقرار السياسي وهو القانون والسياسة التي انتهجتها بريطانيا ثم أمريكا من أجل استعمار ثم استغلال تفكك الدول العربية والذي يسمح بقيام واستمرار دولة إسرائيل كدولة قوية مؤثرة تلعب الورقة الأقوى في المنطقة وإن بحث أمريكا أو إسرائيل عن السلام في الشرق الأوسط ما هو إلا من الأعمال السياسية التكتيكية التي يراد منها تهدئة جبهة ومنطقة من أجل عزل وضرب منطقة أخرى أي أن أي حديث عن إحلال السلام من الإدارات الأمريكية المتعاقبة والإدارات الإسرائيلية المتعاقبة ما هو إلا من أجل تهدئة الجبهة العربية في فلسطين من أجل إيقاف مد سياسي معين ذو أيدلوجية معينة مثل القوى الفلسطينية ذات البعد الديني في فلسطين أو من أجل تهدئة الموقف هناك من أجل كسب دعم الدول العربية لضرب أمريكا لدولة عربية أو دولة إسلامية أخرى وفي المحصلة والنتيجة النهائية هي أن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل هما الوحيدان الذين ليس من مصلحتهما وجود حالة سلام بل إن حالة الحرب وعدم الاستقرار هي الحالة الوحيدة التي تخدم السياسة الأمريكية والإسرائيلية. حتى وإن تنازل العرب عن كل فلسطين فإن حالة الحرب وعدم الاستقرار هي أكثر أدوات هاتين الدولتين فاعلية من أجل التدخل في شؤون الدول العربية وأكثرها تأثير من أجل استمرارية الحالة المتردية والمتخلفة العربية اليوم.

إذاً السؤال هو كيف يمكن تحييد السياسة الأمريكية من الاستمرارية في الدعم اللامحدود لإسرائيل؟ إن الجواب يكمن في الموقف العربي الحقيقي وفي إسرائيل. إذا كانت إسرائيل هي أهم حلقات السياسة الأمريكية تأثير على سياستها الشرق أوسطية فإن إسرائيل كذلك أحد أهم وأضعف حلقات السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وأن أي سياسة واستراتيجية عربية يمكنها وضع إسرائيل تحت طائلة الانتقام والتهديد المباشر فإن السياسة الإسرائيلية وفاعليتها سوف تصاب بالشلل أي أن الأدوات العسكرية الإسرائيلية التي كانت وما زالت أهم أدوات السياسة الخارجية الإسرائيلية فاعلية في تحقيق أهدافها عن طريق استخدام القوة سواءً في التهديد المدني بضرب مناطق سكانية أو بالتهديد باستخدام القوة لحماية أو ضرب نظام سياسي معين كان يساعد السياسة الإسرائيلية،

بمعنى أن القوة العسكرية الإسرائيلية كانت هي العامل الأكثر أهمية والأكثر فاعلية في تحقيق سياساتها الخارجية وأن أدواتها الاقتصادية أو المساعدات الخارجية سواء مالية أو تقنية وموقعها الجغرافي الجيوسياسي والجيواستراتيجي كلها كانت من عوامل الضعف للسياسة الإسرائيلية وأن بعدها الدبلوماسي والعسكري كانا أهم وأقوى أدواتها في تحقيق أهدافها في السياسة الخارجية.

إذاً يجب أن يكون الاهتمام موجه لعوامل قوة إسرائيل وهما القوة العسكرية وقدرة تأثيرها على الولايات المتحدة الأمريكية أي قوتها العسكرية والسياسة الأمريكية الداعمة لها. وأنه بتكبيل هذين العاملين يمكن تحييد القوة العسكرية الإسرائيلية وكذلك أضعاف تأثير قوة الولايات المتحدة الأمريكية.

إن أهم عوامل إنجاح المشروع الصهيوني في فلسطين هو التجمع البشري لشتات اليهود من كل مكان هذا التجمع يجب أن يكون مصحوب برغد العيش وهذا ما وفرته الإدارة الأمريكية والمجتمع الصهيوني العالمي ومصحوب كذلك بالأمن وهذا كذلك ما وفرته له القوة العسكرية الإسرائيلية والسياسة الأمريكية وبالتالي فإن أي تهديد لهذه التجمعات البشرية اليهودية فإنه يصيب إسرائيل بالشلل التام حيث أن التجمعات البشرية الإسرائيلية تعد بحق أحد أكثر عوامل ضعف المشروع الإسرائيلي ضعفه على مستوى الفكرة والأيدلوجيا وكذلك هي الأضعف على مستوى الدفاع والسياسة.

إن وضع وإنشاء قوة عربية ضاربة قادرة على وضع التجمعات اليهودية تحت طائلة التهديد والتدمير سوف يصيب إسرائيل والسياسة الأمريكية بالشلل التام وتصبح المعركة مع التحالف الإسرائيلي الأمريكي هو صراع اقتصادي ثقافي حيدت فيه القوة العسكرية.

إن المشروع الصهيوني كان دائماً مركزاً على العامل البشري في تحقيق الحلم بالوطن القوي منذ هرتزل حتى بن قريون حتى إسحاق شامبر وأرييل شارون كان هاجس التجمع البشري اليهودي الآمن في إسرائيل وأن القوة العسكرية الإسرائيلية الضاربة والسياسة الأمريكية النشطة تكمن في تحقيق هذا الهدف وبناءً عليه فإن التدخل في شؤون الدول العربية وإضعافها وضرب بعضها في بعض هو أهم أدوات هذا التأمين.

ولذلك فإن الدول العربية سواء كانت مجتمعة أو منفردة يجب أن تتعرف على مكمن الضعف الإسرائيلي والأمريكي وهو تهديد المجاميع البشرية اليهودية داخل المدن ووضعها تحت طائل التهديد المباشر والتدمير الكامل وبذلك فإن القوة العسكرية الإسرائيلية والمغامرات السياسية الأمريكية سوف تضعف وتنكشف وسوف تسعى إسرائيل نفسها والمجتمع الصهيوني في أمريكا إلى عدم دفع أمريكا إلى مغامرات غير محسوبة وغير دقيقة حيث إن أي خطأ بالتقدير يعني إفناء مجاميع بشرية كبيرة في إسرائيل وبالتالي وضع

المشروع الصهيوني بكامله على محك الفشل والذوبان.

إن السياسات العربية المتعاقبة سواء عن قصد أو غير قصد فشلت في الوصول إلى هذه النتيجة المبسطة وهي أن تهديد المدن الإسرائيلية كافي لشل السياسة الإسرائيلية وخصوصاً ذراعها الأقوى وهو القوة العسكرية وكذلك فإن عدم قدرة القوة العربية أي قوة عربية على تهديد إسرائيل في مجمعاتها البشرية أطلق يد الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها لخدمة إسرائيل بل وضرب أكثر حلفائها وأصدقائها العرب من أجل المصالح الإسرائيلية.

إنه لمن حسن الحض التاريخي والتقني للدول العربية سواء مجتمعه أو منفردة إن العامل التقني والاستراتيجي لضرب التجمعات السكانية البشرية الإسرائيلية هو ليس من الصعوبة بمكان وإن الدول العربية سواء مجتمعة أو منفردة قادرة على وضع قدراتها لتحقيق مثل هذا الهدف الاستراتيجي بل إنه من حسن الطالع أن أي دولة سوف تحقق هذا الهدف سوف تكون أكثر أمناً وأكثر احتراماً سواء داخل الوطن العربي أو خارجه حيث إنها استطاعت أن تحقق مفهوم الردع واستطاعت أن تحيّد القوة العسكرية الإسرائيلية من جانب وتحيّد المغامرات السياسية الأمريكية من جانب آخر ويكون شعارها أن الغرق والتدمير لن يكون وحيداً بل سوف تجر إسرائيل كذلك إلى ذاكرة التاريخ في حالة قيام إسرائيل أو أمريكا في مغامرة غير محسوبة لضرب هذه القوة العربية الضاربة والرادعة.

معاهدة موسكو للحد من الأسلحة/ أبعادها السياسية

باتفاق موسكو في أواخر شهر مايو من عام ٢٠٠٢م تكون كلاً من واشنطن وموسكو قد أنهت بالفعل خطوة مهمة إلى الأمام في توجهاتها الاستراتيجية متوسطة وبعيدة الأمد. حيث أن بوادر هذه الاتفاقية تعكس بالفعل التوجهات السياسية والاستراتيجية للبلدين.

اتفاقية موسكو تعمل على الحد من الترسانة النووية للبلدين بمعدل الثلثين أي خفض الرؤوس النووية إلى الثلثين ومع أن هذه المعاهدة قد دفعت إلى خفض كمية هذه الأسلحة إلا أنها تركت الباب مفتوح وغير واضح حول ما هو العمل بهذه الرؤوس النووية خصوصاً وأن المعاهدة لم تنص على تدمير هذه الرؤوس النووية. بل إن المعاهدة تركت الباب مفتوح لتطوير القوة الهجومية والدفاعية للطرفين الأمر الذي كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريده قاعدة شرعية من أجل الانطلاق في برنامجها الدرع الصاروخي التي ترغب في إقامته بعد انسحابها من طرف واحد من معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٧٢م والتي كانت تنص على الحد من الأسلحة النووية وعدم إقامة أنظمة دفاعية تدفع إلى حالة من سباق التسلح إلا أن معاهدة موسكو عام ٢٠٠٢م لم تنص على مثل هذه الارتباطات مما يعني إعطاء الشرعية القانونية للمضي قدماً في تطوير البرامج الدفاعية والهجومية للولايات المتحدة من جانب والهجومية لروسيا من جانب آخر خصوصاً وأن هناك قناعة في بعض الأوساط الروسية أن صاروخ عابر للقارات يحمل عدد كبير من الرؤوس النووية قادر وكفيل باختراق الدرع الصاروخي الأمريكي المحتمل وإذا كان إطلاق أكثر من صاروخ في ذات الوقت فإن مهمة الدفاع الصاروخي الأمريكي تبقى أصعب ومستحيلة من وجهة النظر الروسية اليوم.

إن ما يغيب عن الذهن في هذه المعاهدة هو البعد الاستراتيجي للطرفين وأهدافهما الاستراتيجية والتي تملي عليهما طبيعة وشروط المعاهدة وعلى الجانب الروسي فإن الضعف الاقتصادي وعدم الفاعلية الاقتصادية والتحول العسر من النظام الشيوعي السوفيتي القديم إلى الرأسمالية كان أصعب مما تصور الروس أنفسهم خصوصاً بعد سيادة القطاع العام لمدة تزيد عن ستون عاماً. ولم يكفي ذلك بل إن النظام السياسي الروسي اليوم ممزق بين البعد السياسي الداخلي أي الشأن الروسي القومي وبين إبقاء

بعض المناطق التي تراها روسيا جزء من الدولة الروسية مثل الشيشان وداغستان وغيرها والاختلاف بين هذين البعدين والبعد الدولي أي مكانه روسيا التي ورثته من الاتحاد السوفيتي السابق. كل هذه العوامل تدفع روسيا إلى مثل هذا الاتفاق والذي يعني:

١. تخفيف الأعباء الاقتصادية على روسيا من جرّاء صيانة وتشغيل ومراقبة هذه الأسلحة الهجومية الضاربة.

٢. محاولة إرضاء الولايات المتحدة الأمريكية وعدم استعدائها خصوصاً وأن هذه الأخيرة ماضية في خططها الاستراتيجية سواء رضت روسيا أم لم ترضى. وأن روسيا بحاجة للولايات المتحدة الأمريكية أكثر من أي دولة أخرى على المستوى السياسي من حيث رغبتها بتطويع القوى المحلية المناهضة للوحدة الروسية وتمنع أي دعم أمريكي محتمل لمثل هذه القوى الانفصالية بل يجب الحصول على الدعم الأمريكي من أجل توثيق الوحدة الروسية ومن جانب آخر فإن أمريكا هي الدولة الأهم التي تتطلع روسيا لدخولها على المستوى الاقتصادي أي أن الروس يتطلعون أن يصبحوا الدولة الأولى بالرعاية من الجانب الأمريكي.

٣. رغم أن بعض العسكريين الروس يعارضون هذه المعاهدة إلا أن هذه المعاهدة سوف تعمل على عزل القوى العسكرية الروسية المعارضة بدل من زيادة تأثيرها وهذا يكون هدف جيد للسياسي الروسي والأمريكي على حد سواء.

أما على البعد الأمريكي فإن المعاهدة تحقق لها أهدافها الاستراتيجية التي يمكن تلخيصها في التالي:

١. إعطاء شرعية قانونية لبناء قوة نووية جديدة سواء دفاعية أو هجومية خصوصاً بعد انسحابها من معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٧٢م ثم عقد معاهدة موسكو عام ٢٠٠٢م والتي بموجبها تم خفض أسلحة نووية أمريكية وروسية بمقدار الثلثين وهذه المعاهدة سوف تسمح وتدفع للتخلص من القوة النووية القديمة للطرفين مع قدرة الطرف الأمريكي على إعادة بناء قوة نووية ضاربة هجومية ودفاعية أن الولايات المتحدة الأمريكية لديها الإمكانيات السياسية والاقتصادية والتقنية للحصول على مثل هذه الأجيال الجديدة من الأسلحة.

٢. إن روسيا اليوم هي الدولة الوحيدة في العالم القادرة على تهديد وتدمير الولايات المتحدة الأمريكية ولكن بمثل هذه المعاهدة فإن ذلك سوف يستمر لمدة زمنية تتراوح بين ٥-٧ سنوات في أغلب التقديرات وأنه بعد هذه المدة من حيث عدم قدرة روسيا على بناء جيل جديد من الأسلحة وقدرة أمريكا على تحديث ترسانتها النووية فإن أمريكا سوف تكتشف بعد خمس أو سبع سنوات أنها الدولة الوحيدة في العالم التي هي في حرية من أي تهديد

خارجي وسوف تتصرف على أساس تحررها من الخوف من طرف خارجي كما حدث خلال الحرب الباردة خلال الخمسون سنة المنقرضة. ولذلك فإن الكونغرس سوف يحاول عند التصديق على معاهدة موسكو والإصرار على تدمير هذه الصواريخ بدل من الاحتفاظ بها. حتى وإن كانت غير قابلة للاستخدام.

٣. إن معاهدة موسكو تكشف عن وجهة تعاون روسي أمريكي حول مفهومين هما محاربة الإرهاب وهذا تشترك فيه روسيا وأمريكا وكلاهما يرى أن التهديد من الإرهاب هو عامل محرك للطرفين ولذلك فإن التعاون العسكري عامل مهم في هذا المجال من أجل إعطاء نوايا حسنة وعدم تأجيج الصراع بين الطرفين حتى لا يتم استغلال هذا الصراع من قبل طرف ثالث. وعلى الجانب الآخر هو الحد من إنشاء الأسلحة النووية وهذا مطلب أمريكي استراتيجي مهم يكمل استراتيجيتها في انفرادها بالقوة والدفاع وتحررها من أي تهديد محتمل وتستغل روسيا هذه المخاوف من أجل مقايضتها بمساعدات اقتصادية وسياسية أمريكية لروسيا وتسهيل مهمة روسيا من أجل الدخول لعالم أوروبا والدخول في حلف الناتو وهذا ما تراه روسيا أنه مجالها الحيوي في المستقبل بينما هذا ما تراه أمريكا هو أن وضع روسيا الطبيعي أن تكون جزء من النظام الإقليمي الأوروبي بدل من أن تكون دولة عالمية.

إن آثار المعاهدة وأبعادها السياسية تعني تحقيق بعض الأهداف الاستراتيجية لبعض الدول وحرية استراتيجية لدول أخرى ومن هذه النتائج المحتملة:

١. جعل أوروبا أكثر أمناً من الجهة الشرقية ولكنها أقل قدرة على الحركة والتصرف والتحرر أي انشغال أوروبا بقضايا محلية أوروبية تكون عائق أمام الانطلاقة الأوروبية خلال العقدين القادمين.

٢. إن انضمام روسيا وأوروبا الشرقية إلى المنضومة الأوروبية يعني بقاء التأثير الأمريكي على أوروبا خلال مرحلة التغير والتحول وهذا ما يحقق لأمريكا أهداف عديدة منها التدخل في الشؤون الأوروبية وإدارة الصراع الدولي وتكون أوروبا إلى جانب أمريكا خصوصاً في آسيا والشرق الأوسط.

٣. إن هذه الاستراتيجية سوف تضع الهدف الاستراتيجي الأمريكي والقاضي بحرمان دول أخرى وخصوصاً في آسيا مثل كوريا الشمالية، العراق، إيران وغيرها من الدول من امتلاك قوة نووية ضاربة وهذا ما سوف تعمل أمريكا على تحقيقيه خلال العقد أو العقدين القادمين سواء بالطرق السلمية أو بالطرق العسكرية في حالة الضرورة.

٤. إن الهدف الأسمى للاستراتيجية الأمريكية هو تحجيم قوى نووية امتلكت القوة النووية ومحاولة إيقاف مشاريع تطوير قدراتها العسكرية خصوصاً باكستان والهند

والصين حيث تقضي الاستراتيجية الأمريكية إلى التفرغ لهذه الدول والتفاعل معها خلال العقدين القادمين من أجل تحرير نفسها من أي تهديد خارجي.

إن إدارة دفة الصراع الدولي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تقضي بتقليم أظافر القوى الخارجية ابتداءً بالقوة الروسية ثم القوى المحتملة ثم القوى المحايدة في الصراع الدولي وهذا البعد الاستراتيجي هو الذي سوف يجعل أمريكا الدولة المهيمنة على الشأن الدولي لفترة غير محددة وبتحررها من الخوف من الطرف الآخر.

أحداث أمريكا: محاولة للفهم

على الرغم أن ضحايا انفجار نيويورك وواشنطن لا يمكن يقارن بأعداد ضحايا الحروب سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية أو أي من الحروب العربية الإسرائيلية أو حرب الخليج الأولى أو الثانية أو حتى حرب التصفية العرقية التي مارسها الصرب ضد مسلمي البوسنة والهرسك أو حتى حرب التصفية الشاملة التي تمارسها روسيا ضد الشيشان أو حتى الحروب التي خاضتها الهند ضد باكستان على مناطق جامو وكشمير أو حتى ضحايا المجاعات والصراعات الغير منتهية في أفريقيا أو حتى الحروب الأهلية الطاحنة والتي كانت تديرها الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية . أقول على الرغم من أن ضحايا أحداث الولايات المتحدة الأمريكية أقل ألا انه كان لها نصيب الأسد من الاهتمام والتحرك الدولي المتسارع . من أسباب ذلك هو :

أولاً : أنه المرة الأولى التي يتم ضرب قلب الولايات المتحدة الأمريكية حيث كانت أمريكا دائماً بعيدة عن الاعتداء المباشر ونعرف جميعاً أن المجتمع الأمريكي أعتاد أن يرسل جيوشه وأساطيله الى كل بقاع العالم على أن تبداء الحرب مع حلول الظلام في أمريكا أن يكون موقع المعركة قد تجاوز منتصف الليل وهذا يعني تضمين الأخبار الساعة السادسة ونصف مساءاً أخبار الحرب وبداية المعارك في هذا الوقت يكون الوطن الأمريكي يجلس على مائدة العشاء وهو يتابع خطاب رئيسيه وقواته العسكرية تقوم بتدمير كل شئ من المنشأة الى البشر دون أي اهتمام أو إحساس حيث يستعد المواطن الأمريكي بعد سماع الأخبار وتناول العشاء للذهاب الى أحد النوادي الليلية لإكمال برنامجه اليومي هذا الحدث يختلف الى حد ما حديث الحدث أصاب الأمريكي في حالة فقدانه الأمن الداخلي وهو إحساس جديد على الفرد الأمريكي ومن جانب آخر أن ضرب الهدف لم يكن واضح ولذلك أخذت الإدارة الأمريكية ضرب اكثر الأهداف وضوح وهو حركة طالبان على الرغم من عدم قناعتها القوية بهذا الهدف ولكن لا بد من إرضاء صيحات الثأر للفرد الأمريكي ولابد للرئيس أن يعمل شيء أي شيء حتى يرضي الشارع ويمكن الرئيس أن يطرح مشروع أعاده انتخابه .

ثانياً : عندما طرح فوكوياما أطروحته عن نهاية التاريخ يقصد أن الغرب بنظرياته وأيدلوجياته هو المنتصر في هذه الحركة التاريخية ألا أن أحداث أمريكا طرحة الفكرة بشكل مقلوب أي يمكن أن تطرح على أنها نهاية الأيدلوجيات الغربية بمفهومها الفلسفي أي أن الصراع الأيدلوجي داخل الحضارة الغربية زال بعد نهاية المعسكر الشيوعي ثم تم النصر

للفلسفة الأيدلوجية الرأسمالية ألا أن هذه الفلسفة الأيدلوجية الغربية أخذة معاول فنائها بطرحها مفهوم العولمة وعلى الرغم أن مفهوم العولمة كان يحمل الشعار الاقتصادي على انه الأداة الواضحة ألا انه كذلك كان يضمر بعده الفلسفي والحضاري والديني داخل هذا الإطار الغير واضح من العولمة وبالتالي فإن ما طرحه الغرب من العولمة الاقتصادية بقوة الفلسفة الغربية أصبح يجابه بمفهوم عولمة ولكن بقوة أو قوى متعددة منها ما هو كامن ومنها ما هو ظاهر ولكن العولمة الغربية الاقتصادية كانت تقوم على عامودها الفقري وهي القوة العسكرية وأسلوب القهر والإجبار فإن الأطراف الأخرى أو جزء منها أخذة بالتعبير عن هذا المكنون بطريقة العنف ذاتها والوسيلة ذاتها التي تبنتها الحضارة الغربية لعقود طويلة سابقة وما هذه القوة العسكرية التي تجوب الكرة الأرضية ألا افضل تعبير عن نظرة العولمة باستخدام القوة والعنف .

ثالثاً : أن اختراق الحاجز النفسي والفعلي للأمن في الولايات المتحدة الأمريكية يعد بحق حلقة واضحة في مفهوم تراجع القوة الأمريكية بل أن أدوات الصراع لم تعد تضعها القوة الغربية وتختار طريقتها وأدوات تنفيذها . انه المرة الأولى التي تضطر الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون كل أساطيلها وطائراتها أقل فائدة في أي صراع دولي بل أن أمريكا اليوم بكامل إرادتها تخضع لعوامل وأدوات الصراع التي وضعها الطرف المعادي . كانت الولايات المتحدة الأمريكية دائماً تحدد نوع وكيفية الصراع وشكل المعركة أما مع أحداث أمريكا فإن المعادلة مقلوبة خصوصاً وأن أدوات التدمير والإفزاع أصبحت ممكنة وسهلة وطريقه إيصالها وتنفيذها أسرع وأسهل من ذي قبل بفعل العولمة الاقتصادية والمعلوماتية التي قادتها الحضارة الغربية حول العالم .

رابعاً : يشهد العالم الإسلامي منذ اكثر من أربع قرون من الزمن من حالة إذلال هائلة مارسها عليه الغرب وحيث كانت حالة الإذلال السابقة مربوطة بالجهل والتخلف أما حالة الإذلال التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم مرتبطة بحالة من الوعي الهائل والقدرة المتدفقة والقوة المتحفزة للعمل سواء في مجال الفكر أو التطبيق في جميع صور الحياة من اجل رفع حالة الإذلال التي يعيشها العالم الإسلامي سواء ضد تحدياته الداخلية أو الخارجية . منذ اكثر من أربع قرون والإسلام يعد لاعب سياسي دولي مهمش الى حد بعيد سمح هذا التهميش للقوة الغربية باستعمار الدول العربية والإسلامية والعمل من داخل هذه الدول والمجتمعات الإسلامية في تدمير العالم الإسلامي بل أن هذا التهميش الذي عاشه العالم الإسلامي والعربي هو قلب العالم الإسلامي سمح لليهود بإنشاء مشروعهم السياسي على أرض فلسطين حيث أن المتتبع لتطورات المشروع الصهيوني يعرف لماذا اختار اليهود فلسطين كمنطقة جغرافية للمشروع الصهيوني وذلك لأسباب دينية أو تاريخية ولكن

السبب القوي هو ضعف وتهميش العالم الإسلامي على المستوى الدولي ولم يدر بخلد اليهود في ذلك الوقت أن العالم الإسلامي سوف ينبعث من جديد ويقارع القوى الدولية ويضع المشروع الصهيوني برمته على محك الامتحان والشك في بقائه .

أن أحداث أمريكا يمكن أن تفتح الباب أمام التساؤل المشروع وهو : هل الإسلام يبحث عن دور في النظام الدولي ؟ وهل أحداث أمريكا هو استباق فقط لهذا الدور الهائل الذي سوف يلعبه الإسلام في المسرح الدولي في المستقبل ؟ وهل الغرب بداء يفهم القوة الهائلة والكامنة في المشروع الإسلامي على المستوى الفكري وبالتالي سوف يعملون على التعامل معه أو مصادمته ومحاولة إجهاض محاولاته ؟ أن يبحث الإسلام عن مكان طبيعي في عالم اليوم هو بحث طبيعي ومشروع بعد تهميش دام اكثر من أربع قرون أو تزيد وأن أول ضحايا هذا الدور المتعاظم يجب أن يكون إسرائيل حيث أنها وجدت بسبب الضعف العربي والإسلامي وتزول بسبب قوة العرب والمسلمين .

البلقان وتأمين المواقع الأمريكية والبريطانية

فتحت صربيا تحت قيادة زعيمها العنصري سلوبودان مولوسوفيش الباب أمام الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا (الانجلوسكونية) على مصرعيه من أجل أعادة ترتيب أوربا من جديد بإدخال شرق أوربا ومنطقة البلقان في الدائرة والخريطة السياسية الأوربية خصوصاً بعد سنوات من التراجع الأمريكي البريطاني من منطقة أوربا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتوحد ألمانيا والنشاط المحموم الذي تقوده فرنسا وألمانيا من أجل أضعاف المواقع الأمريكية والصوت البريطاني في الشؤون الأوربية .

ولم يكن أفضل من سلوك الزعيم الصربي لاعطاء هذه المواقع الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية برعونته السياسية ومواقفه العنصرية العمياء .

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دعمت وسلمت بالوحدة الاقتصادية الأوربية بشكل غير محدود و أن أيمان الولايات المتحدة الأمريكية أن الهم الاقتصادي هو الهم الحقيقي الذي يقلق الحليف الأوربي التاريخي إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعترف يوماً بالاستقلالية الأمنية للقاء الأوربية وذلك أيمان من الأمريكيين أن أوربا يمكن أن تكون خط الدفاع الأول عن القارة الأمريكية كما شاهدنا في الحرب العالمية الثانية أو أن تكون خط الدفاع الأخير في حروب أو صراع يمكن أن يحدث مع دول آسيا سواء هذه الصراعات اقتصادية أو سياسية أو عسكرية كما أن أوربا من وجهة النظر الأمريكية هي أحد مناطق الاستثمار الاقتصادي سواء في أوربا الغربية أو الشرقية أو حتى منطقة البلقان في المستقبل .

وبالفعل فإن النشاط المحموم الذي قادته فرنسا وألمانيا من محاولة ترجمة التقارب الاقتصادي إلى تقارب سياسي أمني أصيب بالفشل الذريع في أزمة البوسنة والهرسك سابقاً وأزمة كسوفو اليوم وأفشلت سنوات من الجهد والتقارب الفرنسي الألماني

لتحقيق قوة أوربية بعيد عن التأثير البريطاني القوي والتدخل الأمريكي تحول الى مسئله أحلام قادها الخيال الفرنسي وأن ألمانيا القوة الأكثر نفوذ في أوربا سوف يستمر اقتصادي أكثر من كونه سياسي وأمني .

أن اتفاق كسوفو اليوم ورغم الحضور الروسي بدون دعوة إلى المعادلة السياسية في كسوفو فإنه لا يعني أكثر من كونه للدعاية المحلية للرئيس الروسي داخل روسيا أكثر من

كونه نتيجة أو محصلة للجهد الروسي السياسي أو العسكرية ونشاهد كذلك أن فرنسا وألمانيا مرة أخري تنجران لمتابعة خطوات القائد الأمريكي والشريك البريطاني وهذا يذكرنا بالثعالب القطبية التي تتبع الدببة القطبية حتى تقتات على بقايا فرائسها . وبالتالي بأن الصوت الفرنسي والألماني سوف يكون صوت غير قوي وغير مؤثر والتواجد الإيطالي لا يعدو أن يكون اعتراف لإيطاليا بفتح مجالها الجوي أمام القوات الأمريكية والبريطانية لاستخدامها ضد يوغسلافيا في الحرب الجوية .

إذاً الصوت البريطاني الأمريكي هما الصوتان الأكثر قوة في منطقة البلقان وفي البوسنة والهرسك سابقاً وفي كسوفو اليوم بل أن هاتان القوتان سوف تكونان أكثر القوى تأثير وأهمية و استمرار حيث أن الاستراتيجية الأمريكية تقضي بالتالي :-

منطقة البلقان هي مناطق مضطربة من الناحية السياسية والعرقية وأكثر مناطق أوربا تأخر على المستوى الاقتصادي وبالتالي فإن التواجد الأمريكي البريطاني سوف يكون هناك لفترة غير محدده يمكن أن تستمر لعقد من الزمن أو عقدين أو أكثر ولن يتحقق الانسحاب الأمريكي البريطاني إلا عند تحقق الشروط التالية :-

أولاً : تقليم دور القوى المحلية المولية لموسكو والقيم السياسية الفاشية ومحاولة أيجاد ثقافة سياسية وأجتماعية جديدة تقضي بالقبول بالأخر رغم الاختلافات العرقية والدينية وبالتالي فإن مفهوم خلق ثقافة جديدة مهم جداً تقضى بالتسامح السياسي والاجتماعي وبالتالي فإن مفهوم التواجد الطويل لأمد لابد منه .

ثانياً : تقليم القوى الراد يكالية في منطقة البلقان يعني تقليم أي نفوذ لموسكو أو دول أخري قوية مثل ألمانيا وفرنسا في المستقبل وهذا يعني أن التواجد الأمريكي البريطاني سوف يكون نشط وطويل الأمد في المستقبل .

ثالثاً : إن مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لكل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا اليوم هو محاولة عدم استفزاز هذه القوى واستثمار إمكانيات هذه الدول في عملية السلام وعملية البناء والمساعدات في محاولة البناء لكسوفو ومنطقة البلقان وأدخالها وكأنها شريك ثاني في الزمن الأوربي .

رابعاً : من خلال قراءة التفكير الاستراتيجي الأمريكي البريطاني ومن خلال قراءة أدوات تنفيذ هذه الاستراتيجية يتضح أن القوة الانغلوسكونية تحاول أن تعيد منطقة البلقان إلى الحضيرة الأوربية يعدها الاقتصادي والاجتماعي فقط ولكن يبقي البعد الأمني والعسكري بيد القوه الأمريكية والبريطانية إلى حد كبير .

خامساً : يبدو أن دول كانت إلى حد قريب هامشية مثل ألبانيا ومقدونيا سوف تكتسب أهمية استراتيجية في المستقبل ويمكن لهذه الدول أن تستفيد بشكل كبير في حالة أن هذه

الدول لعبت اللعبة السياسية بشكل حاذق وجيد .

سادساً : أن مفهوم إعادة منطقة البلقان للحضيرة الأوربية في بعدها الاقتصادي والاجتماعي سوف يشمل يوغسلافيا أيضاً تحت شروط سياسية واجتماعية معينة منها التسامح السياسي والاجتماعي والبعد الاقتصادي شبة الرأسمالي .

إذاً معاهده الأستسلام التي وقعتها يوغسلافيا مع دول حلف الناتو كانت بمثابة البوابة الواسعة لشرعنة الوجود الأمريكي البريطاني (الانجلوسكوني) في منطقة البلقان لفترة زمنية غير محدودة وشرعنة للرأي ولاستراتيجية الانجلوسكونية أن تلعب دور اللاعب الأول والصوت الأكثر قوة وحضوراً في الترتيبات السياسية والاستراتيجية في منطقة البلقان لفترة غير محدده على العكس من القوة الروسية التي سوف تخضع للتقلبات السياسية الداخلية في روسيا بينما أن القوات الفرنسية سوف تعاني من مسألة التهميش والقوات الألمانية سوف تبقي كمصدر للتمويل أكثر من كونها لديها فكراً استراتيجي واضح أو هدف محدد يمكن تحقيقة لذلك سوف نكتشف بعد عشر سنوات من الآن على الأرجح أن القوات الأمريكية البريطانية

(الانجلوسكونية) هي أكثر ظهوراً وضوحاً في منطقة البلقان وأنها الأكثر صوتاً وقوة في الترتيبات الأمنية في منطقة البلقان على حساب القوى الأوربية الأخرى .

الصين بين اللاعب الإقليمي والعالمي

عندما صدر كتاب السيد Steven .W. Mosher تحت عنوان (Hegemon) في منتصف الشهر السابع من العام الألفين للميلاد أي خلال هذا الصيف والذي حاول المؤلف أن يزيد من حرارة الجدال الساخن داخل الولايات المتحدة الأمريكية حول التعامل مع الصين . وإذا كان السيد كلنتون قد حزم أمتعته السياسية في التعامل مع الصين من حيث نهجه سياسة التواصل والتأثير وتغيير الصين من الداخل من خلال العلاقات الإيجابية فإن السيد كلنتون يستعد لحمل حقائبه السياسية للرحيل عن البيت الأبيض وهذه السنة هي سنة انتخابات أي سنة شد وجذب ومساومات وحديث بصوت مرتفع والصين وموضوعها الساخن لا يخرج عن هذه القاعدة من حيث أثر البعد الداخلي للقوى المتصارعة على المواقف الدولية للولايات المتحدة الأمريكية .

ومما يزيد هذا الكتاب أهمية ليست دار النشر المشهورة التي تولت نشر الكتاب بل تأتي أهمية هذا الكتاب من اعتماد المؤلف بشكل واضح على العديد من الأدبيات والكتابات الصينية سواء التي تصدر داخل الصين وهي الأهم أو التي تصدر في المحيط الصيني . وبالفعل فإن المؤلف رصد الأدلة والبراهين على أن أغلب الكتابات التي تصدر عن الصين وتتحدث عن مستقبل الصين فإنها تتحدث وتعد الصين للعب دوراً عالمياً وليس دوراً إقليمي على المستوى الآسيوي وإذا كان الطموح الصيني للعب دوراً دولياً طموحاً مشروعاً بل وان العديد من دول العالم تتطلع من الصين للعب مثل هذا الدور بما فيهم حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية فإن السياسة الأمريكية من جانبها تسعى إلى دفع الصين للعب دوراً إقليمي واقتصادي اكثر من لاعب دولي من الدرجة الأولى .

والحقيقة أن تصادم الأردتين يبدو اكثر وضوحاً واكثر جلاء من خلال مراقبة السلوك السياسي لكلا الدولتين عن مستوى العمل الداخلي والخارجي ففي الوقت التي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تطوير درعها الصاروخي الواقي من الصواريخ النووية القادمة إليها وإن كانت تعلن هدفها هو الدول الراديكالية إلا أن المتضرر من مثل هذا المشروع هو الصين والدول النووية الأخرى حيث يحول قوة الصين النووية المتواضعة من بعدها الدولي إلى قوة نووية إقليمية بحيث يضعف الخيار الصيني في تهديد الأراضي الأمريكية بل تسعى الولايات المتحدة الأمريكية تحت سلسلة من الضغوط المختلفة والمتعاقبة من أبعاد الصين عن الدخول في علاقة وثيقة من دول عديدة حول العالم وقصر هذه

العلاقات على أبعادها الاقتصادية وهذا يعنى محاولة حرمان الصين من الاستفادة من مبيعات سلاحها وتطوير هذه التكنلوجيا من خلال حرمنها من الأسواق المحتملة وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أقنعت أو ضغطت على الصين بعدم بيع صواريخ للعديد من دول العالم ودول الشرق الأوسط منها فان الولايات المتحدة الأمريكية لم تقنع الصين بممارسة ذلك الضغط على الصين من مبيعات السلاح لباكستان حيث تعد باكستان عامل إقليمي بالنسبة للصين في صراعها مع الهند ولذلك فان هذا البعد يعنى للصين والولايات المتحدة الأمريكية هو صراع إقليمي يأخذ أبعاد عالمية .

وعلى الجانب الآخر لا تكتفي الولايات المتحدة الأمريكية في زيادة استثماراتها المالية والتكنلوجية والمعرفية والعسكرية في الصين بل أنها تلعب دوراً مزدوجاً واقتصادياً في هذا السياق حيث أنها لا تكتفي بالصين بل تسعي إلى زيادة هذه الاستثمارات بشكل اكثر في الدول المحيطة بالصين حيث نشاهد اهتمام أمريكي بالدول المحيطة بالصين وتأتي فيتنام آخرها حيث أن هذه الدول بشكل أو بآخر مرشحة لمنافسة الصين على المستوى الإقليمي منافسة الصين ليس فقط على المستوى الاقتصادي وهذا يمكن ان يكون غير كافي حيث ضخامة وأهمية الصين بل المنافسة على مستوى الصراع الإقليمي أي ربط هذه الدول بقوة عظمى مثل الولايات المتحدة الأمريكية مما يعنى قدرة الولايات المتحدة الأمريكية الى تحويل الصين الى لاعب إقليمي وليس دولي من خلال إدخال الصين في سلسة من الدوائر الإقليمية والصراع الإقليمي ذو الطابع السلمي ومن هنا فان الصين سوف تصرف جل اهتمامها لحل هذه القضايا الإقليمية وبالفعل فان الصين اليوم تصرف جل اهتمامها على القضايا الإقليمية حيث أنها تصرف جل جهدها السياسي والاقتصادي والعسكري على قضايا مثل تايوان ، التبت هاتان المنطقتان اللتين تنظر لهما الصين على أنها أحد مقاطعتها وإذا ما خرجت الصين عن هذا المحيط فإنها سوف تدخل بالمحيط الآسيوي الذي سوف يتدرج من كمبوديا وفيتنام مروراً بشبة الجزيرة الكورية حتى وصولاً إلى اليابان والهند مروراً بالباكستان .

إن الدوائر الإقليمية التي تحيط الصين هي من التعقيد والأهمية والحساسية حيث يمكن لها وباستغلالها من دولة هائلة الخيال السياسي مثل الولايات المتحدة الأمريكية أن تستثمر هذا المحيط الإقليمي من أجل خلق حلقات من المتاريس الإقليمية للحد من خروج الصين الى المحيط الدولي واللعب على المسرح السياسي الدولي كلاعب رئيسي وليس إقليمي .

في الوقت التي سوف تسعى فيه الصين إلى كسر الحواجز الإقليمية سوف تسعى الولايات المتحدة الأمريكية عبر حزمة وسلسله من إجراءات التنشيط الاقتصادي والدبلوماسي للدول المحيطة بالصين من اجل رفع قدراتها ومقاومتها للصين على المستوى السياسي والاقتصادي بل وجعل الحل السياسي أكثر تكلفة للسياسي الصيني وهذا يعنى

حتى وان تنازلت الولايات المتحدة الأمريكية للصين عن تايوان فان الولايات المتحدة الأمريكية سوف تتأكد أن هذه هي آخر التنازلات وآخر الانتصارات الصينية للعب على المستوى الدولي هل يحدث ذلك بالفعل أم أن الديناميكية لها ديناميكيتها الخاصة وبعدها الخاص .

فهرس

مقدمة ٣

إسرائيل بلا حدود ٥

السلاح وتطور العلاقات الدولية ٩

العالم العربي بين الفضاء الأوروبي والأمريكي ١٢

أدوات الضغط السياسي ١٥

أستغلال الحدث السياسي ١٧

إسرائيل وآسيا الوسطى ١٩

إسرائيل وسياسة استثمار الأزمات الدولية ٢٢

أسلحة الدفاع و الهجوم ٢٥

آسيا القوة السياسية ٢٨

الاستثمار السياسي للتسلح ٣١

الاستثمار السياسي للحرب ٣٣

الاستراتيجية أولا.. الاستراتيجية أخيراً ٣٦

الاقتصاد والسياسة الحلقة المفرغة في الوطن العربي ٣٩

الأمم المتحدة وأزمات البلقان ٤٢

الأمن الإسرائيلي ٤٥

البعد الاعلامي في السياسة الامريكية ٤٨

البلقان المجال الأخير ٥٢

البوسنة بعد اتفاق دايتون ٥٥

التنافس التعاوني ٥٩

التنافس على بقايا العالم ٦٢
الجدل النووي والصراع الدولي ٦٥
الجدل النفطي من جديد ٦٧
الخليج والتسلح ٦٩
الدور السياسي للكنيسة الكاثوليكية ٧٣
الذاكرة الاجتماعية الغربية ٧٧
الروس والتكتيك العسكري ٨٠
السياسة الخارجية البريطانية وقوس التبعية ٨٢
السياسة الخارجية الفرنسية ٨٥
الشرق الأوسط عالم متغير ٨٩
الصراع الدولي وحظر التجارب النووية ٩٢
الصين تكتشف الشرق الأوسط ٩٦
الصين واستثمار الأقليات ٩٩
العالم العربي تحاصره القوى النووية ١٠٢
العرب والمأزق النووي من جديد ١٠٥
القوة الجوية وحرب المستقبل ١٠٨
الغرب والنظرة للمسألة الشيشانية ١١٢
الغرب ... مركز العالم ١١٥
العنف كأداة استراتيجية ١١٨
العلاقات الأمريكية الإيرانية ١٢١
ألمانيا واكتمال الدائرة ١٢٥
المسألة البوسنية وإعادة توازن القوى الأوروبية ١٢٨

القوى العربية والإسلامية في أمريكا ١٣٢
القوة النووية وتوازن القوى ١٣٥
الهواجس الغربية ١٣٨
النفط الآسيوي واللعبة السياسية ١٤٣
المشروع الصهيوني والموقع الجغرافي ١٤٦
الولايات المتحدة والصين ١٤٩
الوقود الجديد للرأسمالية ١٥٧
الوجه الجديد للذهنية الأمريكية ١٦٠
الهيبة في الصراع الدولي ١٦٣
أمريكا والانتخابات التشريعية ١٦٦
أمريكا بدون زعامة ١٦٩
اليابان الدور المرتقب ١٧٢
الولايات المتحدة الأمريكية وسنوات التغيير ١٧٥
الولايات المتحدة الأمريكية / قراءة مستقبلية ١٧٨
أمريكا والصين بين التعاون والصراع ١٨٣
أمريكا وسياسة تجفيف المنابع ١٨٦
انفجار أكلهوما ومأزق الدولة الرأسمالية ١٩٠
أوروبا التي تتشكل ١٩٤
بحر قزوين واستراتيجية النفط ١٩٧
بريطانيا وذهنية لورنس العرب ٢٠٢
تايوان الهدف الصيني القادم ٢٠٥
تحضير المسرح الدولي .. الفصل الاقتصادي ٢٠٨

تحضيرالمسرح الدولي .. الفصل الآسيوي ٢١١
تصفيــة الحسابات الداخلية وأزمة كـسوفو ٢١٤
جدلية القوة العسكرية والاقتصادية ٢١٧
حلقات النزف الروسي ٢٢٠
حول التسامح الثقافي الأمريكي ٢٢٣
على خطى الفلسفة اليونانية ٢٢٧
خفايا الحـرب الباردة ٢٣٠
دولة الحضــارة والقانون ٢٣٣
ديناميكية الصراع الدولي ٢٣٦
روسيا التى تتحول ٢٣٨
روسيا التي لا تقول لا ٢٤١
روسيا والعالم العربي ٢٤٥
سوريا والسياسة الخارجية الاسرائيلية ٢٤٨
سياسات متغيرة ٢٥٢
سيكلوجيا الحرب ٢٥٥
شركات تعظيم الربح والبناء الامبراطوري ٢٥٧
فرنسا والسلام العربي الإسرئيلي ٢٦٤
قبرص الأزمة المحتملة ٢٦٨
قراءة أولية للانتخابات الأمـريكية (الحزب الجمهوري) ٢٧١
قراءة أولية لمستقبل العلاقات الدولية ٢٧٤
قراءة سياسية لمعاهدة الحد من الأسلحة الكيميائية ٢٧٩
قراءة مستقبلية .. شرق آسيا والصراع الدولي ٢٨٣

قراءة سياسية للأزمة الكورية ٢٨٧
قيـادة أوروبا من الخارج ٢٩٠
مشنقـة صندوق النقد الدولي ٢٩٣
من مناحيم بيغن إلى نتنياهو ٢٩٦
مناطق الصراع الجديدة ٣٠٠
منظمة حافظي العهـود والساحة الأمريكية ٣٠٢
نحو استراتيجية عسكرية جديدة ٣٠٥
هونغ كونغ بوابة صـينية جديدة ٣٠٩
هونغ كونغ بوابة استـراتيجية ٣١٢
صراع الحضارات قراءة أخرى ٣١٥
إسرائيل وتحويل الانتصار العسكري إلى سياسي ٣١٨
التسلح كأداة للسياسـة الخارجية الأمريكية ٣٢١
الجيش الأوربي ٣٢٤
الحرمان من القـوة النووية هدف السياسـة الأمريكية ٣٢٧
الذراع الإعلامي للسياسة الخارجية الأمريكية ٣٣٠
الذراع الاقتصادي للسياسـة الخارجية الأمريكية ٣٣٤
السياسة الأمريكيـة تدفع إلى انتشار الأسلحة النووية في العالم ٣٣٧
السياسة الأمريكية والبيات الانتخابي ٣٤٠
السياسة الخارجـية الأمريكية والملف العسكري ٣٤٢
المأزق الإسرائيلي ٣٤٥
المسرح السـياسي الأوروبي ٣٤٨
الصين وخلق التنافس ٣٥١

أهمية الفصل بين أمريكا وإسرائيل في الخطاب السياسي العربي ٣٥٣
أوروبا والتغيير الديموغرافي ٣٥٦
حرب البلقان والتحول في العقيدة العسكرية ٣٥٩
سناريو الانتصار المخيف ٣٦٤
قراءة أولية للانتخابات الأمريكية (الحزب الديمقراطي) ٣٦٧
قراءة في الانتخابات الأمريكية ٣٧٠
كوريا التحول الصراعي ٣٧٢
الرأي العام والسياسة الخارجية ٣٧٥
معالم الصراع ٣٧٧
نظام الدفاع وتشكيل العلاقات السياسية ٣٨٠
نظام دولي متعدد الأقطاب تحت المظلة الأمريكية ٣٨٢
الأزمة الخليجية والموقف الأوروبي ٣٨٥
صراع المصالح من جديد ٣٨٨
السياسة المرحلية الأمريكية في الشرق الأوسط ٣٩١
تحييد أمريكا وإسرائيل يكمن في تهديد إسرائيل ٣٩٤
معاهدة موسكو للحد من الأسلحة / أبعادها السياسية ٣٩٧
أحداث أمريكا: محاولة للفهم ٤٠١
البلقان وتأمين المواقع الأمريكية والبريطانية ٤٠٤
الصين بين اللاعب الإقليمي والعالمي ٤٠٧

نبذة عن المؤلف

[illegible] بن محمد النملة

- [illegible] والمتوسطة والثانوية في مدينة البكيرية [illegible]
- [illegible] ١٤٠١ - ١٤٠٥هـ.
- [illegible] ١٤٠٥ - ١٤٠٩هـ.
- حصيل على الشهادة الجامعية العام ١٤١٠ - ١٤١٤هـ.
- درس الماجستير والدكتوراه بالعلوم السياسية من جامعة سيراكيوس Syracuse University بولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٢م حيث كان الاهتمام مركزاً على السياسة الخارجية والصراع الدولي والدراسات الاستراتيجية. كان الاهتمام الخاص في السياسة الخارجية الأمريكية.
- عمل بقسم العلوم السياسية بجامعة الملك سعود بتدريس السياسة الخارجية النظرية والسياسة الخارجية السعودية.
- كاتب سياسي متخصص له مقال أسبوعي بجريدة الرياض منذ أكثر من خمس سنوات.
- عين وكيلاً لوزارة الثقافة والإعلام للإعلام الخارجي عام ١٤٢١هـ.
- متزوج وله من الأبناء ولد وابنتان.

رقم الإيداع ١٤٢٩/٣٣٩١
ردمك: ٩٩٦٠-١٠-٥٥٥